Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

297.122
6
ابن ت
V.4

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

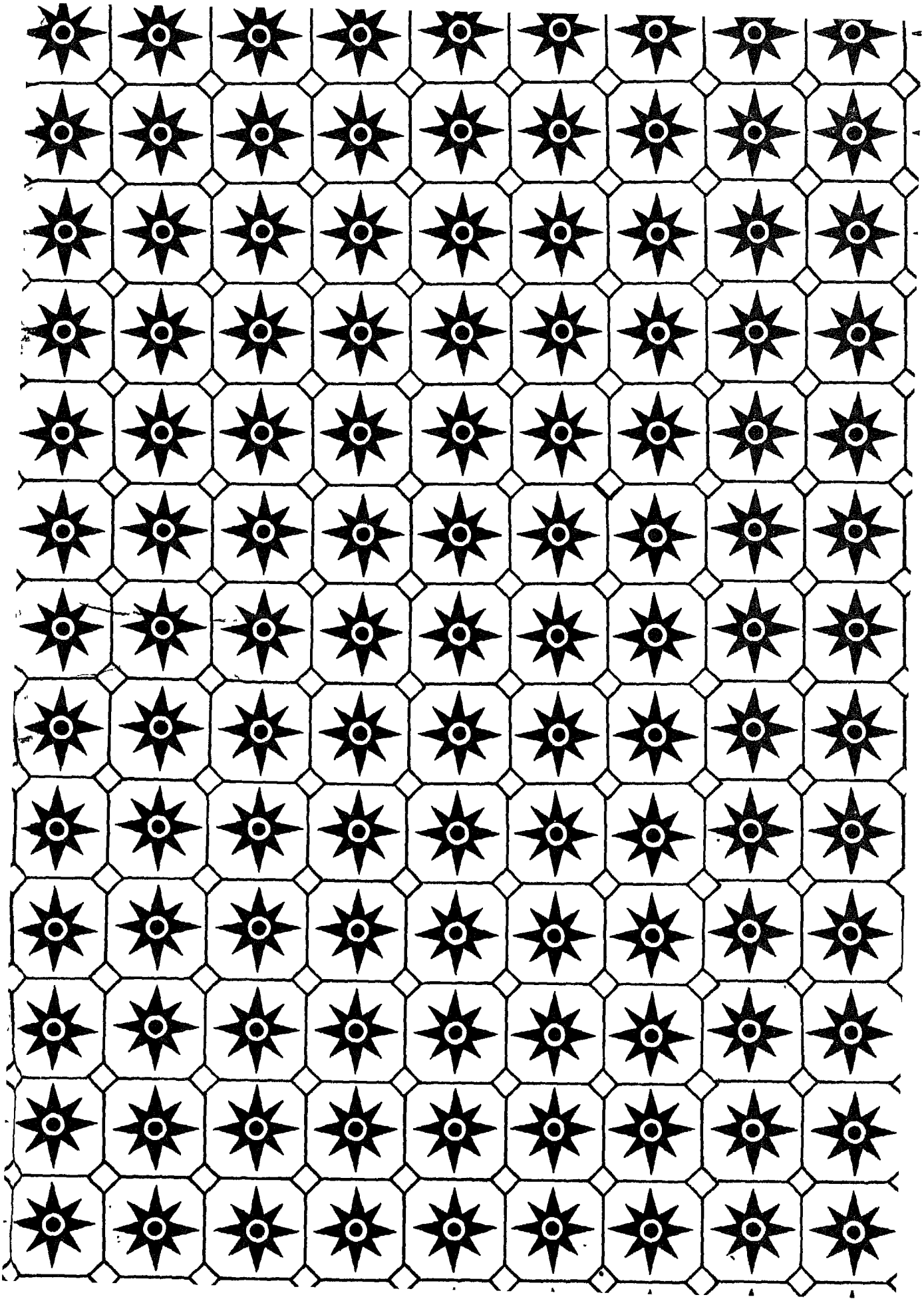

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

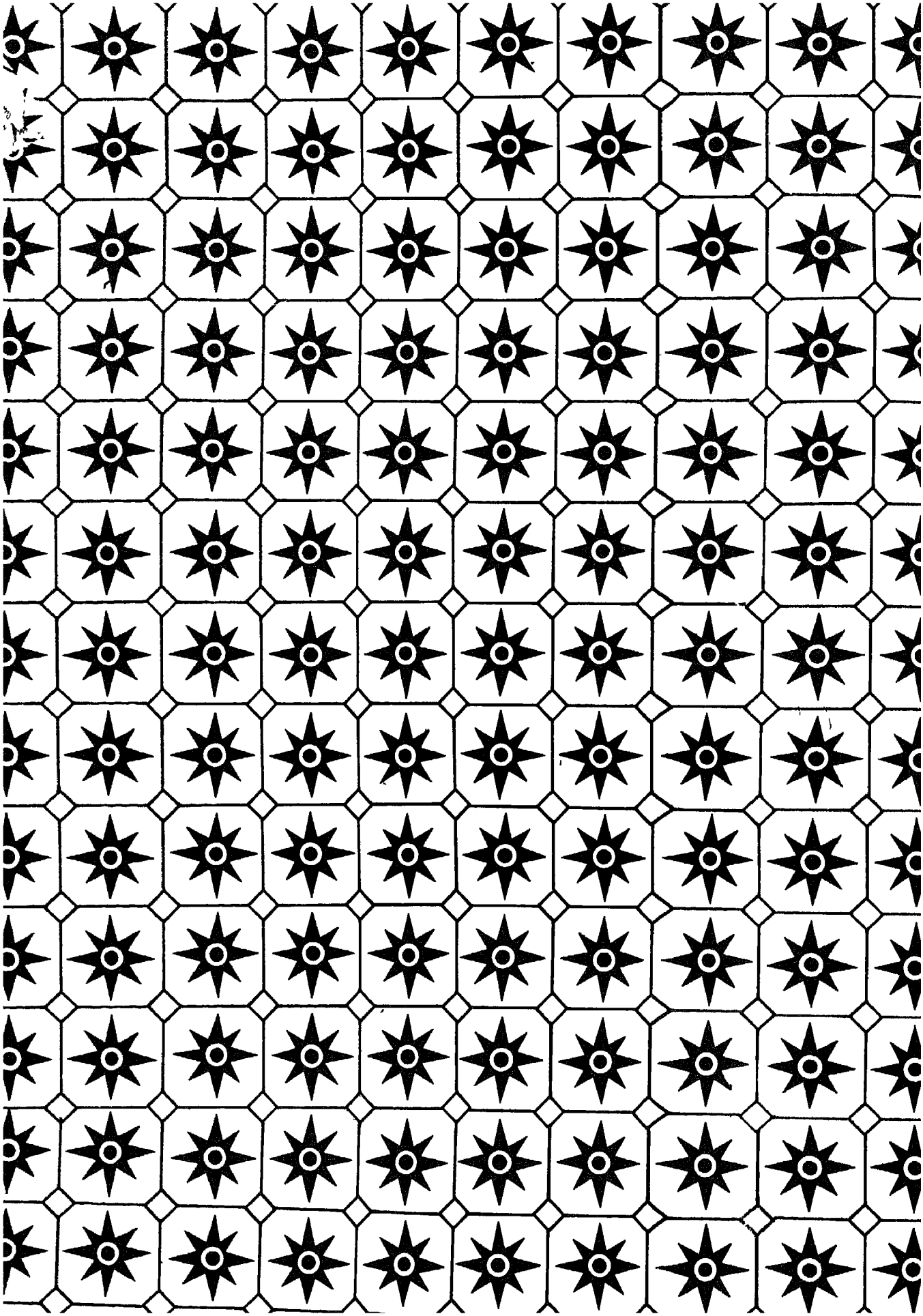

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تفسير القرآن العظيم

للإمام الجليل الحافظ عماد الدين
أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي
المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الرابع

[قوبلت هذه الطبعة على عدة نسخ خطية بدار الكتب المصرية]
وصحها نخبة من العلماء

From The Library of
Ismail Sarguelin

طبع بدار إحياء الكتب العربية
عيسى البابي الحلبي وشركاه

بسم الله الرحمن الرحيم

(تفسير سورة الصافات وهى مكية)

قال النسائى أخبرنا إسماعيل بن مسعود حدثنا خالد : يعنى ابن الحارث ـ عن ابن أبى ذئب قال أخبرنا الحارث بن عبد الرحمن عن سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات ، تفرد به النسائى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالصَّافَّاتِ صَفًّا * فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا * فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا * إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾

قال سفيان الثورى عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال (والصافات صفا) وهى الملائكة (فالزاجرات زجراً) هى الملائكة (فالتاليات ذكرا) هى الملائكة ، وكذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومسروق وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وقتادة والربيع بن أنس قال قتادة : الملائكة صفوف فى السماء . وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن فضيل عن أبى مالك الأشجعى عن ربعى عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فضلنا على الناس بثلاث . جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت لنا الأرض كلها مسجدا وجعل لنا ترابها طهورا إذا لم نجد الماء » وقد روى مسلم أيضا وأبو داود والنسائى وابن ماجه من حديث الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم ؟» قلنا وكيف تصف الملائكة عند ربهم ؟ قال صلى الله عليه وسلم « يتمون الصفوف المتقدمة ويتراصون فى الصف » وقال السدى وغيره معنى قوله تعالى (فالزاجرات زجراً) أنها تزجر السحاب ، وقال الربيع بن أنس (فالزاجرات زجرا) ما زجر الله تعالى عنه فى القرآن ، وكذا روى مالك عن زيد بن أسلم (فالتاليات ذكرا) قال السدى الملائكة يجيئون بالكتاب والقرآن من عند الله إلى الناس وهذه الآية كقوله تعالى (فالملقيات ذكرا * عذرا أو نذرا) . وقوله عز وجل (إن إلهكم لواحد رب السموات والأرض) هذا هو المقسم عليه أنه تعالى لا إله إلا هو رب السموات والأرض (وما بينهما) أى من المخلوقات (ورب المشارق) أى هو المالك المتصرف فى الخلق بتسخيره بما فيه من كواكب ثوابت وسيارات تبدو من المشرق وتغرب من المغرب . واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالتها عليه وقد صرح بذلك فى قوله عز وجل (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون) وقال تعالى فى الآية الأخرى (رب المشرقين ورب المغربين) يعنى فى الشتاء والصيف للشمس والقمر

﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ * دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ * إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾

يخبر تعالى أنه زين السماء الدنيا للناظرين إليها من أهل الأرض بزينة الكواكب ، قرئ بالإضافة وبالبدل وكلاهما

بمعنى واحد فالكواكب السيارة والثوابت يثقب ضوؤها جرم السماء الشفاف فتضيء لأهل الأرض كما قال تبارك وتعالى (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين * وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقال عز وجل (ولقد جعلنا فى السماء بروجا وزيناها للناظرين * وحفظناها من كل شيطان رجيم * إلا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين) فقوله جل وعلا ههنا (وحفظاً) تقديره وحفظناها حفظاً (من كل شيطان مارد) يعنى المتمرد العاتى إذا أراد ن يسترق السمع أتاه شهاب ثاقب فأحرقه ولهذا قال جل جلاله (لا يسمعون إلى الملأ الأعلى) أى لئلا يصلوا إلى الملأ الأعلى وهى السموات ومن فيها من الملائكة إذا تكلموا بما يوحيه الله تعالى مما يقوله من شرعه وقدره كما تقدم بيان ذلك فى الأحاديث التى أوردناها عند قوله تبارك وتعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) ولهذا قال تعالى (ويقذفون) أى يرمون (من كل جانب) أى من كل جهة يقصدون السماء منها (دحورا) أى رجما يدحرون به ويزجرون ويمنعون من الوصول إلى ذلك ويرجمون (ولهم عذاب واصب) أى فى الدار الآخرة لهم عذاب دائم موجع مستمر كما قال جلت عظمته (وأعتدنا لهم عذاب السعير) وقوله تبارك وتعالى (إلا من خطف الخطفة) أى إلا من اختطف من الشياطين الخطفة وهى الكلمة يسمعها من السماء فيلقيها إلى الذى تحته ويلقيها الآخر إلى الذى تحته فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها بقدر الله تعالى قبل أن يأتيه الشهاب فيحرقه فيذهب بها الآخر إلى الكاهن كما تقدم فى الحديث ولهذا قال (إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) أى مستنير . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان للشياطين مقاعد فى السماء قال فكانوا يستمعون الوحى قال وكانت النجوم لا تجرى وكانت الشياطين لا ترمى قال فاذا سمعوا الوحى نزلوا إلى الأرض فزادوا فى الكلمة تسعا قال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الشيطان إذا قعد مقعده جاءه شهاب فلم يخطئه حتى يحرقه قال فشكوا ذلك إلى إبليس لعنه الله فقال ما هو إلا من أمر حدث قال فبعث جنوده فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى بين جبلى نخلة قال وكيع يعنى بطن نخلة قال فرجعوا إلى إبليس فأخبروه فقال هذا الذى حدث ، وستأتى إن شاء الله تعالى الأحاديث الواردة مع الآثار فى هذا المعنى عند قوله تعالى إخبارا عن الجن أنهم قالوا (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديدا وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصدا * وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا)

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ * بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ * وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ * وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ * أَوَءَابَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ * قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ * فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴾

يقول تعالى : فسل هؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقا هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة ؟ وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه أم من عددنا فانهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقا منهم ، وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث ؟ وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا كما قال عز وجل (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم بين أنهم خلقوا من شىء ضعيف فقال (إنا خلقناهم من طين لازب) قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك : هو الجيد الذى يلتزق بعضه ببعض ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد ، وقال قتادة هو الذى يلزق باليد ، وقوله عز وجل (بل عجبت ويسخرون) أى بل عجبت يا محمد من تكذيب هؤلاء المنكرين للبعث وأنت موقن مصدق بما أخبر الله تعالى من الأمر العجيب وهو إعادة الأجسام بعد فنائها وهم بخلاف أمرك من شدة تكذيبهم يسخرون مما تقول لهم من ذلك

قال قتادة: عجب محمد صلى الله عليه وسلم وسخر ضلال بنى آدم (وإذا رأوا آية) أى دلالة واضحة على ذلك (يستسخرون) قال مجاهد وقتادة يستهزئون (وقالوا إن هـذا إلا سحر مبين) أى إن هذا الذى جئت به إلا سحر مبين (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون * أو آباؤنا الأولون) يستبعدون ذلك ويكذبون به (قل نعم وأنتم داخرون) أى قل لهم يا محمد نعم تبعثون يوم القيامة بعدما تصيرون ترابا وعظاما وأنتم داخرون أى حقيرون تحت القدرة العظيمة كما قال تبارك تعالى (وكل أتوه داخرين) وقال (إن الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين). ثم قال جلت عظمته (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم ينظرون) أى فانما هو أمر واحد من الله عز وجل يدعوهم دعوة واحدة أن يخرجوا من الأرض فإذا هم قيام بين يديه ينظرون إلى أهوال يوم القيامة والله تعالى أعلم .

﴿ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ * هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ * احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ * بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴾

يخبر تعالى عن قيل الكفار يوم القيمة أنهم يرجعون على أنفسهم بالملامة ويعترفون بأنهم كانوا ظالمين لأنفسهم فى الدار الدنيا ، فإذا عاينوا أهوال القيامة ندموا كل الندم حيث لا ينفعهم الندم (وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين) فتقول لهم الملائكة والمؤمنون (هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون) وهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ ويأمر الله تعالى الملائكة أن تميز الكفار من المؤمنين فى الموقف فى محشرهم ومنشرهم ولهذا قال تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال النعمان بن بشير رضى الله عنه يعنى بأزواجهم أشباههم وأمثالهم ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والسدى وأبو صالح وأبو العالية وزيد بن أسلم ، وقال سفيان الثورى عن سماك عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال إخوانهم . وقال شريك عن سماك عن النعمان قال : سمعت عمر يقول (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) قال أشباههم . قال يجىء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا ، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر ، وقال خصيف عن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما أزواجهم نساء هم وهذا غريب والمعروف عنه الأول كما رواه مجاهد وسعيد بن جبير عنه أزواجهم قرناءهم وما كانوا يعبدون من دون الله أى من الأصنام والأنداد تحشر معهم فى أماكنهم . وقوله تعالى (فاهدوهم إلى صراط الجحيم) أى أرشدوهم إلى طريق جهنم وهذا كقوله تعالى (ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا) وقوله تعالى (وقفوهم إنهم مسؤولون) أى قفوهم حتى يسئلوا عن أعمالهم وأقوالهم التى صدرت عنهم فى الدار الدنيا كما قال الضحاك عن ابن عباس يعنى احبسوهم إنهم محاسبون . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا النفيلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت ليثا يحدث عن بشر عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أيما داع دعا إلى شىء كان موقوفا معه إلى يوم يوم القيامة لا يغادره ولا يفارقه وإن دعا رجل رجلا » ثم قرأ (وقفوهم إنهم مسؤولون) ورواه الترمذى من حديث ليث بن أبى سليم ، ورواه ابن جرير عن يعقوب بن إبراهيم عن معتمر عن ليث عن رجل عن أنس رضى الله عنه مرفوعا . وقال عبد الله بن المبارك سمعت عثمان بن زائدة يقول إن أول ما يسئل عنه الرجل جلساؤه ، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ (ما لكم لا تناصرون ؟) أى كما زعمتم أنكم جميع منتصر (بل هم اليوم مستسلمون) أى منقادون لأمر الله لا يخالفونه ولا يحيدون عنه والله أعلم

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ * قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا

مُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ * فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ * فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ * فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ * بَلْ جَآءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾

يذكر تعالى أن الكفار يتلاومون فى عرصات القيامة كما يتخاصمون فى دركات النار (فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار * قال الذين استكبروا إنا كل فيها إن الله قد حكم بين العباد) وقال تعالى (ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين * قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له اندادا وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) وهكذا قالوا لهم ههنا (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال الضحاك عن ابن عباس يقولون كنتم تقهروننا بالقدرة منكم علينا لأنا كنا أذلاء وكنتم أعزاء ، وقال مجاهد يعنى عن الحق والكفار تقوله للشياطين . وقال قتادة قالت الإنس للجن إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قال من قبل الخير فتنهوننا عنه وتبطئوننا عنه ، وقال السدى تأتوننا من قبل الحق وتزينوا لنا الباطل وتصدوننا عن الحق وقال الحسن فى قوله تعالى (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) أى والله يأتيه عند كل خير يريده فيصده عنه ، وقال ابن زيد معناه تحولون بيننا وبين الخير وردتمونا عن الإسلام والإيمان والعمل بالخير الذى أمرنا به ، وقال يزيد الرشك[1] من قبل لا إله إلا الله وقال خصيف يعنون من قبل ميامنهم ، وقال عكرمة (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) قال من حيث نأمنكم .

وقوله تعالى (قالوا بل لم تكونوا مؤمنين) تقول القاده من الجن والإنس للاتباع ما الأمر كما تزعمون بل كانت قلوبكم منكرة للايمان قابلة للكفر والعصيان (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى من حجة على صحة مادعوناكم إليه (بل كنتم قوما طاغين) أى بل كان فيكم طغيان ومجاوزة للحق فلهذا استجبتم لنا وتركتم الحق الذى جاءتكم به الأنبياء وأقاموا لكم الحجج على صحة ما جاءوكم به فخالفتموهم (فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون * فأغويناكم إنا كنا غاوين) يقول الكبراء للمستضعفين حقت علينا كلمة الله إنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة (فأغويناكم) أى دعوناكم إلى الضلالة (إنا كنا غاوين) أى فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا ، قال الله تبارك وتعالى (فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون) أى الجميع فى النار كل بحسبه (إنا كذلك نفعل بالمجرمين * إنهم كانوا) أى فى الدار الدنيا (إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) أى يستكبرون أن يقولوها كما يقولها المؤمنون قال ابن أبى حاتم حدثنا عبيد الله ابن أخى ابن وهب حدثنا عمى حدثنا الليث عن ابن مسافر يعنى عبد الرحمن بن خالد عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » وأنزل الله تعالى فى كتابه وذكر قوما استكبروا فقال تعالى (إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا أبى حدثنا أبو سلمة موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريرى عن أبى العلاء قال : يؤتى باليهود يوم القيامة فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله وعزيرا فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالنصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون نعبد الله والمسيح فيقال لهم خذوا ذات الشمال ، ثم يؤتى بالمشركين فيقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون

(٢) بكسر الراء وسكون الشين ابن أبى يزيد الضبعى

ثم يقال لهم لا إله إلا الله فيستكبرون فيقال لهم خذوا ذات الشمال . قال أبو نضرة فينطلقون أسرع من الطير . قال أبو العلاء ثم يؤتى بالمسلمين فيقال لهم ما كنتم تعبدون ؟ فيقولون كنا نعبد الله تعالى فيقال لهم هل تعرفونه إذا رأيتموه ؟ فيقولون نعم ، فيقال لهم فكيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون نعلم أنه لا عدل له . قال فيتعرف لهم تبارك وتعالى وتقدس وينجى الله المؤمنين (ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون) أى أنحن نترك عبادة آلهتنا وآلهة آبائنا عن قول هذا الشاعر المجنون يعنون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى تكذيبا لهم وردا عليهم (بل جاء بالحق) يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالحق فى جميع شرعة الله تعالى له من الاخبار والطلب (وصدق المرسلين) أى صدقهم فيما أخبروا عنه من الصفات الحميدة ، والمناهج السديدة ، وأخبر عن الله تعالى فى شرعه وأمره كما أخبروا (ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) الآية

﴿ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ * وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ * فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ * فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ * لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ * كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للناس إنكم لذائقو العذاب الأليم * وما تجزون إلا ما كنتم تعملون) ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين كما قال تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال عز وجل (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم * ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال تعالى (وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا * ثم ننجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا) وقال تعالى (كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين) ولهذا قال جل وعلا ههنا (إلا عباد الله المخلصين) أى ليسوا يذوقون العذاب الأليم ولا يناقشون فى الحساب بل يتجاوز عن سيئاتهم إن كان لهم سيئات ويجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة إلى ما يشاء الله تعالى من التضعيف . وقوله جل وعلا (أولئك لهم رزق معلوم) قال قتادة والسدى يعنى الجنة ثم فسره بقوله تعالى (فواكه) أى متنوعة (وهم مكرمون) أى يخدمون ويرفهون وينعمون (فى جنات النعيم * على سرر متقابلين) قال مجاهد لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض . وقال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن عبدك القزوينى حدثنا حسان بن حسان حدثنا إبراهيم بن بشر حدثنا يحيى بن معين حدثنا إبراهيم القرشى عن سعيد بن شرحبيل عن زيد بن أبى أوفى رضى الله عنه قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا هذه الآية (على سرر متقابلين) ينظر بعضهم إلى بعض حديث غريب . وقوله تعالى (يطاف عليهم بكأس من معين * بيضاء لذة للشاربين * لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون) كما قال عز وجل فى الآية الأخرى (يطوف عليهم ولدان مخلدون * بأكواب وأباريق وكأس من معين * لا يصدعون عنها ولا ينزفون) نزه الله سبحانه وتعالى خمر الجنة عن الآفات التى فى خمر الدنيا من صداع الرأس ووجع البطن وهو الغول وذهابها بالعقل جملة فقال تعالى هاهنا (يطاف عليهم بكأس من معين) أى بخمر من أنهار جارية لا يخافون انقطاعها ولا فراغها قال مالك عن زيد بن أسلم: خمر جارية بيضاء أى لونها مشرق حسن بهى لا كخمر الدنيا فى منظرها البشع الردىء من حمرة أو سواد أو اصفرار أو كدورة إلى غير ذلك مما ينفر الطبع السليم . وقوله عز وجل (لذة للشاربين) أى طعمها طيب كلونها وطيب الطعم دليل على طيب الريح بخلاف خمر الدنيا فى جميع ذلك وقوله تعالى (لا فيها غول) يعنى لا تؤثر فيهم غولا وهو وجع البطن قاله ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وقتادة وابن زيد كما تفعله خمر الدنيا من القولنج ونحوه لكثرة مائيتها ، وقيل المراد بالغول ههنا صداع الرأس وروى هكذا عن

ابن عباس رضى الله عنهما وقال قتادة هو صداع الرأس ووجع البطن وعنه وعن السدى لاتغتال عقولهم كما قال الشاعر :

فما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالأول الأول

وقال سعيد بن جبير لا مكروه فيها ولا أذى ، والصحيح قول مجاهد أنه وجع البطن ، وقوله تعالى (ولاهم عنها ينزفون) قال مجاهد لاتذهب عقولهم وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب والحسن وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى والسدى وغيرهم وقال الضحاك عن ابن عباس فى الخمر أربع خصال السكر والصداع والقىء والبول فذكر الله تعالى خمر الجنة فنزهها عن هذه الخصال كما ذكر فى سورة الصافات وقوله تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أى عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وزيد بن أسلم وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله تبارك وتعالى (عين) أى حسان الأعين وقيل ضخام الأعين وهو يرجع إلى الأول وهى النجلاء العيناء فوصف عيونهن بالحسن والعفة كقول زليخا فى يوسف عليه الصلاة والسلام حين حملته وأخرجته على تلك النسوة فأعظمنه وأكبرنه وظنن أنه ملك من الملائكة لحسنه وبهاء منظره قالت (فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم) أى هو مع هذا الجمال عفيف تقى نقى وهكذا الحور العين (خيرات حسان) ولهذا قال عز وجل (وعندهم قاصرات الطرف عين) وقوله جل جلاله (كأنهن بيض مكنون) وصفهن ببرافة الأبدان بأحسن الألوان قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (كأنهن بيض مكنون) يقول اللؤلؤ المكنون وينشدهنا بيت أبى دهبل الشاعر وهو قوله فى قصيدة له وهى زهراء مثل لؤلؤة الغو * اص ميزت من جوهر مكنون

وقال الحسن (كأنهن بيض مكنون) يعنى محصون لم تمسه الأيدى ، وقال السدى : البيض فى عشه مكنون وقال سعيد بن جبير (كأنهن بيض مكنون) يعنى بطن البيض وقال عطاء الخراسانى هو السحاء الذى يكون بين قشرته العليا ولباب البيضة ، وقال السدى (كأنهن بيض مكنون) يقول بياض البيض حين ينزع قشره واختاره ابن جرير لقوله مكنون قال والقشرة العليا يمسها جناح الطير والعش وتناولها الأيدى بخلاف داخلها والله أعلم . وقال ابن جرير حدثنا أحمد ابن عبد الرحمن بن وهب حدثنا محمد بن الفرج الصدفى الدمياطى عن عمرو بن هاشم عن ابن أبى كريمة عن هشام عن الحسن عن أمه عن أم سلمة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (حور عين) قال « العين الضخام العيون شفر الحوراء بمنزلة جناح النسر » قلت يارسول الله أخبرنى عن قول الله عز وجل (كأنهن بيض مكنون) قال « رقتهن كرقة الجلدة التى رأسها فى داخل البيضة التى تلى القشر وهى الغرقئ » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو غسان النهدى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أنا أول الناس خروجا إذا بعثوا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا حزنوا ، وأنا شفيعهم إذا حبسوا لواء الحمد يومئذ بيدى ، وأنا أكرم ولد آدم على الله عز وجل ولا فخر ، يطوف على ألف خادم كأنهن البيض المكنون ـ أو اللؤلؤ المكنون ـ » ، والله تعالى أعلم بالصواب .

﴿ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ * قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ * يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ * أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ * قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ * فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ * قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ * وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ * أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ * إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة أنه أقبل بعضهم على بعض يتساءلون أى عن أحوالهم وكيف كانوا فى الدنيا وماذا كانوا يعانون فيها وذلك من حديثهم على شرابهم واجتماعهم فى تنادمهم ومعاشرتهم فى مجالسهم وهم جلوس على السرر والخدم

بين أيديهم يسعون ويجيئون بكل خير عظيم من مآكل ومشارب وملابس وغير ذلك مما لاعين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (قال قائل منهم إنى كان لى قرين) قال مجاهد يعنى شيطانا . وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل المشرك يكون له صاحب من أهل الإيمان فى الدنيا ، ولاتنافى بين كلام مجاهد وابن عباس رضى الله عنهما فان الشيطان يكون من الجن فيوسوس فى النفس ويكون من الإنس فيقول كلاما تسمعه الأذنان وكلاهما يتعاونان قال الله تعالى (يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكل منهما يوسوس كما قال الله عز وجل (من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس) ولهذا (قال قائل منهم إنى كان لى قرين يقول أئنك لمن المصدقين) أى أ أنت تصدق بالبعث والنشور والحساب والجزاء يعنى يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ، والكفر والعناد (أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال مجاهد والسدى لمحاسبون ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومحمد بن كعب القرظى لمجزيون بأعمالنا وكلاهما صحيح قال تعالى (قال هل أنتم مطلعون) أى مشرفون يقول المؤمن لأصحابه وجلسائه من أهل الجنة (فاطلع فرآه فى سواء الجحيم) قال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وخليد العصرى وقتادة والسدى وعطاء الخراسانى يعنى فى وسط الجحيم ، وقال الحسن البصرى فى وسط الجحيم كأنه شهاب يتقد ، وقال قتادة ذكر لنا أنه اطلع فرأى جماجم القوم تغلى ، وذكر لنا أن كعب الأحبار قال فى الجنة كوى إذا أراد أحد من أهلها أن ينظر إلى عدوه فى النار اطلع فيها فازداد شكرا (قال تالله إن كدت لتردين) يقول المؤمن مخاطبا للكافر والله إن كدت لتهلكنى لو أطعتك (ولولا نعمة ربى لكنت من المحضرين) أى ولولا فضل الله على لكنت مثلك فى سواء الجحيم حيث أنت محضر معك فى العذاب ولكنه تفضل على ورحمنى فهدانى للايمان وأرشدنى إلى توحيده (وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله) . وقوله تعالى (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) هذا من كلام المؤمن مغتبطا نفسه بما أعطاه الله تعالى من الخلد فى الجنة والإقامة فى دار الكرامة بلا موت فيها ولا عذاب ولهذا قال عز وجل (إن هذا لهو الفوز العظيم) . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبدالله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تبارك وتعالى لأهل الجنة (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) قال ابن عباس رضى الله عنهما قوله عز وجل (هنيئا) أى لايموتون فيها فعندها قالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين) وقال الحسن البصرى : علموا أن كل نعيم فإن الموت يقطعه فقالوا (أفما نحن بميتين * إلا موتتنا الأون وما نحن بمعذبين) قيل لا (قالوا إن هذا لهو الفوز العظيم) وقوله جل جلاله (لمثل هذا فليعمل العاملون) قال قتادة هذا من كلام أهل الجنة ، وقال ابن جرير هو من كلام الله تعالى ومعناه لمثل هذا النعيم وهذا الفوز فليعمل العاملون فى الدنيا ليصيروا إليه فى الآخرة وقد ذكروا قصة رجلين كانا شريكين فى بنى إسرائيل تدخل فى ضمن عموم هذه الآية الكريمة ، قال أبو جعفر بن جرير حدثنى إسحاق بن إبراهيم ابن حبيب بن الشهيد حدثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن فرات بن ثعلبة النهرانى فى قوله (إنى كان لى قرين) قال إن رجلين كانا شريكين فاجتمع لهما ثمانية آلاف دينار ، وكان أحدهما له حرفة والآخر ليس له حرفة ، فقال الذى له حرفة للآخر ليس عندك حرفة ما أرانى إلا مفارقك ومقاسمك فقاسمه وفارقه ثم إن الرجل اشترى دارا بألف دينار كانت للملك مات فدعا صاحبه فأراه فقال كيف ترى هذه الدار ابتعتها بألف دينار ؟ قال ما أحسنها ، فلما خرج قال اللهم إن صاحبى هذا قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإنى أسألك دارا من دور الجنة فتصدق بألف دينار ، ثم مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ، ثم إنه تزوج بامرأة بألف دينار فدعاه وصنع له طعاما فلما أتاه قال إنى تزوجت هذه المرأة بألف دينار قال ما أحسن هذا فلما انصرف قال يارب إن صاحبى تزوج امرأة بألف دينار وإنى أسألك امرأة من الحور العين فتصدق بألف دينار ، ثم إنه مكث ماشاء الله تعالى أن يمكث ثم اشترى بستانين بألفى دينار ثم دعاه فأراه فقال إنى ابتعت هذين البستانين بألفى دينار فقال ما أحسن هذا فلما خرج قال يارب إن صاحبى قد اشترى بستانين بألفى دينار وأنا أسألك بستانين فى الجنة فتصدق بألفى دينار ، ثم إن الملك أتاهما فتوفاهما ثم انطلق

بهذا المتصدق فأدخله داراً تعجبه وإذا بامرأة تطلع يضيء ما تحتها من حسنها ثم أدخله بستانين وشيئاً الله به عليم فقال عند ذلك ما أشبه هذا برجل كان من أمره كذا وكذا قال فانه ذاك وذاك هذا المنزل والبستانان والمرأة ،قال فانه كان لى صاحب يقول أئنك لمن المصدقين قيل له فانه فى الجحيم قال هل أنتم مطلعون ؟ فاطلع فرآه فى شواء الجحيم فقال عند ذلك (تالله إن كدت لتردين * ولولا نعمة ربى لكنة من المحضرين) الآيات قال ابن جرير وهذا يقوى قراءة من قرأ (أئنك لمن المصدقين) بالتشديد ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عمرو بن عبدالرحمن الأبار أخبرنا أبو حفص قال سألت إسماعيل السدى عن هذه الآية (قال قائل منهم إنى كان لى قرين * يقول أئنك لمن المصدقين) قال فقال لى ما ذكرك هذا قلت قرأته آنفا فأحببت أن أسألك عنه فقال : أما فاحفظ ، كان شريكان فى بنى اسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر فافترقا على ستة آلاف دينار لكل واحد منهما ثلاثة آلاف دينار ثم افترقا فمكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ، ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك ؟ أضربت به شيئا اتجرت به فى شىء ؟ فقال له المؤمن لا فما صنعت أنت ؟ فقال اشتريت به ارضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار — قال — فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم ، قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ما شاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال : اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — اشترى أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا بألف دينار ثم يموت غدا ويتركها ، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف دينار أرضا ونخلا وثمارا وأنهارا فى الجنة — قال: ثم أصبح فقسمها فى المساكين — قال — ثم مكثا ما شاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك أضربت به فى شىء ؟ أتجرت به فى شىء قال لا قال فما صنعت أنت ! قال كانت ضيعتى قد اشتد على مؤنتها فاشتريت رقيقا بألف دينار يقومون لى فيها ويعملون لى فيها فقال له المؤمن أوفعلت ! قال نعم — قال — فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ ألف دينار فوضعها بين يديه ثم قال اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — اشترى رقيقا من رقيق الدنيا بألف دينار يموت غداً فيتركهم أويموتون فيتركونه ، اللهم إنى اشتريت منك بهذه الألف الدنيار رقيقا فى الجنة — قال — ثم أصبح فقسمها فى المساكين — قال — ثم مكثا ماشاء الله تعالى أن يمكثا ثم التقيا فقال الكافر للمؤمن ما صنعت فى مالك أضربت به فى شىء أتجرت به فى شىء ! قال لا فما صنعت أنت ! قال كان أمرى كله قد تم إلا شيئا واحدا فلانة قد مات عنها زوجها فأصدقتها ألف دينار فجاءتنى بها ومثلها معها فقال له المؤمن أو فعلت ؟ قال نعم قال فرجع المؤمن حتى إذا كان الليل صلى ماشاء الله تعالى أن يصلى فلما انصرف أخذ الألف الدينار الباقية فوضعها بين يديه وقال اللهم إن فلانا — يعنى شريكه الكافر — تزوج زوجة من أزواج الدنيا بألف دينار فيموت غداً فيتركها أو تموت غدا فتتركه اللهم وإنى أخطب إليك بهذه الألف الدنيار حوراء عيناء فى الجنة — قال — ثم أصبح فقسمها بين المساكين — قال — فبقى المؤمن ليس عنده شىء . قال فلبس قميصا من قطن وكساء من صوف ثم أخذ مرا فجعله على رقبته يعمل الشىء ويحفر الشىء بقوته . قال فجاءه رجل فقال له يا عبد الله أتؤاجرنى نفسك مشاهرة شهرا بشهر تقوم على دواب لى تعلفها وتكنس سرقينها قال أفعل قال فواجره نفسه مشاهرة شهراً بشهر يقوم على دوابه ، قال وكان صاحب الدواب يغدو كل يوم ينظر إلى دوابه فإذا رأى منها دابة ضامرة أخذ برأسه فوجأ عنقه ثم يقول له سرقت شعير هذه البارحة.قال فلما رأى المؤمن هذه الشدة قال لآتين شريكى الكافر فلأعملن فى أرضه فليطعمنى هذه الكسرة يوما بيوم ويكسونى هذين الثوبين إذا بليا ، قال فانطلق يريده فانتهى إلى بابه وهو ممس فإذا قصر مشيد فى السماء وإذا حوله البوابون فقال لهم استأذنوا لى على صاحب هذا القصر فانكم إذا فعلتم سره ذلك ، فقالوا له انطلق إن كنت صادقا فنم فى ناحية فإذا أصبحت فتعرض له . قال فانطلق المؤمن فألقى نصف كسائه تحته ونصفه فوقه ثم نام فلما أصبح أتى شريكه فتعرض له فخرج شريكه الكافر وهو راكب فلما رآه عرفه فوقف عليه وسلم عليه وصافحه ثم قال له ألم تأخذ من المال مثل ما أخذت ؟ قال بلى قال وهذه حالى وهذه حالك ؟ قال بلى قال أخبرنى ما صنعت فى مالك ؟ قال لا تسألنى

عنه ، قال فما جاء بك ؟ قال جئت أعمل فى أرضك هذه فتطعمنى هذه الكسرة يوما بيوم وتكسونى هذين الثوبين إذا بليا ، قال لا ولكن أصنع بك ما هو خير من هذا ولكن لا ترى منى خيراً حتى تخبرنى ما صنعت فى مالك قال أقرضته قال من ؟ قال الملىء الوفى قال من ؟ قال الله ربى قال وهو مصافحه فانتزع يده من يده ثم قال (أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال السدى محاسبون قال فانطلق الكافر وتركه ، قال فلما رآه المؤمن وليس يلوى عليه رجع وتركه يعيش ، المؤمن فى شدة من الزمان ويعيش الكافر فى رخاء من الزمان قال فاذا كان يوم القيامة وأدخل الله تعالى المؤمن الجنة يمر فإذا هو بأرض ونخل وثمار وأنهار فيقول لمن هذا ؟ فيقال هذا لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا ؟ قال ثم يمر فإذا هو برقيق لا تحصى عدتهم فيقول لمن هذا ؟ فيقال هؤلاء لك ، فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضل عملى أن أثاب بمثل هذا قال ثم يمر فإذا هو بقبة من يا قوتة حمراء مجوفة فيها حوراء عيناء فيقول لمن هذه فيقال هذه لك فيقول ياسبحان الله أو بلغ من فضلى عملى أن أثاب بمثل هذا ، قال ثم يذكر المؤمن شريكه الكافر فيقول (إنى كان لى قرين * يقول أئنك لمن المصدقين * أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمدينون) قال فالجنة عالية والنار هاوية قال فيريه الله تعالى شريكه فى وسط الجحيم من بين أهل النار فإذا رآه المؤمن عرفه فيقول (تالله إن كدت لتردين * ولو لا نعمة ربى لكنت من المحضرين * أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين * إن هذا لهو الفوز العظيم * لمثل هذا فليعمل العاملون) بمثل ما قدمن عليه . قال فيتذكر المؤمن ما مر عليه فى الدنيا من الشدة فلا يذكر مما مر عليه فى الدنيا من الشدة أشد عليه من الموت

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ * إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ * إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ * طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ * فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ * ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ * ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ * إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ * فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾

يقول الله تعالى أهذا الذى ذكره من نعيم الجنة وما فيها من مآكل ومشارب ومناكح وغير ذلك من الملاذ خير ضيافة وعطاء (أم شجرة الزقوم) أى التى فى جهنم وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك شجرة واحدة معينة كما قال بعضهم إنها شجرة تمتد فروعها إلى جميع محال جهنم كما أن شجرة طوبى ما من دار فى الجنة إلا وفيها منها غصن ، وقد يحتمل أن يكون المراد بذلك جنس شجر يقال له الزقوم كقوله تعالى (وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين) يعنى الزيتونة ويؤيد ذلك قوله تعالى (ثم إنكم أيها الضالون المكذبون * لآكلون من شجر من زقوم) وقوله عز وجل (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال قتادة ذكرت شجرة الزقوم فافتتن بها أهل الضلالة وقالوا صاحبكم ينبئكم أن فى النار شجرة والنار تأكل الشجر فأنزل الله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) غذيت من النار ومنها خلقت . وقال مجاهد (إنا جعلناها فتنة للظالمين) قال أبو جهل لعنه الله إنما الزقوم التمر والزبد أتزقمه قلت ومعنى الآية إنما أخبرناك يا محمد بشجرة الزقوم اختبارا نختبر به الناس من يصدق منهم ممن يكذب كقوله تبارك وتعالى (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا) . وقوله تعالى (إنها شجرة تخرج فى أصل الجحيم) أى أصل منبتها فى قرار النار (طلعها كأنه رءوس الشياطين تبشيع لها وتكريه لذكرها . قال وهب بن منبه شعور الشياطين قائمة إلى السماء ، وإنما شبهها برءوس الشياطين) وإن لم تكن معروفة عند المخاطبين لأنه قد استقر فى النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر ، وقيل المراد بذلك ضرب من الحيات رءوسها بشعة ، وقيل جنس من النبات طلعه فى غاية الفحاشة وفى هذين الاحتمالين نظر ، وقد ذكرهما ابن جرير والأول أقوى وأولى والله أعلم . وقوله تعالى (فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون) ذكر تعالى أنهم يأكلون من هذه الشجرة التى لا أبشع منها ولا أقبح من منظرها مع ما هى عليه من سوء الطعم والريح

والطبع فانهم ليضطرون إلى الأكل منها لأنهم لا يجدون إلا إياها وما هو فى معناها كما قال تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع * لايسمن ولا يغنى من جوع) وقال ابن أبى حاتم رحمه الله حدثنا أبى حدثنا عمرو بن مرزوق حدثنا شعبة عن الأعمش عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية وقال « اتقوا الله حق تقاته فلو أن قطرة من الزقوم قطرت فى بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم فكيف بمن يكون طعامه ؟» ورواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث شعبة وقال الترمذى حسن صحيح وقوله تعالى (ثم إن لهم عليها لشوباً من حميم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شرب الحميم على الزقوم ، وقال فى رواية عنه شوباً من حميم ، مزجا من حميم ، وقال غيره يعنى يمزج لهم الحميم بصديد وغساق مما يسيل من فروجهم وعيونهم وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا حيوة بن شريح الحضرمى حدثنا بقية بن الوليد عن صفوان بن عمرو أخبرنى عبيد بن بشير عن أبى أمامة الباهلى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول « يقرب — يعنى إلى أهل النار — ماء فيتكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فيه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره» وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن رافع حدثنا يعقوب ابن عبد الله عن جعفر وهارون بن عنترة عن سعيد بن جبير قال إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم فأكلوا منها فاختلست جلود وجوههم فلو أن مارا مر بهم يعرفهم لعرفهم بوجوههم فيها ثم يصب عليهم العطش فيستغيثون فيغاثون بماء كالمهل وهو الذى قد انتهى حره فإذا أدنوه من أفواههم اشتوى من حره لحوم وجوههم التى سقطت عنها الجلود ويسهر ما فى بطونهم فيمشون تسيل أمعاؤهم وتتساقط جلودهم ثم يضربون بمقامع من حديد فيسقط كل عضو على حياله يدعون بالثبور وقوله عز وجل (ثم إن مرجعهم لإلى الجحيم) أى ثم إن مردهم بعد هذا الفصل لإلى نار تتأجج وجحيم تتوقد وسعير تتوهج فتارة فى هذا وتارة فى هذا كما قال تعالى (يطوفون بينها وبين حميم آن) هكذا تلا قتادة هذه الآية عند هذه الآية وهو تفسير حسن قوى ، وقال السدى فى قراءة عبد الله رضى الله عنه (ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم) وكان عبد الله رضى الله عنه يقول والذى نفسى بيده لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) وروى الثورى عن ميسرة عن المنهال بن عمرو عن أبى عبيدة عن عبد الله رضى الله عنه قال : لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقيل هؤلاء ويقيل هؤلاء قال سفيان أراه ثم قرأ (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا) ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم قلت على هذا التفسير تكون ثم عاطفة الخبر على خبر وقوله تعالى (إنهم ألفوا آباءهم ضالين) أى إنما جازيناهم بذلك لأنهم وجدوا آباءهم على الضلالة فاتبعوهم فيها بمجرد ذلك من غير دليل ولا برهان ، ولهذا قال (فهم على آثارهم يهرعون) قال مجاهد شبيهة بالهرولة ، وقال سعيد بن جبير يسفهون

﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ * فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يخبر تعالى عن الأمم الماضية أن أكثرهم كانوا ضالين يجعلون مع الله آلهة أخرى ، وذكر تعالى أنه أرسل فيهم منذرين ينذرون بأس الله ويحذرونهم سطوته ونقمته ممن كفر به وعبد غيره وأنهم تمادوا على مخالفة رسلهم وتكذيبهم فأهلك المكذبين ودمرهم ونجى المؤمنين ونصرهم وظفرهم ولهذا قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المنذرين إلا عباد الله المخلصين)

﴿ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ * وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴾

لما ذكر تعالى عن أكثر الأولين أنهم ضلوا عن سبيل النجاة شرع يبين ذلك مفصلا فذكر نوحا عليه الصلاة والسلام وما لقى من قومه من التكذيب ، وأنه لم يؤمن منهم إلا القليل مع طول المدة لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما فلما طال عليه ذلك واشتد عليه تكذيبهم ، وكلما دعاهم ازدادوا نفرة فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ، فغضب الله تعالى لغضبه عليهم ، ولهذا قال عز وجل (ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) أى فلنعم المجيبون له (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) وهو التكذيب والأذى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما يقول : لم تبق إلا ذرية نوح عليه السلام وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة فى قوله تبارك تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال الناس كلهم من ذرية نوح عليه السلام ، وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) قال سام وحام ويافث وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الوهاب عن سعيد عن قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ قال « سام أبو العرب وحام أبو الحبش ويافث أبو الروم » ورواه الترمذى عن بشر بن معاذ العقدى عن يزيد بن زريع عن سعيد وهو ابن أبى عروبة عن قتادة به، قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر ، وقد روى عن عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم مثله ، والمراد بالروم ههنا هم الروم الأول وهم اليونان المنتسبون إلى رومى بن ليطى بن يونان بن يافث بن نوح عليه السلام ثم روى من حديث إسماعيل بن عياش عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قال : ولد نوح عليه السلام ثلاثة: سام ويافث وحام، وولد كل واحد من هؤلاء الثلاثة ثلاثة فولد سام سام العرب وفارس والروم ، وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج، وولد حام القبط والسودان والبربر وروى عن وهب بن منبه نحو هذا والله أعلم . وقوله تبارك وتعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) قال ابن عباس رضى الله عنهما يذكر بخير ، وقال مجاهد يعنى لسان صدق للانبياء كلهم ، وقال قتادة والسدى أبقى الله عليه الثناء الحسن فى الآخرين . قال الضحاك السلام والثناء الحسن ، وقوله تعالى (سلام على نوح فى العالمين) مفسر لما ابقى عليه من الذكر الجميل والثناء الحسن أنه يسلم عليه فى جميع الطوائف والأمم (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى هكذا نجزى من أحسن من العباد فى طاعة الله تعالى نجعل له لسان صدق يذكر به بعده بحسب مرتبته فى ذلك ثم قال تعالى (إنه من عبادنا المؤمنين) أى المصدقين الموحدين الموقنين (ثم أغرقنا الآخرين) أى أهلكناهم فلم تبق منهم عين تطرف ولا ذكر ولا عين ولا أثر ، ولا يعرفون إلا بهذه الصفة القبيحة

﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ لَإِبْرَٰهِيمَ * إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ * أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ * فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (وإن من شيعته لإبراهيم) يقول من أهل دينه ، وقال مجاهد على منهاجه وسنته (إذ جاء ربه بقلب سليم) قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى شهادة أن لا إله إلا الله . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف قلت لمحمد بن سيرين ما القلب السليم ؟ قال يعلم أن الله حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ، وقال الحسن : سليم من الشرك وقال عروة لا يكون لعانا وقوله تعالى (إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون) أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال عز وجل أئفكا آلهة دون الله تريدون * فما ظنكم برب العالمين) قال قتادة يعنى ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لاقيتموه وقد عبدتم معه غيره

﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ * فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ * فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ * فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ *

مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ * فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ * فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُّونَ * قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ * وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ * قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ * فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴾

إنما قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه ذلك ليقيم فى البلد إذا ذهبوا إلى عيدهم فانه كان قد أزف خروجهم إلى عيدلهم فأحب أن يختلى بآلهتهم ليكسرها فقال لهم كلاما هو حق فى نفس الأمر فهموا منه أنه سقيم على مقتضى ما يعتقدونه (فتولوا عنه مدبرين) قال قتادة والعرب تقول لمن تفكر نظر فى النجوم، يعنى قتادة أنه نظر إلى السماء متفكرا فيما يلهيهم به فقال (إنى سقيم) أى ضعيف ، فأما الحديث الذى رواه ابن جرير ههنا حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنى هشام عن محمد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات : ثنتين فى ذات الله تعالى ، قوله إنى سقيم) وقوله (بل فعله كبيرهم هذا) وقوله فى سارة هى أختى » فهو حديث مخرج فى الصحاح والسنن من طرق ولكن ليس هذا من باب الكذب الحقيقى الذى يذم فاعله حاشا وكلا ولما ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا وإنما هو من المعاريض فى الكلام لمقصد شرعى دينى كما جاء فى الحديث « إن فى المعاريض لمندوحة عن الكذب » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن على بن زيد بن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ فى كلمات إبراهيم عليه الصلاة والسلام الثلاث التى قال ما منها كلمة إلا ما حل بها عن دين الله تعالى (فقال إنى سقيم) وقال (بل فعله كبيرهم هذا) وقال للملك حين أراد امرأته هى أختى . قال سفيان فى قوله (إنى سقيم) يعنى طعين وكانوا يفرون من المطعون فأراد أن يخلو بآلهتهم ، وكذا قال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم) فقالوا له وهو فى بيت آلهتهم : اخرج فقال إنى مطعون فتركوه مخافة الطاعون . وقال قتادة عن سعيد بن المسيب رأى نجما طلع فقال (إنى سقيم) كابد نبى الله عن دينه (فقال إنى سقيم) . وقال آخرون (فقال إنى سقيم) بالنسبة إلى ما يستقبل يعنى مرض الموت ، وقيل أراد (إنى سقيم) أى مريض القلب من عبادتكم الأوثان من دون الله تعالى ، وقال الحسن البصرى : خرج قوم إبراهيم إلى عيدهم فأرادوه على الخروج فاضطجع على ظهره وقال (إنى سقيم) وجعل ينظر فى السماء فلما خرجوا أقبل إلى آلهتهم فكسرها ، رواه ابن أبى حاتم ، ولهذا قال تعالى (فتولوا عنه مدبرين) أى ذهب إليها بعد ما خرجوا فى سرعة واختفاء (فقال ألا تأكلون ؟) وذلك أنهم كانوا قد وضعوا بين أيديها طعاما قربانا لتبرك لهم فيه . قال السدى : دخل إبراهيم عليه السلام إلى بيت الآلهة فإذا هم فى بهو عظيم وإذا مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى جنب بعض كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما ووضعوه بين أيدى الآلهة وقالوا إذا كان حين نرجع وقد برّكت الآلهة فى طعامنا أكلناه ، فلما نظر إبراهيم عليه الصلاة والسلام إلى ما بين أيديهم من الطعام قال (ألا تأكلون * مالكم لا تنطقون) وقوله تعالى (فراغ عليهم ضربا باليمين) قال الفراء معناه مال عليهم ضربا باليمين . وقال قتادة والجوهرى فأقبل عليهم ضربا باليمين . وإنما ضربهم باليمين لأنها أشد وأنكى ولهذا تركهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون كما تقدم فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام تفسير ذلك وقوله تعالى ههنا (فأقبلوا إليه يزفون) قال مجاهد وغير واحد أى يسرعون ، وهذه القصة ههنا مختصرة وفى سورة الأنبياء مبسوطة فانهم لما رجعوا ما عرفوا من أول وهلة من فعل ذلك حتى كشفوا واستعلموا فعرفوا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام هو الذى فعل ذلك . فلما جاءوا ليعاتبوه أخذ فى تأنيبهم وعيبهم فقال (أتعبدون ما تنحتون) أى أتعبدون من دون الله من الأصنام ما أنتم تنحتونها وتجعلونها بأيديكم (والله خلقكم وما تعملون) يحتمل أن تكون ما مصدرية فيكون تقدير الكلام خلقكم وعملكم ، ويحتمل أن تكون بمعنى الذى تقديره والله خلقكم والذى تعملونه وكلا القولين متلازم ، والأول أظهر لما رواه البخارى فى كتاب أفعال العباد عن على بن المدينى عن مروان بن معاوية عن أبى مالك عن ربعى بن حراش عن حذيفة رضى الله عنه مرفوعا قال « إن الله تعالى يصنع كل صانع وصنعته »

وقرأ بعضهم (والله خلقكم وما تعملون) فعند ذلك لما قامت عليهم الحجة عدلوا إلى أخذه باليد والقهر فقالوا (ابنوا له بنيانا فألقوه فى الجحيم) وكان من أمرهم ماتقدم بيانة فى سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونجاه الله من النار وأظهره عليهم وأعلى حجته ونصرها ولهذا قال تعالى (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأسفلين)

﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ * رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ * وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنه بعد ما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعد ماشاهدوا من الآيات العظيمة هاجر من بين أظهرهم وقال (إنى ذاهب إلى ربى سيهدين * رب هب لى من الصالحين) يعنى أولادا مطيعين يكونون عوضا من قومه وعشيرته الذين فارقهم ، قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام فانه أول ولد بشر به إبراهيم عليه السلام وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب بل فى نص كتابهم أن إسماعيل عليه السلام ولد ولإبراهيم عليه السلام ست وثمانون سنة وولد إسحاق وعمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله تبارك وتعالى امر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفى نسخة أخرى بكره فأقحموا ههنا كذبا وبهتانا إسحاق ولا يجوز هذا لأنه مخالف لنص كتابهم وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم فزادوا ذلك وحرفوا وحيدك بمعنى الذى ليس عندك غيره فان إسماعيل كان ذهب به وبأمه إلى مكة وهو تأويل وتحريف باطل فانه لا يقال وحيدك الا لمن ليس له غيره ، وأيضا فان أول ولد له معزة ماليس لمن بعده من الأولاد فالأمر بذبحه أبلغ فى الابتلاء والاختبار . وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق وحكى ذلك عن طائف من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة رضى الله عنهم أيضا وليس ذلك فى كتاب ولا سنة وما أظن ذلك تلقى إلا عن أحبار أهل الكتاب وأخذ ذلك مسلما من غير حجة وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل فانه ذكر البشارة بغلام حليم وذكر أنه الذبيح ثم قال بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ولما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق قالوا (إنا نبشرك بغلام عليم) . وقال تعالى (فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) أى يولد له فى حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته عقب ونسل وقد قدمنا هناك أنه لا يجوز بعد هذا أن يؤمر بذبحه وهو صغير لأن الله تعالى قد وعدها بأنه سيعقب ويكون له نسل فكيف يمكن بعد هذا أن يؤمر بذبحه صغيرا وإسماعيل وصف ههنا بالحليم لأنه مناسب لهذا المقام . وقوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشى معه وقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام يذهب فى كل وقت يتفقد ولده وأم ولده بلاد فاران وينظر فى أمرهما وقد ذكر أنه كان يركب على البراق سريعا إلى هناك والله أعلم . وعن ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء الخراسانى وزيد بن أسلم وغيرهم (فلما بلغ معه السعى) بمعنى شب وارتحل وأطاق مايفعله أبوه من السعى والعمل (فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى) قال عبيد بن عمير رؤيا الأنبياء وحى ثم تلا هذه الآية (قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى). وقد

قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو عبد الملك الكرندي حدثنا سفيان بن عيينة عن إسرائيل بن يونس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رؤيا الأنبياء في المنام وحي » ليس هو في شيء من الكتب الستة من هذا الوجه وإنما أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه (قال يا أبت افعل ما تؤمر) أي امض لما أمرك الله من ذبحي (ستجدني إن شاء الله من الصابرين) أي سأصبر وأحتسب ذلك عند الله عزوجل وصدق صلوات الله وسلامه عليه فيما وعد ولهذا قال الله تعالى (واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا * وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا) . قال تعالى (فلما أسلما وتله للجبين) أي فلما تشهدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل أسلما يعني استسلما وانقادا ، إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإسماعيل طاعة لله ولأبيه قاله مجاهد وعكرمة وقتادة والسدي وابن إسحاق وغيرهم ، ومعنى تله للجبين أي صرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والضحاك وقتادة (وتله للجبين) أكبه على وجهه . وقال الإمام أحمد حدثنا شريح ويونس قالا حدثنا حماد بن سلمة عن أبي عاصم الغنوي عن أبي الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لما أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالمناسك عرض له الشيطان عند السعي فسابقه فسبقه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ثم ذهب به جبريل عليه الصلاة والسلام إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات وثم تله للجبين وعلى إسماعيل عليه الصلاة والسلام قميص أبيض فقال له يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنني فيه غيره فاخلعه حتى تكفنني فيه فعالجه ليخلعه فنودي من خلفه (أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) فالتفت إبراهيم فإذا بكبش أبيض أقرن أعين قال ابن عباس لقد رأيتنا أن نتتبع ذلك الضرب من الكباش ، وذكر هشام الحديث في المناسك بطوله . ثم رواه أحمد بطوله عن يونس عن حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكره إلا أنه قال إسحاق فعن ابن عباس رضي الله عنهما في تسمية الذبيح روايتان والأظهر عنه إسماعيل لما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار عن قتادة عن جعفر بن إياس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تبارك وتعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال خرج عليه كبش من الجنة قدرعى قبل ذلك أربعين خريفاً فأرسل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ابنه واتبع الكبش فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ثم أفلته عندها فجاء إلى الجمرة الوسطى فأخرجه عندها فرماه بسبع حصيات ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات فأخرجه عندها ثم أخذه فأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذي نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الإسلام وإن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة حتى وحش يعني يبس . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري أخبرنا القاسم قال اجتمع أبو هريرة وكعب فجعل أبو هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم وجعل كعب يحدث عن الكتب فقال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني قد خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة » فقال له كعب أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم قال فداك أبي وأمي — أوفداه أبي وأمي — أفلا أخبرك عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ؟ إنه لما أرى ذبح ابنه إسحاق قال الشيطان إن لم أفتن هؤلاء عند هذه لم أفتنهم أبدا فخرج إبراهيم عليه الصلاة والسلام بابنه ليذبحه فذهب الشيطان فدخل على سارة فقال أين ذهب إبراهيم بابنك ! قالت غدا به لبعض حاجته قال فانه لم يغد به لحاجة إنما ذهب به ليذبحه قالت ولم يذبحه ! قال زعم أن ربه أمره بذلك قالت فقد أحسن أن يطيع ربه فذهب الشيطان في أثرهما فقال للغلام أين يذهب بك أبوك ، قال لبعض حاجته قال فانه لا يذهب بك لحاجة ولكنه يذهب بك ليذبحك قال ولم يذبحني ؟ قال يزعم أن ربه أمره بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمره بذلك ليفعلن قال فيئس منه فتركه ولحق بإبراهيم عليه الصلاة والسلام فقال أين غدوت بابنك ، قال لحاجة قال فانك لم تغد به لحاجة وإنما غدوت به لتذبحه قال

ولم أذبحه ؟ قال تزعم أن ربك أمرك بذلك قال فوالله لئن كان الله تعالى أمرنى بذلك لأفعلن قال فتركه ويئس أن يطاع وقد رواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال إن عمرو بن أبى سفيان بن أسيد بن جارية الثقفى أخبره أن كعباً قال لأبى هريرة فذكره بطوله وقال فى آخره وأوحى الله تعالى إلى إسحاق أنى أعطيتك دعوة أستجيب لك فيها قال إسحاق اللهم إنى أدعوك أن تستجيب لى أيما عبد لقيك من الأولين والآخرين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الوزير الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تبارك وتعالى خيرنى بين أن يغفر لنصف أمتى وبين أن يجيب شفاعتى فاخترت شفاعتى ورجوت أن تكفر أجلم لأمتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت فيها دعوتى إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق كرب الذبح قيل له يا إسحاق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده لأتعجلنها قبل نزغات الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيئاً فاغفر له وأدخله الجنة » هذا حديث غريب منكر وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف الحديث وأخشى أن يكون فى الحديث زيادة مدرجة وهى قوله إن الله تعالى لما فرج عن إسحاق إلى آخره والله أعلم فهذا إن كان محفوظاً فالأشبه أن السياق إنما هو عن إسماعيل وإنما حرفوه باسحاق حسداً منهم كما تقدم وإلا فالمناسك والذبائح إنما محلها بمنى من أرض مكة حيث كان إسماعيل لا إسحاق فانه إنما كان ببلاد كنعان من أرض الشام . وقوله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا) أى قد حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح وذكر السدى وغيره أنه أمر السكين على رقبته فلم تقطع شيئاً بل حال بينها وبينه صفحة من نحاس ونودى إبراهيم عليه الصلاة والسلام عند ذلك (قد صدقت الرؤيا) . وقوله تعالى (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجا ومخرجا كقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا) وقد استدل بهذه الآية والقصة جماعة من علماء الأصول على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا لطائفة من المعتزلة والدلالة من هذه ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولا إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده وعزمه على ذلك ولهذا قال تعالى (إن هذا لهو البلاء المبين) أى الاختبار الواضح الجلى حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلما لأمر الله تعالى منقادا لطاعته ولهذا قال تعالى (وإبراهيم الذى وفى) . وقوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال سفيان الثورى عن جابر الجعفى عن أبى الطفيل عن على رضى الله عنه (وفديناه بذبح عظيم) قال بكبش أبيض أعين أقرن قد ربط بسمرة قال أبو الطفيل وجدوه مربوطاً بسمرة فى ثبير ، وقال الثورى أيضا عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال كبش قد رعى فى الجنة أربعين خريفاً . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا يوسف بن يعقوب الصفار حدثنا داود العطار عن ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الصخرة التى بمنى بأصل ثبير هى الصخرة التى ذبح عليها إبراهيم فداء إسحاق ابنه هبط عليه من ثبير كبش أعين أقرن له ثغاء فذبحه وهو الكبش الذى قربه ابن آدم فتقبل منه فكان مخزونا حتى فدى به إسحاق ، وروى أيضا عن سعيد بن جبير انه قال كان الكبش يرتع فى الجنة حتى شقق عنه ثبير وكان عليه عهن أحمر ، وعن الحسن البصرى انه كان اسم كبش إبراهيم عليه الصلاة والسلام جرير وقال ابن جريج قال عبيد بن عمير ذبحه بالمقام ، وقال مجاهد ذبحه بمنى عند المنحر . وقال هشيم عن سيار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما كان أفتى الذى جعل عليه نذراً ان ينحر نفسه فأمره بمائة من الإبل . ثم قال بعد ذلك لو كنت أفتيته بكبش لأجزأه أن يذبح كبشا فان الله تعالى قال فى كتابه (وفديناه بذبح عظيم) والصحيح الذى عليه الأكثرون انه فدى بكبش وقال الثورى عن رجل عن أبى صالح عن ابن عباس فى قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) قال وعل وقال محمد بن إسحاق عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقول ما فدى إسماعيل عليه السلام إلا بتيس من الأروى أهبط عليه من ثبير .

وقد قال الامام أحمد حدثنا سفيان حدثني منصور عن خاله مسافع عن صفية بنت شيبة قالت : أخبرتني امرأة من بني سليم ولدت عامة أهل دارنا أرسل رسول الله ﷺ إلى عثمان بن طلحة رضي الله عنه ، وقالت مرة إنها سألت عثمان لم دعاك النبي ﷺ ؟ قال : قال لي رسول الله ﷺ « إني كنت رأيت قرني الكبش حين دخلت البيت فنسيت أن آمرك أن تخمرهما فخمرهما فانه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلي » قال سفيان لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا وهذا دليل مستقل على أنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام فان قريشا توارثوا قرني الكبش الذي فدى به إبراهيم خلفا عن سلف وجيلا بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم والله أعلم

﴿ فصل ﴾ في ذكر الآثار الواردة عن السلف في أن الذبيح من هو

﴿ ذكر من قال هو إسحاق عليه الصلاة والسلام ﴾ قال حمزه الزيات عن أبي ميسرة رحمه الله قال : قال يوسف عليه الصلاة والسلام للملك في وجهه ترغب أن تأكل معي وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله ابن إسحاق ذبيح الله ابن إبراهيم خليل الله ، وقال الثوري عن أبي سنان عن ابن أبي الهذيل أن يوسف عليه السلام قال للملك كذلك أيضا وقال سفيان الثوري عن زيد بن أسلم عن عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه قال : قال موسى عليه الصلاة والسلام يارب يقولون بإله إبراهيم وإسحاق ويعقوب فبم قالوا ذلك ؟ قال « إن إبراهيم لم يعدل بشيء قط إلا اختارني عليه ، وإن إسحاق جاد لي بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلما زدته بلاء زادني حسن ظن » . وقال شعبة عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص قال افتخر رجل عند ابن مسعود رضي الله عنه فقال أنا فلان بن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله . وهذا صحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وكذا روى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق ، وعن ابيه العباس وعلي ابن أبي طالب مثل ذلك ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد والشعبي وعبيد بن عمير وأبو ميسرة وزيد بن أسلم وعبد الله بن شقيق والزهري والقاسم بن أبي برزة ومكحول وعثمان بن أبي حاضر والسدي والحسن وقتادة وأبو الهذيل وابن سابط وهذا اختيار ابن جرير ، وتقدم روايته عن كعب الأحبار أنه إسحاق ، وهكذا روى ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر عن الزهري عن أبي سفيان عن العلاء بن جارية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن كعب الأحبار أنه قال هو إسحاق وهذه الأقوال والله أعلم كلها مأخوذة عن كعب الأحبار فانه لما أسلم في الدولة العمرية جعل يحدث عمر رضي الله عنه عن كتبه قديما فربما استمع له عمر رضي الله عنه فترخص الناس في استماع ما عنده ونقلوا ما عنده عنه غثها وسمينها وليس لهذه الأمة والله أعلم حاجة إلى حرف واحد مما عنده وقد حكى البغوي القول بانه إسحاق عن عمر وعلي وابن مسعود والعباس رضي الله عنهم ومن التابعين عن كعب الأحبار وسعيد بن جبير وقتادة ومسروق وعكرمة وعطاء ومقاتل والزهري والسدي قال وهو إحدى الروايتين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد ورد في ذلك حديث لو ثبت لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال هو اسحاق ففي اسناده ضعيفان وهما الحسن بن دينار البصري متروك وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث . وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن ابراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعا ، ثم قال قد رواه مبارك بن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم

﴿ ذكر الآثار الواردة بأنه إسماعيل عليه الصلاة والسلام وهو الصحيح القطوع به ﴾ قد تقدمت الرواية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه إسحاق عليه الصلاة والسلام والله تعالى أعلم وقال سعيد بن جبير وعامر الشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد وعطاء وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني عمرو بن قيس عن عطاء ابن أبي رباح عن ابن عباس أنه قال الفدي إسماعيل

عليه السلام وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود ، وقال إسرائيل عن ثور عن مجاهد عن ابن عمر رضى الله عنهما قال الذبيح إسماعيل وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو إسماعيل عليه السلام وكذا قال يوسف بن مهران وقال الشعبي هو إسماعيل عليه الصلاة والسلام وقد رأيت قرني الكبش في الكعبة . وقال محمد بن إسحاق عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد عن الحسن البصري أنه كان لا يشك في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم اسماعيل عليه السلام قال ابن إسحاق وسمعت محمد بن كعب القرظي وهو يقول ان الذي أمر الله تعالى إبراهيم بذبحه من ابنيه اسماعيل وانا لنجد ذلك في كتاب الله تعالى وذلك أن الله تعالى حين فرغ من قصة المذبوح من ابني إبراهيم قال تعالى (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين) ويقول الله تعالى (فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب) يقول بابن وابن ابن فلم يكن ليأمره بذبح اسحاق وله فيه من الموعد بما وعده وما الذي أمر بذبحه الا اسماعيل قال ابن اسحاق سمعته يقول ذلك كثيرا ، وقال ابن اسحاق عن بريدة بن سفيان الأسلمي عن محمد بن كعب القرظي أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وهو خليفة اذ كان معه بالشام فقال له عمر إن هذا لشيء ما كنت أنظر فيه وانى لأراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشام كان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علمائهم فسأله عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عن ذلك قال محمد بن كعب وأنا عند عمر بن عبد العزيز فقال له عمر أي ابني ابراهيم أمر بذبحه فقال اسماعيل والله يا أمير المؤمنين وإن يهود لتعلم بذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على ان يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه والفضل الذي ذكر الله تعالى منه لصبره لما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون أنه إسحاق لأن إسحاق أبوهم والله أعلم أيهما كان وكل قد كان طاهرا طيبا مطيعا لله عز وجل وقال عبد الله بن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله سألت أبي عن الذبيح هل هو إسماعيل أو إسحاق فقال إسماعيل ذكره في كتاب الزهد . وقال ابن أبي حاتم وسمعت أبي يقول الصحيح أن الذبيح إسماعيل عليه الصلاة والسلام قال وروى عن علي وابن عمر وأبي هريرة وأبي الطفيل وسعيد ابن المسيب وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والشعبي ومحمد بن كعب القرظي وأبي جعفر محمد بن علي وأبي صالح رضى الله عنهم أنهم قالوا الذبيح إسماعيل . وقال البغوي في تفسيره واليه ذهب عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب والسدي والحسن البصري ومجاهد والربيع بن أنس ومحمد بن كعب القرظي والكلبي وهو رواية عن ابن عباس وحكاه أيضا عن أبي عمرو بن العلاء . وقد روى ابن جرير في ذلك حديثا غريبا فقال حدثني محمد بن عمار الرازي حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمر بن عبد الرحيم الخطابي عن عبد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان عن أبيه حدثني عبد الله بن سعيد عن الصنابحي قال كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق فقال على الخبير سقطتم كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله ﷺ فقيل له يا أمير المؤمنين وما الذبيحان ؟ فقال إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا افد ابنك بمائة من الابل ففداه بمائة من الابل والثاني إسماعيل . وهذا حديث غريب جدا وقد رواه الأموي في مغازيه حدثنا بعض أصحابنا أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة حدثنا عمرو بن عبد الرحمن القرشي حدثنا عبيد الله بن محمد العتبي من ولد عتبة بن أبي سفيان حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا الصنابحي قال حضرنا مجلس معاوية رضى الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق وذكره ، كذا كتبته من نسخة مغلوطة وإنما عول ابن جرير في اختياره أن الذبيح اسحاق على قوله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) فجعل هذه البشارة هي البشارة باسحاق في قوله تعالى (وبشروه بغلام عليم) وأجاب عن البشارة بيعقوب بأنه قد كان بلغ معه السعي أي العمل ، ومن الممكن أنه قد كان ولد له أولاد مع يعقوب أيضا قال وأما القرنان اللذان كانا معلقين بالكعبة فمن الجائز أنهما نقلا من بلاد كنعان قال وقد تقدم أن من الناس من ذهب إلى أنه ذبح إسحاق هناك ، هذا ما اعتمد عليه في تفسيره وليس ما ذهب اليه بمذهب ولا لازم بل هو بعيد جدا والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى والله أعلم وقوله تعالى (وبشرناه

بإسحق نبياً من الصالحين) لما تقدمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل عطف بذكر البشارة بأخيه إسحق وقد ذكرت في سورتي هود والحجر ، وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أي سيصير منه نبي صالح . وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن عكرمة قال : قال ابن عباس رضي الله عنهما الذبيح إسحق قال وقوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر بنبوته قال وقوله تعالى (ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً) قال كان هارون أكبر من موسى ولكن أراد وهب له نبوته . وحدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت داود يحدث عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال إنما بشر به نبياً من الصالحين قال إنما بشر به نبياً حين فداه الله عز وجل من الذبح ولم تكن البشارة بالنبوة عند مولده . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان الثوري عن داود عن عكرمة عن ابن عباس (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بشر به حين ولد وحين نيء وقال سعيد بن أبي عروبة عن قتادة في قوله تعالى (وبشرناه بإسحق نبياً من الصالحين) قال بعد ما كان من أمره لما جاد لله تعالى بنفسه وقال الله عز وجل (وباركنا عليه وعلى إسحاق) وقوله تعالى (وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين) كقوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم)

﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ * وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ * وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يذكر تعالى ما أنعم به على موسى وهارون من النبوة والنجاة بمن آمن معهما من قهر فرعون وقومه وما كان يعتمد في حقهم من الاساءة العظيمة من قتل الأبناء واستحياء النساء واستعمالهم في أخس الأشياء ثم بعد هذا كله نصرهم عليهم وأقر أعينهم منهم فغلبوهم وأخذوا أرضهم وأموالهم وما كانوا جمعوه طول حياتهم ثم أنزل الله عز وجل على موسى الكتاب العظيم الواضح الجلي المستبين وهو التوراة كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء) وقال عز وجل ههنا (وآتيناهما الكتاب المستبين وهديناهما الصراط المستقيم) أي في الأقوال والأفعال (وتركنا عليهما في الآخرين) أي أبقينا لهما من بعدهما ذكرا جميلا وثناء حسنا ثم فسره بقوله تعالى (سلام على موسى وهارون إنا كذلك نجزي المحسنين إنهما من عبادنا المؤمنين)

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ * أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ * اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾

قال قتادة ومحمد بن إسحق يقال الياس هو إدريس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن عبيدة بن ربيعة عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : الياس هو إدريس ، وكذا قال الضحاك وقال وهب بن منبه هو الياس بن نسي بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران بعثه الله تعالى في بني إسرائيل بعد حزقيل عليهما السلام وكانوا قد عبدوا صنما يقال له بعل فدعاهم إلى الله تعالى ونهاهم عن عبادة ما سواه ، وكان قد آمن به ملكهم ثم ارتد واستمروا على ضلالتهم ولم يؤمن به منهم أحد فدعا الله عليهم فحبس عنهم القطر ثلاث سنين ثم سألوه أن يكشف ذلك عنهم ووعدوه الإيمان به إن هم أصابهم المطر ، فدعا الله تعالى لهم فجاءهم الغيث فاستمروا

على أخبث ما كانوا عليه من الكفر فسأل الله أن يقبضه إليه ، وكان قد نشأ على يديه اليسع بن أخطوب عليهما الصلاة والسلام فأمر الياس أن يذهب إلى مكان كذا وكذا فمهما جاءه فليركبه ولا يهبه فجاءته فرس من نار فركب وألبسه الله تعالى النور وكساه الريش ، وكان يطير مع الملائكة ملكا إنسيا سماويا أرضيا هكذا حكاه وهب بن منبه عن أهل الكتاب والله أعلم بصحته (إذ قال لقومه ألا تتقون) أى ألا تخافون الله عز وجل فى عبادتكم غيره (أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وقتادة والسدى بعلا يعنى ربا . قال عكرمة وقتادة وهى لغة أهل اليمن ، وفى رواية عن قتادة قال : وهى لغة أزد شنوءة . وقال ابن إسحق أخبرنى بعض أهل العلم أنهم كانوا يعبدون امرأة اسمها بعل . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه هو اسم صنم كان يعبده أهل مدينة يقال لها بعلبك غربى دمشق ، وقال الضحاك هو صنم كانوا يعبدونه . وقوله تعالى (أتدعون بعلا ؟) أى أتعبدون صنما (وتذرون أحسن الخالقين * الله ربكم ورب آبائكم الأولين) أى هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له ، قال الله تعالى (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى للعذاب يوم الحساب (إلا عباد الله المخلصين) أى الموحدين منهم وهذا استثناء منقطع من مثبت . وقوله تعالى (وتركنا عليه فى الآخرين) أى ثناء جميلا (سلام على إلياسين) كما يقال فى إسماعيل إسماعين وهى لغة بنى أسد ، وأنشد بعض بنى تميم فى ضب صاده

يقول رب السوق لما جينا * هذا ورب البيت اسرائينا

ويقال ميكال وميكائيل وميكائن وإبراهيم وإبراهام وإسرائيل وإسرائين وطور سيناء وطور سينين وهو موضع واحد وكل هذا سائغ وقرأ آخرون (سلام على إدراسين) وهى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه ، وآخرون (سلام على آل ياسين) يعنى آل محمد ﷺ ، وقوله تعالى (إنا كذلك نجزى المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين) قد تقدم تفسيره والله أعلم

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ * ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ * وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ * وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه بعثه إلى قومه فكذبوه فنجاه الله تعالى من بين أظهرهم هو وأهله إلا امرأته فانها هلكت مع من هلك من قومها فان الله تعالى أهلكهم بأنواع من العقوبات وجعل محلتهم من الأرض بحيرة منتنة قبيحة المنظر والطعم والريح وجعلها بسبيل مقيم يمر بها المسافرون ليلا ونهارا ولهذا قال تعالى (وإنكم لتمرون عليهم مصبحين * وبالليل أفلا تعقلون) أى أفلا تعتبرون بهم كيف دمر الله عليهم وتعلمون أن للكافرين أمثالها .

﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ * فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ * فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ * وَأَنبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ * وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾

قد تقدمت قصة يونس عليه الصلاة والسلام فى سورة الأنبياء ، وفى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «ما ينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ونسبه إلى أمه وفى رواية إلى أبيه . وقوله تعالى (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو الموقر أى المملوء بالأمتعة (فساهم) أى قارع (فكان من المدحضين) أى المغلوبين ، وذلك أن السفينة تلعبت بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقى فى البحر لتخف بهم السفينة فوقعت القرعة على نبى الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث

مرات وهم يضنون به أن يلقى من بينهم فتجرد من ثيابه ليلقى نفسه وهم يأبون عليه ذلك ، وأمر الله تعالى حوتا من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام فلا يهشم له لحما ولا يكسر له عظما فجاء ذلك الحوت وألقى يونس عليه السلام نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها . ولما استقر يونس فى بطن الحوت حسب أنه قد مات ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حى فقام فصلى فى بطن الحوت وكان من جملة دعائه يارب اتخذت لك مسجدا فى موضع لم يبلغه أحد من الناس ، واختلفوا فى مقدار مالبث فى بطن الحوت فقيل ثلاثه أيام قاله قتادة ، وقيل سبعة قاله جعفر الصادق رضى الله عنه ، وقيل أربعين يوما قاله أبومالك ، وقال مجاهد عن الشعبى : التقمه ضحى ولفظه عشية ، والله تعالى أعلم بمقدار ذلك ، وفى شعر أمية بن أبى الصلت

وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات فى أضعاف حوت لياليا

وقوله تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون) قيل لولا ما تقدم له من العمل فى الرخاء قاله الضحاك بن قيس وأبو العالية ووهب بن منبه وقتادة وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، وقد ورد فى الحديث الذى سنورده إن شاء الله تعالى مايدل على ذلك إن صح الخبر ، وفى حديث عن ابن عباس « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة » . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير والضحاك وعطاء بن السائب والسدى والحسن وقتادة (فلولا أنه كان من المسبحين) يعنى المصلين ، وصرح بعضهم بأنه كان من المصلين قبل ذلك ، وقال بعضهم كان من المسبحين فى جوف أبويه ، وقيل المراد (فلولا أنه كان من المسبحين) هو قوله عز وجل (فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين * فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) قاله سعيد بن جبير وغيره . وقال بن أبى حاتم حدثنا أبو عبيد الله ابن أخى بن وهب حدثنا عمى حدثنا أبو صخر أن يزيد الرقاشى حدثه أنه سمع أنس بن مالك رضى الله عنه — ولا أعلم أنسا إلا يرفع الحديث إلى رسول الله ﷺ « ان يونس النبى عليه الصلاة والسلام حين بدا له أن يدعو بهذه الكلمات وهو فى بطن الحوت فقال اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فأقبلت الدعوة تحن بالعرش ، قالت الملائكة يارب هذا صوت ضعيف معروف من بلاد بعيدة غريبة فقال الله تعالى أما تعرفون ذلك ؟ قالوا يارب ومن هو ! قال عزوجل عبدى يونس قالوا عبدك يونس الذى لم يزل يرفع له عمل متقبل ودعوة مستجابة ، قالوا يارب أولا ترحم ما كان يصنع فى الرخاء فتنجيه فى البلاء ، قال بلى فأمر الحوت فطرحه بالعراء » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب به ، زاد ابن أبى حاتم قال أبو صخر حميد بن زياد فأخبرنى ابن قسيط وأنا أحدثه هذا الحديث أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : طرح بالعراء وأنبت الله عز وجل عليه اليقطينة قلنا يا أبا هريرة وما اليقطينة ، قال شجرة الدباء . قال أبو هريرة رضى الله عنه : وهيأ الله له أروية وحشية تأكل من خشاش الأرض — أو قال هشاش الأرض — قال فتنفشخ عليه فترويه من لبنها كل عشية وبكرة حتى نبت وقال أمية بن أبى الصلت فى ذلك بيتا من شعره وهو :

فأنبت يقطيناً عليه برحمة من الله لولا الله ألقى ضاحيا

وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه مسندا مرفوعا فى تفسير سورة الأنبياء ، ولهذا قال تعالى (فنبذناه) أى ألقيناه (بالعراء) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره وهى الأرض التى ليس بها نبت ولا بناء قيل على جانب دجلة وقيل بأرض اليمن فالله أعلم (وهو سقيم) أى ضعيف البدن ، قال ابن مسعود رضى الله عنه كهيئة الفرخ ليس عليه ريش ، وقال السدى كهيئة الصبى حين يولد وهو المنفوس وقاله ابن عباس رضى الله عنهما وابن زيد أيضا (وأنبتنا عليه شجرة من يقطين) قال ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ووهب بن منبه وهلال بن يساف وعبد الله بن طاوس والسدى وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغير واحد قالوا كلهم اليقطين هو القرع . وقال هشيم عن القاسم بن أبى أيوب عن سعيد بن جبير وكل شجرة لاساق لها فهى من اليقطين وفى رواية عنه كل شجرة تهلك من عامها فهى من اليقطين ، وذكر بعضهم فى القرع فوائد منها سرعة نباته وتظليل ورقه لكبره

ونعومته وأنه لا يقربها الذباب وجودة تغذية ثمره ، وأنه يؤكل نيئا ومطبوخا بلبه وقشره أيضا وقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الدباء ويتتبعه من حواشي الصحفة . وقوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) روى شهر بن حوشب عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال إنما كانت رسالة يونس عليه الصلاة والسلام بعد ما نبذه الحوت ، رواه ابن جرير حدثنى الحارث حدثنا أبو هلال عن شهر به ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد أرسل اليهم قبل أن يلتقمه الحوت ﴿قلت﴾ ولا مانع أن يكون الذين أرسل اليهم أولا أمر بالعود اليهم بعد خروجه من الحوت فصدقوه كلهم وآمنوا به ، وحكى البغوى أنه أرسل إلى أمة أخرى بعد خروجه من الحوت كانوا مائة ألف أو يزيدون وقوله تعالى (أو يزيدون) قال ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية عنه : بل يزيدون وكانوا مائة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وثلاثين ألفا وعنه مائة ألف وبضعة وأربعين ألفا والله أعلم وقال سعيد بن جبير يزيدون سبعين ألفا

وقال مكحول كانوا مائة ألف وعشرة آلاف رواه ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة قال سمعت زهيرا يحدث عمن سمع أبا العالية يقول حدثنى أبى بن كعب رضى الله عنه أنه سأل رسول الله ﷺ عن قوله تعالى (وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون) قال يزيدون عشرين ألفا ورواه الترمذى عن على بن حجر عن الوليد بن مسلم عن زهير عن رجل عن أبى العالية عن أبى بن كعب به وقال غريب . ورواه ابن أبى حاتم من حديث زهير به . قال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول فى ذلك معناه إلى المائة الألف أو كانوا يزيدون عندكم يقول كذلك كانوا عندكم ، ولهذا سلك ابن جرير ههنا ما سلكه عند قوله تعالى (ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة) وقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) وقوله تعالى (فكان قاب قوسين أو أدنى) المراد ليس أنقص من ذلك بل أزيد وقوله تعالى (فآمنوا) أى فآمن هؤلاء القوم الذين أرسل اليهم يونس عليه السلام جميعهم (فمتعناهم إلى حين) أى إلى وقت آجالهم كقوله جلت عظمته (فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين)

﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ * أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ * فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ * سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴾

يقول تعالى منكرا على هؤلاء المشركين فى جعلهم لله تعالى البنات سبحانه ولهم ما يشتهون أى من الذكور أى يودون لأنفسهم الجيد (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) أى يسوؤه ذلك ولا يختار لنفسه إلا البنين ، يقول عز وجل فكيف نسبوا إلى الله تعالى القسم الذى لا يختارونه لأنفسهم ولهذا قال تعالى (فاستفتهم) أى سلهم على سبيل الانكار عليهم (ألربك البنات ولهم البنون) كقوله عز وجل (ألكم الذكر وله الأنثى ، * تلك إذا قسمة ضيزى). وقوله تبارك وتعالى (أم خلقنا الملائكة إناثا وهم شاهدون) أى كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم كقوله جل وعلا (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون) أى يسئلون عن ذلك يوم القيامة . وقوله جلت عظمته (ألا إنهم من إفكهم) أى من كذبهم (ليقولون ولد الله) أى صدر منه الولد (وإنهم لكاذبون) فذكر الله تعالى عنهم فى الملائكة ثلاثة أقوال فى غاية الكفر والكذب ، فأولا جعلوهم بنات الله فجعلوا لله ولدا تعالى وتقدس ، وجعلوا ذلك الولد أنثى ثم عبدوهم من دون الله تعالى وتقدس وكل منها كاف

فى التخليد فى نار جهنم . ثم قال تعالى منكرا عليهم (أصطفى البنات على البنين) أى أى شىء يحمله عن أن يختار البنات دون البنين كقوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا ؟ إنكم لتقولون قولا عظيما) ولهذا قال تبارك وتعالى (مالكم كيف تحكمون) أى مالكم عقول تتدبرون بها ما تقولون (أفلا تذكرون*أم لكم سلطان مبين) أى حجة على ما تقولونه ، (فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين) أى هاتوا برهانا على ذلك يكون مستندا إلى كتاب منزل من السماء عن الله تعالى أنه اتخذ ما تقولونه فان ما تقولونه لا يمكن استناده إلى عقل بل لا يجوزه العقل بالكلية . وقوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال مجاهد : قال المشركون الملائكة بنات الله تعالى فقال أبو بكر رضى الله عنه فمن أمهاتهن ، قالوا بنات سروات الجن وكذا قال قتادة وابن زيد ولهذا قال تبارك وتعالى (ولقد علمت الجنة) أى الذين نسبوا إليهم ذلك (إنهم لمحضرون) أى إن الذين قالوا ذلك لمحضرون فى العذاب يوم الحساب لكذبهم فى ذلك وافترائهم وقولهم الباطل بلا علم ،وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا) قال زعم أعداء الله أنه تبارك وتعالى هو وإبليس أخوان تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، حكاه ابن جرير وقوله جلت عظمته (سبحان الله عما يصفون) أى تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد وعما يصفه به الظالمون الملحدون علوا كبيرا . وقوله تعالى (إلا عباد الله المخلصين) استثناء منقطع وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير فى قوله تعالى (عما يصفون) عائد إلى الناس جميعهم ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل على كل نبى مرسل ، وجعل ابن جرير هذا الاستثناء من قوله تعالى (إنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين) وفى هذا الذى قاله نظر والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ * مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ * إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ * وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ * وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ * وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ * لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ * لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ * فَكَفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخاطبا للمشركين (فانكم وما تعبدون ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم) أى إنما ينقاد لمقالتكم وما أنتم عليه من الضلالة والعبادة الباطلة من هو أضل منكم ممن ذرىء للنار (لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها . ولهم آذان لا يسمعون بها،أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) فهذا الضرب من الناس هو الذى ينقاد لدين الشرك والكفر والضلالة كما قال تبارك وتعالى (إنكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك) أى إنما يضل به من هو مأفوك ومبطل ، ثم قال تبارك وتعالى منزها للملائكة مما نسبوا إليهم من الكفر بهم والكذب عليهم أنهم بنات الله (وما منا إلا له مقام معلوم) أى له موضع مخصوص فى السموات ومقامات العبادات لا يتجاوزه ولا يتعداه وقال ابن عساكر فى ترجمته لمحمد بن خالد بسنده إلى عبد الرحمن بن العلاء بن سعد عن أبيه وكان ممن بايع يوم الفتح أن رسول الله ﷺ قال يوما لجلسائه « أطت السماء وحق لها أن تئط ليس فيها موضع قدم إلا عليه ملك راكع أو ساجد » ثم قرأ ﷺ (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) وقال الضحاك فى تفسيره (وما منا إلا له مقام معلوم) قال كان مسروق يروى عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من السماء الدنيا موضع إلا عليه ملك ساجد أو قائم » فذلك قوله تعالى (وما منا إلا له مقام معلوم) .

وقال الأعمش عن أبى إسحق عن مسروق عن ابن عباس رضى الله عنه قال : ان فى السموات لسماء ما فيها موضع شبر إلا عليه جبهة ملك أو قدماه ثم قرأ عبد الله رضى الله عنه (وما منا إلا له مقام معلوم) وكذا قال سعيد بن جبير وقال قتادة كانوا يصلون الرجال والنساء جميعا حتى نزلت (وما منا إلا له مقام معلوم) فتقدم الرجال وتأخر النساء

(وإنا لنحن الصافون) أى نقف صفوفا فى الطاعة كما تقدم عند قوله تبارك وتعالى (والصافات صفاً) قال ابن جريج عن الوليد بن عبد الله بن أبى مغيث قال كانوا لا يصفون فى الصلاة حتى نزلت (وإنا لنحن الصافون) فصفوا وقال أبو نضرة كان عمر رضى الله عنه إذا أقيمت الصلاة استقبل الناس بوجهه ثم قالوا أقيموا صفوفكم استووا قياما يريد الله تعالى بكم هدى الملائكة ثم يقول (وإنا لنحن الصافون) تأخر يا فلان تقدم يا فلان ثم يتقدم فيكبر . رواه ابن أبى حاتم وابن جرير ، وفى صحيح مسلم عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « فضلنا على الناس بثلاث : جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة ، وجعلت لنا الأرض مسجدا ، وتربتها طهورا » الحديث (وإنا لنحن المسبحون) أى نصطف فنسبح الرب ونمجده ونقدسه ونتزهه عن النقائص فنحن عبيد له فقراء إليه خاضعون لديه . وقال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد (وما منا إلا له مقام معلوم) الملائكة (وإنا لنحن الصافون) الملائكة (وإنا لنحن المسبحون) الملائكة تسبح الله عز وجل . وقال قتادة (وإنا لنحن المسبحون) يعنى المصلون يثبتون بمكانهم من العبادة كما قال تبارك وتعالى(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون * يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون * ومن يقل منهم انى آله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين) . وقوله جل وعلا (وان كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكرا من الأولين لكنا عباد الله المخلصين) أى قد كانوا يتمنون قبل أن تأتيهم يا محمد لو كان عندهم من يذكرهم بأمر الله وما كان من أمر القرون الأولى ويأتيهم بكتاب الله كما قال جل جلاله (وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من احدى الأمم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفورا) وقال تعالى (أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين * أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمه فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزى الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون) ولهذا قال تعالى هاهنا(فكفروا به فسوف يعلمون) وعيد أكيد وتهديد شديد على كفرهم بربهم عز وجل وتكذيبهم رسوله ﷺ

﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ * وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ * وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾

يقول تبارك وتعالى (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين) أى تقدم فى الكتاب الأول أن العاقبة للرسل وأتباعهم فى الدنيا والآخرة كما قال تعالى (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) وقال عز وجل (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) ولهذا قال جل جلاله (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون) أى فى الدنيا والآخرة كما تقدم بيان نصرتهم على قومهم ممن كذبهم وخالفهم كيف أهلك الله الكافرين ونجى عباده المؤمنين (وإن جندنا لهم الغالبون) أى تكون لهم العاقبة . وقوله جل وعلا (فتول عنهم حتى حين) أى اصبر على أذاهم لك وانتظر إلى وقت مؤجل فانا سنجعل لك العاقبة والنصرة والظفر ، ولهذا قال بعضهم غيا ذلك إلى يوم بدر وما بعدها أيضا فى معناها ، وقوله جلت عظمته (وأبصرهم فسوف يبصرون) أى انظرهم وارتقب ماذا يحل بهم من العذاب والنكال بمخالفتك وتكذيبك ولهذا قال تعالى على وجه التهديد والوعيد (فسوف يبصرون) ثم قال عز وجل (أفبعذابنا يستعجلون) أى هم إنما يستعجلون العذاب لتكذيبهم وكفرهم بك فان الله تعالى يغضب عليهم بذلك ويعجل لهم العقوبة ومع هذا أيضا كانوا من كفرهم وعنادهم يستعجلون العذاب والعقوبة . قال الله تبارك وتعالى (فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين) أى فإذا نزل العذاب بمحلتهم فبئس ذلك اليوم يومهم

باهلاكهم ودمارهم ، وقال السدى (فإذا نزل بساحتهم) يعنى بدارهم (فساء صباح المنذرين) أى فبئس ما يصبحون أى بئس الصباح صباحهم . ولهذا ثبت فى الصحيحين من حديث إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس رضى الله عنه قال : صبح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فلما خرجوا بفؤوسهم ومساحيهم ورأوا الجيش رجعوا وهم يقولون محمد والله محمد والخميس فقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » ورواه البخارى من حديث مالك عن حميد عن أنس رضى الله عنه . وقال الإمام أحمد حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبى عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك عن أبى طلحة رضى الله عنه قال : لما صبح رسول الله ﷺ خيبر وقد أخذوا مساحيهم وغدوا إلى حروثهم وأرضيهم ، فلما رأوا النبى ﷺ نكصوا مدبرين فقال نبى الله ﷺ « إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين » لم يخرجوه من هذه الوجه وهو صحيح على شرط الشيخين . وقوله تعالى (وتول عنهم حتى حين * وأبصر فسوف يبصرون) تأكيد لما تقدم من الأمر بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

ينزه تبارك وتعالى نفسه الكريمة ويقدسها ويبرئها عما يقول الظالمون المكذبون المعتدون تعالى وتنزه وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة) أى ذى العزة التى لا ترام (عما يصفون) أى عن قول هؤلاء المعتدين المفترين (وسلام على المرسلين) أى سلام الله عليهم فى الدنيا والآخرة لسلامة ما قالوه فى ربهم وصحته وحقيته (والحمد لله رب العالمين) أى له الحمد فى الأولى والآخرة فى كل حال ، ولما كان التسبيح يتضمن التنزية والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة ويستلزم إثبات الكمال كما أن الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه من النقص قرن بينهما فى هذا الموضع وفى مواضع كثيره من القرآن ولهذا قال تبارك وتعالى (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين) ، وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين فإنما أنا رسول من المرسلين هكذا رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سعيد عنه كذلك ، وقد أسندة ابن أبى حاتم رحمه الله فقال حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبو بكر الأعين ومحمد بن عبد الرحيم صاعقة قالا حدثنا حسين بن محمد حدثنا شيبان عن قتادة قال حدثنا أنس بن مالك عن أبى طلحة رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا سلمتم على فسلموا على المرسلين » وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن أبى بكر حدثنا نوح[1] حدثنا أبو هارون عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا أراد أن يسلم قال « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد رب العالمين » ثم يسلم إسناده ضعيف . وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا شبابة عن يونس ابن أبى إسحاق عن الشعبى قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم « من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليقل آخر مجلسه حين يريد أن يقوم (سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين) » وروى من وجه آخر متصل موقوف على على رضى الله عنه قال أبو محمد البغوى فى تفسيره أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم . الشريحى أخبرنا أبو إسحاق الثعلبى أخبرنى ابن فنجويه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع عن ثابت بن أبى صفية عن الأصبغ بن نباتة عن على رضى الله عنه قال : من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجرم يوم القيامة فليكن آخر كلامه فى مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين . وروى الطبرانى من طريق عبد الله ابن صخر بن أنس عن عبد الله بن زيد بن أرقم عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « من قال دبر كل صلا سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين * والحمد لله رب العالمين ثلاث مرات فقد اكتال

(١) فى النسخة المكية : فرج

بالجريب الأوفى من الأجر » وقد وردت أحاديث فى كفارة المجلس : سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك . وقد أفردت لها جزءا على حدة فلتكتب هاهنا إن شاء الله تعالى. آخر تفسير سورة الصافات والله أعلم

﴿ تفسير سورة ص وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ * كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾

أما الكلام على الحروف المقطعة فقد تقدم فى أول سورة البقرة بما أغنى عن إعادته ههنا . وقوله تعالى (والقرآن ذى الذكر) أى والقرآن المشتمل على ما فيه ذكر للعباد ونفع لهم فى المعاش والمعاد قال الضحاك فى قوله تعالى (ذى الذكر) كقوله تعالى (لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم) أى تذكيركم وكذا قال قتادة واختاره ابن جرير . وقال ابن عباس رضى الله عنهما وسعيد بن جبير وإسماعيل بن أبى خالد وابن عيينة وأبو حصين وأبو صالح والسدى (ذى الذكر) ذى الشرف أى ذى الشأن والمكانة، ولا منافاة بين القولين فانه كتاب شريف مشتمل على التذكير والاعذار والانذار واختلفوا فى جواب هذا القسم فقال بعضهم هو قوله تعالى (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) وقيل قوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) حكاهما ابن جرير وهذا الثانى فيه بعد كبير وضعفه ابن جرير ، وقال قتادة جوابه بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) واختاره ابن جرير ثم حكى ابن جرير عن بعض أهل العربية أنه قال جوابه (ص) بمعنى صدق حق (والقرآن ذى الذكر) وقيل جوابه ما تضمنه سياق السورة بكمالها والله أعلم ، وقوله تبارك وتعالى (بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) أى إن فى هذا القرآن لذكرى لمن يتذكر وعبرة لمن يعتبر ، وإنما لم ينتفع به الكافرون لأنهم (فى عزة) أى استكبار عنه وحمية (وشقاق) أى ومخالفة له ومعاندة ومفارقة، ثم خوفهم ما أهلك به الأمم المكذبة قبلهم بسبب مخالفتهم للرسل وتكذيبهم الكتب المنزله من السماء ، فقال تعالى (كم أهلكنا من قبلهم من قرن) أى من أمة مكذبة (فنادوا) أى حين جاءهم العذاب استغاثوا وجأروا إلى الله تعالى وليس ذلك بمجد عنهم شيئا كما قال عز وجل (فلما أحسوا بأسنا إذاهم منها يركضون) أى يهربون (لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكم لعلكم تسألون) قال أبو داود الطيالسى حدثنا شعبة عن أبى إسحاق عن التميمى قال ؟ سألت ابن عباس رضى الله عنهما عن قول الله تبارك وتعالى (فنادوا ولات حين مناص) قال ليس بحين نداء ولا نزو ولا فرار : وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما ليس بحين مغاث وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس نادوا النداء حين لا ينفعهم وأنشد * تذكر ليلى لات حين تذكر * وقال محمد بن كعب فى قوله تعالى (فنادوا ولات حين مناص) يقول نادوا بالتوحيد حين تولت الدنيا عنهم ، واستناصوا للتوبة حين تولت الدنيا عنهم ، وقال قتادة لما رأوا العذب أرادوا التوبة فى غير حين النداء ، وقال مجاهد (فنادوا ولات حين مناص) ليس بحين فرار ولا إجابة وقد روى نحو هذا عن عكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والضحاك وزيد بن أسلم والحسن وقتادة، وعن مالك عن زيد ابن أسلم (ولات حين مناص) ولا نداء فى غير حين النداء ، وهذه الكلمة وهى لات هى لا التى للنفى زيدت معها التاء كما تزاد فى ثم فيقولون ثمت ورب فيقولون ربت وهى مفصولة والوقف عليها ، ومنهم من حكى عن المصحف الإمام فيما ذكره ابن جرير أنها متصلة بحين ولا تحين مناص والمشهور الأول ثم قرأ الجمهور بنصب حين تقديره وليس الحين حين مناص ومنهم من جوز النصب بها وأنشد

تذكر حب ليلى لات حينا * وأضحى الشيب قد قطع القرينا

ومنهم من جوز الجر بها وأنشد

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن ليس حين بقاء

وأنشد بعضهم أيضا * ولات ساعة مندم *

بخفض الساعة وأهل اللغة يقولون النوص التأخر والبوص التقدم ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ولات حين مناص) أى ليس الحين حين فرار ولاذهاب والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَعَجِبُوا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ * أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ * وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا وَٱصْبِرُوا عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ * مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ * أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ * أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ * أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِى ٱلْأَسْبَابِ * جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المشركين فى تعجبهم من بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا كما قال عز وجل (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون إن هذا لساحر مبين) وقال جل وعلا ههنا (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى بشر مثلهم وقال الكافرون (هذا ساحر كذاب * أجعل الآلهة إلها واحداً) أى أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو ! أنكر المشركون ذلك قبحهم الله تعالى وتعجبوا من ترك الشرك بالله فانهم كانوا قد تلقوا عن آبائهم عبادة الأوثان وأشربته قلوبهم فلما دعاهم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى خلع ذلك من قلوبهم وإفراد الإله بالوحدانية أعظموا ذلك وتعجبوا وقالوا (أجعل الآلهة إلها واحدا إن هذا لشىء عجاب * وانطلق الملأ منهم) وهم سادتهم وقادتهم ورؤساؤهم وكبراؤهم قائلين (امشوا) أى استمروا على دينكم (واصبروا على آلهتكم) ولا تستجيبوا لما يدعوكم اليه محمد من التوحيد ، وقوله تعالى (إن هذا لشىء يراد) قال ابن جرير إن هذا الذى يدعونا اليه محمد صلى الله عليه وسلم من التوحيد لشىء يريد به الشرف عليكم والاستعلاء وأن يكون له منكم أتباع ولسنا نجيبه اليه . ﴿ ذكر سبب نزول هذه الآيات الكريمات ﴾ قال السدى إن ناسا من قريش اجتمعوا فيهم أبو جهل بن هشام والعاص بن وائل والأسود بن المطلب والأسود بن عبد يغوث فى نفر من مشيخة قريش فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا الى إبى طالب فلنكلمه فيه فلينصفنا منه فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه الذى يعبده فانا نخاف أن يموت هذا الشيخ فيكون منا اليه شىء فتعيرنا به العرب يقولون تركوه حتى إذا مات عنه تناولوه فبعثوا رجلا منهم يقال له المطلب فاستأذن لهم على أبى طالب فقال هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم يستأذنون عليك قال أدخلهم فلما دخلوا عليه قالوا يا أباطالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آلهتنا وندعه وإلهه ، قال فبعث اليه أبوطالب فلما دخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : يا ابن أخى هؤلاء مشيخة قومك وسراتهم وقد سألوك أن تكف عن شتم آلهتهم ويدعوك وإلهك قال صلى الله عليه وسلم « ياعم أفلا أدعوهم إلى ماهو خيرلهم ، » قال وإلام تدعوهم ، قال صلى الله عليه وسلم « أدعوهم أن يتكلموا بكلمة تدين لهم بها العرب ويملكون بها العجم » فقال أبو جهل لعنه الله من بين القوم ماهى وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها قال صلى الله عليه وسلم « تقولون لا إله إلا الله » فنفروا وقالوا سلنا غيرها قال صلى الله عليه وسلم « لوجئتمونى بالشمس حتى تضعوها فى يدى ماسألتكم غيرها » فقاموا من عنده غضاباً وقالوا والله لنشتمنك وإلهك الذى أمرك بهذا (وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشىء يراد) ورواه ابن أبى حاتم وابن جرير وزاد فلما خرجوا دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه إلى قول لاإله إلا الله فأبى وقال بل على دين الأشياخ ونزلت (إنك لا تهدى من أحببت) . وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا أبو كريب وابن وكيع قالا حدثنا أبو أسامة

حدثنا الأعمش حدثنا عباد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل فقالوا : إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل ويقول ويقول فلو بعثت إليه فنهيته فبعث اليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل قال فخشي أبو جهل لعنه الله إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه فوثب فجلس فى ذلك المجلس ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا قرب عمه فجلس عند الباب فقال له أبو طالب أى ابن أخي ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول ؟ قال وأكثروا عليه من القول وتكلم رسول الله ﷺ فقال « ياعم إنى أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدى اليهم بها العجم الجزية » ففزعوا لكلمته ولقوله فقال القوم كلمة واحدة نعم وأبيك عشرا فقالوا وماهى ، وقال أبو طالب وأى كلمة هى يا ابن أخي ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لا إله إلا الله » فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون (أجعل الآلهة إلها واحدا ! إن هذا لشيء عجاب) قال ونزلت من هذا الموضع إلى قوله (بل لما يذوقوا عذاب) لفظ أبى كريب وهكذا رواه الإمام أحمد والنسائى من حديث محمد ابن عبد الله بن نمير كلاهما عن أبى أسامة عن الأعمش عن عباد غير منسوب به نحوه ، ورواه الترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير أيضا كلهم فى تفاسيرهم من حديث سفيان الثورى عن الأعمش عن يحيى بن عمارة الكوفى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكر نحوه . وقال الترمذى حسن وقولهم (ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة) أى ماسمعنا بهذا الذى يدعونا اليه محمد من التوحيد فى الملة الآخرة . قال مجاهد وقتادة وأبو زيد يعنون دين قريش وقال غيرهم يعنون النصرانية قاله محمد بن كعب والسدى وقال العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ماسمعنا بهذا فى الملة الآخرة يعنى النصرانية قالوا لو كان هذا القرآن حقا لأخبرتنا به النصارى (إن هذا إلا اختلاق) قال مجاهد وقتادة كذب وقال ابن عباس تخرص وقولهم (أأنزل عليه الذكر من بيننا) يعنى أنهم يستبعدون تخصيصه بانزال القرآن عليه من بينهم كلهم كما قال فى الآية الأخرى (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) قال الله تعالى (أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) ولهذا لما قالوا هذا الذى دل على جهلهم وقلة عقلهم فى استبعادهم إنزال القرآن على الرسول من بينهم . قال الله تعالى (بل لما يذوقوا عذاب) أى إنما يقولون هذا لأنهم ما ذاقوا الى حين قولهم ذلك عذاب الله تعالى ونقمته سيعلمون غب ماقالوا وماكذبوا به يوم يدعون إلى نار جهنم دعا . ثم قال تعالى مبينا أنه المتصرف فى ملكه الفعال لما يشاء الذى يعطى من يشاء مايشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء ويهدى من يشاء ويضل من يشاء وينزل الروح من أمره على من يشاء من عباده ويختم على قلب من يشاء فلا يهديه أحد من بعد الله ، وإن العباد لا يملكون شيئا من الأمر وليس اليهم من التصرف فى الملك ولا مثقال ذرة ومايملكون من قطمير . ولهذا قال تعالى منكرا عليهم (أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب) أى العزيز الذى لا يرام جنابه الوهاب الذى يعطى مايريد لمن يريد ، وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا * أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما * فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا) وقوله تعالى (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى إذا لأمسكتم خشية الإنفاق وكان الإنسان قتورا) وذلك بعد الحكاية عن الكفار أنهم أنكروا بعثة الرسول البشرى صلى الله عليه وسلم وكما أخبر عز وجل عن قوم صالح عليه السلام حين قالوا (أألقى الذكر عليه من بيننا ، بل هو كذاب أشر * سيعلمون غدا من الكذاب الأشر) وقوله تعالى (أم لهم ملك السموات والأرض ومابينهما فليرتقوا فى الأسباب) أى ان كان لهم ذلك فليصعدوا فى الأسباب . قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغيرهم يعنى طرق السماء ، وقال الضحاك رحمه الله تعالى فليصعدوا إلى السماء السابعة ثم قال عز وجل (جند ماهنالك مهزوم من الأحزاب) أى هؤلاء الجند المكذبون الذين هم فى عزة وشقاق سيهزمون ويغلبون ويكبتون كما كبت الذين من قبلهم من الأحزاب المكذبين وهذه الآية كقوله جلت عظمته (أم يقولون

نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر) كان ذلك يوم بدر (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر)

﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ * وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ * إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ * وَمَا يَنظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ * وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ * اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء القرون الماضية وماحل بهم من العذاب والنكال والنقمات فى مخالفة الرسل وتكذيب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . وقد تقدمت قصصهم مبسوطة فى أماكن متعددة وقوله تعالى (أولئك الأحزاب) أى كانوا أكثر منكم وأشد قوة وأكثر أموالا وأولادا فما دافع ذلك عنهم من عذاب الله من شىء لما جاء أمر ربك ولهذا قال عز وجل (إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب) فجعل علة إهلاكهم هو تكذيبهم بالرسل فليحذر المخاطبون من ذلك أشد الحذر . وقوله تعالى (وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فوق) قال مالك عن زيد بن أسلم أى ليس لها مثنوية أى ما ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها أى فقد اقتربت ودنت وأزفت وهذه الصيحة هى نفخة الفزع التى يأمر الله تعالى إسرافيل أن يطولها فلا يبقى أحد من أهل السموات والأرض إلا فزع إلا من استثنى الله عز وجل . وقوله جل جلاله (قالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب) هذا إنكار من الله تعالى على المشركين فى دعائهم على أنفسهم بتعجيل العذاب فان القط هو الكتاب وقيل هو الحظ والنصيب قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والضحاك والحسن وغير واحد سألوا تعجيل العذاب ، زاد قتادة كما قالوا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقيل سألوا تعجيل نصيبهم من الجنة إن كانت موجودة ليلقوا ذاك فى الدنيا وإنما خرج هذا منهم مخرج الاستبعاد والتكذيب . وقال ابن جرير سألوا تعجيل ما يستحقونه من الخير أو الشر فى الدنيا وهذا الذى قاله جيد وعليه يدور كلام الضحاك وإسماعيل بن أبى خالد والله أعلم ولما كان هذا الكلام منهم على وجه الاستهزاء والاستبعاد . قال الله تعالى لرسوله ﷺ آمرا له بالصبر على أذاهم ومبشراً له على صبره بالعاقبة والنصر والظفر

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴾

يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام أنه كان ذا أيد والأيد القوة فى العلم والعمل . قال ابن عباس رضى الله عنهما والسدى وابن زيد الأيد القوة ، وقرأ ابن زيد (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون) وقال مجاهد الأيد القوة فى الطاعة . وقال قتادة أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة فى العبادة وفقها فى الإسلام ، وقد ذكر لنا أنه عليه الصلاة والسلام كان يقوم ثلث الليل ويصوم نصف الدهر ، وهذا ثابت فى الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود ، وأحب الصيام إلى الله عز وجل صيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وكان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى وانه كان أواباً » وهو الرجاع إلى الله عز وجل فى جميع أموره وشؤونه . وقوله تعالى (إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والإشراق) أى أنه تعالى سخر الجبال تسبح معه عند إشراق الشمس وآخر النهار كما قال عز وجل (ياجبال أوبى معه والطير) وكذلك كانت الطير تسبح بتسبيحه وترجع بترجيعه إذا مر به الطير وهو سابح فى الهواء فسمعه وهو يترنم بقراءة الزبور لا يستطيع الذهاب بل يقف فى الهواء ويسبح معه وتجيبه الجبال الشامخات ترجع معه وتسبح تبعاً له . قال ابن

جرير حدثنا أبو كريب حدثنا محمد بن بشر عن مسعر عن عبد الكريم عن موسى بن أبي كثير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه بلغه أن أم هانىء رضي الله عنها ذكرت أن رسول الله ﷺ يوم فتح مكة صلى الضحى ثمان ركعات فقال ابن عباس رضي الله عنهما قد ظننت أن لهذه الساعة صلاة يقول الله عز وجل (يسبحن بالعشى والإشراق) ثم رواه من حديث سعيد بن أبي عروبة عن أبي المتوكل عن أيوب بن صفوان عن مولاه عبد الله بن الحارث ابن نوفل أن ابن عباس رضي الله عنهما كان لايصلي الضحى قال فأدخلته على أم هانىء رضي الله عنها فقلت أخبرى هذا ما أخبرتني فقالت : دخل على رسول الله ﷺ يوم الفتح فى بيتى ثم أمر بماء صب فى قصعة ثم أمر بثوب فأخذ بينى وبينه فاغتسل ثم رش ناحية البيت فصلى ثمان ركعات وذلك من الضحى قيامهن وركوعهن وسجودهن وجلوسهن سواء قريب بعضهن من بعض فخرج ابن عباس رضي الله عنهما وهو يقول لقد قرأت مابين اللوحين ماعرفت صلاة الضحى إلا الآن (يسبحن بالعشى والإشرق) وكنت أقول أين صلاة الاشراق وكان بعد يقول صلاة الاشراق ولهذا قال عز وجل (والطير محشورة) أى محبوسة فى الهواء (كل له أواب) أى مطيع يسبح تبعا له ، قال سعيد بن جبير وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (كل له أواب) أى مطيع ، وقوله تعالى (وشددنا ملكه) أى جعلنا له ملكا كاملا من جميع مايحتاج اليه الملوك ، قال ابن أبي نجيح عن مجاهد كان أشد أهل الدنيا سلطاناً ، وقال السدى كان يحرسه كل يوم أربعة آلاف ، وقال بعض السلف بلغنى أنه كان يحرسه فى كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألفاً لاتدور عليهم النوبة إلى مثلها من العام القابل ، وقال غيره أربعون ألفا مشتملون بالسلاح وقد ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم من رواية علباء بن أحمر عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أن نفرين من بنى إسرائيل استعدى أحدهما على الآخر إلى داود عليه الصلاة والسلام أنه اغتصبه بقراً فأنكر الآخر ولم يكن للمدعى بينة فأرجأ أمرهما فلما كان الليل أمر داود عليه الصلاة والسلام فى المنام بقتل المدعى ، فلما كان النهار طلبهما وأمر بقتل المدعى فقال يانبي الله علام تقتلنى وقد اغتصبنى هذا بقرى ؟ فقال له إن الله تعالى أمرنى بقتلك فأنا قاتلك لامحالة ، فقال والله يانبي الله إن الله لم يأمرك بقتلى لأجل هذا الذى ادعيت عليه وإنى لصادق فيما ادعيت ولكنى كنت قد اغتلت أباه وقتلته ولم يشعر بذلك أحد فأمر به داود عليه السلام فقتل ، قال ابن عباس رضي الله عنهما فاشتدت هيبته فى بنى إسرائيل وهو الذى يقول الله عز وجل (وشددنا ملكه)

وقوله جل وعلا (وآتيناه الحكمة) قال مجاهد يعنى الفهم والعقل والفطنة ، وقال مرة: الحكمة والعدل ، وقال مرة : الصواب ، وقال قتادة كتاب الله واتباع ما فيه ، وقال السدى (الحكمة) النبوة وقوله جل جلاله (وفصل الخطاب) قال شريح القاضى والشعبي : فصل الخطاب الشهود والأيمان وقال قتادة شاهدان على المدعى أو يمين المدعى عليه هو فصل الخطاب الذى فصل به الأنبياء والرسل أو قال المؤمنون والصالحون وهو قضاء هذا الأمة إلى يوم القيامة ، وكذا قال أبو عبد الرحمن السلمى وقال مجاهد والسدى هو إصابة القضاء وفهم ذلك ، وقال مجاهد أيضا هو الفصل فى الكلام وفى الحكم وهذا يشمل هذا كله وهو المراد واختاره ابن جرير وقال ابن أبي حاتم حدثنا عمر بن شبة النميرى حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنى عبد العزيز بن أبي ثابت عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن بلال بن أبي بردة عن أبيه عن أبي موسى رضي الله عنه قال : أول من قال أما بعد : داود عليه السلام وهو فصل الخطاب ، وكذا قال الشعبي فصل الخطاب : أما بعد

﴿ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ * إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ * إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ * قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى

نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ * فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الاسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه ولكن روى ابن أبي حاتم هنا حديثا لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عند الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عزوجل فان القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضا وقوله تعالى (ففزع منهم) إنما كان ذلك لأنه كان في محرابه وهو أشرف مكان في داره وكان قد أمر أن لا يدخل عليه أحد ذلك اليوم فلم يشعر إلا بشخصين قد تسورا عليه المحراب أي احتاطا به يسألانه عن هأنهما وقوله عزوجل (وعزني في الخطاب) أي غلبني يقال عز يعز إذا قهر وغلب وقوله تعالى (وظن داود أنما فتناه) قال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما أي اختبرناه . وقوله تعالى (وخر راكعا) أي ساجدا (وأناب) ويحتمل أنه ركع أولا ثم سجد بعد ذلك ، وقد ذكر أنه استمر ساجداً أربعين صباحا (فغفرنا له ذلك) أي ما كان منه مما يقال فيه إن حسنات الأبرار سيئات المقربين

وقد اختلف الأئمة في سجدة ص هل هي من عزائم السجود ؟ على قولين الجديد من مذهب الشافعي رضي الله عنه أنها ليست من عزائم السجود بل هي سجدة شكر ، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا إسماعيل هو ابن علية عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال السجدة في ص ليست من عزائم السجود ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها . ورواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي في تفسيره من حديث أيوب به وقال الترمذي حسن صحيح . وقال النسائي أيضا عند تفسير هذه الآية أخبرني إبراهيم ابن الحسن هو المقسمي حدثنا حجاج بن محمد عن عمر بن ذر عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال، إن النبي صلى الله عليه وسلم سجد في ص وقال « سجدها داود عليه الصلاة والسلام توبة ونسجدها شكرا » تفرد بروايته النسائي ورجال إسناده كلهم ثقات . وقد أخبرني شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزي قراءة عليه وأنا أسمع ، أخبرنا أبو إسحاق الدرجي أخبرنا زاهر بن أبي طاهر الثقفي حدثنا زاهر بن أبي طاهر الشحامي أخبرنا أبو سعد السكنجدروذي أخبرنا الحاكم أبو أحمد محمد بن محمد الحافظ أخبرنا أبو العباس السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا محمد بن يزيد ابن خنيس عن الحسن بن محمد بن عبيد الله بن أبي يزيد قال : قال لي ابن جريج ياحسن حدثني جدك عبيد الله بن أبي يزيد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني رأيت فيما يرى النائم كأني أصلي خلف شجرة فقرأت السجدة فسجدت الشجرة بسجودي فسمعتها تقول وهي ساجدة : اللهم اكتب لي بها عندك أجرا ، واجعلها لي عندك ذخرا ، وضع بها عني وزرا ، واقبلها مني كما قبلتها من عبدك داود . قال ابن عباس رضي الله عنهما فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم قام فقرأ السجدة ثم سجد فسمعته يقول وهو ساجد كما حكى الرجل عن كلام الشجرة ، رواه الترمذي عن قتيبة وابن ماجه عن أبي بكر بن خلاد كلاهما عن محمد بن يزيد بن خنيس نحوه ، وقال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . وقال البخاري عند تفسيرها أيضاً حدثنا محمد بن عبد الله حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال سألت مجاهدا عن سجدة ص فقال : سألت ابن عباس رضي الله عنهما من أين سجدت فقال أو ما تقرأ (ومن ذريته داود وسليمان)(أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) فكان داود عليه الصلاة والسلام ممن أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم أن يقتدي به فسجدها داود عليه الصلاة والسلام فسجدها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا يزيد بن زريع حدثنا حميد حدثنا بكر هو ابن عبد الله المزني أنه أخبره أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه رأى رؤيا أنه يكتب ص فلما بلغ إلى الآية التي يسجد

بها رأى الدواة والقلم وكل شيء بحضرته انقلب ساجدا قال فقصها على النبي صلى الله عليه وسلم فلم يزل يسجد بها بعد ، تفرد به أحمد ، وقال أبو داود حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن عياض بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر (ص) فلما بلغ السجدة نزل فسجد وسجد الناس معه فلما كان يوم آخر قرأها فلما بلغ السجدة تشزن الناس للسجود فقال ﷺ « إنما هي توبة نبي ولكني رأيتكم تشزنتم » فنزل وسجد تفرد به أبو داود وإسناده على شرط الصحيح

وقوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أي وإن له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع وهو الدرجات العالية في الجنة لنوبته وعدله التام في ملكه كما جاء في الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يقسطون في أهليهم وما ولوا » وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا فضيل عن عطيه عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلسا إمام عادل ، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذابا إمام جائر » ورواه الترمذي من حديث فضيل وهو ابن مرزوق الأغر عن عطية به ، وقال لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبد الله ابن أبي زياد حدثنا سيار حدثنا جعفر بن سليمان سمعت مالك بن دينار في قوله تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) قال يقام داود يوم القيامة عند ساق العرش ثم يقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في الدنيا فيقول وكيف وقد سلبته؟ فيقول الله عز وجل إني أرده عليك اليوم قال فيرفع داود عليه الصلاة والسلام بصوت يستفرغ نعيم أهل الجنان

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾

هذه وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيل الله ، وقد توعد تبارك وتعالى من ضل عن سبيله وتناسى يوم الحساب بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا هشام بن خالد حدثنا الوليد حدثنا مروان بن جناح حدثني ابرهيم أبو زرعة وكان قد قرأ الكتاب أن الوليد بن عبد الملك قال له أيحاسب الخليفة فانك قد قرأت الكتاب الأول وقرأت القرآن وفقهت فقلت يا أمير المؤمنين أقول : قال قل في أمان الله ، قلت يا أمير المؤمنين أنت أكرم على الله أو داود عليه الصلاة والسلام ، إن الله تعالى جمع له النبوة والخلافة ثم توعده في كتابه فقال تعالى (يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) الآية وقال عكرمة (لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب) هذا من المقدم والمؤخر لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا ، وقال السدي لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب وهذا القول أمشى على ظاهر الآية والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ * أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ * كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلق عبثا وإنما خلقهم ليعبدوه ويوحدوه ثم يجمعهم يوم الجمع فيثيب المطيع ويعذب الكافر ولهذا قال تبارك وتعالى (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا) أي الذين لا يرون بعثا ولا معادا وإنما يعتقدون هذه الدار فقط (فويل للذين كفروا من النار) أي ويل لهم يوم معادهم ونشورهم من النار

المعتقلم ، ثم بين تعالى أنه عز وجل من عدله وحكمته لا يساوى بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض * أم نجعل المتقين كالفجار) أى لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله وإذا كان الأمر كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المطيع ويعاقب فيها هذا الفاجر وهذا الارشاد يدل العقول السليمة والفطر المستقيمة على أنه لا بد من معاد وجزاء فانا نرى الظالم الباغى يزداد ماله وولده ونعيمه ويموت كذلك ونرى المطيع المظلوم يموت بكمده فلا بد فى حكمة الحكيم العليم العادل الذى لا يظلم مثقال ذرة من إنصاف هذا من هذا ، وإذا لم يقع هذا فى هذه الدار فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاء والمواساة . ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة قال تعالى (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب) أى ذوو العقول وهى الألباب جمع لب وهو العقل ، قال الحسن البصرى والله ما تدبره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول قرأت القرآن كله ما يرى له القرآن فى خلق ولا عمل . رواه ابن أبى حاتم

﴿ ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب * إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد * فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب * ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق ﴾

يقول تعالى مخبراً أنه وهب لداود سليمان أى نبيا كما قال عز وجل (وورث سليمان داود) أى فى النبوة وإلا فقد كان له بنون غيره فانه قد كان عنده مائة امرأة حرائر وقوله تعالى (نعم العبد إنه أواب) ثناء على سليمان بأنه كثير الطاعة والعبادة والانابة إلى الله عز وجل . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الوليد بن جابر حدثنا مكحول قال لما وهب الله تعالى لداود سليمان قال له يا بنى ما أحسن قال سكينة الله والإيمان قال فما أقبح ؟ قال كفر بعد إيمان قال فما أحلى ، قال روح الله بين عباده قال فما أبرد ؟ قال عفو الله عن الناس وعفو الناس بعضهم عن بعض قال داود عليه السلام فأنت نبى . وقوله تعالى (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) أى إذ عرض على سليمان عليه الصلاة والسلام فى حال مملكته وسلطانه الخيل الصافنات قال مجاهد وهى التى تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة والجياد السراع وكذا قال غير واحد من السلف ، وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن أبيه سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمى فى قوله عز وجل (إذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد) قال كانت عشرين فرسا ذات أجنحة كذا رواه ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى إسرائيل عن سعيد بن مسروق عن إبراهيم التيمى قال كانت الخيل التى شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها وهذا أشبه والله أعلم وقال أبو داود حدثنا محمد بن عوف حدثنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا يحيى بن أيوب حدثنى عمارة بن غزية أن محمد بن إبراهيم حدثه عن أبى سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة رضى الله عنها قالت قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفى سهوتها ستر فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة رضى الله عنها لعب فقال صلى الله عليه وسلم « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت رضى الله عنها بناتى ورأى بينهن فرسا له جناحان من رقاع فقال ﷺ « ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ » قالت رضى الله عنها فرس ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما هذا الذى عليه ؟ » قالت رضى الله عنها جناحان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فرس له جناحان ؟ » قالت رضى الله عنها أما سمعت أن سليمان عليه الصلاة والسلام كانت له خيل لها أجنحة قالت رضى الله عنها فضحك صلى الله عليه وسلم حتى رأيت نواجذه . وقوله تبارك وتعالى (فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب) ذكر غير واحد من السلف والمفسرين أنه اشتغل بعرضها حتى فات وقت صلاة العصر والذى يقطع به أنه لم يتركها عمداً بل نسياناً كما شغل النبى صلى الله عليه وسلم يوم الخندق عن صلاة العصر حتى صلاها بعد الغروب وذلك ثابت فى الصحيحين من غير وجه من ذلك عن جابر رضى الله عنه قال جاء عمر رضى الله عنه يوم الخندق بعد ما غربت الشمس فجعل يسب كفار قريش ويقول

يا رسول الله والله ما كدت أصلى العصر حتى كادت الشمس تغرب فقال رسول الله ﷺ « والله ما صليتها » فقال فقمنا إلى بطحان فتوضأ نبي الله ﷺ للصلاة وتوضأنا لها فصلى العصر بعد ما غربت الشمس ثم صلى بعدها المغرب . ويحتمل أنه كان سائغا فى ملتهم تأخير الصلاة لعذر الغزو والقتال ، والخيل تراد للقتال وقد ادعى طائفة من العلماء أن هذا كان مشروعا فنسخ ذلك بصلاة الخوف ، ومنهم من ذهب إلى ذلك فى حال المسايفة والمضايقة حيث لا تمكن صلاة ولا ركوع ولا سجود كما فعل الصحابة رضى الله عنهم فى فتح تستر وهو منقول عن مكحول والأوزاعى وغيرهما والأول أقرب لأنه قال بعده (ردوها على فطفق مسحا بالسوق والأعناق) قال الحسن البصرى لا قال : والله لا تشغلنى عن عبادة ربى آخر ما عليك ، ثم أمر بها فعقرت وكذا قال قتادة، وقال السدى: ضرب أعناقها وعراقيبها بالسيوف ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبالها وهذا القول اختاره ابن جرير قال لأنه لم يكن ليعذب حيوانا بالعرقبة ويهلك مالا من ماله بلا سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها ولا ذنب لها وهذا الذى رجح به ابن جرير فيه نظر لأنه قد يكون فى شرعهم جواز مثل هذا ولا سيما إذا كان غضبا لله تعالى بسبب أنه اشتغل بها حتى خرج وقت الصلاة ولهذا لما خرج عنها لله تعالى عوضه الله عز وجل ما هو خير منها وهو الريح التى تجرى بأمره رخاء حيث أصاب غدوها شهر ورواحها شهر فهذا أسرع وخير من الخيل ، قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن أبى قتادة وأبى الدهماء وكانا يكثران السفر نحو البيت قالا أتينا على رجل من أهل البادية فقال لنا البدوى أخذ بيدى رسول الله ﷺ فجعل يعلمنى مما علمه الله عز وجل وقال « إنك لا تدع شيئا اتقاء الله تعالى إلا أعطاك الله عز وجل خيرا منه »

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾

يقول تعالى (ولقد فتنا سليمان) أى اختبرناه بأن سلبناه الملك (وألقينا على كرسيه جسدا) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وغيرهم يعنى شيطانا (ثم أناب) أى رجع إلى ملكه وسلطانه وأبهته قال ابن جرير وكان اسم ذلك الشيطان صخرا قاله ابن عباس رضى الله عنهما وقتادة وقيل آصف قاله مجاهد وقيل أصروا قاله مجاهد أيضا وقيل حبيق قاله السدى وقد ذكروا هذه القصة مبسوطة ومختصرة ، وقد قال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قال أمر سليمان عليه الصلاة والسلام ببناء بيت المقدس فقيل له ابنه ولا يسمع فيه صوت حديد ، قال فطلب ذلك فلم يقدر عليه فقيل له إن شيطانا فى البحر يقال له صخر شبه المارد قال فطلبه وكانت فى البحر عين يردها فى كل سبعة أيام مرة فتزح ماءها وجعل فيها خمرا فجاء يوم ورده فإذا هو بالخمر فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم رجع حتى عطش عطشاً شديداً ثم أتاها فقال إنك لشراب طيب إلا أنك تصبين الحليم وتزيدين الجاهل جهلا ، قال ثم شربها حتى غلبت على عقله قال فأرى الخاتم أو ختم به بين كتفيه فذل، قال وكان ملكه فى خاتمه فأتى به سليمان عليه الصلاة والسلام فقال إنا قد أمرنا ببناء هذا البيت وقيل لنا لا يسمعن فيه صوت حديد قال فأتى ببيض الهدهد فجعل عليه زجاجة فجاء الهدهد فدار حولها فجعل يرى بيضه ولا يقدر عليه فذهب فجاء بالماس فوضعه عليه فقطعها به حتى أفضى إلى بيضة فأخذ الماس فجعلوا يقطعون به الحجارة وكان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا أراد أن يدخل الخلاء أو الحمام لم يدخل بالخاتم فانطلق يوما إلى الحمام ، وذلك الشيطان صخر معه وذلك

عند مقارفة قارف فيها بعض نسائه قال فدخل الحمام وأعطى الشيطان خاتمه فألقاه فى البحر فالتقمته سمكة ونزع ملك سليمان منه وألقى على الشيطان شبه سليمان قال فجاء فقعد على كرسيه وسريره وسلط على ملك سليمان كله غير نسائه قال فجعل يقضى بينهم وجعلوا ينكرون منه أشياء حتى قالوا لقد فتن نبى الله وكان فيهم رجل يشبهونه بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فى القوة فقال والله لأجربنه قال: فقال يانبى الله وهو لايرى إلا أنه نبى الله أحدنا تصيبه الجنابة فى الليلة الباردة فيدع الغسل عمدا حتى تطلع الشمس أترى عليه بأسا قال: لا فبينما هو كذلك أربعين ليلة إذ وجد نبى الله خاتمه فى بطن سمكة فأقبل فجعل لايستقبله جنى ولا طير إلا سجد له حتى انتهى إليهم (وألقينا على كرسيه جسداً) قال هو الشيطان صخر وقال السدى (ولقد فتنا سليمان) أى ابتلينا سليمان (وألقينا على كرسيه جسداً) قال شيطانا جلس على كرسيه أربعين يوما قال كان لسليمان عليه الصلاة والسلام مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأمن عليه أحدا من الناس غيرها فأعطاها يوما خاتمه ودخل الخلاء ، فخرج الشيطان فى صورته فقال هاتى الخاتم فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان عليه الصلاة والسلام وخرج سليمان بعد ذلك فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت ألم تأخذه قبل ؟ قال لا وخرج كأنه تائه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما قال فأنكر الناس أحكامه فاجتمع قراء بنى إسرائيل وعلماؤهم فجاءوا حتى دخلوا على نسائه فقالوا لهن إنا قد أنكرنا هذا فان كان سليمان فقد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه قال فبكى النساء عند ذلك قال فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحدقوا به ثم نشروا يقرءون التوراة قال فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ثم طار حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر قال وأقبل سليمان عليه الصلاة والسلام فى حاله التى كان فيها حتى انتهى إلى صيادمن صيادى البحر وهو جائع وقد اشتد جوعه فسألهم من صيدهم وقال إنى أناسليمان فقام اليه بعضهم فضربه بعصى فشجه فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه فقالوا بئس ما صنعت حيث ضربته قال إنه زعم أنه سليمان ، قال فأعطوه سمكتين مما قد مذر عندهم ولم يشغله ما كان به من الضرب حتى قام إلى شاطئ البحر فشق بطونهما فجعل يغسل فوجد خاتمه فى بطن إحداهما فأخذه فلبسه فرد الله عليه بهاءه وملكه فجاءت الطير حتى حامت عليه فعرف القوم أنه سليمان عليه الصلاة والسلام فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم كان هذا الأمر لابد منه قال فجاء حتى أتى ملكه وأرسل إلى الشيطان فجىء به فأمر به فجعل فى صندوق من حديد ثم أطبق عليه وقفل عليه بقفل وختم عليه بخاتمه ثم أمر به فألقى فى البحر فهو فيه حتى تقوم الساعة وكان اسمه حبقيق قال وسخر له الريح ولم تكن سخرت له قبل ذلك وهو قوله (وهب لى ملكا لاينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب)

وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تبارك وتعالى (وألقينا على كرسيه جسدا) قال شيطانا يقال له آصف فقال له سليمان عليه السلام كيف تفتنون الناس ؟ قال أرنى خاتمك أخبرك فلما أعطاه إياه نبذه آصف فى البحر فساح سليمان عليه السلام وذهب ملكه وقعد آصف على كرسيه ومنعه الله تبارك وتعالى من نساء سليمان فلم يقربهن ولم يقربنه وأنكرنه قال فكان سليمان عليه الصلاة والسلام يستطعم فيقول أتعرفونى ؟ أطعمونى أناسليمان فيكذبونه حتى أعطته امرأة يوما حوتا ففتح بطنه فوجد خاتمه فى بطنه فرجع اليه ملكه وفر آصف فدخل البحر . وهذه كلها من الإسرائيليات ، ومن أنكرها ماقاله ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا محمد بن العلاء وعثمان بن أبى شيبة وعلى بن محمد قالوا حدثنا أبو معاوية أخبرنا الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) قال أراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يدخل الخلاء فأعطى الجرادة خاتمه وكانت الجرادة امرأته وكانت أحب نسائه إليه فجاء الشيطان فى صورة سليمان فقال لها هاتى خاتمى فأعطته إياه فلما لبسه دانت له الإنس والجن والشياطين فلما خرج سليمان عليه السلام من الخلاء قال لها هاتى خاتمى قالت قد أعطيته سليمان قال أنا سليمان قالت كذبت ما أنت بسليمان فجعل لايأتى أحدا يقول له أناسليمان إلا كذبه حتى جعل الصبيان يرمونه بالحجارة فلما

رأى ذلك سليمان عرف أنه من أمر الله عز وجل قال وقام الشيطان يحكم بين الناس فلما أراد الله تبارك وتعالى أن يرد على سليمان سلطانه ألقى فى قلوب الناس إنكار ذلك الشيطان قال فأرسلوا إلى نساء سليمان فقالوا لهن: أتنكرن من سليمان شيئا ، قلن نعم إنه يأتينا ونحن حيض وما كان يأتينا قبل ذلك فلما رأى الشيطان أنه قد فطن له ظن ان أمره قد انقطع فكتبوا كتبا فيها سحر وكفر فدفنوها تحت كرسى سليمان ثم أثاروها وقرءوها على الناس وقالوا بهذا كان يظهر سليمان على الناس ويغلبهم فأكفر الناس سليمان عليه الصلاة والسلام فلم يزالوا يكفرونه وبعث ذلك الشيطان بالخاتم فطرحه فى البحر فتلقته سمكة فأخذته ، وكان سليمان عليه السلام يحمل على شط البحر بالأجر فجاء رجل فاشترى سمكا فيه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فدعا سليمان عليه الصلاة والسلام فقال تحمل لى هذا السمك ؟ فقال نعم قال بكم ؟ قال بسمكة من هذا السمك قال فحمل سليمان عليه الصلاة والسلام السمك ثم انطلق به إلى منزله فلما انتهى الرجل إلى بابه أعطاه تلك السمكة التى فى بطنها الخاتم فأخذها سليمان عليه الصلاة والسلام فشق بطنها فإذا الخاتم فى جوفها فأخذه فلبسه ، قال فلما لبسه دانت له الجن والإنس والشياطين وعاد إلى حاله وهرب الشيطان حتى لحق بجزيرة من جزائر البحر فأرسل سليمان عليه السلام فى طلبه وكان شيطانا مريدا فجعلوا يطلبونه ولا يقدرون عليه حتى وجدوه يوما نائما فجاءوا فبنوا عليه بنيانا من رصاص فاستيقظ فوثب فجعل لايثب فى مكان من البيت إلا أحاط معه من الرصاص، قال فأخذوه فأوثقوه وجاءوا به إلى سليمان عليه الصلاة والسلام فأمر به فنقر له تخت من رخام ثم أدخل فى جوفه ثم سد بالنحاس ثم أمر به فطرح فى البحر فذلك قوله تبارك وتعالى (ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب) يعنى الشيطان الذى كان سلط عليه ، إسناده إلى ابن عباس رضى الله عنهما قوى ، ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضى الله عنهما إن صح عنه من أهل الكتاب وفيهم طائفة لايعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام فالظاهر أنهم يكذبون عليه ، ولهذا كان فى هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فان المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجنى لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفا وتكريما لنبيه عليه السلام . وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضى الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب . وقال يحيى بن أبى عروبة الشيبانى : وجد سليمان خاتمه بعسقلان فمشى فى حرقة إلى بيت المقدس تواضعا لله عز وجل ، رواه ابن أبى حاتم . وقد روى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار فى صفة كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام خبرا عجيبا فقال حدثنا أبى رحمه الله حدثنا أبو صالح كاتب الليث أخبرنى أبو إسحاق المصرى عن كعب الأحبار أنه لما فرغ من حديث إرم ذات العماد قال له معاوية يا أبا إسحاق أخبرنى عن كرسى سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام وما كان عليه ومن أى شىء هو ، فقال كان كرسى سليمان من أنياب الفيلة مرصعا بالدر والياقوت والزبرجد واللؤلؤ ، وقد جعل له درجة منها مفصصا بالدر والياقوت والزبرجد ثم أمر بالكرسى فحف من جانبيه بالنخل نخل من ذهب شماريخها من ياقوت وزبرجد ولؤلؤ ، وجعل على رءوس النخل التى عن يمين الكرسى طواويس من ذهب ثم جعل على رءوس النخل التى على يسار الكرسى نسورا من ذهب مقابلة الطواويس ، وجعل على يمين الدرجة الأولى شجرتى صنوبر من ذهب وعن يسارها أسدان من ذهب وعلى رءوس الأسدين عمودان من زبرجد ، وجعل من جانبى الكرسى شجرتى كرم من ذهب قد أظلتا الكرسى وجعل عناقيدهما درا وياقوتا أحمر ، ثم جعل فوق درج الكرسى أسدان عظيمان من ذهب مجوفان محشوان مسكا وعنبرا ، فإذا أراد سليمان عليه السلام أن يصعد على كرسيه استدار الأسدان ساعة ثم يقعان فينضحان ما فى أجوافهما من المسك والعنبر حول كرسى سليمان عليه الصلاة والسلام ثم يوضع منبران من ذهب واحد لخليفته والآخر لرئيس أحبار بنى إسرائيل ذلك الزمان ، ثم يوضع أمام كرسيه سبعون منبرا من ذهب يقعد عليها سبعون قاضيا من بنى إسرائيل وعلمائهم وأهل الشرف منهم والطول ، ومن خلف تلك المنابر كلها خمسة وثلاثون منبرا من ذهب ليس عليها أحد فاذا أراد أن يصعد على كرسيه وضع قدميه على الدرجة السفلى فاستدار الكرسى كله بما فيه وما عليه ويبسط الأسد يده اليمنى وينشر النسر جناحه

الأيسر ثم يصعد سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثانية فيبسط الأسد يده اليسرى وينشر النسر جناحه الأيمن فإذا استوى سليمان عليه الصلاة والسلام على الدرجة الثالثة وقعد على الكرسي أخذ نسر من تلك النسور عظيم تاج سليمان عليه الصلاة والسلام فوضعه على رأسه فإذا وضعه على رأسه استدار الكرسي بما فيه كما تدور الرحى السرعة ، فقال معاوية رضي الله عنه وما الذي يديره يا أبا إسحق ؟ قال تنين من ذهب ذلك الكرسي عليه وهو عظيم مما عمله صخر الجني فإذا أحست بأن قد دارت تلك الأسود والنسور والطواويس التي في أسفل الكرسي دون التي أعلاه فإذا وقف وقفن كلهن منكسات رؤوسهن على رأس سليمان عليه الصلاة والسلام وهو جالس ثم ينفضن جميعا ما في أجوافهن من المسك والعنبر على رأس سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام . ثم تتناول حمامة من ذهب واقفة على عمود من جوهر التوراة فتجعلها في يده فيقرؤها سليمان عليه الصلاة والسلام على الناس . وذكر تمام الخبر وهو غريب جدا (قال رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب) قال بعضهم معناه لا ينبغي لأحد من بعدي أي لا يصلح لأحد أن يسلبنيه بعدي كما كان من قضية الجسد الذي ألقي على كرسيه لا أنه يحجر على من بعده من الناس والصحيح أنه سأل من الله تعالى ملكا لا يكون لأحد من بعده من البشر مثله وهذا هو ظاهر السياق من الآية وبذلك وردت الأحاديث الصحيحة من طرق عن رسول الله ﷺ

قال البخاري عند تفسير هذه الآية حدثنا إسحق بن إبراهيم أخبرنا روح ومحمد بن جعفر عن شعبة عن محمد بن زياد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة - أو كلمة نحوها - ليقطع علي الصلاة فأمكنني الله تبارك وتعالى منه وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم فذكرت قول أخي سليمان عليه الصلاة والسلام (رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) » قال روح فرده خاسئا وكذا رواه مسلم والنسائي من حديث شعبة به وقال مسلم في صحيحه حدثنا محمد بن سلمة المرادي حدثنا عبدالله بن وهب عن معاوية بن صالح حدثني ربيعة بن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قام رسول الله ﷺ يصلي فسمعناه يقول « أعوذ بالله منك - ثم قال - ألعنك بلعنة الله » ثلاثا وبسط يده كأنه يتناول شيئا فلما فرغ من الصلاة قلنا يا رسول الله سمعناك تقول في الصلاة شيئا لم نسمعك تقوله قبل ذلك ورأيناك بسطت يدك قال ﷺ « إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي فقلت أعوذ بالله منك ثلاث مرات ثم قلت ألعنك بلعنة الله التامة فلم يستأخر ثلاث مرات ثم أردت أن آخذه والله لولا دعوة أخينا سليمان لأصبح موثقا يلعب به صبيان أهل المدينة » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد حدثنا ميسرة بن معبد حدثنا أبو عبيد حاجب سليمان قال رأيت عطاء بن يزيد الليثي قائما يصلي فذهبت أمر بين يديه فردني ثم قال حدثني أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول صلى الله عليه وسلم قام يصلي صلاة الصبح وهو خلفه فقرأ فالتبست عليه القراءة فلما فرغ من صلاته قال « لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي فما زلت أخنقه حتى وجدت برد لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوت أخي سليمان لأصبح مربوطا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » وقد روى أبو داود منه « من استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل » عن أحمد بن أبي سريج عن أبي أحمد الزبيري به . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا إبراهيم بن محمد الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد بن عبد الله الديلمي قال دخلت على عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما وهو في حائط له بالطائف يقال له الوهط وهو يحاصر فتى من قريش يزني ويشرب الخمر فقلت بلغني عنك حديث أنه « من شرب شربة من الخمر لم يقبل الله عز وجل له توبة أربعين صباحا ، وان الشقي من شقي في بطن أمه ، وانه من أتى بيت المقدس لا تنهزه إلا الصلاة فيه خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه » فلما سمع الفتى ذكر الخمر اجتذب يده من يده ثم انطلق فقال عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما إني لا أحل لأحد أن يقول على ما لم أقل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول « من شرب من الخمر شربة لا تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب تاب الله عليه فان عاد لم تقبل له صلاة أربعين صباحا فان تاب

تاب الله عليه ـ قال فلا أدرى فى الثالثة أو الرابعة قال ـ فان عاد كان حقا على الله تعالى أن يسقيه من طينة الخبال يوم القيامة » قال وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله عز وجل خلق خلقه فى ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل فلذلك أقول جف القلم على علم الله عزوجل» وسمعت رسول الله ﷺ يقول « إن سليمان عليه السلام سأل الله تعالى ثلاثا فأعطاه اثنتين ونحن نرجوا إن تكون لنا الثالثة ، سأله حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا ينبغى لأحد من بعده ، فأعطاه إياه وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة فى هذا المسجد خرج من خطيئته كيوم ولدته أمه فنحن نرجو أن يكون الله عزوجل قد أعطانا إياها » وقد روى هذا الفصل الأخير من هذا الحديث النسائى وابن ماجه من طرق عن عبد الله بن فيروز الديلمى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن سليمان عليه الصلاة والسلام لما بنى بيت المقدس سأل ربه عز وجل خلالا ثلاثا » وذكره وقد روى من حديث رافع بن عمير رضى الله عنه بإسناد وسياق غريبين . فقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة العسقلانى حدثنا محمد بن أيوب بن سويد حدثنى أبى حدثنا إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى الزاهرية عن رافع بن عمير قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « قال الله عز وجل لداود عليه الصلاة والسلام ابن لى بيتا فى الأرض فبنى داود بيتا لنفسه قبل البيت الذى أمر به فأوحى الله إليه يا داود نصبت بيتك قبل بيتى قال يا رب هكذا قضيت من ملك استأثر ثم أخذ فى بناء المسجد فلما تم السور سقط ثلاثا فشكا ذلك إلى الله عز وجل فقال يا داود إنك لا تصلح أن تبنى لى بيتا قال ولم يا رب ؟ قال لما جرى على يديك من الدماء ، قال يا رب أو ما كان ذلك فى هواك ومحبتك ؟ قال بلى ولكنهم عبادى وأنا أرحمهم فشق ذلك عليه فأوحى الله إليه لا تحزن فانى سأقضى بناءه على يدى ابنك سليمان فلما مات داود أخذ سليمان فى بنائه ولما تم قرب القربين وذبح الذبائح وجمع بنى إسرائيل فأوحى الله إليه قد أرى سرورك ببنيان بيتى فسلنى أعطك قال أسألك ثلاث خصال حكما يصادف حكمك وملكا لا ينبغى لأحد من بعدى ومن أتى هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ـ قال رسول الله ﷺ ـ أما الثنتان فقد أعطيهما وأنا أرجو أن يكون قد أعطى الثالثة »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن راشد اليمامى حدثنا إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضى الله عنه قال ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلا استفتحه « سبحان الله ربى العلى الأعلى الوهاب »

وقد قال أبو عبيد حدثنا على بن ثابت عن جعفر بن برقان عن صالح بن مسمار قال لما مات نبى الله داود عليه السلام أوحى الله تبارك وتعالى إلى ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام أن سلنى حاجتك قال أسألك أن تجعل لى قلبا يخشاك كما كان قلب أبى وأن تجعل قلبى يحبك كما كان قلب أبى فقال الله عز وجل : أرسلت إلى عبدى وسألته حاجته فكانت حاجته أن أجعل قلبه يخشانى وأن أجعل قلبه يحبنى ، لأهبن له ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . قال الله جلت عظمته (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) والتى بعدها قال فأعطاه ما أعطاه وفى الآخرة لا حساب عليه هكذا أورده أبو القاسم بن عساكر فى ترجمة سليمان عليه الصلاة والسلام فى تاريخه ، وروى عن بعض السلف أنه قال بلغنى عن داود عليه الصلاة والسلام أنه قال إلهى كن لسليمان كما كنت لى فأوحى الله عز وجل إليه : أن قل لسليمان أن يكون لى كما كنت لى أكن له كما كنت لك . وقوله تبارك وتعالى (فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب) قال الحسن البصرى رحمه الله لما عقر سليمان عليه الصلاة والسلام الخيل غضبا لله عز وجل عوضه الله تعالى ما هو خير منها وأسرع الريح التى غدوها شهر ورواحها شهر . وقوله جل وعلا (حيث أصاب) أى حيث أراد من البلاد وقوله جل جلاله (والشياطين كل بناء وغواص) أى منهم ما هو مستعمل فى الأبنية الهائلة من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات إلى غير ذلك من الأعمال الشاقة التى لا يقدر عليها البشر ، وطائفة غواصون فى البحار يستخرجون ما فيها من اللآلىء والجواهر والأشياء النفيسة التى لا توجد إلا فيها (وآخرين مقرنين فى الأصفاد) أى موثوقون فى الأغلال والأكبال ممن قد تمرد وعصى وامتنع من العمل وأبى ، أو قد أساء فى صنيعه واعتدى . وقوله عز وجل

(هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب) أى هذا الذى أعطيناك من الملك التام والسلطان الكامل كما سألتنا فأعط من شئت واحرم من شئت لاحساب عليك أى مهما فعلت فهو جائز لك احكم بما شئت فهو صواب وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول صلى الله عليه وسلم لما خير بين أن يكون عبداً رسولا — وهو الذى يفعل ما يؤمر به وإنما هو قاسم يقسم بين الناس كما أمره الله تعالى به — وبين أن يكون نبيا ملكا يعطى من يشاء ويمنع من يشاء بلاحساب ولا جناح : اختار المنزلة الأولى بعدما استشار جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له تواضع فاختار المنزلة الأولى لأنها أرفع قدرا عند الله عز وجل وأعلى منزلة فى المعاد وإن كانت المنزلة الثانية وهى النبوة مع الملك عظيمة أيضا فى الدنيا والآخرة ، ولهذا لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام فى الدنيا نبه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضا فقال تعالى (وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) أى فى الدار الآخرة

﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ * ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾

يذكر تبارك وتعالى عبده ورسوله أيوب عليه الصلاة والسلام وما كان ابتلاه تعالى به من الضر فى جسده وماله وولده حتى لم يبق من جسده مغرز إبرة سليما سوى قلبه ، ولم يبق له من الدنيا شىء يستعين به على مرضه وما هو فيه غير أن زوجته حفظت وده لإيمانها بالله تعالى ورسوله فكانت تخدم الناس بالأجرة وتطعمه وتخدمه نحوا من ثمانى عشرة سنة ، وقد كان قبل ذلك فى مال جزيل وأولاد وسعة طائلة من الدنيا ، فسلب جميع ذلك حتى آل به الحال إلى أن ألقى على مزبلة من مزابل البلدة هذه المدة بكاملها ورفضه القريب والبعيد سوى زوجته رضى الله عنها فانها كانت لا تفارقه صباحا ومساء إلا بسبب خدمة الناس ثم تعود اليه قريباً ، فلما طال المطال ، واشتد الحال ؛ وانتهى القدر ، وتم الأجل للقدر تضرع إلى رب العالمين وإله المرسلين فقال (إنى مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين) وفى هذه الآية الكريمة قال (واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الشيطان بنصب وعذاب) قيل بنصب فى بدنى وعذاب فى مالى وولدى فعند ذلك استجاب له أرحم الراحمين وأمره أن يقوم من مقامه وأن يركض الأرض برجله ففعل فأنبع الله تعالى عينا وأمره أن يغتسل منها فأذهبت جميع ما كان فيه بدنه من الأذى ، ثم أمره فضرب الأرض فى مكان آخر فأنبع له عينا أخرى وأمره أن يشرب منها فأذهبت جميع ما كان فى باطنه من السوء وتكاملت العافية ظاهرا وباطنا ، ولهذا قال تبارك وتعالى (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) قال ابن جرير وابن أبى حاتم جميعاً حدثنا يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : إن رسول الله ﷺ قال « إن نبى الله أيوب عليه الصلاة والسلام لبث به بلاؤه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين كانا من أخص إخوانه به كانا يغدوان اليه ويروحان ، فقال أحدهما لصاحبه تعلم والله لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين قال له صاحبه وماذاك ؟ قال منذ ثمانى عشرة سنة لم يرحمه الله تعالى فيكشف ما به فلما راحا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له ، فقال أيوب عليه الصلاة والسلام لا أدرى ما تقول غير أن الله عز وجل يعلم أنى كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع إلى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله تعالى إلا فى حق ، قال وكان يخرج إلى حاجته فاذا قضاها أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها فأوحى الله تبارك وتعالى إلى أيوب عليه الصلاة والسلام أن (اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب) فاستبطأته فالتفتت تنظر فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء وهو على أحسن ما كان فلما رأته قالت أى بارك الله فيك هل رأيت نبى الله هذا المبتلى ، فوالله القدير على ذلك ما رأيت رجلا أشبه به منك

إذ كان صحيحا قال فانى أناهو قال وكان له أندران أندر للقمح وأند رللشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت إحداهما على أندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير حتى فاض هذا لفظ ابن جرير رحمه الله

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام بن منبه قال : هذا ماحدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينما أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب عليه الصلاة والسلام يحثو فى ثوبه فناداه ربه عز وجل يا أيوب ألم أكن أغنيتك عما ترى قال عليه الصلاة والسلام بلى يارب ولكن لاغنى بى عن بركتك » انفرد باخراجه البخارى من حديث عبد الرزاق به ، ولهذا قال تبارك وتعالى (ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولى الألباب) قال الحسن وقتادة أحياهم الله تعالى له بأعيانهم وزادهم مثلهم معهم ، وقوله عز وجل (رحمة منا) أى به على صبره وثباته وإنابته وتواضعه واستكانته (وذكرى لأولى الألباب) أى لذوى العقول ليعلموا أن عاقبة الصبر الفرج والمخرج والراحة . وقوله جلت عظمته (وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث) وذلك أن أيوب عليه الصلاة والسلام كان قد غضب على زوجته ووجد عليها فى أمر فعلته قيل باعت ضفيرتها بخبز فأطعمته إياه فلامها على ذلك وحلف إن شفاه الله تعالى ليضربنها مائة جلدة ، وقيل لغير ذلك من الأسباب فلما شفاه الله عز وجل وعافاه ما كان جزاؤها مع هذه الخدمة التامة والرحمة والشفقة والإحسان أن تقابل بالضرب فأفتاه الله عز وجل أن يأخذ ضغثاً وهو الشمراخ فيه مائة قضيب فيضربها به ضربة واحدة وقد برت يمينه وخرج من حنثه ووفى بنذره ، وهذا من الفرج والمخرج لمن اتقى الله تعالى وأناب اليه ولهذا قال جل وعلا (إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب) أثنى الله تعالى عليه ومدحه بأنه (نعم العبد إنه أواب) أى رجاع منيب ؛ ولهذا قال جل جلاله (ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا *) واستدل كثير من الفقهاء بهذه الآية الكريمة على مسائل فى الأيمان وغيرها . وقد أخذوها بمقتضاها والله أعلم بالصواب

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ * وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ * هَذَا ذِكْرٌ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن فضائل عباده المرسلين وأنبيائه العابدين (واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولى الأيدى والأبصار) يعنى بذلك العمل الصالح والعلم النافع والقوة فى العبادة والبصيرة النافذة . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (أولى الأيدى) يقول أولى القوة (والأبصار) يقول الفقه فى الدين . وقال مجاهد (أولى الأيدى) يعنى القوة فى طاعة الله تعالى والأبصار يعنى البصر فى الحق وقال قتادة والسدى أعطوا قوة فى العبادة وبصرا فى الدين . وقوله تبارك وتعالى (إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار) قال مجاهد أى جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم هم غيرها وكذا قال السدى ذكرهم للآخرة وعملهم لها . وقال مالك بن دينار نزع الله تعالى من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصهم بحب الآخرة وذكرها ، وكذا قال عطاء الخراسانى . وقال سعيد بن جبير يعنى بالدار الجنة يقول أخلصناها لهم بذكرهم لها ، وقال فى رواية أخرى ذكرى الدار عقبى الدار ، وقال قتادة كانوا يذكرون الناس الدار الآخرة والعمل لها ؛ وقال ابن زيد جعل لهم خاصة أفضل شىء فى الدار الآخرة ، وقوله تعالى (وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار) أى لمن المختارين المجتبين الأخيار فهم أخيار مختارون . وقوله تعالى (واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار) قد تقدم الكلام على قصصهم وأخبارهم مستقصاة فى سورة الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله عز وجل (هذا ذكر) أى هذا فصل فيه ذكر لمن يتذكر ،وقال السدى يعنى القرآن العظيم .

﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَئَابٍ * جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ *مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَـٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَـٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين السعداء أن لهم فى الدار الآخرة لحسن مآب وهو المرجع والمنقلب ثم فسره بقوله تعالى (جنات عـدن) أى جنات إقامة مفتحة لهم الأبواب والألف واللام ههنا بمعنى الاضافة كأنه يقول مفتحة لهم أبوابها أى إذا جاءوها فتحت لهم أبوابها ، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن ثواب الهمارى حدثنا عبد الله بن نمير حدثنا عبد الله بن مسلم يعنى ابن هرمز عن ابن سابط عن عبد الله بن عمرو رضى عنهما قال : قال رسـول الله ﷺ « إن فى الجنة قصرا يقال له عدن حوله البروج والمروج له خمسة الآف باب عند كل باب خمسة الآف حبرة لا يدخـله ـأو لا يسكنه ـ إلا نبى أوصديق أوشهيد أوإمام عدل » وقدورد فى ذكر أبواب الجنة الثمانية أحاديث كثيرة من وجوه عديدة . وقوله عز وجل (متـكئين فيها) قيل متربعين على سرر تحت الحجال (يدعون فيها بفاكهة كثيرة) أى مهما طلبوا وجدوا وأحضر كما أرادوا (وشراب) أى من أى أنواعه شاءوا أتتهم به الخدام (بأكواب وأباريق وكأس من معين) (وعندهم قاصرات الطرف)أى عن غير أزواجهن فلا يلتفتن إلى غير بعولتهن(أتراب) أى متساويات فى السن والعمر هذا معنى قول ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب والسدى (هذا ماتوعدون ليوم الحساب) أى هذا الذى ذكرنا من صفة الجنة هى التى وعدها لعباده المتقين التى يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار . ثم أخبر تبارك وتعالى عن الجنة أنه لا فراغ لها ولا زوال ولا انقضاء ولا انتهاء فقال تعالى (إن هذا لرزقنا ماله من نفاد) كقوله عزوجل (ماعندكم ينفدوماعند الله باق) وكقوله جل وعلا (عطاء غير مجذوذ) وكقوله تعالى (لهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع وكـقوله عز وجل (أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الـكافرين النار) والآيات فى هذا كثيرة جدا .

﴿ هَـٰذَا وَإِنَّ لِلطَّـٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَـٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَٰجٌ هَـٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ *قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَـٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى النَّارِ *وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ *أَتَّخَذْنَـٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَـٰرُ *إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ﴾

لما ذكر تبارك وتعالى مآل السعداء ثنى بذكر حال الأشقياء ومرجعهم ومآبهم فى دار معادهم وحسابهم فقال عز وجل (هذا وإن للطاغين) وهم الخارجون عن طاعة الله عز وجل المخالفون لرسل الله صلى الله عليه وسلم (لشر مآب) أى لسوء منقلب ومرجع . ثم فسره بقوله جل وعلا (جهنم يصلونها) أى يدخلونها فتغمرهم من جميع جوانبهم (فبئس المهاد *هذا فليذوقوه حميم وغساق) أما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره ، وأما الغساق فهو ضده وهو البارد الذى لا يستطاع من شدة برده المؤلم ولهذا قال عزوجل (وآخر من شكله أزواج) أى وأشياء من هذا القبيل : الشىء وضده يعاقبون بها قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد رضى الله عنه عن

رسول الله ﷺ أنه قال « لو أن دلوا من غساق يهراق فى الدنيا لأنتن أهل الدنيا » ورواه الترمذى عن سويد ابن نصر عن ابن المبارك عن رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج به ثم قال لا نعرفه إلا من حديث رشدين كذا قال وقد تقدم من غير حديثه ، ورواه ابن جرير عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث به

وقال كعب الأحبار : غساق عين فى جهنم يسيل اليها حمة كل ذات حمة من حية وعقرب وغير ذلك فيستنقع فيؤتى بالآدمى فيغمس فيها غمسة واحدة فيخرج وقد سقط جلده ولحمه عن العظام ويتعلق جلده ولحمه فى كعبيه وعقبيه ويجر لحمه كله كما يجر الرجل ثوبه ، رواه ابن أبى حاتم . وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (وآخر من شكله أزواج) ألوان من العذاب ، وقال غيره كالزمهرير والسموم وشرب الحميم وأكل الزقوم والصعود والهوى إلى غير ذلك من الأشياء المختلفة المتضادة والجميع مما يعذبون به ، ويهانون بسببه وقوله عز وجل (هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) هذا إخبار من الله تعالى عن قيل أهل النار بعضهم لبعض كما قال تعالى (كلما دخلت أمة لعنت أختها) يعنى بدل السلام يتلاعنون ويتكاذبون ويكفر بعضهم ببعض فتقول الطائفة التى تدخل قبل الأخرى إذا أقبلت التى بعدها مع الخزنة من الزبانية (هذا فوج مقتحم) أى داخل (معكم لا مرحبا بهم إنهم صالوا النار) أى لأنهم من أهل جهنم (قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم) أى فيقول لهم الداخلون (بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا) أى أنتم دعوتمونا إلى ما أفضى بنا إلى هذا المصير (فبئس القرار) أى فبئس المنزل والمستقر والمصير (قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار) كما قال عز وجل (قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار * قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون) أى لكل منكم عذاب بحسبه (وقالوا مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الأبصار ؟) هذا إخبار عن الكفار فى النار أنهم يفتقدون رجالا كانوا يعتقدون أنهم على الضلالة وهم المؤمنون فى زعمهم قالوا مالنا لا نراهم معنا فى النار ؟ قال مجاهد هذا قول أبى جهل يقول مالى لا أرى بلالا وعمارا وصهيبا وفلانا وفلانا وهذا ضرب مثل وإلا فكل الكفار هذا حالهم يعتقدون أن المؤمنين يدخلون النار ، فلما دخل الكفار النار افتقدوهم فلم يجدوهم فقالوا (مالنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الأشرار * أتخذناهم سخريا) أى فى الدار الدنيا (أم زاغت عنهم الأبصار ؟) يسلون أنفسهم بالمحال يقولون أو لعلهم معنا فى جهنم ولكن لم يقع بصرنا عليهم ، فعند ذلك يعرفون أنهم فى الدرجات العاليات وهو قوله عز وجل (ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين — إلى قوله — ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) وقوله تعالى (إن ذلك لحق تخاصم أهل النار) أى إن هذا الذى أخبرناك به يا محمد من تخاصم أهل النار بعضهم فى بعض ولعن بعضهم لبعض لحق لا مرية فيه ولا شك

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للكفار بالله المشركين به المكذبين لرسوله إنما أنا منذر لست كما تزعمون (وما من إله إلا الله الواحد القهار) أى هو وحده قد قهر كل شىء وغلبه (رب السموات والأرض وما بينهما) أى هو مالك جميع ذلك ومتصرف فيه (العزيز الغفار) أى غفار مع عظمته وعزته (قل هو نبأ عظيم) أى خبر عظيم وشأن بليغ وهو إرسال الله تعالى إياى اليكم (أنتم عنه معرضون) أى غافلون ، قال مجاهد وشريح القاضى والسدى فى قوله عز وجل (قل هو نبأ عظيم) يعنى القرآن . وقوله تعالى (ما كان لى من علم بالملأ الأعلى إذ يختصمون) أى لولا الوحى من أين كنت أدرى باختلاف الملأ الأعلى ؟ يعنى فى شأن آدم عليه الصلاة والسلام وامتناع إبليس

من السجود له ومحاجته ربه فى تفضيله عليه . فأما الحديث الذى رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا جهضم اليمامى عن يحيى بن أبى كثير عن زيد بن أبى سلام عن أبى سلام عن عبد الرحمن بن عائش عن مالك بن يخامر عن معاذ رضى الله عنه قال احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس فخرج ﷺ سريعا فثوب بالصلاة فصلى وتجوز فى صلاته فلما سلم قال ﷺ « كما أنتم » ثم أقبل إلينا فقال « إنى قمت من الليل فصليت ما قدر لى فنعست فى صلاتى حتى استيقظت فإذا أنا بربى عز وجل فى أحسن صورة فقال يا محمد أتدرى فيم يختصم الملأ الأعلى ، قلت لا أدرى يا رب — أعادها ثلاثا — فرأيته وضع كفه بين كتفى حتى وجدت بردأنامله بين صدرى فتجلى لى كل شىء وعرفت فقال يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى : قلت فى الكفارات . قال وما الكفارات ، قلت نقل الأقدام إلى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال وما الدرجات ؟ قلت إطعام الطعام ولين الكلام والصلاة والناس نيام ، قال سل ، قلت اللهم إنى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فتنة بقوم فتوفنى غير مفتون ، وأسألك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى إلى حبك — وقال رسول الله ﷺ — إنها حق فادرسوها وتعلموها » فهو حديث المنام المشهور ، ومن جعله يقظة فقد غلط وهو فى السنن من طرق ، وهذا الحديث بعينه قد رواه الترمذى من حديث جهضم بن عبد الله اليمامى به ، وقال الحسن صحيح وليس هذا الاختصام هو الاختصام المذكور فى القرآن فان هذا قد فسر ، وأما الاختصام الذى فى القرآن فقد فسر بعد هذا وهو قوله تعالى

﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ * فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ * قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ * قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ * قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾

هذه القصة ذكرها الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة وفى أول سورة الأعراف وفى سورة الحجر وسبحان والكهف وههنا وهى أن الله سبحانه وتعالى أعلم الملائكة قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام بأنه سيخلق بشرا من صلصال من حمأ مسنون وتقدم إليهم بالأمر متى فرغ من خلقه وتسويته فليسجدوا له إكراما وإعظاما واحتراما وامتثالا لأمر الله عز وجل فامتثل الملائكة كلهم ذلك سوى إبليس ولم يكن منهم جنساً . كان من الجن فخانه طبعه وجبلته أحوج ما كان إليه فاستنكف عن السجود لآدم وخاصم ربه عز وجل فيه وادعى أنه خير من آدم فانه مخلوق من نار وآدم خلق من طين والنار خير من الطين فى زعمه ، وقد أخطأ فى ذلك وخالف أمر الله تعالى وكفر بذلك فأبعده الله عز وجل وأرغم أنفه وطرده عن باب رحمته ومحل أنسه ، وحضرة قدسه ، وسماه إبليس إعلاما له بأنه قد أبلس من الرحمة وأنزله من السماء مذموما مدحورا إلى الأرض فسأل الله النظرة إلى يوم البعث فأنظره الحليم الذى لا يعجل على من عصاه . فلما أمن الهلاك إلى يوم القيامة تمرد وطغى وقال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين) كما قال عز وجل (أرأيتك هذا الذى كرمت على * لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) وهؤلاء هم المستثنون

فى الآية الأخرى وهى قوله تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا) وقوله تبارك وتعالى (قال فالحق والحق أقول* لأملئن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) قرأ ذلك جماعة منهم مجاهد برفع الحق الأول وفسره مجاهد بأن معناه أنا الحق والحق أقول وفى رواية عنه . الحق منى وأقول الحق ، وقرأ آخرون بنصبهما قال السدى هو قسم أقسم الله به ﴿ قلت ﴾ وهذه الآية كقوله تعالى (ولكن حق القول منى لأملان جهنم من الجنة والناس أجمعين) وكقوله عز وجل (قال اذهب فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا)

﴿ قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ* إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ* وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد لهؤلاء المشركين ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا (وما أنا من المتكلفين) أى وما أريد على ما أرسلنى الله تعالى به ولا أبتغى زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه ، وإنما أبتغى بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، قال سفيان الثورى عن الأعمش ومنصور عن أبى الضحى عن مسروق قال : أتينا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فقال يا أيها الناس من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم الله أعلم فان الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ (قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين) أخرجاه من حديث الأعمش به ، وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) يعنى القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجن ، قاله ابن عباس رضى الله عنهما ، وروى ابن أبى حاتم عن أبيه عن أبى غسان مالك بن إسماعيل حدثنا قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (للعالمين) قال الجن والإنس ، وهذه الآية كقوله تعالى (لأنذركم به ومن بلغ) وكقوله عز وجل (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وقوله تعالى (ولتعلمن نبأه) أى خبره وصدقه (بعد حين) أى عن قريب قال قتادة بعد الموت وقال عكرمة يعنى يوم القيامة ، ولا منافاة بين القولين فان من مات فقد دخل فى حكم القيامة ، وقال قتادة فى قوله تعالى (ولتعلمن نبأه بعد حين) قال الحسن يا ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين آخر تفسير سورة ص ولله الحمد والمنة والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ تفسير سورة الزمر وهى مكية ﴾

قال النسائى حدثنا محمد بن النضر بن مساور حدثنا حماد عن مروان بن أبى لبابة عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول ما يريد أن يفطر ويفطر حتى نقول ما يريد أن يصوم ، وكان ﷺ يقرأ فى كل ليلة بنى إسرائيل والزمر .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَنزِيلُ الْكِتَبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ * إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَبَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ* أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَذِبٌ كَفَّارٌ* لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾

يخبر تعالى أن تنزيل هذا الكتاب وهو القرآن العظيم من عنده تبارك وتعالى فهو الحق الذى لا مرية فيه ولا شك كما قال عز وجل (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) وقال تبارك وتعالى (وإنه لكتاب عزيز * لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) وقال جل وعلا هاهنا (تنزيل الكتاب من الله العزيز) أى المنيع الجناب (الحكيم) أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره

(إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين) أى فاعبد الله وحده لاشريك له وادع الخلق إلى ذلك وأعلمهم أنه لا تصلح العبادة إلا له وحده وأنه ليس له شريك ولا عديل ولا نديد ولهذا قال تعالى (ألا لله الدين الخالص) أى لا يقبل من العمل إلا ما أخلص فيه العامل لله وحده لا شريك له

وقال قتادة فى قوله تبارك وتعالى (ألا لله الدين الخالص) شهادة أن لا إله إلا الله ثم أخبر عزوجل عن عباد الأصنام من المشركين أنهم يقولون (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم لهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لذلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله تعالى فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به قال قتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد إلا ليقربونا إلى الله زلفى أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده منزله ولهذا كانوا يقولون فى تلبيتهم إذا حجوا فى جاهليتهم لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك . وهذه الشبهة هى التى اعتمدها المشركون فى قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بردها والنهى عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له وأن هذا شىء اخترعه المشركون من عند أنفسهم لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل أبغضه ونهى عنه (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وأخبر أن الملائكة التى فى السموات من الملائكة المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم بغير إذنهم فيما أحبه الملوك وأبوه (فلا تضربوا لله الأمثال) تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً وقوله عز وجل (إن الله يحكم بينهم) أى يوم القيامة (فيما هم فيه يختلفون) أى سيفصل بين الخلائق يوم معادهم ويجزى كل عامل بعمله (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) وقوله عز وجل (إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار) أى لا يرشد إلى الهداية من قصده الكذب والافتراء على الله تعالى وقلبه كافر بآياته وحججه وبراهينه ، ثم بين تعالى أنه لا ولد له كما يزعمه جهلة المشركين فى الملائكة والمعاندون من اليهود والنصارى فى العزير وعيسى فقال تبارك وتعالى (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) أى لكان الأمر على خلاف ما يزعمون وهذا شرط لا يلزم وقوعه ولا جوازه بل هو محال وإنما قصد تجهيلهم فيما ادعوه وزعموه كما قال عزوجل (لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين) (قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) كل هذا من باب الشرط ويجوز تعليق الشرط على المستحيل لمقصد المتكلم وقوله تعالى (سبحانه هو الله الواحد القهار) أى تعالى وتنزه وتقدس عن أن يكون له ولد فانه الواحد الأحد الفرد الصمد الذى كل شىء عبد لديه فقير إليه وهو الغنى عما سواه الذى قد قهر الأشياء فدانت له وذلت وخضعت تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيرا

﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ * خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه الخالق لما فى السموات والأرض وما بين ذلك من الأشياء وبأنه مالك الملك المتصرف فيه يقلب ليله ونهاره (يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل) أى سخرهما يجريان متعاقبين لا يفتران كل منهما يطلب الآخر طلبا حثيثا كقوله تبارك وتعالى (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) هذا معنى ما روى عن ابن عباس رضى الله

عنهما ومجاهد وقتادة والسدى وغيرهم . وقوله عز وجل (وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى) أى إلى مدة معلومة عند الله تعالى ثم ينقضى يوم القيامة (ألا هو العزيز الغفار) أى مع عزته وعظمته وكبريائه هو غفار لمن عصاه ثم تاب وأناب إليه وقوله جلت عظمته (خلقكم من نفس واحدة) أى خلقكم مع اختلاف أجناسكم وأصنافكم وألسنتكم وألوانكم من نفس واحدة وهو آدم عليه الصلاة والسلام (ثم جعل منها زوجها) وهى حواء عليها السلام كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) وقوله تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) أى وخلق لكم من ظهور الأنعام ثمانية أزواج وهى المذكورة فى سورة الأنعام، ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين وقوله عزوجل (يخلقكم فى بطون أمهاتكم) أى قدركم فى بطون أمهاتكم (خلقا من بعد خلق) يكون أحدكم أولا نطفة ثم يكون علقة ثم يكون مضغة ثم يخلق فيكون لحما وعظما وعصبا وعروقا وينفخ فيه الروح فيصير خلقا آخر (فتبارك الله أحسن الخالقين) . وقوله جل وعلا (فى ظلمات ثلاث) يعنى فى ظلمة الرحم وظلمة المشيمة التى هى كالغشاوة والوقاية على الولد وظلمة البطن . كذا قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وأبو مالك والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد . وقوله جل جلاله (ذلكم الله ربكم) أى هذا الذى خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم هو الرب له الملك والتصرف فى جميع ذلك (لا إله إلا هو) أى الذى لا تنبغى العبادة إلا له وحده لا شريك له (فأنى تصرفون) أى فكيف تعبدون معه غيره ؟ أين يذهب بعقولكم ؟

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾

يقول تبارك وتعالى مخبرا عن نفسه تبارك وتعالى أنه الغنى عما سواه من المخلوقات كما قال موسى عليه الصلاة والسلام (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) وفى صحيح مسلم « يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا » . وقوله تعالى (ولا يرضى لعباده الكفر) أى لا يحبه ولا يأمر به (وإن تشكروا يرضه لكم) أى يحبه لكم ويزدكم من فضله (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لا تحمل نفس عن نفس شيئا بل كل مطالب بأمر نفسه (ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم تعملون إنه عليم بذات الصدور) أى فلا تخفى عليه خافية . وقوله عزوجل (وإذا مس الإنسان ضر دعا ربه منيبا إليه)أى عند الحاجة يتضرع ويستغيث بالله وحده لا شريك له كما قال تعالى(وإذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا) ولهذا قال تبارك وتعالى (ثم إذا خوله نعمة منه نسى ما كان يدعو إليه من قبل)أى فى حال الرفاهية ينسى ذلك الدعاء والتضرع كما قال جل جلاله (وإذا مس الإنسان الضر دعانا لجنبه أوقاعدا أو قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كأن لم يدعنا إلى ضر مسه) وقوله تعالى (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله) أى فى حال العافية يشرك بالله ويجعل له أندادا (قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار) أى قل لمن هذه حالته وطريقته ومسلكه تمتع بكفرك قليلا وهو تهديد شديد ووعيد أكيد كقوله تعالى (قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار)وقوله تعالى(نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ)

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾

يقول عز وجل أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أندادا ، لايستوون عند الله كما قال تعالى (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) وقال تبارك وتعالى ههنا (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما) أى فى حال سجوده وفى حال قيامه ولهذا استدل بهذه الآية من ذهب إلى أن القنوت هو الخشوع فى الصلاة ليس هو القيام وحده كما ذهب اليه آخرون . قال الثورى عن فراس عن الشعبى عن مسروق عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال : القانت المطيع لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس رضى الله عنهما والحسن والسدى وابن زيد آناء الليل جوف الليل . وقال الثورى عن منصور بلغنا أن ذلك بين المغرب والعشاء ، وقال الحسن وقتادة آناء الليل أوله وأوسطه وآخره وقوله تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) أى فى حال عبادته خائف راج ولابد فى العبادة من هذا وهذا وأن يكون الخوف فى مدة الحياة هو الغالب ولهذا قال تعالى (يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) فاذا كان عند الاحتضار فليكن الرجاء هو الغالب عليه كما قال الامام عبد بن حميد فى مسنده حدثنا يحيى بن عبد الحميد حدثنا جعفر بن سليمان حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال دخل رسول الله ﷺ على رجل وهو فى الموت فقال له « كيف تجدك ؟ » فقال أرجو وأخاف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايجتمعان فى قلب عبد فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله عز وجل الذى يرجو وأمنه الذى يخافه » . ورواه الترمذى والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث سيار بن حاتم عن جعفر بن سليمان به وقال الترمذى غريب ، وقد رواه بعضهم عن ثابت عن أنس عن النبى ﷺ مرسلا

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمر بن أبى شيبة عن عبيدة النميرى حدثنا أبو خلف بن عبد الله بن عيسى الخراز حدثنا يحيى البكاء أنه سمع ابن عمر رضى الله عنهما يقرأ (أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه) قال ابن عمر ذاك عثمان بن عفان رضى الله عنه وإنما قال ابن عمر رضى الله عنهما ذلك لكثرة صلاة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه بالليل وقراءته حتى إنه ربما قرأ القرآن فى ركعة كما روى ذلك أبو عبيدة عنه رضى الله تعالى عنه ، وقال الشاعر،

ضحوا بأشمط عنوان السجود به يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال الامام أحمد كتب إلى الربيع بن نافع حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن واقد عن سليمان بن موسى عن كثير ابن مرة عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بمائة آية فى ليلة كتب له قنوت ليلة » وكذا رواه النسائى فى اليوم والليلة عن إبراهيم بن يعقوب عن عبد الله بن يوسف والربيع بن نافع كلاهما عن الهيثم بن حميد به . وقوله تعالى (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون) أى هل يستوى هذا والذى قبله ممن جعل لله أنداداً ليضل عن سبيله (إنما يتذكر أولو الألباب) أى إنما يعلم الفرق بين هذا وهذا من له لب وهو العقل والله أعلم .

﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ * قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ * وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين بالاستمرار على طاعته وتقواه (قل ياعباد الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) أى لمن أحسن العمل فى هذه الدنيا حسنة فى دنياهم وأخراهم ،وقوله (وأرض الله واسعة)قال مجاهد

فهاجروا فيها وجاهدوا واعتزلوا الأوثان ، وقال شريك عن منصور عن عطاء فى قوله تبارك وتعالى (وأرض الله واسعة) قال إذا دعيتم إلى معصيته فاهربوا ثم قرأ (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها) وقوله وتعالى (وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) قال الأوزاعى ليس يوزن لهم ولا يكال لهم إنما يغرف لهم غرفا ، وقال ابن جريج بلغنى أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط ، ولكن يزادون على ذلك ، وقال السدى (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) يعنى فى الجنة . وقوله (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى إنما أمرت باخلاص العبادة لله وحده لاشريك له (وأمرت لأن أكون أول المسلمين) قال السدى يعنى من أمته ﷺ

﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي * فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ﴾

يقول تعالى قل يا محمد وأنت رسول الله (إنى أخاف إن عصيت ربى عذاب يوم عظيم) وهو يوم القيامة وهذا شرط ومعناه التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى (قل الله أعبد مخلصا له دينى فاعبدوا ماشئتم من دونه) وهذا أيضا تهديد وتبر منهم (قل إن الخاسرين) أى إنما الخاسرون كل الخسران (الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة) أى تفارقوا فلا التقاء لهم أبدا وسواء ذهب أهلوهم إلى الجنة وقد ذهبوا هم إلى النار أو أن الجميع أسكنوا النار ولكن لاجتماع لهم ولاسرور (ألا ذلك هو الخسران المبين) أى هذا هو الخسران المبين الظاهر الواضح ثم وصف حالهم فى النار فقال (لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل) كما قال عز وجل (لهم من جهنم مهاد . ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين)

وقال تعالى (يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون) وقوله جل جلاله (ذلك يخوف الله به عباده) أى إنما يقص خبر هذا الكائن لامحالة ليخوف به عباده لينزجروا عن المحارم والمآثم . وقوله تعالى (يا عباد فاتقون) أى اخشوا بأسى وسطوتى وعذابى ونقمتى

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها) نزلت فى زيد بن عمرو بن نفيل وأبى ذر وسلمان الفارسى رضى الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب . إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ثم قال عز وجل (فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) أى يفهمونه ويعملون بما فيه كقوله تبارك وتعالى لموسى عليه الصلاة والسلام حين آتاه التوراة (فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها) (أولئك الذين هداهم الله) أى المتصفون بهذه الصفة هم الذين هداهم الله فى الدنيا والآخرة (وأولئك هم أولو الألباب) أى ذوو العقول الصحيحة والفطر المستقيمة

﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ * لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴾

يقول تعالى أفمن كتب الله أنه شقى تقدر تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك ؟ أى لايهديه أحد من بعد الله لأنه

من يضلل الله فلا هادى له ومن يهده فلا مضل له . ثم أخبر عز وجل عن عباده السعداء أن لهم غرفا فى الجنة وهى القصور أى الشاهقة (من فوقها غرف مبنية) طباق فوق طباق مبنيات محكمات مزخرفات عاليات . قال عبدالله ابن الإمام أحمد حدثنا عباد بن يعقوب الأسدى ثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها » فقال أعرابى لمن هى يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام » ورواه الترمذى من حديث عبد الرحمن بن إسحاق وقال حسن غريب . وقد تكلم بعض أهل العلم فيه من قبل حفظه وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن يحيى بن أبى كثير عن ابن معانق أو أبى معانق عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن فى الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام » تفرد به أحمد من حديث عبد الله بن معانق الأشعرى عن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه به وقال الإمام أحمد حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون الغرفة فى الجنة كما تراءون الكوكب فى أفق السماء » قال فحدثت بذلك النعمان بن أبى عياش فقال سمعت أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول « كما تراءون الكوكب الدرى فى الأفق الشرقى أو الغربى » أخرجاه فى الصحيحين من حديث أبى حازم وأخرجاه أيضا فى الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . وقال الإمام أحمد حدثنا فزارة أخبرنى فليح عن هلال بن على عن عطاء ابن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن أهل الجنة ليتراءون فى الجنة أهل الغرف كما تراءون الكوكب الدرى الغارب فى الأفق الطالع فى تفاضل أهل الدرجات - فقالوا يارسول الله أولئك النبيون ؟ فقال ﷺ - « بلى والذى نفسى بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا الرسل » ورواه الترمذى عن سويد عن ابن المبارك عن فليح به وقال حسن صحيح . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا ثنا زهير ثنا سعد الطائى ثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين رضى الله عنها أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قلنا يارسول الله إنا إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة فإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد قال ﷺ « لو أنكم تكونون على كل حال على الحال التى أنتم عليها عندى لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم فى بيوتكم ، ولو لم تذنبوا لجاء الله عز وجل بقوم يذنبون كى يغفر لهم » قلنا يارسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها ؟ قال ﷺ « لبنة ذهب ولبنة فضة وملاطها المسك الأذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها الزعفران من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت ، لاتبلى ثيابه ولا يفنى شبابه ، ثلاثة لاترد دعوتهم : الإمام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب تبارك وتعالى وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » وروى الترمذى وابن ماجه بعضه من حديث سعد بن أبى مجاهد الطائى وكان ثقة عن أبى المدله وكان ثقة به وقوله تعالى (تجرى من تحتها الأنهار) أى تسلك الأنهار بين خلال ذلك كما يشاءوا وأين أرادوا (وعد الله) أى هذا الذى ذكرناه وعد وعده الله عباده المؤمنين (إن الله لا يخلف الميعاد)

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾

يخبر تعالى أن أصل الماء فى الأرض من السماء كما قال عز وجل (وأنزلنا من السماء ماء طهورا) فاذا أنزل الماء من

رسول الله ﷺ من قبلك أوصيك بتقوى الله فانه رأس كل شيء وعليك بالجهاد فانه رهبانية الإسلام وعليك بذكر الله وتلاوة القرآن فانه روحك فى السماء وذكرك فى الأرض . تفرد به أحمد والله تعالى أعلم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

قد تقدم فى رواية النسائى عن ابن عباس أنه حمل هذه الآية على مؤمنى أهل الكتاب وأنهم يؤتون أجرهم مرتين كما فى الآية التى فى القصص وكما فى حديث الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بى فله أجران ، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه فله أجران ، ورجل أدب أمته فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران » أخرجاه فى الصحيحين ووافق ابن عباس على هذا التفسير الضحاك وعتبة بن أبى حكيم وغيرهما وهو اختيار ابن جرير ، وقال سعيد ابن جبير لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى عليه هذه الآية فى حق هذه الأمة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين) أى ضعفين (من رحمته) وزادهم (ويجعل لكم نورا تمشون به) يعنى هدى يتبصر به من العمى والجهالة ويغفر لكم ، ففضلهم بالنور والمغفرة رواه ابن جرير عنه . وهذه الآية كقوله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم) وقال سعيد بن عبد العزيز سأل عمر بن الخطاب حبرا من أحبار يهود أفضل ماضعف لكم حسنة قال كفل ثلاثمائة وخمسين حسنة قال فحمد الله عمر على أنه أعطانا كفلين ثم ذكر سعيد قول الله عز وجل (يؤتكم كفلين من رحمته) قال سعيد والكفلان فى الجمعة مثل ذلك رواه ابن جرير . ومما يؤيد هذا القول ماروا الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لى من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت اليهود ، ثم قال من يعمل لى من صلاة الظهر إلى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ ألا فعملت النصارى ، ثم قال من يعمل لى من صلاة العصر إلى غروب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين عملتم ، فغضبت النصارى واليهود وقالوا نحن أكثر عملا وأقل عطاء قال هل ظلمتكم من أجركم شيئا ؟ قالوا لا ، قال فانما هو فضلى أوتيه من أشاء » قال أحمد وحدثناه مؤمل عن سفيان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر نحو حديث نافع عنه انفرد بإخراجه البخارى فرواه عن سليمان بن حرب عن حماد عن نافع به ، وعن قتيبة عن الليث عن نافع بمثله . وقال البخارى حدثنى محمد بن العلاء حدثنا أبو أسامة عن يزيد عن أبى بردة عن أبى موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استعمل قوما يعملون له عملا يوما إلى الليل على أجر معلوم فعملوا إلى نصف النهار فقالوا لاحاجة لنا فى أجرك الذى شرطت لنا وماعملنا باطل فقال لهم لاتفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملا فأبوا وتركوا واستأجر آخرين بعدهم فقال أكملوا بقية يومكم ولكم الذى شرطت لهم من الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلوا العصر . قالوا ماعملنا باطل ولك الأجر الذى جعلت لنا فيه . فقال أكملوا بقية عملكم فانما بقى من النهار شىء يسير فأبوا . فاستأجر قوما أن يعملوا له بقية يومهم فعملوا بقية يومهم حتى غابت الشمس فاستكملوا أجرة الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ماقبلوا من هذا النور » انفرد به البخارى ولهذا قال تعالى (لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله) أى ليتحققوا انهم لايقدرون على رد ما أعطاه الله ولا إعطاء مامنع الله (وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) والله ذو الفضل العظيم) قال ابن جرير (لئلا يعلم أهل الكتاب) أى ليعلم وقد ذكر عن ابن مسعود أنه قرأها لكى يعلم

وكذا عطاء بن عبد الله وسعيد بن جبير : قال ابن جرير لأن العرب تجعل لا صلة فى كل كلام دخل فى أوله أو آخره جحد غير مصرح فالسابق كقوله (مامنعك ألا تسجد) (وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون) بالله (وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) آخر تفسير سورة الحديد ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المجادلة مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾

قال الإمام على أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة قالت الحمد لله الذى وسع سمعه الأصوات لقد جاءت المجادلة إلى النبى ﷺ تكلمه وأنا فى ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) إلى آخر الآية وهكذا رواه البخارى فى كتاب التوحيد تعليقا فقال وقال الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة فذكره وأخرجه النسائى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من غير وجه عن الأعمش به . وفى رواية لابن أبى حاتم عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة عن عائشة أنها قالت تبارك الذى أوعى سمعه كل شىء إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى على بعضه وهى تشتكى زوجها إلى رسول الله ﷺ وهى تقول يارسول الله أكل مالى وأفنى شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبرت سنى وانقطع ولدى ظاهر منى اللهم إنى أشكو إليك قالت فما برحت حتى أنزل جبريل بهذه الآية (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها) قالت وزوجها أوس بن الصامت ، وقال ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة عن أوس بن الصامت وكان أوس امرءا به لمم فكان إذا أخذه لممه واشتد به يظاهر من امرأته وإذا ذهب لم يقل شيئاً فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستفتيه فى ذلك وتشتكى إلى الله فأنزل الله (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله) الآية وهكذا روى هشام بن عروة عن أبيه أن رجلا كان به لمم فذكر مثله وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا موسى بن إسماعيل أبو سلمة حدثنا جرير يعنى ابن حازم قال سمعت أبا يزيد يحدث قال لقيت امرأة عمر يقال لها خولة بنت ثعلبة وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه ووضع يديه على منكبيها حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجلات قريش على هذه العجوز قال ويحك وتدرى من هذه ؟ قال لا قال هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضى حاجتها إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضى حاجتها . هذا منقطع بين أبى يزيد وعمر بن الخطاب وقد روى من غير هذا الوجه . وقال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا المنذر بن شاذان حدثنا يعلى حدثنا زكريا عن عامر قال المرأة التى جادلت فى زوجها خولة بنت الصامت وأمها معاذة التى أنزل الله فيها (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا) صوابه خولة امرأة أوس بن الصامت

﴿ الذين يظهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور * والذين يظهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير * فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا سعد بن إبراهيم ويعقوب قالا حدثنا أبي حدثنا محمد بن إسحاق حدثني معمر بن عبد الله بن حنظلة عن يوسف بن عبد الله بن سلام عن خويلة بنت ثعلبة قالت في والله وفي أوس بن الصامت أنزل الله صدر سورة المجادلة قالت كنت عنده وكان شيخاً كبيراً قد ساء خلقه قالت فدخل علي يوما فراجعته بشيء فغضب فقال أنت علي كظهر أمي . قالت ثم خرج فجلس في نادي قومه ساعة ثم دخل علي فإذا هو يريدني عن نفسي قالت قلت كلا والذي نفس خويلة بيده لاتخلص إلي وقد قلت ماقلت حتى يحكم الله ورسوله فينا بحكمه قالت قواثبني فامتنعت منه فغلبته بما تغلب به المرأة الشيخ الضعيف فألقيته عني قالت ثم خرجت إلى بعض جاراتي فاستعرت منها ثيابا ثم خرجت حتى جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست بين يديه فذكرت له مالقيت منه وجعلت أشكو إليه ماألقى من سوء خلقه قالت فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يا خويلة ابن عمك شيخ كبير فاتقي الله فيه » قالت فوالله مابرحت حتى نزل في قرآن ، فتغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماكان يتغشاه ثم سري عنه فقال لي « ياخويلة قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا - ثم قرأ علي - قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير - إلى قوله تعالى - وللكافرين عذاب أليم) » قالت فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « مريه فليعتق رقبة » قالت فقلت يارسول ما عنده مايعتق قال « فليصم شهرين متتابعين » قالت فقلت والله إنه لشيخ كبير مابه من صيام قال « فليطعم ستين مسكينا وسقا من تمر » قالت فقلت والله يارسول الله ماذاك عنده قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانا سنعينه بفرق من تمر » قالت فقلت يارسول الله وأنا سأعينه بفرق آخر قال « قد أصبت وأحسنت فاذهبي فتصدقي به عنه ثم استوصي بابن عمك خيراً » قالت ففعلت . ورواه أبو داود في كتاب الطلاق من سننه من طريقين عن محمد بن إسحاق بن يسار به وعنده خولة بنت ثعلبة ويقال لها خولة بنت مالك بن ثعلبة وقد تصغر فيقال خويلة ولا منافاة بين هذه الأقوال فالأمر فيها قريب والله أعلم هذا هو الصحيح في سبب نزول هذه السورة ، فأما حديث سلمة بن صخر فليس فيه أنه كان سبب النزول ولكن أمر بما أنزل الله في هذه السورة ، من العتق أو الصيام أو الاطعام ، كما قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا محمد بن اسحاق بن يسار عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سليمان بن يسار عن سلمة بن صخر الأنصاري قال كنت امرأ قد أوتيت من جماع النساء مالم يؤت غيري فلما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقا من أن أصيب في ليلتي شيئا فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار وأنا لا أقدر أن أنزع فبينما هي تخدمني من الليل إذ تكشف لي منها شيء فوثبت عليها فلما أصبحت غدوت على قومي فأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بأمري ، فقالوا لا والله لانفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالة يبقى علينا عارها ، ولكن اذهب أنت فاصنع مابدا لك قال فخرجت حتى أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبري فقال لي « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك فقال « أنت بذاك » فقلت أنا بذاك قال « أنت بذاك » قلت نعم ها أناذا فأمض في حكم الله عز وجل فاني صابر له قال « أعتق رقبة » قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ماأصبحت أملك غيرها قال « فصم شهرين متتابعين » قلت يارسول الله وهل أصابني ماأصابني إلا في الصيام قال « فتصدق » فقلت والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشا مالنا عشاء قال « اذهب الى صاحب صدقة بني رزيق فقل له فليدفعها اليك فأطعم عنك منها وسقا من تمر ستين مسكينا ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك » قال فرجعت إلى قومي فقلت وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي ، ووجدت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم السعة والبركة قد أمر لي بصدقتكم فادفعوها إلي فدفعوها إلي ، وهكذا رواه أبو داود وابن ماجه واختصره الترمذي وحسنه وظاهر السياق أن هذه القصة كانت بعد قصة أوس بن الصامت وزوجته خويلة بنت ثعلبة كما دل عليه سياق تلك وهذه بعد

التأمل قال خصيف عن مجاهد عن ابن عباس أول من ظاهر من امرأته أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت وامرأته خولة بنت ثعلبة بن مالك فلما ظاهر منها خشيت أن يكون ذلك طلاقا فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن أوسا ظاهر منى وإنا إن افترقنا هلكنا وقد نثرت بطنى منه وقدمت صحبته وهى تشكو ذلك وتبكى ولم يكن جاء فى ذلك شيء فأنزل الله تعالى (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله — إلى قوله تعالى — وللكافرين عذاب أليم) فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أتقدر على رقبة تعتقها » قال لا والله يارسول الله ما أقدر عليها قال فجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أعتق عنقه ثم راجع أهله رواه ابن جرير ولهذا ذهب ابن عباس والأكثرون إلى ماقلناه والله أعلم فقوله تعالى (الذين يظاهرون منكم من نسائهم) أصل الظهار مشتق من الظهر وذلك أن الجاهلية كانوا إذا ظاهر أحدهم من امرأته قال لها أنت على كظهر أمى ثم فى الشرع كان الظهار فى سائر الأعضاء قياسا على الظهر وكان الظهار عند الجاهلية طلاقا فأرخص الله لهذه الأمة وجعل فيه كفارة ولم يجعله طلاقا كما كانوا يعتمدونه فى جاهليتهم هكذا قال غير واحد من السلف قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله بن موسى عن أبى حمزة عن عكرمة عن ابن عباس قال كان الرجل إذا قال لامرأته فى الجاهلية أنت على كظهر أمى حرمت عليه ، فكان أول من ظاهر فى الاسلام أوس وكان تحته ابنة عم له يقال لها خويلة بنت ثعلبة فظاهر منها فأسقط فى يديه ، وقال ماأراك إلا قد حرمت على وقالت له مثل ذلك قال فانطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدت عند ماشطة تمشط رأسه فقال « ياخويلة » ما أمرنا فى أمرك بشيء ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال « ياخويلة أبشرى » قالت خيرا فقرأ عليها (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما — إلى قوله تعالى — والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا) قالت وأى رقبة لنا والله مايجد رقبة غيرى قال (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين) قالت والله لولا انه يشرب فى اليوم ثلاث مرات لذهب بصره قال (فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا) قالت من أين ما هى إلا أكلة إلى مثلها قال فدعا بشطر وسق ثلاثين صاعا والوسق ستون صاعا فقال : ليطعم ستين مسكينا وليراجعك . وهذا إسناد جيد قوى وسياق غريب ، وقد روى عن أبى العالية نحو هذا .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروى حدثنا على بن العاصم عن دواد بن أبى هند عن أبى العالية قال: كانت خولة بنت دليج تحت رجل من الأنصار وكان ضرير البصر فقيرا سيء الخلق ، وكان طلاق أهل الجاهلية إذا أراد الرجل أن يطلق امرأته قال أنت على كظهر أمى وكان لها منه عيل أو عيلان فنازعته يوما فى شيء فقال أنت على كظهر أمى فاحتملت عليها ثيابها حتى دخلت على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيت عائشة وعائشة تغسل شق رأسه فقدمت عليه ومعها عيلها فقالت يارسول الله إن زوجى ضرير البصر فقير لا شيء له سيء الخلق وإنى نازعته فى شيء فغضب فقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق ولى منه عيل أو عيلان فقال « ما أعلمك إلا قد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بى وأباصبيتى قالت ودارت عائشة فغسلت شق رأسه الآخر فدارت معها فقالت يارسول الله زوجى ضرير البصر فقير سيء الخلق وإن لى منه عيلا أو عيلين وإنى نازعته فى شيء فغضب وقال أنت على كظهر أمى ولم يرد به الطلاق قالت فرفع إلى رأسه وقال «ماأعلمك الاقد حرمت عليه » فقالت أشكو إلى الله ما نزل بى وأباصبيتى قال ورأت عائشة وجه النبى صلى الله عليه وسلم تغير فقالت لها وراءك وراءك فتنحت فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غشيانه ذلك ما شاء الله فلما انقطع الوحى قال ياعائشة أين المرأة فدعتها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « اذهبى فأتينى بزوجك » فانطلقت تسعى فجاءت به فاذا هو كما قالت ضرير البصر فقير سيء الخلق فقال النبى صلى الله عليه وسلم « أستعيذ بالله السميع العليم (بسم الله الرحمن الرحيم * قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها — إلى قوله — والذين يظاهرون من نسائهم . ثم يعودون لما قالوا) » قال النبى صلى الله عليه وسلم « أتجد رقبة تعتقها من قبل أن تمسها » قال لا قال «أفلاتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال والذى بعثك بالحق إنى إذا لم آكل المرتين

والثلاث يكاد أن يعشو بصرى قال « أفتستطيع أن تطعم ستين مسكينا ؟ » قال لا إلا أن تعينى قال فأعانه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « أطعم ستين مسكينا » قال وحول الله الطلاق فجعله ظهارا ورواه ابن جرير عن ابن المثنى عن عبد الأعلى عن داود سمعت أبا العالية فذكر نحوه بأخصر من هذا السياق ، وقال سعيد بن جبير كان الايلاء والظهار من طلاق الجاهلية فوقت الله الايلاء أربعة أشهر وجعل فى الظهار الكفارة رواه ابن أبى حاتم بنحوه وقد استدل الإمام مالك على أن الكافر لا يدخل فى هذه الآية بقوله منكم فالخطاب للمؤمنين وأجاب الجمهور بأن هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له ، واستدل الجمهور عليه بقوله (من نسائهم) على أن الأمة لا ظهار منها ولا تدخل فى هذا الخطاب وقوله تعالى (ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم) أى لا تصير المرأة بقول الرجل أنت على كأمى أومثل أمى أو كظهر أمى وما أشبه ذلك لا تصير أمه بذلك إنما أمه التى ولدته ولهذا قال تعالى (وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا) أى كلاما فاحشا باطلا (وإن الله لعفو غفور) أى عما كان منكم فى حال الجاهلية ، وهكذا أيضا عما خرج من سبق اللسان ولم يقصد إليه التكلم كما رواه أبو داود أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يقول لامرأته يا أختى فقال « أختك هى ؟ » فهذا إنكار ولكن لم يحرمها عليه بمجرد ذلك لأنه لم يقصده ولو قصده لحرمت عليه لأنه لافرق على الصحيح بين الأم وبين غيرها من سائر المحارم من أخت وعمة وخالة وما أشبه ذلك

وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) اختلف السلف والأئمة فى المراد بقوله تعالى (ثم يعودون لما قالوا) فقال بعض الناس العود هو أن يعود إلى لفظ الظهار فيكرره وهذا القول باطل وهو اختيار ابن حزم وقول داود حكاه أبو عمر بن عبد البر عن بكير بن الأشج والفراء وفرقة من أهل الكلام ، وقال الشافعى هو أن يمسكها بعد الظاهرة زمانا يمكنه أن يطلق فيه فلا يطلق ، وقال أحمد بن حنبل هو أن يعود إلى الجماع أو يعزم عليه فلا تحل له حتى يكفر بهذه الكفارة ، وقد حكى عن مالك أنه العزم على الجماع أو الامساك ، وعنه أنه الجماع ، وقال أبو حنيفة هو أن يعود إلى الظهار بعد تحريمه ورفع ما كان عليه أمر الجاهلية فمتى ظاهر الرجل من امرأته فقد حرمها تحريما لا يرفعه إلا الكفارة وإليه ذهب أصحابه والليث بن سعد وقال ابن لهيعة حدثنى عطاء عن سعيد بن جبير (ثم يعودون لما قالوا) يعنى يريدون أن يعودوا فى الجماع الذى حرموه على أنفسهم ، وقال الحسن البصرى يعنى الغشيان فى الفرج وكان لا يرى بأسا أن يغشى فيما دون الفرج قبل أن يكفر ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (من قبل أن يتماسا) والمس النكاح وكذا قال عطاء والزهرى وقتادة ومقاتل بن حيان وقال الزهرى ليس له أن يقبلها ولا يمسها حتى يكفر . وقد روى أهل السنن من حديث عكرمة عن ابن عباس أن رجلا قال : يا رسول الله إنى ظاهرت من امرأتى فوقعت عليها قبل أن أكفر فقال « ما حملك على ذلك يرحمك الله » قال رأيت خلخالها فى ضوء القمر قال « فلا تقربها حتى تفعل ما أمرك الله عزوجل » وقال الترمذى حسن غريب صحيح ورواه أبو داود والنسائى من حديث عكرمة مرسلا قال النسائى وهو أولى بالصواب وقوله تعالى (فتحرير رقبة) أى فاعتاق رقبة كاملة من قبل أن يتماسا فهنا الرقبة مطلقة غير مقيدة بالإيمان وفى كفارة القتل مقيدة بالإيمان فحمل الشافعى رحمه الله ما أطلق ههنا على ما قيد هناك لاتحاد الموجب وهو عتق الرقبة واعتضد فى ذلك بما رواه عن مالك بسنده عن معاوية بن الحكم السلمى فى قصة الجارية السوداء وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعتقها فانها مؤمنة » وقد رواه أحمد فى مسنده ومسلم فى صحيحه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا يوسف بن موسى حدثنا عبد الله بن نمير عن إسماعيل بن مسلم بن يسار عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال إنى ظاهرت من امرأتى ثم وقعت عليها قبل أن أكفر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم يقل الله تعالى من قبل أن يتماسا » قال أعجبتنى ، قال « أمسك حتى تكفر » ثم قال البزار لا يروى عن ابن عباس بأحسن من هذا وإسمعيل بن مسلم تكلم فيه وروى عنه جماعة كثيرة من أهل العلم وفيه من الفقة أنه لم يأمره إلا بكفارة واحدة وقوله تعالى (ذلكم توعظون به) أى تزجرون به (والله بما تعملون خبير) أى خبير بما يصلحكم عليم بأحوالكم

وقوله تعالى (فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطيع فاطعام ستين مسكينا) قد تقدمت الأحاديث الآمرة بهذا على الترتيب كما ثبت فى الصحيحين فى قصة الذى جامع امرأته فى رمضان (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله) أى شرعنا هذا لهذا وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أى محارمه فلا تنتهكوها وقوله تعالى (وللكافرين عذاب أليم) أى الذين لم يؤمنوا ولا التزموا بأحكام هذه الشريعة لا تعتقدوا أنهم ناجون من البلاء كلا ليس الأمر كما زعموا بل لهم عذاب أليم أى فى الدنيا والآخرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾

يخبر تعالى عمن شاقوا الله ورسوله وعاندوا شرعه (كبتوا كما كبت الذين من قبلهم) أى أهينوا ولعنوا وأخزوا كما فعل بمن أشبههم ممن قبلهم (وقد أنزلنا آيات بينات) أى واضحات لا يعاندها ولا يخالفها إلا كافر فاجر مكابر (وللكافرين عذاب مهين) أى فى مقابلة ما استكبروا عن اتباع شرع الله والانقياد له والخضوع لديه

ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) وذلك يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد (فينبئهم بما عملوا) أى فيخبرهم بالذى صنعوا من خير وشر (أحصاه الله ونسوه) أى ضبطه الله وحفظه عليهم وهم قد نسوا ما كانوا عملوا (والله على كل شىء شهيد) أى لا يغيب عنه شىء ولا يخفى ولا ينسى شيئا ، ثم قال تعالى مخبرا عن إحاطة علمه بخلقه واطلاعه عليهم وسماعه كلامهم ورؤيته مكانهم حيث كانوا وأين كانوا فقال تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة) أى من سر ثلاثة (إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا) أى مطلع عليهم يسمع كلامهم وسرهم ونجواهم ورسله أيضا مع ذلك تكتب ما يتناجون به مع علم الله به وسمعه له كما قال تعالى (ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب) وقال تعالى (أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ؟ بلى ورسلنا لديهم يكتبون) ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أن المراد بهذه الآية معية علمه تعالى ولا شك فى إرادة ذلك ، ولكن سمعه أيضا مع علمه محيط بهم وبصره نافذ فيهم فهو سبحانه وتعالى مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شىء ، ثم قال تعالى (ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شىء عليم) قال الإمام أحمد افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم .

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ

﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) قال اليهود، وكذا قال مقاتل ابن حيان وزاد كان بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين اليهود موادعة وكانوا إذا مر بهم الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلسوا يتناجون بينهم حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره المؤمن فإذا رأى المؤمن ذلك خشيهم فترك طريقه عليهم فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عن النجوى فلم ينتهوا وعادوا إلى النجوى فأنزل الله تعالى (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم ابن المنذر الحزامي حدثني سفيان بن حمزة عن كثير عن زيد عن ربيح بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه عن جده قال: كنا نتناوب رسول الله صلى الله عليه وسلم نبيت عنده يطرقه من الليل أمر وتبدو له حاجة فلما كانت ذات ليلة كثر أهل النوب والمحتسبون حتى كنا أندية نتحدث فخرج علينا رسول الله ﷺ فقال « ما هذه النجوى؟ ألم تنهوا عن النجوى؟ » قلنا تبنا إلى الله يارسول الله إنا كنا في ذكر المسيح فرقا منه فقال « ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي منه؟ » قلنا بلى يا رسول الله! قال « الشرك الخفي أن يقوم الرجل يعمل لمكان رجل» هذا إسناد غريب وفيه بعض الضعفاء. وقوله تعالى (ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي يتحدثون فيما بينهم بالاثم وهو ما يختص بهم (والعدوان) وهو ما يتعلق بغيرهم ومنه معصية الرسول ومخالفته يصرون عليها ويتواصون بها وقوله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن نمير عن الأعمش عن مسروق عن عائشة قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود فقالوا السام عليك يا أبا القاسم فقالت عائشة: وعليكم السام قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا عائشة إن الله لا يحب الفحش ولا التفحش» قلت ألا تسمعهم يقولون السام عليك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو ما سمعت أقول وعليكم؟ » فأنزل الله تعالى (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) وفي رواية في الصحيح أنها قالت لهم: عليكم السام والذام واللعنة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إنه يستجاب لنا فيهم ولا يستجاب لهم فينا » وقال ابن جرير: حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو جالس مع أصحابه إذ أتى عليهم يهودي فسلم عليهم فردوا عليه فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون ما قال؟ » قالوا سلم يارسول الله قال « بل قال سام عليكم » أي تسامون دينكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ردوه » فردوه عليه فقال نبي الله « أقلت سام عليكم» قال نعم فقال رسول الله ﷺ « إذا سلم عليكم أحد من أهل الكتاب فقولوا عليك » أي عليك ما قلت، وأصل حديث أنس مخرج في الصحيح وهذا الحديث في الصحيح عن عائشة بنحوه

وقوله تعالى (ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) أي يفعلون هذا ويقولون ما يحرفون من الكلام وإيهام السلام وإنما هو شتم في الباطن ومع هذا يقولون في أنفسهم لو كان هذا نبياً لعذبنا الله بما نقول له في الباطن لأن الله يعلم ما نسره فلو كان هذا نبياً حقاً لأوشك أن يعاجلنا الله بالعقوبة في الدنيا فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) أي جهنم كفايتهم في الدار الآخرة (يصلونها فبئس المصير)، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد عن عطاء ابن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن اليهود كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم سام عليك ثم يقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول؟ فنزلت هذه الآية (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) إسناد حسن ولم يخرجوه؛ وقال العوفي عن ابن عباس (وإذا جاءوك حيوك بما لم يحيك به الله) قال كان المنافقون يقولون لرسول الله ﷺ إذا حيوه سام عليك قال الله تعالى (حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير) ثم قال الله تعالى مؤدباً عباده المؤمنين أن لا يكونوا مثل الكفرة والمنافقين (يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول) أي كما يتناجى به الجهلة

من كفرة أهل الكتاب ومن مالأهم على ضلالهم من المنافقين (وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى إليه تحشرون) أى فيخبركم بجميع أعمالكم وأقوالكم التى قد أحصاها عليكم وسيجزيكم بها ،قال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن محرز قال : كنت آخذاً بيد ابن عمر إذ عرض له رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى النجوى يوم القيامة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله يدنى المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه ويقول له أتعرف ذنب كذا كذا ؟ أتعرف ذنب كذا كذا ؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى فى نفسه أن قد هلك قال فانى قد سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته ، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين » أخرجاه فى الصحيحين من حديث قتادة

ثم قال تعالى (إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون) أى إنما النجوى وهى المسارة حيث يتوهم مؤمن بها سوءا (من الشيطان ليحزن الذين آمنوا) يعنى إنما يصدر هذا من التناجين عن تسويل الشيطان وتزيينه (ليحزن الذين آمنوا) أى ليسوءهم وليس ذلك بضارهم شيئا إلا باذن الله ومن أحس من ذلك شيئا فليستعذ بالله وليتوكل على الله فانه لا يضره شىء باذن الله

وقد وردت السنة بالنهى عن التناجى حيث يكون فى ذلك تأذ على مؤمن كما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع وأبو معاوية قالا: حدثنا الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه» أخرجاه من حديث الأعمش . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث إلا باذنه فان ذلك يحزنه » انفرد باخراجه مسلم عن أبى الربيع وأبى كامل كلاهما عن حماد بن زيد عن أيوب به

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾

يقول تعالى مؤدبا عباده المؤمنين وآمرا لهم أن يحسن بعضهم إلى بعض فى المجالس (يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس) وقرىء (فى المجلس) (فافسحوا يفسح الله لكم)وذلك أن الجزاء من جنس العمل كما جاء فى الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتاً فى الجنة » وفى الحديث الآخر « ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه » ولهذا أشباه كثيرة ولهذا قال تعالى (فافسحوا يفسح الله لكم) قال قتادة نزلت هذه الآية فى مجالس الذكر وذلك أنهم كانوا إذا رأوا أحدهم مقبلا ضنوا بمجالسهم عند رسول الله ﷺ فأمرهم الله تعالى أن يفسح بعضهم لبعض . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الجمعة وكان رسول الله ﷺ يومئذ فى الصفة وفى المكان ضيق وكان يكرم أهل بدر من المهاجرين والأنصار فجاء ناس من أهل بدر وقد سبقوا إلى المجالس فقاموا حيال رسول الله ﷺ فقالوا السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته فرد النبى ﷺ عليهم ثم سلموا على القوم بعد ذلك فردوا عليهم فقاموا على أرجلهم ينتظرون أن يوسع لهم فعرف النبى ﷺ ما يحملهم على القيام فلم يفسح لهم فشق ذلك على النبى صلى الله عليه وسلم فقال لمن حوله من المهاجرين والأنصار من غير أهل بدر « قم يا فلان وأنت يا فلان» فلم يزل يقيمهم بعدة النفر الذين هم قيام بين يديه من المهاجرين والأنصار أهل بدر فشق ذلك على من أقيم من مجلسه وعرف النبى صلى الله عليه وسلم الكراهة فى وجوههم فقال المنافقون ألستم تزعمون أن صاحبكم هذا يعدل بين الناس ؟ والله ما رأيناه قبل عدل على هؤلاء إن قوما أخذوا مجالسهم وأحبوا القرب من نبيهم فأقامهم وأجلس من أبطأ عنه فبلغنا أن رسول الله صلى الله

عليه وسلم قال « رحم الله رجلا يفسح لأخيه » فجعلوا يقومون بعد ذلك سراعا فيفسح القوم لاخوانهم ونزلت هذه الآية يوم الجمعة . رواه ابن أبي حاتم وقد قال الامام أحمد والشافعي حدثنا سفيان عن أيوب عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « لا يقم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا » وأخرجاه في الصحيحين من حديث نافع به . وقال الشافعي أخبرنا عبد المجيد عن ابن جريج قال : قال سليمان بن موسى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « لا يقيمن أحدكم أخاه يوم الجمعة ولكن ليقل افسحوا » على شرط السنن ولم يخرجوه. وقال الامام أحمد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا فليح عن أيوب عن عبد الرحمن بن صعصعة عن يعقوب بن أبي يعقوب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لايقم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » ورواه أيضا عن شريح بن يونس ويونس بن محمد المؤدب عن فليح به ولفظه « لايقوم الرجل للرجل من مجلسه ولكن افسحوا يفسح الله لكم » تفرد به أحمد . وقد اختلف الفقهاء في جواز القيام للوارد إذا جاء على أقوال: فمنهم من رخص في ذلك محتجا بحديث « قوموا إلى سيدكم » ومنهم من منع من ذلك محتجا بحديث « من أحب أن يتمثل له الرجال قياما فليتبوأ مقعده من النار » ومنهم من فصل فقال يجوز عند القدوم من سفر وللحاكم في محل ولايته كما دل عليه قصة سعد بن معاذ فانه لما استقدمه النبي ﷺ حاكما في بني قريظة فرآه مقبلا قال للمسلمين « قوموا إلى سيدكم » وما ذاك إلا ليكون أنفذ لحكمه والله أعلم . فأما اتخاذه ديدنا فانه من شعار العجم . وقد جاء في السنن أنه لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله ﷺ وكان إذا جاء لايقومون له لما يعلمون من كراهته لذلك .

وفي الحديث المروي في السنن أن رسول الله ﷺ كان يجلس حيث انتهى به المجلس ولكن حيث يجلس يكون صدر ذلك المجلس فكان الصحابة رضي الله عنهم يجلسون منه على مراتبهم فالصديق رضي الله عنه يجلسه عن يمينه وعمر عن يساره ، وبين يديه غالبا عثمان وعلي لأنهما كانا ممن يكتب الوحي وكان يأمرهما بذلك كما رواه مسلم من حديث الأعمش عن عمارة بن عمير عن أبي معمر عن أبي مسعود أن رسول الله ﷺ كان يقول : « ليلني منكم أولو الأرحام والنهى ثم الذين يلونهم » ثم الذين يلونهم وما ذاك إلا ليعقلوا عنه مايقوله صلوات الله وسلامه عليه ولهذا أمر أولئك النفر بالقيام ليجلس الذين وردوا من أهل بدر إما لتقصير أولئك في حق البدريين أو ليأخذ البدريون من العلم نصيبهم كما أخذ أولئك قبلهم أو تعليما بتقديم الأفاضل إلى الامام وقال الامام أحمد : حدثنا وكيع عن الأعمش عن عمارة بن عمير الليثي عن أبي معمر عن أبي مسعود قال كان سول الله ﷺ يمسح منا كبنا في الصلاة ويقول « استووا ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم ليلني منكم أولو الأحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال أبو مسعود فأنتم اليوم أشد اختلافا ، وكذا رواه مسلم وأهل السنن إلا الترمذي من طرق عن الأعمش به وإذا كان هذا أمره لهم في الصلاة أن يليه العقلاء منهم والعلماء فبطريق الأولى أن يكون ذلك في غير الصلاة

وروى أبو داود من حديث معاوية بن صالح عن أبي الزاهرية عن كثير بن مرة عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « أقيموا الصفوف وحاذوا بين المناكب وسدوا الخلل ولينوا بأيدي إخوانكم ولا تذروا فرجات الشيطان ومن وصل صفا وصله الله ، ومن قطع صفا قطعه الله » ولهذا كان أبي بن كعب سيد القراء إذا انتهى إلى الصف الأول انتزع منه رجلا يكون من أفناد الناس ويدخل هو في الصف المقدم ويحتج بهذا الحديث « ليلني منكم أولو الأحلام والنهى » وأما عبد الله بن عمر فكان لايجلس في المكان الذي يقوم له صاحبه عنه عملا بمقتضى ماتقدم من روايته الحديث الذي أوردناه ولنقتصر على هذا القدار من الانموذج المتعلق بهذه الآية وإلا فبسطه يحتاج إلى غير هذا الوضع وفي الحديث الصحيح بينا رسول الله ﷺ جالس إذ أقبل ثلاثة نفر فأما أحدهم فوجد فرجة في الحلقة فدخل فيها وأما الآخر فجلس وراء الناس وأدبر الثالث ذاهبا فقال رسول الله ﷺ « ألا أنبئكم بخبر الثلاثة ، أما الأول فآوى إلى الله فآواه الله وأما الثاني فاستحيا فاستحيا الله منه وأما الثالث فأعرض فأعرض الله عنه » وقال الامام أحمد حدثنا عتاب بن زياد أخبرنا عبد الله أخبرنا أسامة بن زيد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « لايحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما » ورواه أبو داود والترمذى من حديث أسامة بن زيد الليثى به وحسنه الترمذى. وقد روى عن ابن عباس والحسن البصرى وغيرهما أنهم قالوا فى قوله تعالى (إذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم) يعنى فى مجالس الحرب قالوا ومعنى قوله (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى انهضوا للقتال وقال قتادة (وإذا قيل انشزوا فانشزوا) أى إذا دعيتم إلى خير فأجيبوا وقال مقاتل إذا دعيتم الى الصلاة فارتفعوا اليها . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كانوا إذا كانوا عند النبى ﷺ فى بيته فأرادوا الانصراف أحب كل منهم أن يكون هو آخرهم خروجا من عنده فربما يشق ذلك عليه، عليه السلام وقد تكون له الحاجة فأمروا انهم إذا أمروا بالانصراف ان ينصرفوا كقوله تعالى (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)

وقوله تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى لاتعتقدوا أنه إذا فسح أحد منكم لأخيه إذا أقبل أو اذا أمر بالخروج فخرج أن يكون ذلك نقصا فى حقه بل هو رفعة ورتبة عند الله والله تعالى لايضيع ذلك له بل يجزيه بها فى الدنيا والآخرة فإن من تواضع لأمر الله رفع الله قدره ونشر ذكره ولهذا قال تعالى (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير) أى خبير بمن يستحق ذلك وبمن لايستحقه ، قال الامام أحمد حدثنا أبو كامل حدثنا إبراهيم حدثنا ابن شهاب عن أبى الطفيل عامر بن واثلة أن نافع بن عبد الحارث لقى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على مكة فقال له عمر من استخلفت على أهل الوادى ؟ قال استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر استخلفت عليهم مولى ؟ فقال يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض قاص ، فقال عمر رضى الله عنه أما إن نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قال « إن الله يرفع بهذا الكتاب قوما ويضع به آخرين » وهكذا رواه مسلم من غير وجه عن الزهرى به ، وروى من غير وجه عن عمر بنحوه وقد ذكرت فضل العلم وأهله وماورد فى ذلك من الأحاديث مستقصاة فى شرح كتاب العلم من صحيح البخارى ولله الحمد والمنة

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا۟ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين إذا أراد أحدهم أن يناجى رسول الله ﷺ أى يساره فيما بينه وبينه أن يقدم بين يدى ذلك صدقة تطهره وتزكيه وتؤهله لأن يصلح لهذا المقام ولهذا قال تعالى (ذلك خير لكم وأطهر) ثم قال تعالى (فان لم تجدوا) أى إلامن عجز عن ذلك لفقره (فإن الله غفور رحيم) فما أمر بها إلا من قدر عليها . ثم قال تعالى (أ أشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم من استمرار هذا الحكم عليكم من وجوب الصدقة قبل مناجاة الرسول (فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون) فنسخ وجوب ذلك عنهم وقد قيل إنه لم يعمل بهذه الآية قبل نسخها سوى على بن أبى طالب رضى الله عنه قال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال نهوا عن مناجاة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا على بن أبى طالب قدم ديناراً صدقة تصدق به ثم ناجى النبى صلى الله عليه وسلم فسأله عن عشر خصال ثم أنزلت الرخصة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد قال على رضى الله عنه : آية فى كتاب الله عز وجل لم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان عندى دينار فصرفته بعشرة دراهم فكنت إذا ناجيت رسول الله ﷺ تصدقت بدرهم فنسخت ولم يعمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى ، ثم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم

الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) الآية . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن عثمان ابن المغيرة عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقمة الأنمارى عن على رضى الله عنه قال : قال النبى ﷺ « ماترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقون قال « نصف دينار » قال لايطيقون قال « ماترى ؟ » قال شعيرة فقال له النبى ﷺ « إنك لزهيد » قال فنزلت (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) قال على : فبى خفف الله عن هذه الأمة . ورواه الترمذى عن سفيان بن وكيع عن يحيى بن آدم عن عبيد الله الأشجعى عن سفيان الثورى عن عثمان ابن المغيرة الثقفى عن سالم بن أبى الجعد عن على بن علقه الأنمارى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال لما نزلت (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إلى آخرها قال لى النبى ﷺ « ما ترى ، دينار ؟ » قال لا يطيقونه وذكره بتمامه مثله ، ثم قال هذا حديث حسن غريب إنما نعرفه من هذا الوجه ثم قال ومعنى قوله شعيرة يعنى وزن شعيرة من ذهب ورواه أبو يعلى عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن آدم به . وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة — إلى — فان الله غفور رحيم) كان المسلمون يقدمون بين يدى النجوى صدقة فلما نزلت الزكاة نسخ هذا وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) وذلك أن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله ﷺ حتى شقوا عليه فأراد الله أن يخفف عن نبيه عليه السلام فلما قال ذلك جبن كثير من المسلمين وكفوا عن المسئلة فأنزل الله بعد هذا (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فإذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فوسع الله عليهم ولم يضيق وقال عكرمة والحسن البصرى فى قوله تعالى (فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) نسختها الآية التى بعدها (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) إلى آخرها . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ومقاتل بن حيان سأل الناس رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة ففطمهم الله بهذه الآية فكان الرجل منهم إذا كانت له الحاجة إلى نبى الله ﷺ فلا يستطيع أن يقضيها حتى يقدم بين يديه صدقة فاشتد ذلك عليهم فأنزل الله الرخصة بعد ذلك (فان لم تجدوا فإن الله غفور رحيم)

وقال معمر عن قتادة (إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة) إنها منسوخة ماكانت إلا ساعة من نهار . وهكذا روى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن أيوب عن مجاهد قال على ما عمل بها أحد غيرى حتى نسخت وأحسبه قال وما كانت إلا ساعة

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ * لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ * ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

يقول الله تعالى منكرا على المنافقين فى موالاتهم الكفار فى الباطن وهم فى نفس الأمر لامعهم ولا مع المؤمنين كما قال تعالى (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا) وقال ههنا (ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم فى الباطن ثم قال تعالى (ماهم منكم ولا منهم) أى هؤلاء المنافقون ليسوا فى الحقيقة منكم أيها المؤمنون ولا من الذين يوالونهم وهم اليهود ثم قال تعالى

(ويحلفون على الكذب وهم يعلمون) يعنى المنافقين يحلفون على الكذب وهم عالمون بأنهم كاذبون فيما حلفوا وهى اليمين الغموس ولا سيما فى مثل حالهم اللعين عياذا بالله منه فانهم كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا جاءوا الرسول حلفوا له بالله أنهم مؤمنون وهم فى ذلك يعلمون أنهم يكذبون فيما حلفوا به لأنهم لا يعتقدون صدق ما قالوه وإن كان فى نفس الأمر مطابقا ولهذا شهد الله بكذبهم فى أيمانهم وشهادتهم لذلك . ثم قال تعالى (أعد الله لهم عذابا شديدا إنهم ساء ما كانوا يعملون) أى أرصد الله لهم على هذا الصنيع العذاب الأليم على أعمالهم السيئة وهى موالاة الكافرين ونصحهم ومعاداة المؤمنين وغشهم ولهذا قال تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر واتقوا بالأيمان الكاذبة فظن كثير ممن لا يعرف حقيقة أمرهم صدقهم فاغتربهم فحصل بهذا صد عن سبيل الله لبعض الناس (فلهم عذاب مهين) أى فى مقابلة ما امتهنوا من الحلف باسم الله العظيم فى الأيمان الكاذبة الحانثة ثم قال تعالى (لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا) أى لن يدفع ذلك عنهم بأسا إذا جاءهم (أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) ثم قال تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا) أى يحشرهم يوم القيامة عن آخرهم فلا يغادر منهم أحدا (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء) أى يحلفون بالله عز وجل أنهم كانوا على الهدى والاستقامة كما كانوا يحلفون للناس فى الدنيا لأن من عاش على شىء مات عليه وبعث عليه ويعتقدون أن ذلك ينفعهم عند الله كما كان ينفعهم عند الناس فيجرون عليهم الأحكام الظاهرة ولهذا قال (ويحسبون أنهم على شىء) أى حلفهم ذلك لربهم عز وجل . ثم قال تعالى منكرا عليهم حسبانهم (ألا إنهم هم الكاذبون) فأكد الخبر عنهم بالكذب وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا زهير عن سماك بن حرب حدثنى سعيد بن جبير أن ابن عباس حدثه أن النبى ﷺ كان فى ظل حجرة من حجره وعنده نفر من المسلمين قد كاد يقلص عنهم الظل قال « إنه سيأتيكم إنسان ينظر بعينى شيطان فإذا أتاكم فلا تكلموه » فجاء رجل أزرق فدعاه رسول الله ﷺ فكلمه فقال « علام تشتمنى أنت وفلان وفلان » نفر دعاهم بأسمائهم قال فانطلق الرجل فدعاهم فحلفوا له واعتذروا إليه قال فانزل الله عز وجل (فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شىء ألا إنهم هم الكاذبون)

وهكذا رواه الإمام أحمد من طريقين عن سماك به ورواه ابن جرير عن محمد بن المثنى عن غندر عن شعبة عن سماك به نحوه ، وأخرجه أيضا من حديث سفيان الثورى عن سماك بنحوه إسناد جيد ولم يخرجوه وحال هؤلاء كما أخبر الله تعالى عن المشركين حيث يقول (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) ثم قال تعالى (استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله) أى استحوذ على قلوبهم الشيطان حتى أنساهم أن يذكروا الله عز وجل وكذلك يصنع بمن استحوذ عليه ، ولهذا قال أبو داود حدثنا أحمد بن يونس حدثنا زائدة حدثنا السائب بن حبيش عن معدان بن أبى طلحة اليعمرى عن أبى الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « مامن ثلاثة فى قرية ولا بدو لا تقام فيهم الصلاة إلا قد استحوذ عليهم الشيطان فعليك بالجماعة فانما يأكل الذئب القاصية » قال زائدة قال السائب يعنى الصلاة فى الجماعة . ثم قال تعالى (أولئك حزب الشيطان) يعنى الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله . ثم قال تعالى (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ * كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا

﴿ الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المعاندين المحادين لله ورسوله يعني الذين هم فى حد والشرع فى حد أى مجانبون للحق مشاقون لهم فى ناحية والهدى فى ناحية (أولئك فى الأذلين) أى فى الأشقياء البعدين المطرودين عن الصواب الأذلين فى الدنيا والآخرة (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى) أى قد حكم وكتب فى كتابه الأول وقدره الذى لا يخالف ولا يمانع ولا يبدل بأن النصرة له ولكتابه ورسله وعباده المؤمنين فى الدنيا والآخرة (وأن العاقبة للتقين) كما قال تعالى (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وقال ههنا (كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز) أى كتب القوى العزيز أنه الغالب لأعدائه وهذا قدر محكم وأمر مبرم أن العاقبة والنصرة للمؤمنين فى الدنيا والآخرة ثم قال تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) أى لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) الآية وقال تعالى (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين) وقد قال سعيد بن عبد العزيز وغيره أنزلت هذه الآية (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر) إلى آخرها فى أبى عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جعل الأمر شورى بعده فى أولئك الستة رضى الله عنهم ولو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته . وقيل فى قوله تعالى (ولو كانوا آباءهم) نزلت فى أبى عبيدة قتل أباه يوم بدر (أو أبناءهم) فى الصديق هم يومئذ بقتل ابنه عبد الرحمن (أو إخوانهم) فى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يومئذ (أو عشيرتهم) فى عمر قتل قريبا له يومئذ أيضا وفى حمزة وعلى وعبيدة بن الحارث قتلوا عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يومئذ فالله أعلم

﴿ قلت ﴾ ومن هذا القبيل حين استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فى أسارى بدر فأشار الصديق بأن يفادوا فيكون ما يؤخذ منهم قوة للمسلمين وهم بنو العم والعشيرة ولعل الله تعالى أن يهديهم وقال عمر لا أرى ما رأى يا رسول الله هل تمكننى من فلان قريب لعمر فأقتله ، وتمكن عليا من عقيل وتمكن فلانا من فلان ليعلم الله أنه ليست فى قلوبنا موادة للمشركين القصة بكمالها وقوله تعالى (أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه) أى من اتصف بأنه لا يواد من حاد الله ورسوله ولو كان أباه أو أخاه فهذا ممن كتب الله فى قلبه الإيمان أى كتب له السعادة وقررها فى قلبه وزين الإيمان فى بصيرته قال السدى (كتب فى قلوبهم الإيمان) جعل فى قلوبهم الإيمان وقال ابن عباس (وأيدهم بروح منه) أى قواهم وقوله تعالى (ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه) كل هذا تقدم تفسيره غير مرة ، وفى قوله تعالى (رضى الله عنهم ورضوا عنه) سر بديع وهو أنه لما سخطوا على القرائب والعشائر فى الله تعالى عوضهم الله بالرضا عنهم وأرضاهم عنه بما أعطاهم من النعيم المقيم والفوز العظيم والفضل العميم . وقوله تعالى (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) أى هؤلاء حزب الله أى عباد الله وأهل كرامته وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) تنويه بفلاحهم وسعادتهم ونصرتهم فى الدنيا والآخرة فى مقابلة ما ذكر عن أولئك بأنهم حزب الشيطان ثم قال (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا هارون بن حميد الواسطى حدثنا الفضل بن عنبسة عن رجل قد سماه فقال هو عبد الحميد بن سليمان انقطع من كتابى عن الديال بن عباد قال : كتب أبو حازم الأعرج إلى الزهرى : اعلم أن الجاه جاهان جاه يجريه الله تعالى على أيدى أوليائه لأوليائه ، وانهم الحامل ذكرهم الخفية شخوصهم ، ولقد جاءت صفتهم على لسان رسول الله صلى الله

عليه وسلم «إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الأبرياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا، وإذا حضروا لم يدعوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل فتنة سوداء مظلمة» فهؤلاء أولياء الله تعالى الذين قال الله (أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) وقال نعيم بن حماد حدثنا محمد بن ثور عن يونس عن الحسن قال . قال رسول الله ﷺ « اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى يدا ولا نعمة فانى وجدت فيما أوحيته إلى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله) » قال سفيان يرون أنها نزلت فيمن يخالط السلطان رواه أبو أحمد العسكرى . آخر تفسير سورة المجادلة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الحشر وهى مدنية ﴾

﴿ وكان ابن عباس يقول : سورة بنى النضير ﴾

قال سعيد بن منصور حدثنا هشيم عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ، قال أنزلت فى بنى النضير ورواه البخارى ومسلم من وجه آخر عن هشيم به ، ورواه البخارى من حديث أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس سورة الحشر ؟ قال سورة بنى النضير

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * هُوَ ٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوٓا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا يَٰٓأُولِى ٱلْأَبْصَٰرِ * وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ * مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾

يخبر تعالى أن جميع ما فى السموات والأرض من شىء يسبح له ويمجده ويقدسه ويصلى له ويوحده كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى منيع الجناب (الحكيم) فى قدره وشرعه وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى يهود بنى النضير . قاله ابن عباس ومجاهد والزهرى وغير واحد كان رسول الله ﷺ لما قدم المدينة هادنهم وأعطاهم عهدا وذمة على أن لا يقاتلهم ولا يقاتلوه فنقضوا العهد الذى كان بينهم وبينه فأحل الله بهم بأسه الذى لا مرد له وأنزل عليهم قضاءه الذى لا يصد فأجلاهم النبى ﷺ وأخرجهم من حصونهم الحصينة التى ما طمع فيها المسلمون وظنوا هم أنها مانعتهم من بأس الله فما أغنى عنهم من الله شيئا وجاءهم من الله ما لم يكن يبالهم وسيرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم من المدينة فكان منهم طائفة ذهبوا إلى أذرعات من أعالى الشام وهى أرض المحشر والمنشر ومنهم طائفة ذهبوا إلى خيبر ، وكان قد أنزلهم منها على أن لهم ما حملت إبلهم فكانوا يخربون ما فى بيوتهم من المنقولات التى يمكن أن تحمل معهم ولهذا قال تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الأبصار) أى تفكروا فى عاقبة من خالف أمر الله وخالف رسوله وكذب كتابه كيف يحل به من بأسه المخزى له فى الدنيا مع ما يدخره له فى الآخرة من العذاب الأليم ، قال أبو داود حدثنا محمد بن داود وسفيان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن رجل من أصحاب النبى ﷺ أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبى ومن كان معه يعبد الأوثان من الأوس والخزرج ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة

قبل رجعة بدر إنكم أدنيتم صاحبنا وإنا نقسم بالله لنقاتلنه أو لنخرجنكم أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم ونسبي نساءكم ، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان أجمعوا لقتال النبي صلى الله عليه وسلم فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم فقال « لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريد أن تكيدوا به أنفسكم يريدون أن يقاتلوا أبناءكم وإخوانكم » فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا فبلغ ذلك كفار قريش فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود إنكم أهل الحلقة والحصون وإنكم لتقاتلن مع صاحبنا أو لنفعلن كذا وكذا ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء وهو الخلاخيل فلما بلغ كتابهم النبي صلى الله عليه وسلم أيقنت بنو النضير بالغدر فأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم اخرج الينا في ثلاثين رجلا من أصحابك ليخرج منا ثلاثون حبرا حتى نلتقي بمكان النصف وليسمعوا منك فان صدقوك وآمنوا بك آمنا بك ، فلما كان الغد غدا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكتائب فحصرهم فقال لهم « إنكم والله لا تؤمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه فأبوا أن يعطوه عهدا فقاتلهم يومهم ذلك ثم غدا من الغد على بني قريظة بالكتائب وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه فعاهدوه فانصرف عنهم وغدا إلى بني النضير بالكتائب فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء فجلت بنو النضير واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم وأبواب بيوتهم وخشبها وكان نخل بني النضير لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة أعطاه الله إياها وخصه بها فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) نقول بغير قتال فأعطى النبي صلى الله عليه وسلم أكثرها للمهاجرين قسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار وكانا ذوي حاجة ولم يقسم من الأنصار غيرهما وبقي منها صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي في أيدي بني فاطمة ، ولنذكر ملخص غزوة بني النضير على وجه الاختصار وبالله المستعان .

وكان سبب ذلك فيما ذكره أصحاب المغازي والسير أنه لما قتل أصحاب بئر معونة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنه وكانوا سبعين وأفلت منهم عمرو بن أمية الضمري فلما كان في أثناء الطريق راجعا إلى المدينة قتل رجلين من بني عامر وكان معهما عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمان لم يعلم به عمرو فلما رجع أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقد قتلت رجلين لأدينهما » وكان بين بني النضير وبني عامر حلف وعهد فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير ليستعينهم في دية ذينك الرجلين وكانت منازل بني النضير ظاهر المدينة على أميال منها شرقيها . قال محمد بن إسحاق بن يسار في كتابه السيرة ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني النضير يستعينهم في دية ذينك القتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري للجوار الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما فيما حدثني يزيد بن رومان وكان بين بني النضير وبني عامر عقد وحلف فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم في دية ذينك القتيلين قالوا نعم يا أبا القاسم نعينك على ما أحببت مما استعنت بنا عليه ، ثم خلا بعضهم ببعض فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم — فمن رجل يعلو على هذا البيت فيلقى عليه صخرة فيريحنا منه ، فانتدب لذلك عمرو بن جحاش بن كعب أحدهم فقال أنا لذلك فصعد ليلقي عليه صخرة كما قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم فقام وخرج راجعا إلى المدينة فلما استلبث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه قاموا في طلبه فلقوا رجلا مقبلا من المدينة فسألوه عنه فقال رأيته داخلا المدينة فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهوا اليه ، فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادت من الغدر به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والمسير اليهم ثم سار حتى نزل بهم فتحصنوا منه في الحصون فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخل والتحريق فيها فنادوه أن يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد في الأرض وتعيبه على من يصنعه فما بال قطع النخل وتحريقها ؟ وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج منهم عبد الله بن أبي ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل وسويد

وداعس قد بعثوا إلى بنى النضير أن اثبتوا وتمنعوا فانا لن نسلمكم إن قوتلتم قاتلنا معكم وإن خرجتم خرجنا معكم فتربصوا ذلك من نصرهم فلم يفعلوا وقذف فى قلوبهم الرعب ، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم على أن لهم ما حملت الابل من أموالهم إلا الحلقة ففعلوا فاحتملوا من اموالهم مااستقلت به الإبل فكان الرجل منهم يهدم بيته عن إيجاف بابه فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به فخرجوا إلى خيبر ومنهم من سار إلى الشام وخلوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت لرسول الله خاصة يضعها حيث يشاء فقسمها على المهاجرين الأولين دون الأنصار إلا سهل بن حنيف وأبا دجانة - سماك بن خرشة - ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان يامين بن عمرو بن كعب عم عمرو بن جحاش وأبو سعد بن وهب أسلما على أموالهما فأحرزاها . قال ابن إسحاق وقد حدثنى بعض آل يامين أن رسول صلى الله عليه وسلم قال ليامين « ألم تر مالقيت من ابن عمك وماهم به من شأنى » فجعل يامين بن عمرو لرجل جعلا على أن يقتل عمرو بن جحاش فقتله فيما يزعمون . قال ابن إسحاق ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها وهكذا روى يونس بن بكير عن ابن إسحاق بنحو ماتقدم فقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب) يعنى بنى النضير (من ديارهم لأول الحشر) . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان عن أبى سعد عن عكرمة عن ابن عباس قال : من شك فى أن أرض المحشر ههنا يعنى الشام فليقرأ هذه الآية (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر) قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجوا » قالوا إلى أين ؟ قال « إلى أرض المحشر » وحدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن عوف عن الحسن قال لما أجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال « هذا أول الحشر وأنا على الأثر » ورواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبى عدى عن عوف عن الحسن به

وقوله تعالى (ماظننتم أن يخرجوا) أى فى مدة حصاركم لهم وقصرها وكانت ستة أيام مع شدة حصونهم ومنعتها ولهذا قال تعالى (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أى جاءهم من أمر الله مالم يكن لهم فى بال كما قال تعالى فى الآية الأخرى (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون)

وقوله تعالى (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى الخوف والهلع والجزع وكيف لا يحصل لهم ذلك وقد حاصرهم الذى نصر بالرعب مسيرة شهر صلوات الله وسلامه عليه . وقوله (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين) قد تقدم تفسير ابن إسحاق لذلك وهو نقض ما استحسنوه من سقوفهم وأبوابهم وتحملها على الابل وكذلك قال عروة بن الزبير وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد ، وقال مقاتل بن حيان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقاتلهم فاذا ظهر على درب أودار هدم حيطانها ليتسع المكان للقتال وكان اليهود إذا علوا مكانا أو غلبوا على درب أودار نقبوا من أدبارها ثم حصنوها ودربوها يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولى الأبصار) . وقوله (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا) أى لو أن كتب الله عليهم هذا الجلاء وهو النفى من ديارهم وأموالهم لكان لهم عند الله عذاب آخر من القتل والسبى ونحو ذلك قاله الزهرى عن عروة والسدى وابن زيد لأن الله قد كتب عليهم أنه سيعذبهم فى الدار الدنيا مع ما أعدلهم فى الدار الآخرة من العذاب فى نار جهنم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن صالح كاتب الليث حدثنى الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال أخبرنى عروة بن الزبير قال ثم كانت وقعة بنى النضير وهم طائفة من اليهود على رأس ستة أشهر من وقعة بدر وكان منزلهم بناحية من المدينة فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وأن لهم ما أقلت الإبل من الأموال والأمتعة إلا الحلقة وهى السلاح فأجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الشام قال والجلاء أنه كتب عليهم فى آى من التوراة وكانوا من سبط لم يصبهم الجلاء قبل ماسلط عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله فيهم (سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض - إلى قوله - وليخزى

الفاسقين) وقال عكرمة :الجلاء القتل وفى رواية عنه الفناء، وقال قتادة الجلاء خروج الناس من البلد إلى البلد وقال الضحاك أجلاهم إلى الشام وأعطى كل ثلاثة بعيرا وسقاء فهذا الجلاء

وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أحمد بن كامل القاضى حدثنا محمد بن سعيد العوفى حدثنى أبى عن عمى حدثنى أبى عن جدى عن ابن عباس قال كان النبى صلى الله عليه وسلم قد حاصرهم حتى بلغ منهم كل مبلغ فأعطوه ما أراد منهم فصالحهم على أن يحقن لهم دماءهم وأن يخرجهم من أرضهم ومن ديارهم وأوطانهم وأن يسيرهم إلى أذرعات الشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرا وسقاء ، والجلاء إخراجهم من أرضهم إلى أرض أخرى وروى أيضا من حديث يعقوب بن محمد الزهرى عن إبراهيم بن جعفر عن محمود بن محمد بن مسلمة عن أبيه عن جده عن محمد بن مسلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى بنى النضير وأمره أن يؤجلهم فى الجلاء ثلاثة أيام . وقوله تعالى (ولهم فى الآخرة عذاب النار) أى حتم لازم لابد لهم منه . وقوله تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى إنما فعل الله بهم ذلك وسلط عليهم رسوله وعباده المؤمنين لأنهم خالفوا الله ورسوله وكذبوا بما أنزل الله على رسله المتقدمين فى البشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ثم قال (ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب) . وقوله تعالى (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) اللين نوع من التمر وهو جيد . قال أبو عبيدة وهو ماخالف العجوة والبرنى من التمر ، وقال كثيرون من المفسرين : اللينة ألوان التمر سوى العجوة . قال ابن جرير هو جميع النخل ونقله عن مجاهد وهو البويرة أيضا وذلك أن رسول الله ﷺ لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم وإرهابا وإرعابا لقلوبهم ، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان وقتادة ومقاتل بن حيان أنهم قالوا فبعث بنو قريظة يقولون لرسول الله ﷺ إنك تنهى عن الفساد فما بالك تأمر بقطع الأشجار ؟ فأنزل الله هذه الآية الكريمة أى ماقطعتم من لينة وما تركتم من الأشجار فالجميع بإذنه ومشيئته وقدره ورضاه وفيه نكاية بالعدو وخزى لهم ، وإرغام لأنوفهم . وقال مجاهد نهى بعض المهاجرين بعضا عن قطع النخل وقالوا إنما هى مغانم المسلمين فنزل القرآن بتصديق من نهى عن قطعه وتحليل من قطعه من الاثم وإنما قطعه وتركه بإذنه ، وقد روى نحو هذا مرفوعا فقال النسائى أخبرنا الحسن بن محمد بن عفان حدثنا حفص بن غياث حدثنا حبيب بن أبى عمر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (ماقطعتم من لينة أوتركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين) قال يستنزلونهم من حصونهم وأمروا بقطع النخل فحاك فى صدورهم فقال المسلمون : قطعنا بعضا وتركنا بعضا فلنسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لنا فيما قطعنا من أجر ؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر ؟ فأنزل الله (ماقطعتم من لينة) وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حفص عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن جابر وعن أبى الزبير عن جابر قال رخص لهم فى قطع النخل ثم شدد عليهم فأتوا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يارسول الله علينا إثم فيما قطعنا أو علينا وزر فيما تركنا فأنزل الله عزوجل (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قطع نخل بنى النضير وحرق ، وأخرجه صاحبا الصحيح من رواية موسى بن عقبة بنحوه ولفظ البخارى من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر قال حاربت النضير وقريظة فأجلى بنى النضير وأقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة فقتل من رجالهم وسبى وقسم نساءهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين إلا بعضهم لحقوا بالنبى ﷺ فأمنهم وأسلموا وأجلى يهود المدينة كلهم بنى قينقاع وهم رهط عبد الله بن سلام ويهود بنى حارثة وكل يهود بالمدينة ، ولهما أيضا عن قتيبة عن الليث بن سعد عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة فأنزل الله عز وجل فيه (ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله وليخزى الفاسقين)

وللبخارى رحمه الله من رواية جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ حرق نخل بنى النضير وقطع وهى البويرة ولها يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه

وهان على سراة بنى لؤى حريق بالبويرة مستطير

فأجابه أبوسفيان بن الحارث يقول :

أدام الله ذلك من صنيع وحرق فى نواحيها السعير ستعلم أينا منها بنزه وتعلم أى أرضينا نضير

كذا رواه البخارى ولم يذكره ابن إسحاق ، وقال محمد بن إسحاق وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل ابن الأشرف

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذوصرف يدور وذلك أنهم كفروا برب
عظيم أمره أمر كبير وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهمو من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تنير فقالوا ما أوتيت بأمر صدق
وأنت بمنكر منا جدير فقال بلى لقد أديت حقا يصدقنى به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور فلما أشربوا غدرا وكفرا
وجد بهم عن الحق النفور أرى الله النبى برأى صدق وكان الله يحكم لايجور
فأيده وسلطه عليهم وكان نصيره نعم النصير فغودر منهمو كعب صريعا
فذلت بعد مصرعه النضير على الكفين ثم وقد علته بأيدينا مشهرة ذكور
بأمر محمد إذ دس ليلا إلى كعب أخا كعب يسير فما كره فأنزله بمكر
ومحمود أخو ثقة جسور فتلك بنو النضير بدار سوء أبادهمو بما اجترم المبير
غداة أتاهمو فى الزحف زهوا رسول الله وهو بهم بصير وغسان الحماة موازروه
على الأعداء وهو لهم وزير فقال السلم ويحكمو فصدوا وحالف أمرهم كذب وزور

فذاقوا غب أمرهمو وبالا لكل ثلاثة منهم بعير
وأجلوا عامدين لقينقاع وغودر منهمو نخل ودور

قال وكان مما قيل من الأشعار فى بنى النضير قول ابن القيم العبسى ويقال قالها قيس بن بحر بن طريف ، قال ابن هشام الأشجعى :

أهلى فداء لامرىء غير هالك أجلى اليهود بالحسى المزنم يقيلون فى جمر العضاه وبدلوا
أهيضب عوذا بالودى المكمم فان يك ظنى صادقا بمحمد يروا خيله بين الصلا ويرمرم
يؤم بها عمرو بن بهثة إنهم عدو وما حى صديق كمجرم علبهن أبطال مساعير فى الوغى
يهزون أطراف الوشيج المقوم وكل رقيق الشفرتين مهند تورث من أزمان عاد وجرهم
فمن مبلغ عنى قريشا رسالة فهل بعدهم فى المجد من متكرم بأن أخاكم فاعلمن محمدا
تليد الندى بين الحجون وزمزم فدينوا له بالحق تحسم أموركم وتسموا من الدنيا إلى كل معظم
نبى تلافته من الله رحمة ولا تسألوه أمر غيب مرجم فقد كان فى بدر لعمرى عبرة
لكم ياقريش والقليب اللملم غداة أتى فى الخزرجية عامدا إليكم مطيعا للعظيم المكرم
معانا بروح القدس ينكى عدوه رسولا من الرحمن حقا بمعلم رسولا من الرحمن يتلوكتابه
فلما أنار الحق لم يتلعثم أرى أمره يزداد فى كل موطن علوا لأمر حمه الله محكم

وقد أورد ابن إسحاق رحمه الله ههنا أشعارا كثيرة فيها آداب ومواعظ وحكم وتفاصيل للقصة تركنا باقيها اختصارا واكتفاء بما ذكرناه ولله الحمد والمنة . قال أبو إسحاق كانت وقعة بنى النضير بعد وقعة أحد وبعد بئر معونة ، وحكى البخارى عن الزهرى عن عروة أنه قال كانت وقعة بنى النضير بعد بدر بستة أشهر

﴿ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يقول تعالى مبينا ما الفيء وما صفته وماحكمه فالفيء كل مال أخذ من الكفار من غير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب كأموال بنى النضير هذه فانها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب ، أى لم يقاتلوا الأعداء فيها بالمبارزة والمصاولة بل نزل أولئك من الرعب الذى ألقى الله فى قلوبهم من هيبة رسول الله ﷺ فأفاءه الله على رسوله ولهذا تصرف فيه كما يشاء فرده على المسلمين فى وجوه البر والمصالح التى ذكرها الله عزوجل فى هذه الآيات فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) يعنى الابل (ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) أى هو قدير لا يغالب ولا يمانع بل هو القاهر لكل شىء ثم قال تعالى (ما أفاء على رسوله من أهل القرى) أى جميع البلدان التى تفتح هكذا فحكمها حكم أموال بنى النضير ولهذا قال تعالى (فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) إلى آخرها والتى بعدها فهذه مصارف أموال الفيء ووجوهه . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو ومعمر عن الزهرى عن مالك بن أوس بن الحدثان عن عمر رضى الله عنه قال : كانت أموال بنى النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب فكانت لرسول الله ﷺ خالصة فكان ينفق على أهله منها نفقة سنته ، وقال مرة قوت سنته وما بقى جعله فى الكراع والسلاح فى سبيل الله عزوجل هكذا أخرجه أحمد ههنا مختصرا ، وقد أخرجه الجماعة فى كتبهم إلا ابن ماجه من حديث سفيان عن عمرو بن دينار عن الزهرى به وقد رويناه مطولا . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا الحسن بن على ومحمد بن يحيى بن فارس المعنى واحد قالا حدثنا بشر بن عمر الزهرانى حدثنى مالك بن أنس عن ابن شهاب عن مالك بن أوس قال أرسل إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين تعالى النهار فجئته فوجدته جالسا على سرير مفضيا إلى رماله فقال حين دخلت عليه : يا مال إنه قد دف أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم بشىء فاقسم فيهم ، قلت لو أمرت غيرى بذلك فقال خذه فجاءه يرفا فقال ياأمير المؤمنين هل لك فى عثمان ابن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وسعد بن أبى وقاص؟ قال نعم فأذن لهم فدخلوا ثم جاءه يرفا فقال يا أمير المؤمنين هل لك فى العباس وعلى قال نعم ، فأذن لهما فدخلا فقال العباس يا أمير المؤمنين : اقض بينى وبين هذا يعنى عليا ، فقال بعضهم أجل يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرحهما ، قال مالك بن أوس خيل إلى أنهما قدما أولئك النفر لذلك ، فقال عمر رضى الله عنه اتئد ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ما تركنا صدقة » قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس فقال أنشدكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا نورث ماتركنا صدقة » فقالا نعم فقال إن الله خص رسوله بخاصة لم يخص بها أحدا من الناس فقال تعالى (ومأفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) فكان الله تعالى أفاء على رسله أموال بنى النضير فوالله ما استأثر بها عليكم ولا أحرزها دونكم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ منها نفقة سنة أو نفقته ونفقة أهله سنة ويجعل ما بقى اسوة للمال ثم أقبل على أولئك الرهط فقال : أنشدكم بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون ذلك ؟ قالوا نعم ثم أقبل على على والعباس

فقال أنشدكما بالله الذى بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمان ذلك ؟ قالا نعم فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو بكر أنا ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت أنت وهذا إلى أبى بكر تطلب أنت ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال أبو بكر رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « لانورث ماتركنا صدقة » والله يعلم إنه لصادق بار راشد تابع للحق فوليها أبو بكر ، فلما توفى قلت أنا ولى رسول الله ﷺ وولى أبى بكر فوليتها ما شاء الله أن أليها فجئت أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فسألتمانيها فقلت إن شئتما فانا أدفعها إليكما على أن عليكما عهد الله أن تليانها بالذى كان رسول الله ﷺ يليها فأخذتماها منى على ذلك ثم جئتمانى لأقضى بينكما بغير ذلك والله لا أقضى بينكما بغير ذلك حتى تقوم الساعة فان عجزتما عنها فردا إلى ، أخرجوه من حديث الزهرى به . قال الإمام أحمد حدثنا عارم وعفان قالا أخبرنا معمر سمعت أبى يقول حدثنا أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن الرجل كان يجعل له من ماله النخلات أو كما شاء الله حتى فتحت عليه قريظة والنضير قال فجعل يرد بعد ذلك ، قال وإن أهلى امرونى أن آتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسأله الذى كان أهله أعطوه أو بعضه وكان نبى الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاه أم ايمن أو كما شاء الله قال فسألت النبى صلى الله عليه وسلم فأعطانيهن فجاءت أم أيمن فجعلت الثوب فى عنقى وجعلت تقول كلا والله الذى لا إله إلا هو لا يعطيكهن وقد اعطانيهن أو كما قالت فقال نبى الله « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله قال ويقول « لك كذا وكذا » قال وتقول كلا والله ، قال « ويقول لك كذا وكذا » قال حتى أعطاها حسبت أنه قال عشرة أمثاله أو قال قريبا من عشرة امثاله أو كما قال رواه البخارى ومسلم من طرق عن معمر به وهذه المصارف المذكورة فى هذه الآية هى المصارف المذكورة فى خمس الغنيمة وقد قدمنا الكلام عليها فى سورة الأنفال بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد وقوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم) أى جعلنا هذه المصارف لمال الفىء كيلا يبقى مأكلة يتغلب عليها الأغنياء ويتصرفون فيها بمحض الشهوات والآراء ولا يصرفون منه شيئا إلى الفقراء وقوله تعالى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) أن مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه فانه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر قال ابن أبى حاتم حدثنا يحيى بن أبى طالب حدثنا عبد الوهاب حدثنا سعيد عن قتادة عن الحسن العوفى عن يحيى بن الجزار عن مسروق قال جاءت امرأة إلى ابن مسعود فقالت بلغنى أنك تنهى عن الواشمة والواصلة أشىء وجدته فى كتاب الله تعالى أو عن رسول الله ﷺ ؟ قال بلى شىء وجدته فى كتاب الله وعن رسول الله ﷺ قالت والله لقد تصفحت ما بين دفتى المصحف فما وجدت فيه الذى تقول قال فما وجدت فيه (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى قال فانى سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن الواصلة والواشمة والنامصة ، قالت فلعله فى بعض أهلك ، قال فادخلى فانظرى فدخلت فنظرت ثم خرجت قالت ما رأيت بأسا فقال لها أما حفظت وصية العبد الصالح (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن منصور عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال : لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله عز وجل قال فبلغ امرأة من بنى أسد فى البيت يقال لها أم يعقوب فجاءت إليه فقالت بلغنى أنك قلت كيت وكيت ، قال مالى لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ وفى كتاب الله تعالى ، فقالت إنى لأقرأ ما بين لوحيه فما وجدته ، فقال إن كنت قرأتيه فقد وجدتيه أنا قرأت (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) قالت بلى ؟ قال فان رسول الله ﷺ نهى عنه قالت إنى لأظن أهلك يفعلونه ، قال اذهبى فانظرى فذهبت فلم تر من حاجتها شيئا فجاءت فقالت ما رأيت شيئا قال لو كان كذا لم تجامعنا . أخرجاه فى الصحيحين من حديث سفيان الثورى ، وقد ثبت فى الصحيحين أيضا عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم ، ومانهيتكم عنه فاجتنبوه وقال النسائى أخبرنا أحمد بن سعيد حدثنا يزيد حدثنا منصور بن حيان عن سعيد بن جبير عن عمرو ابن عباس أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الدباء والحنتم والنقير والمزفت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) وقوله تعالى (واتقوا الله إن الله شديد العقاب) أى اتقوه فى امتثال أوامره وترك زواجره فانه شديد العقاب لمن عصاه وخالف أمره وأباه وار تكب ما عنه زجره ونهاه

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ * وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى مبينا حال الفقراء المستحقين لمال الفىء أنهم (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى خرجوا من ديارهم وخالفوا قومهم ابتغاء مرضاة الله ورضوانه (وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون) أى هؤلاء الذين صدقوا قولهم بفعلهم وهؤلاء هم سادات المهاجرين . ثم قال تعالى مادحا الأنصار ومبينا فضلهم وشرفهم وكرمهم وعدم حسدهم وإيثارهم مع الحاجة فقال تعالى (والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم) أى سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم قال عمر : وأوصى الخليفة بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم ويحفظ لهم كرامتهم وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل ، أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم رواه البخارى ههنا أيضا . قوله تعالى (يحبون من هاجر اليهم) أى من كرمهم وشرف أنفسهم يحبون المهاجرين ويواسونهم بأموالهم قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا حميد عن أنس قال : قال المهاجرون يارسول الله مارأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير لقد كفونا المؤنة وأشركونا فى المهنأ حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله قال « لاما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » لم أره فى الكتب من هذا الوجه

وقال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا سفيان عن يحيى بن سعيد سمع أنس بن مالك حين خرج معه إلى الوليد قال دعا النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين قالوا لا إلا أن تقطع لاخواننا من المهاجرين مثلها قال « إما لافاصبروا حتى تلقونى فانه سيصيبكم أثرة » تفرد به البخارى من هذا الوجه . وقال البخارى حدثنا الحكم ابن نافع أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال لا فقالوا أتكفونا المؤنة ونشرككم فى الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا. تفرد به دون مسلم (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) أى ولا يجدون فى أنفسهم حسدا للمهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والشرف والتقديم فى الذكر والرتبة . قال الحسن البصرى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة) يعنى الحسد (مما أوتوا) قال قتادة يعنى فيما أعطى إخوانهم . وكذا قال ابن زيد ومما يستدل به على هذا المعنى ما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن أنس قال : كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال فلما كان الغد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى ، فلما كان فى اليوم الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضاً فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال إنى لاحيت أبى فأقسمت أنى لا أدخل عليه ثلاثا فان رأيت أن تؤوينى إليك

حتى تمضى فعلت قال « نعم » قال أنس فكان عبد الله يحدث أنه بات معه تلك الليالى الثلاث فلم يره يقوم من الليل شيئا غير أنه إذا تعار تقلب على فراشه ذكر الله وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر قال عبد الله غير أنى لم أسمعه يقول إلا خيرا ، فلما مضت الليالى الثلاث وكدت أن أحتقر عمله قلت ياعبد الله لم يكن بينى وبين أبى غضب ولا هجرة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة » فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوى إليك لأنظر ما عملك فأقتدى به فلم أرك تعمل كبير عمل فما الذى بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ا قال ما هو إلا ما رأيت ، فلما وليت دعانى فقال : ماهو إلا مارأيت غير أنى لا أجد فى نفسى لأحد من المسلمين غشا ولا أحسد أحدا على خير أعطاه الله إياه . قال عبد الله فهذه التى بلغت بك وهى التى لاتطاق ، ورواه النسائى فى اليوم والليلة عن سويد بن نصر عن ابن المبارك عن معمر به وهذا إسناد صحيح على شرط الصحيحين لكن رواه عقيل وغيره عن الزهرى عن رجل عن أنس فالله أعلم .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا) يعنى مما أوتوا المهاجرون قال وتكلم فى أموال بنى النضير بعض من تكلم فى الأنصار فعاتبهم الله فى ذلك فقال تعالى (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير) قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم » فقالوا أموالنا بيننا قطائع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو غير ذلك » قالوا وماذاك يارسول الله ؟ قال « هم قوم لايعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر » فقالوا نعم يارسول الله . وقوله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) يعنى حاجة أى يقدمون المحاويج على حاجة أنفسهم ويبدءون بالناس قبلهم فى حال احتياجهم إلى ذلك

وقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « أفضل الصدقة جهد المقل » وهذا المقام أعلى من حال الذين وصف الله بقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) وقوله (وآتى المال على حبه) فان هؤلاء تصدقوا وهم يحبون ماتصدقوا به وقد لايكون لهم حاجة إليه ولا ضرورة به وهؤلاء آثروا على أنفسهم مع خصاصتهم وحاجتهم إلى ما أنفقوه ، ومن هذا المقام تصدق الصديق رضى الله عنه بجميع ماله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أبقيت لأهلك ؟ » فقال رضى الله عنه أبقيت لهم الله ورسوله ، وهكذا الماء الذى عرض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء فرده الآخر إلى الثالث فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم رضى الله عنهم وأرضاهم . وقال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن كثير حدثنا أبو أسامة حدثنا فضيل بن غزوان حدثنا أبو حازم الأشجعى عن أبى هريرة قال : أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أصابنى الجهد فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله » فقام رجل من الأنصار فقال أنا يارسول الله فذهب إلى أهله فقال لامرأته هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتدخرى شيئا فقالت والله ما عندى إلا قوت الصبية قال فاذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالى فأطفىء السراج ونطوى بطوننا الليلة ففعلت ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « لقد عجب الله عز وجل ـ أوضحك ـ من فلان وفلانة » وأنزل الله تعالى (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وكذا رواه البخارى فى موضع آخر ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن فضيل بن غزوان به نحوه ، وفى رواية لمسلم تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة رضى الله عنه

وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) أى من سلم من الشح فقد أفلح وأنجح

قال أحمد حدثنا عبد الرزاق اخبرنا داود بن قيس الفراء عن عبيد الله بن مقسم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فان الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » انفرد باخراجه مسلم فرواه عن القعنبى عن داود بن قيس به .

وقال الأعمش وشعبة عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن زهير بن الأقمر عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ، وإياكم والشح فانه أهلك من كان قبلكم ، أمرهم بالظلم فظلموا ، وأمرهم بالفجور ففجروا ، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » ورواه أحمد وأبو داود من طريق شعبة والنسائى من طريق الأعمش كلاهما عن عمرو بن مرة به وقال الليث عن يزيد بن الهاد عن سهيل بن أبي صالح عن صفوان بن أبي يزيد عن القعقاع بن الجلاح عن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى جوف عبد أبدا ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدا » وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا عبدة بن سليمان أخبرنا ابن المبارك حدثنا المسعودى عن جامع بن شداد عن الأسود بن هلال قال جاء رجل إلى عبد الله فقال يا أبا عبد الرحمن إني أخاف أن أكون قد هلكت فقال له عبد الله وماذاك ؟ قال سمعت الله يقول (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) وأنا رجل شحيح لا أكاد أن أخرج من يدى شيئا فقال عبد الله : ليس ذلك بالشح الذى ذكر الله فى القرآن ، إنما الشح الذى ذكر الله فى القرآن أن تأكل مال أخيك ظلما ولكن ذاك البخل وبئس الشيء البخل. وقال سفيان الثورى عن طارق ابن عبد الرحمن عن سعيد بن جبير عن أبي الهياج الأسدى قال كنت أطوف بالبيت فرأيت رجلا يقول اللهم قنى شح نفسى . لا يزيد على ذلك فقلت له فقال إني إذا وقيت شح نفسى لم أسرق ولم أزن ولم أفعل وإذا الرجل عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه . رواه ابن جرير . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن إسحق حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقى حدثنا إسماعيل بن عياش حدثنا مجمع بن جارية الأنصارى عن عمه يزيد بن جارية عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : برىء من الشح من أدى الزكاة وقرى الضيف وأعطى فى النائبة . وقوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) هؤلاء هم القسم الثالث ممن يستحق فقراؤهم من مال الفيء وهم المهاجرون ثم الأنصار ثم التابعون لهم باحسان كما قال فى آية براءة (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه) فالتابعون لهم باحسان هم المتبعون لآثارهم الحسنة وأوصافهم الجميلة الداعون لهم فى السر والعلانية ، ولهذا قال تعالى فى هذه الآية الكريمة (والذين جاءوا من بعدهم يقولون) أى قائلين (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا) أى بغضا وحسدا (للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وما أحسن ما استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية الكريمة أن الرافضى الذى يسب الصحابة ليس له فى مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء فى قولهم (ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقى حدثنا محمد بن بشر حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن أبيه عن عائشة أنها قالت : أمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم ثم قرأت هذه الآية (والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان) الآية وقال إسماعيل بن علية عن عبد الملك بن عمير عن مسروق عن عائشة قالت : أمرتم بالاستغفار لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فسببتموهم . سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول : « لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها » رواه البغوى ، وقال أبو داود حدثنا مسدد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن الزهرى قال : قال عمر رضى الله عنه (وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب) قال الزهرى : قال عمر رضى الله عنه : هذه لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة وقرى عرينة وكذا وكذا مما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل — وللفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم — والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم — والذين جاءوا من بعدهم فاستوعبت هذه الآية الناس فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق . قال أيوب — أو قال حظ — إلا بعض من تملكون من أرقائكم . كذا رواه أبو داود وفيه انقطاع . وقال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن أيوب عن عكرمة

ابن خالد عن مالك بن أوس بن الحدثان قال قرأ عمر بن الخطاب (إنما الصدقات للفقراء والمساكين — حتى بلغ — عليم حكيم) ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسة وللرسول ولذى القربى) الآية ثم قال هذه لهؤلاء ثم قرأ (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى — حتى بلغ — للفقراء — والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم — والذين جاءوا من بعدهم) ثم قال : استوعبت هذه للمسلمين عامة وليس أحد إلا وله فيها حق ثم قال : لئن عشت ليأتين الراعى وهو بسرو حمير نصيبه فيها لم يعرق فيها جبينه

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ * لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ * كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ * فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾

يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبى وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بنى النضير يعدونهم النصر من أنفسهم فقال تعالى (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصركم) قال الله تعالى (والله يشهد إنهم لكاذبون) أى لكاذبون فيما وعدوهم به إما لأنهم قالوا لهم قولا ومن نيتهم أن لا يفوا لهم به وإما لأنهم لا يقع منهم الذى قالوه ولهذا قال تعالى (ولئن قوتلوا لا ينصرونهم) أى لا يقاتلون معهم (ولئن نصروهم) أى قاتلوا معهم (ليولن الأدبار ثم لا ينصرون) وهذه بشارة مستقلة بنفسها ، ثم قال تعالى (لأنتم أشد رهبة فى صدورهم من الله) أى يخافون منكم أكثر من خوفهم من الله كقوله تعالى (إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) ثم قال تعالى (لا يقاتلونكم جميعا إلا فى قرى محصنة أو من وراء جدر) يعنى أنهم من جبنهم وهلعهم لا يقدرون على مواجهة جيش الإسلام بالمبارزة والمقابلة بل إما فى حصون أو من وراء جدر محاصرين فيقاتلون للدفع عنهم ضرورة . ثم قال تعالى (بأسهم بينهم شديد) أى عداوتهم فيما بينهم شديدة كما قال تعالى (ويذيق بعضكم بأس بعض) ولهذا قال تعالى (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى) أى تراهم مجتمعين فتحسبهم مؤتلفين وهم مختلفون غاية الاختلاف قال إبراهيم النخعى يعنى أهل الكتاب والمنافقين (ذلك بأنهم قوم لا يعقلون) . ثم قال تعالى (كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم) قال مجاهد والسدى ومقاتل بن حيان يعنى كمثل ما أصاب كفار قريش يوم بدر وقال ابن عباس كمثل الذين من قبلهم يعنى يهود بنى قينقاع وكذا قال قتادة ومحمد بن إسحق وهذا القول أشبه بالصواب فان يهود بنى قينقاع كان رسول الله ﷺ قد أجلاهم قبل هذا . وقوله تعالى (كمثل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك) يعنى مثل هؤلاء اليهود فى اغترارهم بالذين وعدوهم النصر من المنافقين وقول المنافقين لهم لئن قوتلتم لننصرنكم ثم لما حقت الحقائق وجد بهم الحصار والقتال تخلوا عنهم وأسلموهم للهلكة مثالهم فى هذا كمثل الشيطان إذ سول للانسان — والعياذ بالله — الكفر فإذا دخل فيما سوله له تبرأ منه وتنصل وقال (إنى أخاف الله رب العالمين) . وقد ذكر بعضهم

ههنا قصة لبعض عباد بنى إسرائيل هى كالمثال لهذا المثل لا أنها المرادة وحدها بالمثل بل هى منه مع غيرها من الوقائع المشا كلة لها ، فقال ابن جرير حدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبى إسحاق سمعت عبدالله ابن نهيك قال سمعت عليا رضى الله عنه يقول إن راهباً تعبد ستين سنة وإن الشيطان أراده فأعياه فعمد إلى امرأة فأجنها ولها إخوة فقال لإخوتها عليكم بهذا القس فيداويها قال فجاءوا بها إليه فداواها وكانت عنده فبينما هو يوما عندها إذ أعجبته فأتاها فحملت فعمد إليها فقتلها فجاء إخوتها فقال الشيطان للراهب أنا صاحبك إنك أعييتنى أنا صنعت هذا بك نأطعنى أنجك مما صنعت بك فاسجد لى سجدة فسجدله فلما سجدله قال إنى برىء منك إنى أخاف الله رب العالمين فذلك قوله (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى اخاف الله رب العالمين)

وقال ابن جرير حدثنى يحيى بن إبراهيم المسعودى حدثنا أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمارة عن عبدالرحمن ابن يزيد عن عبد الله بن مسعود فى هذه الآيه (كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إنى برىء منك إنى اخاف الله رب العالمين) قال كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها اربعة إخوة وكانت تأوى بالليل إلى صومعة راهب قال فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال له اقتلها ثم ادفنها فانك رجل مصدق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها قال فأتى الشيطان إخوتها فى المنام فقال لهم إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها فى مكان كذا وكذا فلما اصبحوا قال رجل منهم والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدرى أقصها عليكم أم أترك ؟ قالوا لا بل قصها علينا قال فقصها فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ، فقال الآخر وأنا والله لقد رأيت ذلك ؟ قالوا فوالله ما هذا إلا لشىء قال فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به فلقيه الشيطان فقال انى أنا الذى أوقعتك فى هذا ولن ينجيك منه غيرى فاسجد لى سجدة واحدة وأنجيك مما أوقعتك فيه قال فسجدله ، فلما أتوا به ملكهم تبرأ منه وأخذ فقتل وكذا روى عن ابن عباس وطاوس ومقاتل بن حيان نحو ذلك ، واشتهر عند كثير من الناس أن هذا العابد هو برصيصا والله أعلم . وهذه القصة مخالفة لقصة جريج العابد فان جريجا اتهمته امرأة بغى بنفسها وادعت أن حملها منه ورفعت أمرها إلى ولى الأمر فأمر به فأنزل من صومعته وخربت صومعته وهو يقول مالكم مالكم . قالوا ياعدو الله فعلت بهذه المرأة كذ وكذا ، فقال جريج اصبروا ثم أخذ ابنها وهو صغير جداً ثم قال يا غلام من أبوك . قال أبى الراعى وكانت قد أمكنته من نفسها فحملت منه ، فلما رأى بنو إسرائيل ذلك عظموه كلهم تعظيما بليغاً وقالوا نعيد صومعتك من ذهب ، قال لا بل أعيدوها من طين كما كانت وقوله تعالى (فكان عاقبتهما أنهما فى النار خالدين فيها) أى فكان عاقبة الآمر بالكفر والفاعل له ومصيرهما إلى نار جهنم خالدين فيها (وذلك جزاء الظالمين) أى جزاء كل ظالم

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عون بن أبى جحيفة عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر النهار قال فجاءه قوم حفاة عراة محتابى النمار أو العباء متقلدى السيوف عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتغير وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة قال فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام الصلاة فصلى ثم خطب فقال « يا أيها الناس اتقو ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة - إلى آخر الآية وقرأ الآية التى فى الحشر - ولتنظر نفس ما قدمت لغد - تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره - حتى قال - ولو بشق تمرة » قال فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت رسول الله ﷺ يتهلل وجهه كأنه

مذهبة فقال رسول الله ﷺ « من سن فى الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىء ، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شىء » انفرد بإخراجه مسلم من حديث شعبة بإسناده مثله فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) أمر بتقواه وهو يشمل فعل ما به أمر وترك ما عنه زجر

وقوله تعالى (ولتنظر نفس ما قدمت لغد) أى حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم (واتقوا الله) تأكيد ثان (إن الله خبير بما تعملون) أى اعلموا أنه عالم بجميع أعمالكم واحوالكم لا تخفى عليه منكم خافية ولا يغيب عنه من أموركم جليل ولا حقير . وقوله تعالى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أى لا تنسوا ذكر الله تعالى فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التى تنفعكم فى معادكم فان الجزاء من جنس العمل ولهذا قال تعالى (أولئك هم الفاسقون) أى الخارجون عن طاعة الله الهالكون يوم القيامة الخاسرون يوم معادهم كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا المغيرة حدثنا جرير بن عثمان عن نعيم بن نمحة قال كان فى خطبة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم . فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله عزوجل فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله عزوجل ، إن قوما جعلوا آجالهم لغيرهم فنهاكم الله عزوجل أن تكونوا أمثالهم (ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم) أين من تعرفون من إخوانكم ؟ قدموا على ما قدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط . قد صاروا تحت الصخر والآبار ، هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة ، واستضيئوا بسنائه وبيانه ، إن الله تعالى أثنى على زكريا وأهل بيته فقال تعالى (إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) لا خير فى قول لا يراد به وجه الله ولا خير فى مال لا ينفق فى سبيل الله . ولا خير فيمن يغلب جهله حلمه ، ولا خير فيمن يخاف فى الله لومة لائم . هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات ، وشيخ جرير بن عثمان وهو نعيم بن نمحة لا أعرفه بنفى ولا إثبات غير أن أبا داود السجستانى قد حكم بأن شيوخ جرير كلهم ثقات وقد روى لهذه الخطبة شواهد من وجوه أخر والله أعلم . وقوله تعالى (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة) أى لا يستوى هؤلاء وهؤلاء فى حكم الله تعالى يوم القيامة كما قال تعالى (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون) وقال تعالى (وما يستوى الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض . أم نجعل المتقين كالفجار) . فى آيات أخر دالات على أن الله تعالى يكرم الأبرار ويهين الفجار ولهذا قال تعالى ههنا (أصحاب الجنة هم الفائزون) أى الناجون المسلمون من عذاب الله عزوجل

﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ * هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ * هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى معظما لأمر القرآن ومبينا علو قدره وأنه ينبغى أن تخشع له القلوب وتتصدع عند سماعه لما فيه من

الوعد الحق والوعيد الأكيد (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) أى فإذا كان الجبل فى غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبرما فيه لخشع وتصدع من خوف الله عز وجل فكيف يليق بكم يا أيها البشر أن لاتلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه ولهذا قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) قال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا) إلى آخرها يقول لو أنى أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله ، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع ثم قال تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون) وكذا قال قتادة وابن جرير . وقد ثبت فى الحديث المتواتر أن رسول الله ﷺ لما عمل له المنبر وقد كان يوم الخطبة يقف إلى جانب جذع من جذوع المسجد فلما وضع المنبر أول ما وضع وجاء النبى ﷺ ليخطب فجاوز الجذع إلى نحو المنبر فعند ذلك حن الجذع وجعل يئن كما يئن الصبى الذى يسكت لما كان يسمع من الذكر والوحى عنده ففى بعض روايات هذا الحديث قال الحسن البصرى بعد ايراده فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجذع وهكذا هذه الآية الكريمة إذا كانت الجبال الصم لو سمعت كلام الله وفهمته لخشعت وتصدعت من خشيته فكيف بكم وقد سمعتم وفهمتم ؟ وقد قال تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى) الآية وقد تقدم أن معنى ذلك أى لكان هذا القرآن وقد قال تعالى (وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم) أخبر تعالى أنه الذى لا إله إلا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه وكل ما يعبد من دونه فباطل وأنه عالم الغيب والشهادة أى يعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء من جليل وحقير وصغير وكبير حتى الذر فى الظلمات وقوله تعالى (هو الرحمن الرحيم) قد تقدم الكلام على ذلك فى أول التفسير بما أغنى عن إعادته ههنا ، والمراد أنه ذو الرحمة الواسعة الشاملة لجميع المخلوقات فهو رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما وقد قال تعالى (ورحمتى وسعت كل شىء) وقال تعالى (كتب ربكم على نفسه الرحمة) وقال تعالى (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) ثم قال تعالى (هو الله الذى لا إله إلا هو الملك) أى المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة وقوله تعالى (القدوس) قال وهب بن منبه أى الطاهر . وقال مجاهد وقتادة أى المبارك وقال ابن جريج تقدسه الملائكة الكرام (السلام) أى من جميع العيوب والنقائص لكماله فى ذاته وصفاته وأفعاله . وقوله تعالى (المؤمن) قال الضحاك عن ابن عباس أى أمن خلقه من أن يظلمهم وقال قتادة أمن بقوله انه حق وقال ابن زيد صدق عباده المؤمنين فى إيمانهم به وقوله تعالى (المهيمن) قال ابن عباس وغير واحد أى الشاهد على خلقه بأعمالهم بمعنى هو رقيب عليهم كقوله (والله على كل شىء شهيد) وقوله (ثم الله شهيد على ما يفعلون) وقوله (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) الآية وقوله تعالى (العزيز) أى الذى قد عز كل شىء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه ولهذا قال تعالى (الجبار المتكبر) أى الذى لا تليق الجبرية إلا له ولا التكبر إلا لعظمته كما تقدم فى الصحيح « العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى واحدا منهما عذبته » وقال قتادة : الجبار الذى جبر خلقه على ما يشاء . وقال ابن جرير : الجبار المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم . وقال قتادة المتكبر يعنى عن كل سوء ثم قال تعالى (سبحان الله عما يشركون) وقوله تعالى (هو الله الخالق البارئ المصور) الخلق التقدير والبرء هو الفرى وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود وليس كل من قدر شيئا ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله عز وجل . قال الشاعر يمدح آخر :

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

أى أنت تنفذ ما خلقت أى قدرت بخلاف غيرك فانه لا يستطيع ما يريد فالخلق التقدير والفرى التنفيذ ومنه يقال

قدر الجلاد ثم فرى أى قطع على ما قدره بحسب ما يريده ، وقوله تعالى (الخالق البارئ المصور) أى الذى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون على الصفة التى يريد والصورة التى يختار كقوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) ولهذا قال المصور أى الذى ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التى يريدها وقوله تعالى (له الأسماء الحسنى) قد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الاعراف . ونذكر الحديث المروى فى الصحيحين عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » وتقدم سياق الترمذى وابن ماجه له عن أبى هريرة أيضا وزاد بعد قوله : «وهو وتر يحب الوتر» . واللفظ للترمذى : «هو الله الذى لا إله إلا هو الرحمن ، الرحيم ، الملك . القدوس . السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، البارئ ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح العليم ، القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز المذل ، السميع البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلى ، الكبير ، الحفيظ ، المقيت الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوى ، المتين ، الولى ، الحميد ، المحصى ، المبدئ ، المعيد ، المحيى ، المميت ، الحى ، القيوم ، الواجد ، الماجد ، الواحد الصمد ، القادر ، المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالى ، المتعالى ، البر ، التواب المنتقم ، العفو ، الرؤوف ، مالك الملك ذو الجلال والاكرام ، المقسط الجامع ، الغنى ، المغنى ، المعطى ، المانع ، الضار النافع ، النور الهادى البديع . الباقى . الوارث الرشيد الصبور . وسياق ابن ماجه بزيادة ونقصان وتقديم وتأخير وقد قدمنا ذلك مبسوطا مطولا بطرقه وألفاظه بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (يسبح له ما فى السموات والأرض) كقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شىء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليما غفورا) وقوله تعالى (وهو العزيز) أى فلا يرام جنابه (الحكيم) فى شرعه وقدره . وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا خالد يعنى ابن طهمان أبو العلاء الخفاف حدثنا نافع بن أبى نافع عن معقل بن يسار عن النبى ﷺ قال « من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يمسى وإن مات فى ذلك اليوم مات شهيدا ، ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة » ورواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن أبى أحمد الزبيرى به وقال غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه . آخر تفسير سورة الحشر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الممتحنة وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة فيه حاطب بن أبى بلتعة وذلك أن حاطبا هذا كان رجلا من المهاجرين وكان من أهل بدر أيضا وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم بل كان حليفا لعثمان فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد فأمر النبى صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال

« اللهم عم علیهم خبرنا » فعمد حاطب هذا فكتب كتابا وبعثه مع امرأة من قريش إلى أهل مكة يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم ليتخذ بذلك عندهم يدا فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله ﷺ استجابة لدعائه فبعث فى أثر المرأة فأخذ الكتاب منها وهذا بين فى هذا الحديث المتفق على صحته . قال الامام أحمد حدثنا سفيان عن عمه أخبرنى حسن بن محمد بن على أخبرنى عبد الله بن أبى رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبى رافع أخبره أنه سمع عليا رضى الله عنه يقول : بعثنى رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال « انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فاذا نحن بالظعينة قلنا أخرجى الكتاب ، قالت ما معى كتاب ، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب ، قال فأخرجت الكتاب من عقاصها فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله ﷺ فاذا فيه من حاطب بن أبى بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « ياحاطب ماهذا ؟ » قال لا تعجل على إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش ولم أكن من أنفسهم وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة فأحببت إذ فاتنى ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يدا يحمون بها قرابتى وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن دينى ولا رضا بالكفر بعد الاسلام فقال رسول الله ﷺ « إنه صدقكم » فقال عمر : دعنى أضرب عنق هذا المنافق ، فقال رسول الله ﷺ « إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به ، وزاد البخارى فى كتاب المغازى فأنزل الله السورة (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال فى كتاب التفسير قال عمرو ونزلت فيه (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) وقال لا أدرى الآية فى الحديث أو قال عمرو قال البخارى قال على يعنى ابن المدينى قيل لسفيان فى هذا نزلت (لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) فقال سفيان هذا فى حديث الناس حفظته من عمرو ماتركت منه حرفا ولا أرى أحدا حفظه غيرى . وقد أخرجاه فى الصحيحين من حديث حصين بن عبد الرحمن عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على قال بعثنى رسول الله ﷺ وأبا مرثد والزبير بن العوام وكلنا فارس وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها امرأة من المشركين معها كتاب من حاطب بن أبى بلتعة إلى المشركين فأدركناها تسير على بعير لها حيث قال رسول الله ﷺ فقلنا الكتاب ؟ فقالت مامعى كتاب فأنخناها فالتمسنا فلم نر كتابا فقلنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم لتخرجن الكتاب أو لنجردنك فلما رأت الجد أهوت إلى حجزتها وهى محتجزة بكساء فأخرجته فانطلقنا بها إلى رسول الله ﷺ فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلأضرب عنقه فقال النبى ﷺ « ما حملك على ما صنعت ! » قال حاطب والله مابى إلا أن أكون مؤمنا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم أردت أن تكون لى عند القوم يد يدفع الله بها عن أهلى ومالى وليس أحد من أصحابك إلا له هناك من عشيرته من يدفع الله به عن أهله وماله فقال « صدق لا تقولوا له إلا خيرا » فقال عمر إنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين فدعنى فلأضرب عنقه فقال « أليس من أهل بدر ! — فقال — لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة — أو قد غفرت لكم — » فدمعت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم ، هذا لفظ البخارى فى المغازى فى غزوة بدر . وقد روى من وجه آخر عن على قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسن الهسنجانى حدثنا عبيد بن يعيش حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى عن أبى سنان هو سعيد بن سنان عن عمرو بن مرة الجملى عن أبى إسحاق البحترى الطائى عن الحارث عن على قال لما أراد النبى ﷺ أن يأتى مكة أسر إلى أناس من أصحابه انه يريد مكة منهم حاطب بن أبى بلتعة وأفشى فى الناس انه يريد خيبر قال فكتب حاطب بن أبى بلتعة إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فبعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا مرثد وليس منا رجل إلا وعنده فرس فقال « ائتوا روضة خاخ فانكم ستلقون بها امرأة معها كتاب

فخذوه منها » فانطلقنا حتى رأيناها بالمكان الذى ذكر رسول الله ﷺ فقلنا لها هات الكتاب فقالت مامعى كتاب فوضعنا متاعها وفتشناها فلم نجده فى متاعها فقال أبومرثد لعله أن لا يكون معها فقلت ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا فقلنا لها لتخرجنه أو لنعرينك ، فقالت أما تتقون الله ! ألستم مسلمين ! فقلنا لتخرجنه أو لنعريتك قال عمرو بن مرة فأخرجته من حجزتها وقال حبيب بن أبى ثابت أخرجته من قبلها فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا الكتاب من حاطب بن أبى بلتعة فقام عمر فقال يارسول الله خان الله ورسوله فائذن لى فلأضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أليس قد شهد بدرا ؟ » قالوا بلى ، قال عمر بلى ولكنه قد نكث وظاهر أعداءك عليك فقال رسول الله ﷺ « فلعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ماشئتم إنى بما تعملون بصير » ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فأرسل رسول الله ﷺ إلى حاطب فقال « ياحاطب ماحملك على ماصنعت ؟ » فقال يارسول الله إنى كنت امرأ ملصقا فى قريش وكان لى بها مال وأهل ولم يكن من أصحابك أحد إلا وله بمكة من يمنع أهله وماله فكتبت بذلك اليهم ووالله يارسول الله إنى لمؤمن بالله ورسوله فقال رسول الله ﷺ « صدق حاطب فلا تقولوا لحاطب إلا خيرا » قال حبيب بن أبى ثابت فأنزل الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة) الآية وهكذا رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان باسناده مثله . وقد ذكر ذلك أصحاب المغازى والسير فقال محمد بن إسحاق بن يسار فى السيرة حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قال لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله ﷺ من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبنى عبد المطلب وجعل لها جعلا على أن تبلغه لقريش فجعلته فى رأسها ثم فتلت عليه قرونها ثم خرجت به وأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام فقال « أدركا امرأة قد كتب معها حاطب كتابا إلى قريش يحذرهم ما قد أجمعنا لهم من أمرهم » فخرجا حتى أدركاها بالخليفة خليفة بنى أبى أحمد فاستنزلاها بالخليفة فالتمسا فى رحلها فلم يجدا شيئا فقال لها على بن أبى طالب إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله وما كذبنا ولتخرجن لنا هذا الكتاب أولنكشفنك فلما رأت الجد منه قالت أعرض فأعرض فحلت قرون رأسها فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال « ياحاطب ماحملك على هذا ! » فقال يارسول الله أما والله إنى لمؤمن بالله وبرسوله ما غيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أهل ولا عشيرة وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل فصانعتهم عليهم فقال عمر بن الخطاب يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه فان الرجل قد نافق فقال رسول الله ﷺ « وما يدريك ياعمر ! لعل الله قد اطلع إلى أصحاب بدر يوم بدر فقال اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم » فأنزل الله عز وجل فى حاطب (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة — إلى قوله — قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) إلى آخر القصة ، وروى معمر عن الزهرى عن عروة نحو ذلك وهكذا ذكر مقاتل بن حيان أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة أنه بعث سارة مولاة بنى هاشم وأنه أعطاها عشرة دراهم وأن رسول الله ﷺ بعث فى أثرها عمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهما فأدركاها بالجحفة وذكر تمام القصة كنحو ماتقدم ، وعن السدى قريبا منه وهكذا قال العوفى عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغير واحد أن هذه الآيات نزلت فى حاطب بن أبى بلتعة فقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق) يعنى المشركين والكفار الذين هم محاربون لله ولرسوله وللمؤمنين الذين شرع الله عداوتهم ومصارمتهم

ونهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء كما قال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين) وقال تعالى (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ؟) وقال تعالى (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء الا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه) ولهذا قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عذر حاطب لما ذكر انه إنما فعل ذلك مصانعة لقريش لأجل ما كان له عندهم من الأموال والأولاد

ويذكر ههنا الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا مصعب بن سلام حدثنا الأجلح عن قيس بن أبى مسلم عن ربعى ابن حراش سمعت حذيفة يقول : ضرب لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمثالا واحدا وثلاثة وخمسة وسبعه وتسعة وأحد عشر قال فضرب لنا منها مثلا وترك سائرها قال « إن قوما كانوا أهل ضعف ومسكنة قاتلهم أهل تجبر وعداء فأظهر الله أهل الضعف عليهم فعمدوا إلى عدوهم فاستعملوهم وسلطوهم فأسخطوا الله عليهم إلى يوم يلقونه » وقوله تعالى (يخرجون الرسول وإياكم) هذا مع ماقبله من التهييج على عداوتهم وعدم موالاتهم لأنهم أخرجوا الرسول وأصحابه من بين أظهرهم كراهة لما هم عليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده ولهذا قال تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) أى لم يكن لكم عندهم ذنب الا إيمانكم بالله رب العالمين كقوله تعالى (وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكقوله تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) . وقوله تعالى (إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) أى إن كنتم كذلك فلاتتخذوهم أولياء ان كنتم خرجتم مجاهدين فى سبيلى باغين لمرضاتى عنكم فلا توالوا أعدائى وأعداءكم وقد أخرجوكم من دياركم وأموالكم حنقا عليكم وسخطا لدينكم وقوله تعالى (تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم) أى تفعلون ذلك وأنا العالم بالسرائر والضمائر والظواهر (ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل * إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم والسنتهم بالسوء) أى لو قدروا عليكم لما اتقوا فيكم من أذى ينالونكم به بالمقال والفعال (وودوا لو تكفرون) أى ويحرصون على أن لا تنالوا خيرا فهم عدواتهم لكم كامنة وظاهرة فكيف توالون مثل هؤلاء ؟ وهذا تهييج على عداوتهم أيضاً وقوله تعالى (لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير) أى قراباتكم لاتنفعكم عند الله إذا أراد الله بكم سواء ونفعهم لايصل اليكم إذا أرضيتموهم بما يسخط الله ومن وافق أهله على الكفر ليرضيهم فقد خاب وخسر وضل عمله ولا ينفعه عند الله قرابته من أحد ولو كان قريبا الى نبى من الأنبياء . قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يارسول الله أين أبى قال « فى النار » فلما قفى دعاه فقال « إن أبى وأباك فى النار » ورواه مسلم وأبو داود من حديث حماد بن سلمة به

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ * رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبرى منهم (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه) أى وأتباعه الذين آمنوا معه (إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم) أى تبرأنا منكم (ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم) أى بدينكم وطريقكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا) يعنى وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم مادمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أى إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لاشريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد . وقوله تعالى (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) أى لكم فى إبراهيم وقومه أسوة حسنة تتأسون بها الا فى استغفار إبراهيم لأبيه فانه إنما كان عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه وذلك أن بعض المؤمنين كانوا يدعون لآبائهم الذين ماتوا على الشرك ويستغفرون لهم ويقولون إن إبراهيم كان يستغفر لأبيه فأنزل الله عز وجل (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم * وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم) . وقال تعالى فى هذه الآية الكريمة (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذى معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم - إلى قوله تعالى - إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شىء) أى ليس لكم فى ذلك أسوة أى فى الاستغفار للمشركين هكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومقاتل بن حيان والضحاك وغير واحد .

ثم قال تعالى مخبرا عن قول إبراهيم والذين معه حين فارقوا قومهم وتبرءوا منهم فلجأوا إلى الله وتضرعوا إليه (فقالوا ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) أى توكلنا عليك فى جميع الأمور وسلمنا أمورنا اليك وفوضناها إليك وإليك المصير أى المعاد فى الدار الآخرة (ربنا لاتجعلنا فتنة للذين كفروا) قال مجاهد : معناه لاتعذبنا بأيديهم ولا بعذاب من عندك فيقولوا لو كان هؤلاء على حق ما أصابهم هذا ، وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة لاتظهرهم علينا فيفتتنو بذلك يرون أنهم إنما ظهروا علينا لحق هم عليه واختاره ابن جرير ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس لاتسلطهم علينا فيفتنونا ، وقوله تعالى (واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم) أى واستر ذنوبنا عن غيرك واعف عنها فيما بيننا وبينك (إنك أنت العزيز) أى الذى لايضام من لاذ بجنابك (الحكيم) فى أقوالك وأفعالك وشرعك وقدرك ثم قال تعالى (لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وهذا تأكيد لما تقدم ومستثنى منه ماتقدم أيضا لأن هذه الأسوة المثبتة ههنا هى الأولى بعينها ، وقوله تعالى (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) تهييج إلى ذلك لكل مؤمن بالله والمعاد ، وقوله تعالى (ومن يتول) أى عما أمر الله به (فان الله هو الغنى الحميد) كقوله تعالى (إن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعا فان الله لغنى حميد) وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : الغنى الذى قد كمل فى غناه وهو الله هذه صفته لا تنبغى إلا له ليس له كفء وليس كمثله شىء سبحان الله الواحد القهار والحميد المستحمد إلى خلقه أى هو المحمود فى جميع أقواله وأفعاله لا إله غيره ولا رب سواه

﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾

يقول تعالى لعباده المؤمنين بعد أن أمرهم بعداوة الكافرين (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) أى محبة بعد البغضة ومودة بعد النفرة وألفة بعد الفرقة (والله قدير) أى على مايشاء من الجمع بين الأشياء المتنافرة

والمتباينة والمختلفة فيؤلف بين القلوب بعد العداوة والقساوة فتصبح مجتمعة متفقة كما قال تعالى ممتنا على الأنصار (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) الآية وكذا قال لهم النبي ﷺ « ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ » وقال الله تعالى (هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم) ، وفي الحديث « أحبب حبيبك هونا ما فعسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما فعسى أن يكون حبيبك يوما ما » وقال الشاعر :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقوله تعالى (والله غفور رحيم) أي يغفر للكافرين كفرهم إذا تابوا منه وأنابوا إلى ربهم وأسلموا له وهو الغفور الرحيم بكل من تاب إليه من أي ذنب كان

وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية نزلت في أبي سفيان صخر بن حرب فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ابنته فكانت هذه مودة ما بينه وبينه ، وفي هذا الذي قاله مقاتل نظر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج بأم حبيبة بنت أبي سفيان قبل الفتح وأبو سفيان إنما أسلم ليلة الفتح بلا خلاف ، وأحسن من هذا ما رواه ابن أبي حاتم حيث قال قرىء على محمد بن عزيز حدثني سلامة حدثني عقيل حدثني ابن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل أبا سفيان صخر بن حرب على بعض اليمن فلما قبض رسول الله ﷺ أقبل فلقي ذا الخمار مرتدا فقاتله فكان أول من قاتل في الردة وجاهد عن الدين قال ابن شهاب وهو ممن أنزل الله فيه (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة) الآية . وفي صحيح مسلم عن ابن عباس أن أبا سفيان قال يا رسول الله ثلاث أعطنيهن ، قال « نعم » قال تأمرني أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين ، قال « نعم » قال ومعاوية تجعله كاتبا بين يديك ، قال « نعم » قال وعندي أحسن العرب وأجمله أم حبيبة بنت أبي سفيان أزوجكها — الحديث — وقد تقدم الكلام عليه. وقوله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم) ولم يظاهروا أي يعاونوا على إخراجكم أي لا ينهاكم عن الإحسان إلى الكفرة الذين لا يقاتلونكم في الدين كالنساء والضعفة منهم (أن تبروهم) أي تحسنوا إليهم (وتقسطوا إليهم) أي تعدلوا (إن الله يحب المقسطين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت قدمت أمي وهي مشركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رسول الله إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها ؟ قال « نعم صلي أمك » أخرجاه وقال الإمام أحمد حدثنا عارم حدثنا عبد الله بن المبارك حدثنا مصعب بن ثابت حدثنا عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال قدمت قتيلة على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا ضباب وقرظ وسمن وهي مشركة فأبت أسماء أن تقبل هديتها وتدخلها بيتها . فسألت عائشة النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين) إلى آخر الآية فأمرها أن تقبل هديتها وأن تدخلها بيتها . وهكذا رواه ابن جرير وابن أبي حاتم من حديث مصعب بن ثابت به ، وفي رواية لأحمد وابن جرير قتيلة بنت عبد العزى بن سعد من بني مالك بن حسل وزاد ابن أبي حاتم في المدة التي كانت بين قريش ورسول الله ﷺ وقال أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار حدثنا عبد الله بن شبيب حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو قتادة العدوي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة وأسماء أنهما قالتا قدمت علينا أمنا المدينة وهي مشركة في الهدنة التي كانت بين رسول الله ﷺ وبين قريش فقلنا يا رسول الله إن أمنا قدمت علينا المدينة وهي راغبة أفنصلها ، قال « نعم فصلاها » ثم قال وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن الزهري عن عروة عن عائشة إلا من هذا الوجه ﴿ قلت ﴾ وهو منكر بهذا السياق لأن أم عائشة هي أم رومان وكانت مسلمة مهاجرة وأم أسماء غيرها كما هو مصرح باسمها في هذه الأحاديث المتقدمة والله أعلم ؛ وقوله تعالى (إن الله يحب المقسطين) قد تقدم تفسير ذلك في سورة الحجرات ؛ وأورد الحديث الصحيح « المقسطون على منابر من نور عن يمين العرش ؛ الذين يعدلون في حكمهم وأهاليهم وما ولوا »

وقوله تعالى (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم) أى إنما ينهاكم عن موالاة هؤلاء الذين ناصبوكم بالعداوة فقاتلوكم وأخرجوكم وعاونوا على إخراجكم ينهاكم الله عز وجل عن موالاتهم ويأمركم بمعاداتهم . ثم أكد الوعيد على موالاتهم فقال (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدى القوم الظالمين)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴾

تقدم فى سورة الفتح ذكر صلح الحديبية الذى وقع بين رسول الله ﷺ وبين كفار قريش فكان فيه : على أن لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا ، وفى رواية على أنه لا يأتيك منا أحد وإن كان على دينك إلا رددته إلينا وهذا قول عروة والضحاك وعبد الرحمن بن زيد والزهرى ومقاتل بن حيان والسدى فعلى هذه الرواية تكون هذه الآية مخصصة للسنة وهذا من أحسن أمثلة ذلك وعلى طريقة بعض السلف ناسخة فان الله عز وجل أمر عباده المؤمنين إذا جاءهم النساء مهاجرات أن يمتحنوهن فان علموهن مؤمنات فلا يرجعوهن إلى الكفار لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ، وقد ذكرنا فى ترجمة عبد الله بن أحمد بن جحش من المسند الكبير من طريق أبى بكر بن أبى عاصم عن محمد بن يحيى الذهلى عن يعقوب بن محمد عن عبد العزيز بن عمران عن مجمع بن يعقوب عن حنين بن أبى أبانة عن عبد الله بن أبى أحمد قال هاجرت أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى الهجرة فخرج أخواها عمارة والوليد حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلماه فيها أن يردها إليهما فنقض الله العهد بينه وبين المشركين فى النساء خاصة فمنعهم أن يردوهن إلى المشركين وأنزل الله آية الامتحان . قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا يونس بن بكير عن قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبى نصر الأسدى قال سئل ابن عباس كيف كان امتحان رسول الله ﷺ النساء ، قال كان يمتحنهن بالله ما خرجت من بغض زوج وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض ، وبالله ما خرجت التماس دنيا وبالله ما خرجت إلا حبا لله ولرسوله ، ثم رواه من وجه آخر عن الأغر بن الصباح به ، وكذا رواه البزار من طريقه وذكر فيه أن الذى كان يحلفهن عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم له عمر بن الخطاب ، وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن) كان امتحانهن أن يشهدن أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وقال مجاهد (فامتحنوهن) فاسألوهن عما جاء بهن فان كان جاء بهن غضب على أزواجهن أو سخطة أو غيره ولم يؤمن فارجعوهن إلى أزواجهن ، وقال عكرمة يقال لها ما جاء بك إلا حب الله ورسوله ، وما جاء بك عشق رجل منا ولا فرار من زوجك فذلك قوله (فامتحنوهن) وقال قتادة كانت محنتهن أن يستحلفن بالله ما أخرجكن النشوز وما أخرجكن إلا حب الإسلام وأهله وحرص عليه فإذا قلن ذلك قبل ذلك منهن ، وقوله تعالى (فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار) فيه دلالة على أن الإيمان يمكن الاطلاع عليه يقينا وقوله تعالى (لا هن حل لهم

ولاهم يحلون لهن) هـذه الآية هى التى حرمت المسلمات على المشركين وقد كان جائزا فى ابتداء الاسلام أن يتزوج المشرك المؤمنة ولهذا كان أمر أبى العاص بن الربيع زوج ابنة النبى ﷺ زينب رضى الله عنها وقد كانت مسلمة وهو على دين قومه فلما وقع فى الأسارى يوم بدر بعثت امرأته زينب فى فدائه بقلادة لها كانت لأمها خديجة فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة وقال للمسلمين « إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها فافعلوا » ففعلوا فأطلقه رسول الله ﷺ على أن يبعث ابنته اليه فوفى له بذلك وصدقه فيما وعده وبعثها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع زيد بن حارثة رضى الله عنه فأقامت بالمدينة من بعد وقعة بدر وكانت سنة اثنتين إلى أن أسلم زوجها أبو العاص ابن الربيع سنة ثمان فردها عليه بالنكاح الأول ولم يحدث لها صداقا ، كما قال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى حدثنا ابن إسحاق حدثنا داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ رد ابنته زينب على أبى على العاص وكانت هجرتها قبل إسلامه بست سنين على النكاح الأول ولم يحدث شهادة ولا صداقا ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه ومنهم من يقول بعد سنتين وهو صحيح لأن إسلامه كان بعد تحريم المسلمات على المشركين بسنتين وقال الترمذى ليس بإسناده بأس ولا نعرف وجه هذا الحديث ولعله جاء من حفظ داود بن الحصين ، وسمعت عبد بن حميد يقول سمعت يزيد بن هارون يذكر عن ابن إسحاق هذا الحديث وحديث ابن الحجاج يعنى ابن أرطاة عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ رد ابنته على أبى العاص بن الربيع بمهر جديد ونكاح جديد فقال يزيد حديث ابن عباس أجود إسنادا والعمل على حديث عمرو بن شعيب ثم قلت وقد روى حديث الحجاج بن أرطاة عن عمرو بن شعيب الامام أحمد والترمذى وابن ماجه وضعفه الإمام أحمد وغير واحد والله أعلم

وأجاب الجمهور عن حديث ابن عباس بأن ذلك كان قضية عين يحتمل أنه لم تنقض عدتها منه لأن الذى عليه الأكثرون أنها متى انقضت العدة ولم يسلم انفسخ نكاحها منه . وقال آخرون بل إذا انقضت العدة هى بالخيار إن شاءت أقامت على النكاح واستمرت وإن شاءت فسخته وذهبت فتزوجت وحملوا عليه حديث ابن عباس والله أعلم وقوله تعالى (وآتوهم ما أنفقوا) يعنى أزواج المهاجرات من المشركين ادفعوا اليهم الذى غرموه عليهن من الأصدقة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والزهرى وغير واحد وقوله تعالى (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن) يعنى إذا أعطيتموهن أصدقتهن فانكحوهن أى تزوجوهن بشرطه من انقضاء العدة والولى وغير ذلك وقوله تعالى (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) تحريم من الله عز وجل على عباده المؤمنين نكاح المشركات والاستمرار معهن

وفى الصحيح عن الزهرى عن عروة عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية جاءه نساءه من المؤمنات فأنزل الله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات — إلى قوله — ولا تمسكوا بعصم الكوافر) فطلق عمر بن الخطاب يومئذ امرأتين تزوج احداهما معاوية بن أبى سفيان والأخرى صفوان بن أمية . وقال ابن ثور عن معمر عن الزهرى : أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأسفل الحديبية حين صالحهم على أنه من أتاه منهم رده اليهم فلما جاء النساء نزلت هذه الآية وأمره أن يرد الصداق إلى أزواجهن وحكم على المشركين مثل ذلك إذا جاءتهم امرأة من المسلمين أن يردوا الصداق إلى أزواجهن وقال (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) وهكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وقال وإنما حكم الله بينهم بذلك لأجل ما كان بينهم وبينهم من العهد وقال محمد بن إسحاق عن الزهرى طلق عمر يومئذ قريبة[1] بنت أبى أمية بن المغيرة فتزوجها معاوية وأم كلثوم بنت عمرو بن جرول الخزاعية وهى أم عبد الله فتزوجها أبو جهم بن حذيفة ابن غانم رجل من قومه وهما على شركهما ، وطلق طلحة بن عبيد الله أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب فتزوجها بعده خالد بن سعيد بن العاص . وقوله تعالى (واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا) أى وطالبوا بما أنفقتم على أزواجكم اللاتى يذهبن إلى الكفار إن ذهبن وليطالبوا بما أنفقوا على أزواجهم اللاتى هاجرن إلى المسلمين وقوله تعالى (ذلكم حكم الله يحكم بينكم) أى فى الصلح واستثناء النساء منه والأمر بهذا كله هو حكم الله يحكم به بين خلقه (والله

(١) كذا فى الأصل ، وفى تفسير البغوى : فاطمة

عليم حكيم) أى عليم بما يصلح عباده حكيم فى ذلك ثم قال تعالى (وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) قال مجاهد وقتادة هذا فى الكفار الذين ليس لهم عهد إذا فرت اليهم امرأة ولم يدفعوا إلى زوجها شيئا فإذا جاءت منهم امرأة لايدفع إلى زوجها شىء حتى يدفع إلى زوج الذاهبة اليهم مثل نفقته عليها ، وقال ابن جرير حدثنا يونس حدثنا ابن وهب أخبرنى يونس عن الزهرى قال أقر المؤمنون بحكم الله فأدوا ماأمروا به من نفقات المشركين التى أنفقوا على نسائهم وأبى المشركون أن يقروا بحكم الله فيما فرض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿ وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأة من أزواج المؤمنين إلى المشركين رد المؤمنون إلى زوجها النفقة التى أنفق عليها من العقب الذى بأيديهم الذى أمروا أن يردوه على المشركين من نفقاتهم التى أنفقوا على أزواجهم اللاتى آمن وهاجرن ثم ردوا إلى المشركين فضلا إن كان بقى لهم ، والعقب ما كان بقى من صداق نساء الكفار حين آمن وهاجرن وقال العوفى عن ابن عباس فى هذه الآية ، يعنى إن لحقت امرأة رجل من المهاجرين بالكفار أمر له رسول الله ﷺ انه يعطى مثل ما أنفق من الغنيمة ، وهكذا قال مجاهد (فعاقبتم) أصبتم غنيمة من قريش أو غيرهم (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ماأنفقوا) يعنى مهر مثلها . وهكذا قال مسروق وإبراهيم وقتادة ومقاتل والضحاك وسفيان بن حسين والزهرى أيضا . وهذا لاينافى الأول لأنه إن أمكن الأول فهو الأولى وإلا فمن الغنائم اللاتى تؤخذ من أيدى الكفار ، وهذا أوسع وهو اختيار ابن جرير ولله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن أخى ابن شهاب عن عمه قال أخبرنى عروة أن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمتحن من هاجر اليه من المؤمنات بهذه الآية (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك — إلى قوله — غفور رحيم) قال عروة قالت عائشة فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد بايعتك» كلاما ، ولا والله ما مست يده يد امرأة فى المبايعة قط ، ماييايعهن إلا بقوله « قد بايعتك على ذلك » هذا لفظ البخارى . وقال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا سفيان عن محمد بن المنكدر عن أميمة بنت رقيقة قالت أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نساء لنبايعه فأخذ علينا مافى القرآن أن لانشرك بالله شيئا الآية وقال « فيما استطعتن وأطقتن » قلنا الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا ، قلنا يارسول الله ألا تصافحنا ؟ قال «إنى لاأصافح النساء إنما قولى لامرأة واحدة قولى لمائة امرأة » هذا إسناد صحيح وقد رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة والنسائى أيضا من حديث الثورى ومالك بن أنس كلهم عن محمد بن المنكدر به وقال الترمذى حسن صحيح لانعرفه إلا من حديث محمد بن المنكدر وقد رواه أحمد أيضا من حديث محمد بن إسحاق عن محمد بن المنكدر عن أميمة به وزاد : ولم يصافح منا امرأة، وكذا رواه ابن جرير من طريق موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر به. وراه ابن أبى حاتم من حديث أبى جعفر الرازى عن محمد بن المنكدر حدثتنى أميمة بنت رقيقة وكانت أخت خديجة خالة فاطمة من فيها إلى فى فذكره وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن ابن إسحاق حدثنى سليط بن أيوب بن الحكم بن سليم عن أمه سلمى بنت قيس وكانت إحدى خالات رسول الله ﷺ وقد صلت معه القبلتين ، وكانت إحدى نساء بنى عدى بن النجار قالت جئت رسول الله صلى الله

عليه وسلم نبايعه فى نسوة من الأنصار فلما شرط علينا ألا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف قال « ولا تغششن أزواجكن » قالت فبايعناه ثم انصرفنا فقلت لامرأة منهن ارجعى فسلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما غش أزواجنا؟ قال فسألته فقال : « تأخذ ماله فتحابى به غيره » وقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن عثمان بن إبراهيم بن محمد ابن حاطب حدثنى أبى عن أمه عائشة بنت قدامة يعنى ابن مظعون قالت أنا مع أمى رائطة ابنة سفيان الخزاعية والنبى صلى الله عليه وسلم يبايع النسوة ويقول « أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ولا تقتلن أولادكن ولا تأتين ببهتان تفترينه بين أيديكن وأرجلكن ولا تعصينى فى معروف — قلن نعم — فيما استطعتن » فكن يقلن وأقول معهن وأمى تقول لى أى بنية نعم فكنت أقول كما يقلن وقال البخارى حدثنا معمر حدثنا عبد الوارث حدثنا أيوب عن حفصة بنت سيرين عن أم عطية قالت بايعنا رسول الله صلى عليه وسلم فقرأ علينا (ولا تشركن بالله شيئا) ونهانا عن النياحة فقبضت امرأة يدها قالت أسعدتنى فلانة فأريد أن أجزيها فما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فانطلقت ورجعت فبايعها ، ورواه مسلم وفى رواية فما وفى منهن امرأة غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان وللبخارى عن أم عطية قالت أخذ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة غير خمس نسوة أم سليم وأم العلاء وابنة أبى سبرة امرأة معاذ وامرأتان أو ابنة أبى سبرة وامرأة معاذ وامرأة أخرى وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعاهد النساء بهذه البيعة يوم العيد كما قال البخارى حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا هارون بن معروف حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى ابن جريج أن الحسن بن مسلم أخبره عن طاوس عن ابن عباس قال شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر وعثمان فكلهم يصليها قبل الخطبة ثم يخطب بعد فنزل نبى الله صلى الله عليه وسلم فكأنى أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال فقال (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف) حتى فرغ من الآية كلها ثم قال حين فرغ « أنتن على ذلك ؟ » فقالت امرأة واحدة ولم يجبه غيرها نعم يا رسول الله لا يدرى حسن من هى قال فتصدقن قال وبسط بلال ثوبه فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم فى ثوب بلال وقال الإمام أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا عباس عن سليمان بن سليم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال جاءت أميمة بنت رقيقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الإسلام فقال « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئا ولا تسرقى ولا تزنى ولا تقتلى ولدك ولا تأتى ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحى ولا تبرجى تبرج الجاهلية الأولى » وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن الزهرى عن أبى إدريس الخولانى عن عبادة ابن الصامت قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مجلس فقال (تبايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم — قرأ الآية التى أخذت على النساء إذا جاءك المؤمنات — فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه » أخرجاه فى الصحيحين .

وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن أبى عبد الله عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال : كنت فيمن حضر العقبة الأولى وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفرض الحرب على أن لا نشرك بالله شيئا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف وقال « فان وفيتم فلكم الجنة » رواه ابن أبى حاتم ، وقد روى ابن جرير من طريق العوفى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عمر بن الخطاب فقال « قل لهن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعكن على أن لا تشركن بالله شيئا » وكانت هند بنت عتبة بن ربيعة التى شقت بطن حمزة متنكرة فى النساء فقالت إنى إن أتكلم يعرفنى وإن عرفنى قتلنى وإنما تنكرت فرقا من رسول الله صلى الله

عليه وسلم فسكت النسوة اللاتى مع هند وأبين أن يتكلمن فقالت هند وهى متنكرة كيف تقبل من النساء شيئا لم تقبله من الرجال ؟ فنظر إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعمر « قل لهن ولا يسرقن » قالت هند والله إنى لأصيب من أبى سفيان الهنات ما أدرى أيحلهن لى أم لا قال أبو سفيان ما أصبت من شىء مضى أو قد بقى فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فدعاها فأخذت بيده فعاذت به فقال « أنت هند ؟ » قالت عفا الله عما سلف فصرف عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ولا يزنين » فقالت يا رسول الله وهل تزنى امرأة حرة قال « لا والله ما تزنى الحرة — قال — ولا يقتلن أولادهن » قالت هند أنت قتلتهم يوم بدر فأنت وهم أبصر ، قال (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال (ولا يعصينك فى معروف) قال منعهن أن ينحن وكان أهل الجاهلية يمزقن الثياب ويخدشن الوجوه ويقطعن الشعور ، ويدعون بالويل والثبور . وهذا أثر غريب وفى بعضه نكارة والله أعلم ، فان أبا سفيان وامرأته لما أسلما لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيفهما بل أظهر الصفاء والود لهما وكذلك كان الأمر من جانبه عليه السلام لهما . وقال مقاتل بن حيان أنزلت هذه الآية يوم الفتح ، بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجال على الصفاء وعمر بايع النساء يحلفهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر بقيته كما تقدم وزاد :فلما قال ولا تقتلن أولادكن قالت هند ربيناهم صغاراً فقتلتموهم كباراً فضحك عمر بن الخطاب حتى استلقى . رواه ابن أبى حاتم، وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبى حدثنا نصر بن على حدثتنى أم عطية بنت سليمان حدثنى عمى عن جدى عن عائشة قالت : جاءت هند بنت عتبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لتبايعه فنظر إلى يدها فقال « اذهبى فغيرى يدك » فذهبت فغيرتها بحناء ثم جاءت فقال « أبايعك على أن لا تشركى بالله شيئا » فبايعته وفى يدها سواران من ذهب فقالت ما تقول فى هذين السوارين فقال « جمرتان من نار جهنم »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء وفى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال « ولا تقتلن أولادكن » فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصينا بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاء النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن فقوله تعالى (يا أيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أى من جاءك منهن يبايع على هذه الشروط فبايعها على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن أموال الناس الأجانب ، فأما إذا كان الزوج مقصرا فى نفقتها فلها أن تأكل من ماله بالمعروف ما جرت به عادة أمثالها وإن كان من غير علمه عملا بحديث هند بنت عتبة أنها قالت يا رسول الله : إن أبا سفيان رجل شحيح لا يعطينى من النفقة ما يكفينى ويكفى بنى فهل على جناح إن أخذت من ماله بغير علمه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « خذى من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفى بنيك » أخرجاه فى الصحيحين ، وقوله تعالى (ولا يزنين) كقوله تعالى (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا) وفى حديث سمرة ذكر عقوبة الزناة بالعذاب الأليم فى نار الجحيم وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : جاءت فاطمة بنت عتبة تبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ عليها (أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين) الآية قال فوضعت يدها على رأسها حياء فأعجبه ما رأى منها فقالت عائشة أقرى أيتها المرأة فوالله ما بايعنا إلا على هذا قالت فنعم إذا فبايعها بالآية ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن فضيل عن حصين عن عامر هو الشعبى قال بايع رسول الله ﷺ النساء وعلى يده ثوب قد وضعه على كفه ثم قال : ولا تقتلن أولادكن . فقالت امرأة تقتل آباءهم وتوصى بأولادهم ؟ قال وكان بعد ذلك إذا جاءت النساء يبايعنه جمعهن فعرض عليهن فإذا أقررن رجعن ، وقوله تعالى (ولا يقتلن أولادهن) وهذا يشمل قتله بعد وجوده كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الاملاق ويعم قتله وهو جنين كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء تطرح نفسها لئلا تحبل إما لغرض فاسد أو ما أشبهه

وقوله تعالى (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) قال ابن عباس يعنى لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهم وكذا قال مقاتل . ويؤيد هذا الحديث الذى رواه أبو داود، حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب حدثنا عمرو

يعنى ابن الحارث عن ابن الهاد عن عبدالله بن يونس عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين نزلت آية اللاعنة « أيما امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فليست من الله فى شىء ولن يدخلها الله الجنة ، وأيما رجل جحد ولده وهو ينظر اليه احتجب الله منه وفضحه على رءوس الأولين والآخرين » وقوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) يعنى فيما أمرتهن به من معروف ونهيتهن عنه من منكر . قال البخارى حدثنا عبد الله بن محمد حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى قال سمعت الزبير عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قال إنما هو شرط شرطه الله للنساء . وقال ميمون بن مهران لم يجعل الله طاعة لنبيه إلا فى المعروف والمعروف طاعة ، وقال ابن زيد أمر الله بطاعة رسوله وهو خيرة الله من خلقه فى المعروف . وقد قال غيره عن ابن عباس وأنس بن مالك وسالم بن أبى الجعد وأبى صالح وغير واحد نهاهن يومئذ عن النوح ، وقد تقدم حديث أم عطية فى ذلك أيضا . وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة فى هذه الآية ذكر لنا أن نبى الله صلى الله عليه وسلم أخذ عليهن النياحة ولا تحدث الرجال إلا رجلا منكن محرما ، فقال عبد الرحمن بن عوف : يارسول الله إن لنا أضيافا وإنا نغيب عن نسائنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس أولئك عنيت ، ليس أولئك عنيت » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى الفراء أخبرنا ابن أبى زائدة حدثنى مبارك عن الحسن قال كان فيما أخذ النبى صلى الله عليه وسلم ألا تحدث الرجال إلا أن تكون ذات محرم فان الرجل لا يزال يحدث المرأة حتى يمذى بين فخذيه . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا هارون عن عمرو عن عاصم عن ابن سيرين عن أم عطية الأنصارية قالت كان فيما اشترط علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعروف حين بايعناه أن لا ننوح فقالت امرأة من بنى فلان إن بنى فلان أسعدونى فلا حتى أجزيهم فانطلقت فأسعدتهم ثم جاءت فبايعت قالت فما وفى منهن غيرها وغير أم سليم ابنة ملحان أم أنس بن مالك ، وقد روى البخارى هذا الحديث من طريق حفصة بنت سيرين عن أم عطية نسيبة الأنصارية رضى الله عنها . وقد روى نحوه من وجه آخر أيضا قال : حدثنا ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو نعيم حدثنا عمرو بن فروخ القتات حدثنى مصعب بن نوح الأنصارى قال : أدركت عجوزا لنا كانت فيمن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فأتيته لأبايعه فأخذ علينا فيما أخذ أن لا تنحن فقالت عجوز يارسول الله إن ناسا قد كانوا أسعدونى على مصائب أصابتنى وانهم قد أصابتهم مصيبة فأنا أريد أسعدهم قال « فانطلقى فكافئيهم » فانطلقت فكافأتهم ثم إنها أتته فبايعته وقال هو المعروف الذى قال الله عز وجل (ولا يعصينك فى معروف) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا الضبى حدثنا الحجاج بن صفوان عن أسيد بن أبى أسيد البزار عن امرأة من المبايعات قالت كان فيما أخذ علينا رسول الله ﷺ أن لا نعصيه فى معروف أن لا نخمش وجها ولا ننشر شعرا ولا نشق جيبا ولا ندعوا ويلا وقال ابن جرير حدثنا محمد بن سنان القزاز حدثنا إسحاق بن إدريس حدثنا إسحاق بن عثمان أبو يعقوب حدثنى إسماعيل بن عبد الرحمن بن عطية عن جدته أم عطية قالت لما قدم رسول الله ﷺ جمع نساء الأنصار فى بيت ثم أرسل إلينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقام على الباب وسلم علينا فرددن أو فرددنا عليه السلام ثم قال أنا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إليكن فقالت فقلنا : مرحبا برسول الله وبرسول رسول الله ، فقال تبايعن على أن لا تشركن بالله شيئا ولا تسرقن ولا تزنين ، قالت : فقلنا نعم ، قالت فمد يده من خارج الباب أو البيت ومددنا أيدينا من داخل البيت ثم قال : اللهم اشهد ، قالت وأمرنا فى العيدين أن نخرج فيه الحيض والعواتق ولا جمعة علينا ، ونهانا عن اتباع الجنائز قال إسماعيل فسألت جدتى عن قوله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قالت النياحة

وفى الصحيحين من طريق الأعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » وفى الصحيحين أيضا عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا هدبة

ابن خالد حدثنا أبان بن يزيد حدثنا يحيى بن أبى كثير أن زيدا حدثه ان أبا سلام حدثه ان أبا مالك الأشعرى حدثه ان رسول الله ﷺ قال « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن : الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة على الميت ـ وقال ـ النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » ورواه مسلم فى صحيحه منفردا به من حديث أبان بن يزيد العطار به وعن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة رواه أبو داود . وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن يزيد مولى الصهباء عن شهر ابن حوشب عن أم سلمة عن رسول الله ﷺ فى قول الله تعالى (ولا يعصينك فى معروف) قال النوح ورواه الترمذى فى التفسير عن عبد بن حميد عن أبى نعيم وابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع كلاهما عن يزيد بن عبد الله الشيبانى مولى الصهباء به وقال الترمذى حسن غريب

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴾

ينهى تبارك وتعالى عن موالاة الكافرين فى آخر هذه السورة كما نهى عنها فى أولها فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) يعنى اليهود والنصارى وسائر الكفار ممن غضب الله عليه ولعنه واستحق من الله الطرد والابعاد فكيف توالونهم وتتخذونهم أصدقاء وأخلاء وقد يئسوا من الآخرة أى من ثواب الآخرة ونعيمها فى حكم الله عز وجل . وقوله تعالى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) فيه قولان أحدهما كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين فى القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك لأنهم لا يعتقدون بعثا ولا نشورا فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه . قال العوفى عن ابن عباس (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم) إلى آخر السورة يعنى من مات من الذين كفروا فقد يئس الأحياء من الذين كفروا أن يرجعوا اليهم أو يبعثهم الله عز وجل ، وقال الحسن البصرى (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال الكفار الأحياء قد يئسوا من الأموات ، وقال قتادة كما يئس الكفار أن يرجع اليهم أصحاب القبور الذين ماتوا وكذا قال الضحاك رواهن ابن جرير ، والقول الثانى معناه كما يئس الكفار الذين هم فى القبور من كل خير قال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود (كما يئس الكفار من أصحاب القبور) قال كما يئس هذا الكافر إذا مات وعاين ثوابه واطلع عليه وهذا قول مجاهد وعكرمة ومقاتل وابن زيد والكلبى ومنصور وهو اختيار ابن جرير رحمه الله . آخر تفسير سورة الممتحنة ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الصف وهى مدنية ﴾

قال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة وعن عطاء ابن يسار عن أبى سلمة عن عبد الله بن سلام قال تذاكرنا أيكم يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسأله أى الأعمال أحب إلى الله فلم يقم أحد منا فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الينا رجلا رجلا فجمعنا فقرأ علينا هذه السورة يعنى سورة الصف كلها ، هكذا رواه الإمام أحمد وقال ابن أبى حاتم حدثنا العباس بن الوليد بن مرثد البيروتى قراءة قال أخبرنى أبى سمعت الأوزاعى حدثنى يحيى بن أبى كثير حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن حدثنى عبد الله بن سلام أن أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل فلم يذهب اليه أحدمنا وهبنا أن نسأله عن ذلك قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر رجلا رجلا حتى جمعهم ونزلت فيهم هذه السورة (سبح لله) الصف قال عبد الله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها . قال أبو سلمة وقرأها علينا عبد الله بن سلام كلها قال يحيى بن أبى كثير وقرأها علينا أبو سلمة كلها قال الأوزاعى وقرأها علينا يحيى بن أبى كثير كلها قال أبى وقرأها علينا الأوزاعى كلها ، وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى

حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قال : قعدنا نفرا من أصحاب رسول الله ﷺ فتذاكرنا فقلنا لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله عز وجل لعملناه فأنزل الله تعالى (سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم * يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) قال عبدالله بن سلام فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو سلمة فقرأها علينا ابن سلام قال يحيى فقرأها علينا أبو سلمة قال ابن كثير فقرأها علينا الأوزاعي قال عبدالله فقرأها علينا ابن كثير ، ثم قال الترمذي وقد خولف محمد بن كثير في إسناد هذا الحديث عن الأوزاعي فروى ابن المبارك عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن هلال بن أبي ميمونة عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن سلام أو عن أبي سلمة عن عبد الله بن سلام قلت وهكذا رواه الإمام أحمد عن معمر عن ابن المبارك به قال الترمذي وروى الوليد بن مسلم هذا الحديث عن الأوزاعي نحو رواية محمد بن كثير قلت وكذا رواه الوليد بن يزيد عن الأوزاعي كما رواه ابن كثير قلت وقد أخبرني بهذا الحديث الشيخ المسند أبو العباس أحمد بن أبي طالب الحجار قراءة عليه وأنا أسمع أخبرنا أبو النجا عبدالله بن عمر بن اللتي أخبرنا أبو الوقت عبدالأول بن عيسى بن شعيب السجزي قال أخبرنا أبو الحسن بن عبد الرحمن بن المظفر بن محمد بن داود الداودي أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أخبرنا عيسى بن عمر بن عمران السمرقندي. أخبرنا الإمام الحافظ أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي بجميع مسنده أخبرنا محمد بن كثير عن الأوزاعي فذكر بإسناده مثله وتسلسل لنا قراءتها إلى شيخنا أبي العباس الحجار ولم يقرأها لأنه كان أميا وضاق الوقت عن تلقينها إياه ولكن أخبرني الحافظ الكبير أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان رحمه الله الذهبي أخبرنا القاضي تقي الدين بن سليمان بن الشيخ أبي عمرو أخبرنا أبو النجا بن اللتي فذكره بإسناده وتسلسل لي من طريقه وقرأها علي بكمالها ولله الحمد والمنة .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾

قد تقدم الكلام على قوله تعالى (سبح لله مافي السموات ومافي الأرض وهو العزيز الحكيم) غير مرة بما أغنى عن إعادته : وقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) إنكار على من يعد وعدا أو يقول قولا لا يفي به ولهذا استدل بهذه الآية الكريمة من ذهب من علماء السلف إلى أنه يجب الوفاء بالوعد مطلقا سواء ترتب عليه عزم للموعود أم لا واحتجوا أيضا من السنة بما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا وعد أخلف ، وإذا حدث كذب ، وإذا اؤتمن خان » . وفي الحديث الآخر في الصحيح « أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه واحدة منهن كانت فيه خصلة من نفاق حتى يدعها » فذكر منهن اخلاف الوعد وقد استقصينا الكلام على هذين الحديثين في أول شرح البخاري ولله الحمد والمنة ولهذا أكد الله تعالى هذا الإنكار عليهم بقوله تعالى (كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون) . وقد روى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال ، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا صبي فذهبت لأخرج لألعب فقالت أمي يا عبد الله تعالى أعطك فقال لها رسول الله ﷺ « وما أردت أن تعطيه ؟ » قالت تمرا فقال « أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة » وذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى إلى أنه إذا تعلق بالوعد عزم على الموعود وجب الوفاء به كما لو قال لغيره تزوج وأنا على كل يوم كذا فتزوج وجب عليه أن يعطيه ما دام كذلك لأنه تعلق به حق آدمي وهو مبني على المضايقة وذهب الجمهور إلى أنه لا يجب مطلقا وحملوا الآية على أنها نزلت حين تمنوا فريضة الجهاد عليهم فلما فرض نكل عنه بعضهم كقوله تعالى (ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة

فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا * أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وقال تعالى (ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة ؟ فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) الآية وهكذا هذه الآية معناها كما قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولوا مالا تفعلون) قال كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون لوددنا أن الله عز وجل دلنا على أحب الأعمال إليه فنعمل به فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إيمان به لا شك فيه وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقروا به فلما نزل الجهاد كره ذلك ناس من المؤمنين وشق عليهم أمره فقال الله سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ؟) وهذا اختيار ابن جرير . وقال مقاتل بن حيان : قال المؤمنون لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لعملنا به فدلهم الله على أحب الأعمال إليه فقال (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) فبين لهم فابتلوا يوم أحد بذلك فولوا عن النبى صلى الله عليه وسلم مدبرين فأنزل الله فى ذلك (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) وقال: أحبكم إلى من قاتل فى سبيلى . ومنهم من يقول أنزلت فى شأن القتال يقول الرجل قاتلت ولم يقاتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقال قتادة والضحاك نزلت توبيخا لقوم كانوا يقولون قتلنا ضربنا طعنا وفعلنا ولم يكونوا فعلوا ذلك وقال ابن زيد نزلت فى قوم من المنافقين كانوا يعدون المسلمين النصر ولا يفون لهم بذلك وقال مالك عن زيد بن أسلم (لم تقولون مالا تفعلون ؟) قال الجهاد وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (لم تقولون مالا تفعلون - إلى قوله - كأنهم بنيان مرصوص) فما بين ذلك فى نفر من الأنصار فيهم عبد الله بن رواحة قالوا فى مجلس لو نعلم أى الأعمال أحب إلى الله لعملنا به حتى نموت فأنزل الله تعالى هذا فيهم فقال عبد الله بن رواحة لا أبرح حبيسا فى سبيل الله حتى أموت فقتل شهيداً وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا فروة بن أبى المغراء حدثنا على بن مسهر عن داود بن أبى هند عن أبى حرب بن أبى الأسود الديلى عن أبيه قال بعث أبو موسى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه منهم ثلثمائة رجل كلهم قد قرأ القرآن فقال أنتم قراء أهل البصرة وخيارهم . وقال كنا نقرأ سورة كنا نشبهها باحدى المسبحات فأنسيناها غير أنى قد حفظت منها (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) فتكتب شهادة فى أعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة ولهذا قال تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) فهذا إخبار من الله تعالى بمحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله فى حومة الوغى يقاتلون فى سبيل الله من كفر بالله لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر العالى على سائر الأديان

قال الإمام أحمد حدثنا على بن عبد الله حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاثة يضحك الله إليهم : الرجل يقوم من الليل ، والقوم إذا صفوا للصلاة ، والقوم إذا صفوا للقتال » ورواه ابن ماجه من حديث مجالد عن أبى الوداك جبر بن نوف به وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا الأسود يعنى ابن شيبان حدثنى يزيد بن عبد الله بن الشخير قال : قال مطرف كان يبلغنى عن أبى ذر حديث كنت أشتهى لقاءه فلقيته فقلت يا أبا ذر كان يبلغنى عنك حديث فكنت أشتهى لقاءك فقال فقد أبوك فقد لقيت فهات فقلت كان يبلغنى عنك أنك تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثكم أن الله يبغض ثلاثة ويحب ثلاثة قال أجل فلا إخالنى أكذب على خليلى ﷺ قلت فمن هؤلاء الثلاثة الذين يحبهم الله عز وجل ؟ قال رجل غزا فى سبيل الله خرج محتسبا مجاهدا فلقى العدو فقتل وأنتم تجدونه فى كتاب الله المنزل ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) وذكر الحديث هكذا أورد هذا الحديث من هذا الوجه بهذا السياق وهذا اللفظ واختصره ، وقد أخرجه الترمذى والنسائى من حديث شعبة عن منصور بن المعتمر عن ربعى بن حراش عن زيد بن ظبيان عن أبى ذر بأبسط من هذا السياق وأتم وقد أوردناه

فى موضع آخر ولله الحمد . وعن كعب الأحبار أنه قال : يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم « عبدى المتوكل المختار ليس بفظ ولا غليظ ولاسخاب فى الأسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة وهجرته بطابة وملكه الشام وأمته الحامدون يحمدون الله على كل حال ، وفى كل منزلة لهم دوى كدوى النحل فى جو السماء بالسحر ، يوضون أطرافهم ويأتزورن على انصافهم صفهم فى القتال مثل صفهم فى الصلاة » ثم قرأ (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) رعاة الشمس يصلون الصلاة حيث ادركتهم ولو على ظهر دابة . رواه ابن أبى حاتم . وقال سعيد بن جبير فى قوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا) قال كان رسول الله ﷺ لا يقاتل العدو إلا أن يصافهم ، وهذا تعليم من الله للمؤمنين . قال وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) أى ملتصق بعضه فى بعض من الصف فى القتال وقال مقاتل بن حيان ملتصق بعضه إلى بعض وقال ابن عباس (كأنهم بنيان مرصوص) مثبت لايزول ملصق بعضه ببعض . وقال قتادة (كأنهم بنيان مرصوص) ألم تر إلى صاحب البنيان كيف لا يحب أن يختلف بنيانه . فكذلك الله عزوجل لا يحب أن يختلف أمره وان الله صف المؤمنين فى قتالهم وصفهم فى صلاتهم فعليكم بأمر الله فانه عصمة لمن أخذ به ، أورد ذلك كله ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنى سعيد بن عمرو السكونى حدثنا بقية بن الوليد عن أبى بكر بن أبى مريم عن يحيى بن جابر الطائى عن أبى بحرية قال كانوا يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله عزوجل (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص) قال وكان أبو بحرية يقول : إذا رأيتمونى التفت فى الصف فجؤا فى لحيى

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ * وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه (لم تؤذوننى وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) أى لم توصلون الأذى إلى وأنتم تعلمون صدقى فيما جئتكم به من الرسالة . وفى هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم وأمر له بالصبر ولهذا قال « رحمة الله على موسى : لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر) وفيه نهى للمؤمنين أن ينالوا من النبى صلى الله عليه وسلم أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها) وقوله تعالى (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) أى فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) وقال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) ولهذا قال تعالى فى هذه الآية (والله لا يهدى القوم الفاسقين) . وقوله تعالى (وإذا قال عيسى ابن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد) يعنى التوراة قد بشرت بى وأنا مصداق ما أخبرت عنه وأنا مبشر بمن بعدى وهو الرسول النبى الأمى العربى المكى أحمد . فعيسى عليه السلام هو خاتم أنبياء بنى إسرائيل وقد أقام فى ملأ بنى إسرائيل مبشراً بمحمد وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذى لا رسالة بعده ولا نبوة ، وما أحسن ما أورد البخارى الحديث الذى قال فيه حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن لى

أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحى الذى يمحو الله به الكفر وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى وأنا العاقب» ورواه مسلم من حديث الزهرى به نحوه

وقال أبو داود الطيالسى حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة عن أبى موسى قال سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه أسماء منها ما حفظنا فقال « أنا محمد وأنا أحمد والحاشر والمقفى ونبى الرحمة والتوبة والملحمة » ورواه مسلم من حديث الأعمش عن عمرو بن مرة به ، وقد قال الله تعالى (الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) الآية ، وقال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين) قال ابن عباس : ما بعث الله نبيا إلا أخذ عليه العهد لئن بعث محمد وهو حى ليتبعنه وأخذ عليه أن يأخذ على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليتبعنه وينصرنه . وقال محمد بن إسحاق حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا : يا رسول أخبرنا عن نفسك قال « دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بصرى من أرض الشام» وهذا إسناد جيد وروى له شواهد من وجوه أخر فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدى حدثنا معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد الكلبى عن عبد الأعلى بن هلال السلمى عن العرباض بن سارية قال : قال رسول الله ﷺ « إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل فى طينته وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى بى ورؤيا أمى التى رأت وكذلك أمهات النبيين يرين » ، وقال أحمد أيضا حدثنا أبو النضر حدثنا الفرج بن فضالة حدثنا لقمان ابن عامر قال سمعت أبا أمامة قال : قلت يا رسول الله ما كان بدء أمرك . قال «دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورأت أمى أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام » ، وقال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى سمعت خديجا أخا زهير بن معاوية عن أبى إسحاق عن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى ونحن نحو من ثمانين رجلا منهم عبد الله بن مسعود وجعفر وعبد الله بن رواحة وعثمان بن مظعون وأبو موسى فأتوا النجاشى وبعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية فلما دخلا على النجاشى سجدا له ثم ابتدراه عن يمينه وعن شماله ثم قالا له إن نفراً من بنى عمنا نزلوا أرضك ورغبوا عنا وعن ملتنا قال فأين هم قالا هم فى أرضك فابعث إليهم فبعث إليهم فقال جعفر أنا خطيبكم اليوم فاتبعوه فسلم ولم يسجد فقالوا له مالك لا تسجد للملك . قال إنا لا نسجد إلا لله عز وجل قال وما ذاك . قال إن الله بعث إلينا رسوله فأمرنا أن لا نسجد لأحد إلا لله عز وجل وأمرنا بالصلاة والزكاة ، قال عمرو بن العاص : فانهم يخالفونك فى عيسى بن مريم ، قال ما تقولون فى عيسى بن مريم وأمه. قال نقول كما قال الله عز وجل هو كلمة الله وروحه ألقاها إلى العذراء البتول التى لم يمسها بشر ولم يعترضها ولد، قال فرفع عوداً من الأرض ثم قال يا معشر الحبشة والقسيسين والرهبان والله ما يزيدون على الذى نقول فيه ما يساوى هذا مرحبا بكم وبمن جئتم من عنده أشهد أنه رسول الله وأنه الذى نجد فى الإنجيل وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم انزلوا حيث شئتم والله لولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أكون أنا أحمل نعليه وأوضئه وأمر بهدية الآخرين فردت إليهما ثم تعجل عبد الله بن مسعود حتى أدرك بدرا وزعم أن النبى صلى الله عليه وسلم استغفر له حين بلغه موته وقد رويت هذه القصة عن جعفر وأم سلمة رضى الله عنهما وموضع ذلك كتاب السيرة والمقصد أن الأنبياء عليهم السلام لم تزل تنعته وتحكيه فى كتبها على أممها وتأمرهم باتباعه ونصره وموازرته إذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر فى أهل الأرض على لسان إبراهيم الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى بن مريم ولهذا قالوا أخبرنا عن بدء أمرك يعنى فى الأرض قال « دعوة أبى إبراهيم وبشارة عيسى بن مريم ورؤيا أمى التى رأت » أى ظهر فى أهل مكة أثر ذلك، والارهاص فذكره صلوات الله وسلامه عليه . وقوله تعالى (فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين) قال ابن جريج وابن جرير (فلما جاءهم) أحمد أى المبشر به فى الأعصار المتقادمة

النوه بذكره فى القرون السالفة . لما ظهر أمره وجاء بالبينات قال الكفرة والمخالفون (هذا سحر مبين)

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى لا أحد أظلم ممن يفترى الكذب على الله ويجعل له أندادا وشركاء وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى (والله لا يهدى القوم الظالمين) ثم قال تعالى (يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم) أى يحاولون أن يردوا الحق بالباطل ومثلهم فى ذلك كمثل من يريد أن يطفىء شعاع الشمس بفيه وكما أن هذا مستحيل كذلك مستحيل ولهذا قال تعالى (والله متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهروه على الدين كله ولو كره المشركون) وقد تقدم الكلام على هاتين الآيتين فى سورة براءة بما فيه كفاية ، ولله الحمد والمنة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

تقدم فى حديث عبد الله بن سلام أن الصحابة رضى الله عنهم أرادوا أن يسألوا رسول الله ﷺ عن أحب الأعمال إلى الله عز وجل ليفعلوه فأنزل الله تعالى هذه السورة ومن جملتها هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم) ثم فسر هذه التجارة العظيمة التى لا تبور ، التى هى محصلة للمقصود ومزيلة للمحذور فقال تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى من تجارة الدنيا والكد لها والتصدى لها وحدها ثم قال تعالى (يغفر لكم ذنوبكم) أى إن فعلتم ما أمرتكم به ودللتكم عليه غفرت لكم الزلات وأدخلتكم الجنات والمساكن الطيبات والدرجات العاليات ولهذا قال تعالى (ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم) ثم قال تعالى (وأخرى تحبونها) أى وأزيدكم على ذلك زيادة تحبونها وهى (نصر من الله وفتح قريب) أى إذا قاتلتم فى سبيله ونصرتم دينه تكفل الله بنصركم قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) وقال تعالى (ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) وقوله تعالى (وفتح قريب) أى عاجل فهذه الزيادة هى خير الدنيا موصول بنعيم الآخرة لمن أطاع الله ورسوله ونصر الله ودينه ولهذا قال تعالى (وبشر المؤمنين)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله فى جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال (من أنصارى إلى الله) أى من معينى فى الدعوة إلى الله عز وجل ؟ (قال الحواريون) وهم أتباع عيسى عليه السلام (نحن أنصار الله) أى نحن أنصارك على ما أرسلت به وموازروك على ذلك ، ولهذا بعثهم دعاة إلى الناس فى بلاد الشام فى الإسرائيلين واليونانيين ، وهكذا كان رسول الله ﷺ يقول فى أيام الحج « من رجل يؤوينى حتى أبلغ رسالة ربى فان قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » حتى قيض الله عز وجل له الأوس والخزرج من أهل المدينة فبايعوه ووازروه وشارطوه أن يمنعوه من الأسود والأحمر إن هو هاجر إليهم فلما هاجر إليهم بمن معه من أصحابه وفوا له بما عاهدوا الله عليه ولهذا سماهم الله ورسوله الأنصار وصار ذلك علما عليهم رضى الله عنهم وأرضاهم

وقوله تعالى (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) أى لما بلغ عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام رسالة ربه إلى قومه ووازره من وازره من الحواريين اهتدت طائفة من بنى إسرائيل بما جاءهم به وضلت طائفه فخرجت عما جاءهم به وجحدوا نبوته ورموه وأمه بالعظائم وهم اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة وغلت فيه طائفة ممن اتبعه حتى رفعوه فوق ما أعطاه الله من النبوة وافترقوا فرقا وشيعا فمن قائل منهم إنه ابن الله ، وقائل إنه ثالث ثلاثة : الأب والابن وروح القدس ، ومن قائل إنه الله ، وكل هذه الأقوال مفصلة فى سورة النساء

وقوله تعالى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى نصرناهم على من عاداهم من فرق النصارى (فأصبحوا ظاهرين) أى عليهم وذلك ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله حدثنى أبو السائب حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن المنهال يعنى ابن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما أراد الله عز وجل أن يرفع عيسى إلى السماء خرج إلى أصحابه وهم فى بيت اثنا عشر رجلا من عين فى البيت ورأسه يقطر ماء فقال : إن منكم من يكفر بى اثنتى عشر مرة بعد أن آمن بى ، قال ثم قال أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل مكانى ويكون معى فى درجتى : قال فقام شاب من أحدثهم سنا فقال أنا ، فقال له : اجلس . ثم أعاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال له : اجلس . ثم عاد عليهم فقام الشاب فقال أنا فقال : نعم أنت ذاك . قال فألقى عليه شبه عيسى ورفع عيسى عليه السلام من روزنة فى البيت إلى السماء قال وجاء الطلب من اليهود فأخذوا شبيهه فقتلوه وصلبوه وكفر به بعضهم اثنتى عشرة مرة بعد أن آمنوا به فتفرقوا فيه ثلاث فرق فقالت فرقة كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء وهؤلاء اليعقوبية . وقالت فرقة كان فينا ابن الله ماشاء الله ثم رفعه إليه وهؤلاء النسطورية ، وقالت فرقة كان فينا عبد الله ورسوله ما شاء الله ثم رفعه الله إليه وهؤلاء المسلمون فتظاهرت الكافرتان على المسلمة فقتلوها فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل وكفرت طائفة) يعنى الطائفة التى كفرت من بنى إسرائيل فى زمن عيسى والطائفة التى آمنت فى زمن عيسى (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) باظهار محمد ﷺ دينهم على دين الكفار . هذا لفظه فى كتابه عند تفسير هذه الآية الكريمة ، وهكذا رواه النسائى عند تفسير هذه الآية من سننه عن أبى كريب عن محمد بن العلاء عن أبى معاوية بمثله سواء فأمة محمد ﷺ لا يزالون ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله وهم كذلك وحتى يقاتل آخرهم الدجال مع المسيح عيسى بن مريم عليه السلام كما وردت بذلك الأحاديث الصحاح والله أعلم . آخر تفسير سورة الصف ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الجمعة وهى مدنية ﴾

عن ابن عباس وأبى هريرة رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى صلاة الجمعه بسورة الجمعة والمنافقين . رواه مسلم فى صحيحه

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ * هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّينَ

رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾

يخبر تعالى أنه يسبح له ما فى السموات وما فى الأرض أى من جميع المخلوقات ناطقها وجامدها كما قال تعالى (وإن من شىء إلا يسبح بحمده) ثم قال تعالى (الملك القدوس) أى هو مالك السموات والأرض المتصرف فيهما بحكمه وهو القدس أى المنزه عن النقائص الموصوف بصفات الكمال (العزيز الحكيم) تقدم تفسيرهما غير مرة . وقوله تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم) الأميون هم العرب كما قال تعالى (وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم ؟ فان أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد) وتخصيص الأميين بالذكر لا ينفى من عداهم ولكن المنة عليهم أبلغ وأكثر كما قال تعالى فى قوله (وإنه لذكر لك ولقومك) وهو ذكر لغيرهم يتذكرون به وكذا قال تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين) وهذا وأمثاله لا ينافى قوله تعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) وقوله (لأنذركم به ومن بلغ) وقوله تعالى إخبارا عن القرآن (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه إلى جميع الخلق أحمرهم وأسودهم وقد قدمنا تفسير ذلك فى سورة الأنعام بالآيات والأحاديث الصحيحة ولله الحمد والمنة

وهذه الآية هى مصداق إجابة الله لخليله إبراهيم حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعثه الله سبحانه وتعالى وله الحمد والمنة على حين فترة من الرسل وطموس من السبل وقد اشتدت الحاجة إليه وقد مقت الله أهل الأرض عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب أى نزرا يسيرا ممن تمسك بما بعث الله به عيسى بن مريم عليه السلام ولهذا قال تعالى (هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) وذلك أن العرب كانوا قديما متمسكين بدين إبراهيم الخليل عليه السلام فبدلوه وغيروه وقلبوه وخالفوه واستبدلوا بالتوحيد شركا وباليقين شكا وابتدعوا أشياء لم يأذن بها الله وكذلك أهل الكتاب قد بدلوا كتبهم وحرفوها وغيروها وأولوها فبعث الله محمدا صلوات الله وسلامه عليه بشرع عظيم كامل شامل لجميع الخلق ، فيه هدايته والبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمر معاشهم ومعادهم والدعوة لهم إلى ما يقربهم إلى الجنة ورضا الله عنهم والنهى عما يقربهم إلى النار وسخط الله تعالى حاكم فاصل لجميع الشبهات والشكوك والريب فى الأصول والفروع ، وجمع له تعالى وله الحمد والمنة جميع المحاسن ممن كان قبله وأعطاه مالم يعط أحدا من الأولين ولا يعطيه أحدا من الآخرين فصلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ، وقوله تعالى (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم) قال الإمام أبو عبدالله البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز ابن عبد الله حدثنا سليمان بن بلال عن ثور عن أبى الغيث عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : كنا جلوسا عند النبى صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه سورة الجمعة (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قالوا من هم يا رسول الله ؟ فلم يراجعهم حتى سئل ثلاثا وفينا سلمان الفارسى فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على سلمان الفارسى ثم قال « لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال ـ أو رجل ـ من هؤلاء » ورواه مسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن ثور بن يزيد الديلى عن سالم أبى الغيث عن أبى هريرة به ، ففى هذا الحديث دليل على أن هذه السورة مدنية وعلى عموم بعثته صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس لأنه فسر قوله تعالى (وآخرين منهم) بفارس ولهذا كتب كتبه إلى فارس والروم وغيرهم من الأمم يدعوهم إلى الله عز وجل وإلى اتباع ما جاء به ولهذا قال مجاهد وغير واحد فى قوله تعالى

(وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) قال هم الأعاجم وكل من صدق النبي صلى الله عليه وسلم من غير العرب وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا إبراهيم بن العلاء الزبيدي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو محمد عيسى بن موسى عن أبي حازم عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله ﷺ « إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال ونساء من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب » ثم قرأ (وآخرين منهم لما يلحقوا بهم) يعني بقية من بقي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهو العزيز الحكيم) أي ذو العزة والحكمة في شرعه وقدره ، وقوله تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) يعني ما أعطاه الله محمدا صلى الله عليه وسلم من النبوة العظيمة وما خص به أمته من بعثه ﷺ إليهم .

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ * قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى ذاما لليهود الذين أعطوا التوراة وحملوها للعمل بها ثم لم يعملوا بها مثلهم في ذلك كمثل الحمار يحمل أسفارا أي كمثل الحمار إذا حمل كتبا لا يدري ما فيها فهو يحملها حملا حسيا ولا يدري ما عليه ، وكذلك هؤلاء في حملهم الكتاب الذي أوتوه حفظوه لفظا ولم يتفهموه ولا عملوا بمقتضاه بل أولوه وحرفوه وبدلوه فهم أسوأ حالا من الحمير لأن الحمار لا فهم له وهؤلاء لهم فهوم لم يستعملوها ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقال تعالى ههنا (بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين) . وقال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب فهو كمثل الحمار يحمل أسفارا والذي يقول له أنصت ليس له جمعة » ثم قال تعالى (قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين) أي إن كنتم تزعمون أنكم على هدى وأن محمدا وأصحابه على ضلالة فادعوا بالموت على الضال من الفئتين إن كنتم صادقين أي فيما تزعمونه قال الله تعالى (ولا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) أي بما يعلمون لهم من الكفر والظلم والفجور (والله عليم بالظالمين) وقد قدمنا الكلام في سورة البقرة على هذه المباهلة لليهود حيث قال تعالى (قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون) وقد أسلفنا الكلام هناك وبينا أن المراد أن يدعوا على الضلال من أنفسهم أو خصومهم كما تقدمت مباهلة النصارى في آل عمران (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) ومباهلة المشركين في سورة مريم (قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) . وقد قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن يزيد الزرقي حدثنا أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم بن مالك الجزري عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لعنه الله إن رأيت محمدا عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال رسول الله ﷺ « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا » رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن عبد الكريم قال البخاري وتبعه عمرو بن

خالد عن عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم ، ورواه النسائى أيضا عن عبد الرحمن بن عبد الله الحلبى عن عبيد الله ابن عمرو الرقى به أتم

وقوله تعالى (قل إن الموت الذى تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) كقوله تعالى فى سورة النساء (أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة) وفى معجم الطبرانى من حديث معاذ محمد بن محمد الهدلى عن يونس عن الحسن عن سمرة مرفوعا « مثل الذى يفر من الموت كمثل الثعلب تطلبه الأرض بدين فجاء يسعى حتى إذا أعيا وانهر دخل جحره فقالت له الأرض ياثعلب دينى فخرج له حصاص فلم يزل كذلك حتى تقطعت عنقه فمات »

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

إنما سميت الجمعة جمعة لأنها مشتقة من الجمع فان أهل الاسلام يجتمعون فيه فى كل أسبوع مرة بالمعابد الكبار وفيه كمل جميع الخلائق فإنه اليوم السادس من السنة التى خلق الله فيها السموات والأرض وفيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه كما ثبتت بذلك الأحاديث الصحاح . وقال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن عرفة حدثنا عبيدة بن حميد عن منصور عن أبى معشر عن إبراهيم عن علقمة عن قرثع الضبى حدثنا سلمان قال : قال أبو القاسم ﷺ « ياسلمان ما يوم الجمعة ؟ » قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يوم الجمعة يوم جمع الله فيه أبوا كم - أو أبوكم - » وقد روى عن أبى هريرة من كلامه نحو هذا فالله أعلم ، وقد كان يقال له فى اللغة القديمة يوم العروبة ، وثبت أن الأمم قبلنا أمروا به فضلوا عنه ، واختار اليهود يوم السبت الذى لم يقع فيه خلق آدم ، واختار النصارى يوم الأحد الذى ابتدئ فيه الخلق ، واختار الله لهذه الأمة يوم الجمعة الذى أكمل الله فيه الخليقة كما أخرجه البخارى ومسلم من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا ثم إن هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فالناس لنا فيه تبع ، اليهود غدا والنصارى بعد غد » لفظ البخارى وفى لفظ لمسلم « أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى بينهم قبل الخلائق » وقد أمر الله المؤمنين بالاجتماع لعبادته يوم الجمعة فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) أى اقصدوا واعمدوا واهتموا فى سيركم إليها ، وليس المراد بالسعى ههنا المشى السريع وإنما هو الاهتمام بها كقوله تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن) وكان عمر بن الخطاب وابن مسعود رضى الله عنهما يقرآنها (فامضوا إلى ذكر الله) فأما المشى السريع إلى الصلاة فقد نهى عنه لما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم الاقامة فامشوا إلى الصلاة وعليكم السكينة والوقار ولا تسرعوا فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » لفظ البخارى وعن أبى قتادة قال : بينا نحن نصلى مع النبى صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال فلما صلى قال « ماشأنكم ؟ » قالوا استعجلنا إلى الصلاة قال « فلا تفعلوا : إذا أتيتم الصلاة فامشوا وعليكم السكينة فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » أخرجاه وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون ولكن ائتوها تمشون وعليكم السكينة والوقار فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا » . رواه الترمذى من حديث عبد الرزاق كذلك وأخرجه من طريق يزيد

ابن زريع عن معمر عن الزهرى عن أبى سلمة عن أبى هريرة بمثله ، قال الحسن أما والله ما هو بالسعى على الأقدام ولقد نهوا أن يأتوا الصلاة إلا وعليهم السكينة والوقار ولكن بالقلوب والنية والخشوع . وقال قتادة فى قوله (فاسعوا إلى ذكر الله) يعنى أن تسعى بقلبك وعملك وهو المشى إليها وكان يتأول قوله تعالى (فلما بلغ معه السعى) أى المشى معه ، وروى عن محمد بن كعب وزيد بن أسلم وغيرهما نحو ذلك

ويستحب لمن جاء إلى الجمعة أن يغتسل قبل مجيئه إليها لما ثبت فى الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل » ولهما عن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم » وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حق لله على كل مسلم أن يغتسل فى كل سبعة أيام ، يغسل رأسه وجسده » رواه مسلم ، وعن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « على كل رجل مسلم فى كل سبعة أيام غسل يوم وهو يوم الجمعة » رواه أحمد والنسائى وابن حبان . وقال الامام أحمد حدثنا يحيى بن آدم حدثنا ابن المبارك عن الأوزاعى عن حسان بن عطية عن أبى الأشعث الصنعانى عن أوس بن أوس الثقفى قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من غسل واغتسل يوم الجمعة وبكر وابتكر ومشى ولم يركب ، ودنا من الامام واستمع ولم يلغ ، كان له بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها » وهذا الحديث له طرق وألفاظ وقد أخرجه أهل السنن الأربعة وحسنه الترمذى ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فى الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ، ومن راح فى الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح فى الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن ، ومن راح فى الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة ، ومن راح فى الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة ، فاذا خرج الامام حضرت الملائكة يستمعون الذكر » أخرجاه . ويستحب له أن يلبس أحسن ثيابه ويتطيب ويتسوك ويتنظف ويتطهر وفى حديث أبى سعيد المتقدم « غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم والسواك وأن يمس من طيب أهله » وقال الامام أحمد حدثنا يعقوب حدثنا أبى عن محمد بن إسحاق حدثنى محمد بن إبراهيم التيمى عن عمران بن أبى يحيى عن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبى أيوب الأنصارى سمعت رسول الله ﷺ يقول « من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب أهله إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتى المسجد فيركع إن بدا له ولم يؤذ أحدا ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلى كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى » . وفى سنن أبى داود وابن ماجه عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول على المنبر « ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبى مهنته » وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم الجمعة فرأى عليهم ثياب النمار فقال « ما على أحدكم إن وجد سعة أن يتخذ ثوبين لجمعته سوى ثوبى مهنته » رواه ابن ماجه . وقوله تعالى (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) المراد بهذا النداء هو النداء الثانى الذى كان يفعل بين يدى رسول الله ﷺ إذا خرج فجلس على المنبر فانه كان حينئذ يؤذن بين يديه فهذا هو المراد فأما النداء الأول الذى زاده أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فانما كان هذا لكثرة الناس كما رواه البخارى رحمه الله حيث قال : حدثنا آدم هو ابن أبى إياس حدثنا ابن أبى ذئب عن الزهرى عن السائب ابن يزيد قال كان النداء يوم الجمعة أوله إذا جلس الامام على المنبر على عهد رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر فلما كان عثمان بعد زمن وكثر الناس زاد النداء الثانى على الزوراء يعنى يؤذن به على الدار التى تسمى بالزوراء وكانت أرفع دار بالمدينة بقرب المسجد . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا إبراهيم حدثنا محمد بن راشد المكحول عن مكحول أن النداء كان فى الجمعة مؤذن واحد حين يخرج الامام ثم تقام الصلاة وذلك النداء الذى يحرم عنده الشراء والبيع إذا نوى به ، فأمر عثمان رضى الله عنه أن ينادى قبل خروج الامام حتى يجتمع الناس . وإنما يؤمر بحضور الجمعة الرجال الأحرار دون العبيد والنساء والصبيان ويعذر المسافر والمريض وقيم المريض وما أشبه ذلك من الأعذار كما هو مقرر فى كتب الفروع

وقوله تعالى (وذروا البيع) أى اسعوا إلى ذكر الله واتركوا البيع إذا نودى للصلاة ولهذا اتفق العلماء رضى الله عنهم على تحريم البيع بعد النداء الثانى ، واختلفوا هل يصح إذا تعاطاه متعاط أم لا ؟ على قولين وظاهر الآية عدم الصحة كما هو مقرر فى موضعه والله أعلم . وقوله تعالى (ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون) أى تركم البيع وإقبالكم إلى ذكر الله وإلى الصلاة خير لكم أى فى الدنيا والآخرة إن كنتم تعلمون . وقوله تعالى (فاذا قضيت الصلاة) أى فرغ منها (فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) لما حجر عليهم فى التصرف بعد النداء وأمرهم بالاجتماع أذن لهم بعد الفراغ فى الأنتشار فى الارض والابتغاء من فضل الله كما كان عراك بن مالك رضى الله عنه إذا صلى الجمعة انصرف فوقف على باب المسجد فقال : اللهم إنى أجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت كما أمرتنى فارزقنى من فضلك وأنت خير الرازقين رواه ابن أبى حاتم . وروى عن بعض السلف أنه قال : من باع واشترى فى يوم الجمعة بعد الصلاة بارك الله له سبعين مرة لقول الله تعالى (فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله) وقوله تعالى (واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) أى فى حال بيعكم وشرائكم وأخذكم وإعطائكم اذكروا الله ذكرا كثيرا ولا تشغلكم الدنيا عن الذى ينفعكم فى الدار الآخرة ، ولهذا جاء فى الحديث « من دخل سوقا من الأسواق فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة » وقال مجاهد : لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا

﴿ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يعاتب تبارك وتعالى على ما كان وقع من الانصراف عن الخطبة يوم الجمعة إلى التجارة التى قدمت المدينة يومئذ فقال تعالى (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) أى على المنبر تخطب ، هكذا ذكره غير واحد من التابعين منهم أبو العالية والحسن وزيد بن أسلم وقتادة ، ورعم مقاتل بن حيان أن التجارة كانت لدحية بن خلفية قبل أن يسلم وكان معها طبل فانصرفوا إليها وتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائما على المنبر إلا القليل منهم وقد صح بذلك الخبر فقال الإمام أحمد حدثنا ابن إدريس عن حصين عن سالم بن أبى الجعد عن جابر قال قدمت عير مرة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فخرج الناس وبقى اثنا عشر رجلا فنزلت (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها) أخرجاه فى الصحيحين من حديث سالم به . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا هشيم عن حصين عن سالم بن أبى الجعد وأبى سفيان عن جابر بن عبد الله قال : بينا النبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقدمت عير إلى المدينة فابتدرها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم يبق مع رسول الله ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لو تتابعتم حتى لم يبق منكم أحد لسال بكم الوادى نارا » ونزلت هذه الآية (وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما) وقال كان فى الأثنى عشر الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبو بكر وعمر رضى الله عنهما ، وفى قوله تعالى (وتركوك قائما) دليل على أن الإمام يخطب يوم الجمعة قائما . وقد روى مسلم فى صحيحه عن جابر بن سمرة قال : كانت للنبى صلى الله عليه وسلم خطبتان يجلس بينهما يقرأ القرآن ويذكر الناس ، ولكن ههنا شىء ينبغى أن يعلم وهو : أن هذه القصة قد قيل إنها كانت لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم الصلاة يوم الجمعة على الخطبة كما رواه أبو داود فى كتاب المراسيل حدثنا محمود بن خالد عن الوليد أخبرنى أبو معاذ بكير بن معروف أنه سمع مقاتل بن حيان يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى يوم الجمعة قبل الخطبة مثل العيدين حتى إذا كان يوم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب وقد صلى الجمعة فدخل رجل فقال : إن دحية بن خليفة قد قدم بتجارة ، يعنى فانفضوا ولم يبق معه إلا نفر يسير

وقوله تعالى (قل ماعند الله) أى الذى عند الله من الثواب فى الدار الآخرة (خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين) أى لمن توكل عليه وطلب الرزق فى وقته . آخر تفسير سورة الجمعة ولله الحمد والمنة . وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المنافقين وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ * ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ * وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين أنهم إنما يتفوهون بالإسلام إذا جاءوا النبى ﷺ فأما فى باطن الأمر فليسوا كذلك بل على الضد من ذلك ولهذا قال تعالى (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله) أى إذا حضروا عندك واجهوك بذلك ، وأظهروا لك ذلك ، وليس كما يقولون ولهذا اعترض بجملة مخبرة أنه رسول الله فقال (والله يعلم إنك لرسوله) . ثم قال تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) أى فيما أخبروا به وإن كان مطابقا للخارج لأنهم لم يكونوا يعتقدون صحة ما يقولون ولا صدقه ولهذا كذبهم بالنسبة إلى اعتقادهم. وقوله تعالى (اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله) أى اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة والحلفان الآثمة ليصدقوا فيما يقولون فاغتر بهم من لا يعرف جلية أمرهم فاعتقدو أنهم مسلمون فربما اقتدى بهم فيما يفعلون وصدقهم فيما يقولون وهم من شأنهم أنهم كانوا فى الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبالا ، فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس، ولهذا قال تعالى (فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون) ولهذا كان الضحاك بن مزاحم يقرؤها (اتخذوا إيمانهم جنة) أى تصديقهم الظاهر جنة أى تقية يتقون به القتل، والجمهور يقرؤها (أيمانهم) جمع يمين وقوله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) أى إنما قدر عليهم النفاق لرجوعهم عن الإيمان إلى الكفران واستبدالهم الضلالة بالهدى فطبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون . أى فلا يصل إلى قلوبهم هدى ولا يخلص إليها خير فلا تعى ولا تهتدى

وقوله تعالى (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم) أى وكانوا أشكالا حسنة وذوى فصاحة وألسنة وإذا سمعهم السامع يصغى إلى قولهم لبلاغتهم ، وهم مع ذلك فى غاية الضعف والخور والهلع والجزع والجبن ولهذا قال تعالى (يحسبون كل صيحة عليهم) أى كلما وقع أمر أو كائنة أو خوف يعتقدون لجبنهم أنه نازل بهم كما قال تعالى (أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذى يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا) فهم جهامات وصور بلا معانى ،ولهذا قال تعالى (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) أى كيف يصرفون عن الهدى إلى الضلال وقد قال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا عبد الملك بن قدامة الجمحى عن إسحاق بن بكير بن أبى الفرات عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال « إن للمنافقين علامات يعرفون بها : تحيتهم لعنة وطعامهم نهبة وغنيمتهم غلول ولا يقربون المساجد إلا هجرا ، ولا يأتون الصلاة إلا دبرا ، مستكبرين لا يألفون ولا يؤلفون، خشب بالليل صخب بالنهار » وقال يزيد بن مرة : سخب بالنهار

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ * هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن المنافقين عليهم لعائن الله أنهم (إذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) أى صدوا وأعرضوا عما قيل لهم استكبارا عن ذلك واحتقارا لما قيل لهم ولهذا قال تعالى (ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون) ثم جازاهم على ذلك فقال تعالى (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) كما قال فى سورة براءة وقد تقدم الكلام على ذلك وإيراد الأحاديث المروية هنالك

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر العدنى قال: قال سفيان (لووا رءوسهم) قال ابن أبى عمر حول سفيان وجهه على يمينه ونظر بعينه شزرا ثم قال هو هذا. وقد ذكر غير واحد من السلف أن هذا السياق كله نزل فى عبدالله بن أبى ابن سلول كما سنورده قريبا إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان، وقد قال محمد بن إسحق فى السيرة ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة يعنى مرجعه من أحد وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كما حدثنى ابن شهاب الزهرى له مقام يقومه كل جمعة لا ينكر شرفا له من نفسه ومن قومه وكان فيهم شريفا إذا جلس النبى ﷺ يوم الجمعة وهو يخطب الناس قام فقال أيها الناس هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم أكرمكم الله به وأعزكم به فانصروه وعزروه واسمعوا له وأطيعوا ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع يعنى مرجعه بثلث الجيش ورجع الناس قام يفعل ذلك كما كان يفعله فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه وقالوا اجلس أى عدو الله لست لذلك بأهل وقد صنعت ما صنعت فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول: والله لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره فلقيه رجال من الأنصار بباب المسجد فقالوا: ويلك مالك؟ قال قمت أشدد أمره فوثب على رجال من أصحابه يجذبونى ويعنفونى لكأنما قلت بجرا أأن قمت أشدد أمره قالوا ويلك ارجع يستغفر لك رسول الله ﷺ فقال والله ما أبتغى أن يستغفر لى، وقال قتادة والسدى: أنزلت هذه الآية فى عبد الله بن أبى وذلك أن علاما من قرابته انطلق إلى رسول الله ﷺ فحدثه بحديث عنه وأمر شديد فدعاه رسول الله ﷺ فإذا هو يحلف بالله ويتبرأ من ذلك وأقبلت الأنصار على ذلك الغلام فلاموه وعزلوه وأنزل الله فيه ما تسمعون وقيل لعدو الله لو أتيت رسول الله ﷺ فجعل يلوى رأسه أى لست فاعلا. وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو الربيع الزهرانى حدثنا حماد بن زيد حدثنا أيوب عن سعيد بن جبير أن رسول الله ﷺ كان إذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلى فيه فلما كانت غزوة تبوك بلغه أن عبد الله بن أبى ابن سلول قال ليخرجن الأعز منها الأذل فأرتحل قبل أن ينزل آخر النهار وقيل لعبد الله بن أبى ائت النبى ﷺ حتى يستغفر لك فأنزل الله تعالى (إذا جاءك المنافقون - إلى قوله - وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم) وهذا إسناد صحيح إلى سعيد بن جبير، وقوله: إن ذلك كان فى غزوة تبوك فيه نظر بل ليس بجيد فان عبدالله بن أبى ابن سلول لم يكن ممن خرج فى غزوة تبوك بل رجع بطائفة من الجيش وإنما المشهور عند أصحاب المغازى والسير أن ذلك كان فى غزوة المريسيع وهى غزوة بنى المصطلق

وقال يونس بن بكير عن ابن إسحاق حدثنى محمد بن يحيى بن حبان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة

فى قصة بنى المصطلق فبينا رسول الله ﷺ مقيم هناك اقتتل على الماء جهجاه بن سعيد الغفارى وكان أجيرا لعمر بن الخطاب وسنان بن يزيد قال ابن إسحق فحدثنى محمد بن يحيى بن حبان قال ازدحما على الماء فاقتتلا فقال سنان يا معشر الأنصار وقال الجهجاه يامعشر المهاجرين وزيد بن أرقم ونفر من الأنصار عند عبد الله بن أبى فلما سمعها قال قد ثاورونا فى بلادنا والله مامثلنا وجلابيب قريش هذه إلا كما قال القائل : سمن كلبك يأكلك، والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ثم أقبل على من عنده من قومه وقال هذا ماصنعتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو كففتم عنهم لتحولوا عنكم من بلادكم إلى غيرها فسمعها زيد بن أرقم رضى الله عنه فذهب بها إلى رسول ﷺ وهو غليم عنده عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخبره الخبر فقال عمر رضى الله عنه : يا رسول الله مر عباد ابن بشر فليضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فكيف إذا تحدث الناس ياعمر أن محمدا يقتل أصحابه لا ، ولكن ناد ياعمر الرحيل » فلما بلغ عبد الله بن أبى أن ذلك قد بلغ رسول الله ﷺ أتاه فاعتذر إليه وحلف بالله ما قال ، ما قال عليه زيد بن أرقم وكان عند قومه بمكان فقالوا يا رسول الله عسى أن يكون هذا الغلام أوهم ولم يثبت ما قال الرجل وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مهجرا فى ساعة كان لا يروح فيها فلقيه أسيد بن الحضير رضى الله عنه فسلم عليه بتحية النبوة ثم قال والله لقد رحت فى ساعة منكرة ما كنت تروح فيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما بلغك ما قال صاحبك ابن أبى ؟ زعم أنه إذا قدم المدينة سيخرج الأعز منها الأذل » قال فأنت يا رسول الله العزيز وهو الذليل ثم قال ارفق به يا رسول الله فوالله لقد جاء الله بك وإنا لننظم له الخرز لنتوجه فانه ليرى أن قد سلبته ملكا فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس حتى أمسوا وليلته حتى أصبحوا وصدر يومه حتى اشتد الضحى ثم نزل بالناس ليشغلهم عما كان من الحديث فلم يأمن الناس أن وجدوا مس الأرض فناموا ونزلت سورة المنافقين وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أخبرنا أبو بكر بن إسحاق أخبرنا بشر بن موسى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار سمعت جابر بن عبد الله يقول : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال الأنصارى يا للأنصار وقال المهاجرى يا للمهاجرين فقال رسول الله ﷺ « مابال دعوى الجاهلية ؟ دعوها فانها منتنة » وقال عبد الله بن أبى ابن سلول وقد فعلوها : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال جابر وكان الأنصار بالمدينة أكثر من المهاجرين حين قدم رسول الله ﷺ ثم كثر المهاجرون بعد ذلك فقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق فقال النبى ﷺ « دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه » ورواه الإمام أحمد عن حسين بن محمد المروزى عن سفيان بن عيينة ورواه البخارى عن الحميدى ومسلم عن أبى بكر بن أبى شيبة وغيره عن سفيان به نحوه : وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن الحكم عن محمد بن كعب القرظى عن زيد بن أرقم قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبى لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل قال فأتيت النبى ﷺ فأخبرته قال فحلف عبد الله بن أبى أنه لم يكن شىء من ذلك قال فلامنى قومى وقالوا ما أردت إلى هذا؟ قال فانطلقت فنمت كئيبا حزينا قال فأرسل إلى نبى الله ﷺ فقال « إن الله قد أنزل عذرك وصدقك » قال فنزلت هذه الآية (هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — حتى بلغ — لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) ورواه البخارى عند هذه الآية عن آدم بن أبى إياس عن شعبة ثم قال وقال ابن أبى زائدة عن الأعمش عن عمرو عن ابن أبى ليلى عن زيد عن النبى ﷺ ورواه الترمذى والنسائى عندها أيضا من حديث شعبة به . ﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم ويحيى بن أبى بكير قالا : حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق قال سمعت زيد بن أرقم وقال أبو بكير عن زيد بن أرقم قال خرجت مع عمى فى غزاة فسمعت عبد الله بن أبى ابن سلول يقول لأصحابه لاتنفقوا على من عند رسول الله ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فذكرت ذلك لعمى فذكره عمى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثته فأرسل إلى عبد الله بن أبى ابن سلول وأصحابه فحلفوا

بالله ما قالوا فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه فأصابني هم لم يصبني مثله قط وجلست في البيت فقال عمي : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ! قال حتى أنزل الله (إذا جاءك المنافقون) قال فبعث إلى رسول الله ﷺ فقرأها رسول الله ﷺ علي ثم قال « إن الله قد صدقك » . ثم قال أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق أنه سمع زيد بن أرقم يقول خرجنا مع رسول الله ﷺ في سفر فأصاب الناس شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل فأتيت النبي ﷺ فأخبرته بذلك فأرسل إلى عبد الله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل فقالوا : كذب زيد يارسول الله ، فوقع في نفسي مما قالوا فأنزل الله تصديقي (إذا جاءك المنافقون) قال ودعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم فلووا رءوسهم

وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) قال كانوا رجالا أجمل شيء ، وقد رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث زهير ورواه البخاري أيضا والترمذي من حديث إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي الهمداني الكوفي عن زيد به . ﴿ طريق أخرى عن زيد ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن السدي عن أبي سعد الأزدي قال حدثنا زيد بن أرقم قال غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معنا أناس من الأعراب فكنا نبتدر الماء وكان الأعراب يسبقوننا اليه فسبق أعرابي أصحابه ليملأ الحوض ويجعل حوله حجارة ويجعل النطع عليه حتى يجيء أصحابه قال فأتى رجل من الأنصار الأعرابي فأرخى زمام ناقته لتشرب فأبى أن يدعه فانتزع حجرا فغاض الماء فرفع الأعرابي خشبته فضرب بها رأس الأنصاري فشجه فأتى عبد الله بن أبي رأس المنافقين فأخبره وكان من أصحابه فغضب عبد الله بن أبي ثم قال : لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله يعني الأعراب وكانوا يحضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطعام فقال عبد الله لأصحابه : إذا انفضوا من عند محمد فائتوا محمدا بالطعام فليأكل هو ومن معه ثم قال لأصحابه لئن رجعتم إلى المدينة فليخرج الأعز منها الأذل قال زيد وأنا ردف عمي ، قال فسمعت عبد الله بن أبي يقول ما قال فأخبرت عمي فانطلق فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرسل اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلف وجحد قال فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبني ، قال فجاء إلى عمي فقال ما أردت إلا أن مقتك رسول الله ﷺ وكذبك والمسلمون قال فوقع على من الغم مالم يقع على أحد قط ، قال فبينما أنا أسير مع رسول الله ﷺ في سفر وقد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ فعرك أذني وضحك في وجهي فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا ثم إن أبا بكر لحقني وقال: ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ قلت ماقال شيئا إلا أنه عرك أذني وضحك في وجهي فقال أبشر ثم لحقني عمر فقلت له مثل قولي لأبي بكر ، فلما أن أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين . انفرد باخراجه الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح . وهكذا رواه الحافظ البيهقي عن الحاكم عن عبيد الله بن موسى به وزاد بعد قوله سورة المنافقين (إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ـ حتى بلغ ـ هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ـ حتى بلغ ـ ليخرجن الأعز منها الأذل)

وقد روى عبد الله بن لهيعة عن أبي الأسود عن عروة بن الزبير في المغازي وكذا ذكر موسى بن عقبة في مغازيه أيضا هذه القصة بهذا السياق ولكن جعلا الذي بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم كلام عبد الله بن أبي ابن سلول إنما هو أوس بن أقرم من بني الحارث بن الخزرج فلعله مبلغ آخر أو تصحيف من جهة السمع والله أعلم . وقد قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا محمد بن عزيز الايلي حدثني سلام حدثني عقيل أخبرت محمد بن مسلم أن عروة بن الزبير وعمرو بن ثابت الأنصاري أخبراه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا غزوة المريسيع وهي التي هدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها مناة الطاغية التي كانت بين قفا المشلل وبين البحر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد ابن الوليد فكسر مناة فاقتتل رجلان في غزوة رسول الله ﷺ تلك أحدهما من المهاجرين والآخر من جهينة وهم

حلفاء الأنصار فاستعلى الرجل الذى من المهاجرين على البهزى فقال البهزى يامعشر الأنصار فنصره رجال من الأنصار وقال المهاجرى يامعشر المهاجرين فنصره رجال من المهاجرين حتى كان بين أولئك الرجال من المهاجرين والرجال من الأنصار شىء من القتال ثم حجز بينهم فانكفأ كل منافق أو رجل فى قلبه مرض إلى عبد الله بن أبى ابن سلول فقال قد كنت ترجى وتدفع فأصبحت لاتضر ولا تنفع قد تناصرت علينا الجلابيب وكانوا يدعون كل حديث الهجرة الجلابيب فقال عبد الله بن أبى عدوالله: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . قال مالك بن الدخشن وكان من المنافقين ألم أقل لكم لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، فسمع بذلك عمر بن الخطاب فأقبل يمشى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه يريد عمر عبد الله بن أبى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اجلس » فأقبل أسيد بن حضير وهو أحد الأنصار ثم أحد بنى عبد الأشهل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ائذن لى فى هذا الرجل الذى قد أفتن الناس أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أو قاتله أنت إن أمرتك بقتله ؟ » قال نعم والله لئن أمرتنى بقتله لأضربن بالسيف تحت قرط أذنيه ، فقال رسول الله ﷺ « اجلس » ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « آذنوا بالرحيل » فهجر بالناس فسار يومه وليلته والغد حتى متع النهار ثم نزل ثم هجر بالناس مثلها حتى صبح بالمدينة فى ثلاث سارها من قفا المشلل فلما قدم رسول الله ﷺ المدينه أرسل إلى عمر فدعاه فقال له رسول الله ﷺ « أى عمر أكنت قاتله لو أمرتك بقتله ؟ » قال عمر نعم ، فقال رسول الله ﷺ والله لو قتلته يومئذ لأرغمت أنوف رجال لو أمرتهم اليوم بقتله لقتلوه فيتحدث الناس أنى قد وقعت على أصحابى فأقتلهم صبرا وأنزل الله عز وجل (هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا — إلى قوله تعالى — يقولون لئن رجعنا إلى المدينة) الآية وهذا سياق غريب وفيه أشياء نفيسة لاتوجد إلا فيه ، وقال محمد بن إسحاق بن يسار حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن عبد الله بن عبد الله بن أبى لما بلغه ما كان من أمر أبيه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه فان كنت فاعلا فمرنى به فأنا أحمل اليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار فقال رسول الله ﷺ « بل نترفق به ونحسن صحبته مابقى معنا » وذكر عكرمة وابن زيد وغيرهما أن الناس لما قفلوا راجعين إلى المدينة وقف عبد الله بن عبدالله هذا على باب المدينة واستل سيفه فجعل الناس يمرون عليه فلما جاء أبوه عبد الله بن أبى قال له ابنه وراءك: فقال مالك ويلك ؟ فقال والله لاتجوز من ههنا حتى يأذن لك رسول الله ﷺ فانه العزيز وأنت الذليل ، فلما جاء رسول الله ﷺ وكان إنما يسير ساقة فشكا إليه عبد الله بن أبى ابنه فقال ابنه عبد الله : والله يارسول الله لايدخلها حتى تأذن له فأذن له رسول الله ﷺ فقال أما إذا أذن لك رسول الله ﷺ فجز الآن ، وقال أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدى فى مسنده حدثنا سفيان بن عيينة حدثنا أبو هارون المدنى قال : قال عبدالله بن عبدالله بن أبى ابن سلول لأبيه والله لاتدخل المدينة أبدا حتى تقول رسول الله ﷺ الأعز وأنا الأذل ، قال وجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنه بلغنى انك تريد أن تقتل أبى فوالذى بعثك بالحق ماتأملت وجهه قط هيبة له ولئن شئت أن آتيك برأسه لأتيتك فانى أكره أن أرى قاتل أبى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ * وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ

قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى آمرا لعباده المؤمنين بكثرة ذكره وناهيا لهم عن أن تشغلهم الأموال والأولاد عن ذلك ومخبرا لهم بأنه من فعل ذلك ممن تاع الحياة الدنيا وزينتها عما خلق له من طاعة ربه وذكره فانه من الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ثم حثهم على الانفاق فى طاعته فقال (وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين) فكل مفرط يندم عند الاحتضار ويسأل طول المدة ولو شيئا يسيرا ليستعتب ويستدرك ما فاته وهيهات ، كان ما كان أوتى ما هو آت ؛ وكل بحسب تفريطه ؛ أما الكفار فكما قال تعالى (وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال) وقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون * لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) . ثم قال تعالى (ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) أى لا ينظر أحدا بعد حلول أجله . وهو أعلم وأخبر بمن يكون صادقا فى قوله وسؤاله ممن لو رد لعاد إلى شر مما كان عليه ولهذا قال تعالى (والله خبير بما تعملون) . وقال أبو عيسى الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو جناب الكلبى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس قال : من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت فقال رجل يا ابن عباس اتق الله فانما يسأل الرجعة الكفار فقال سأتلوا عليك بذلك قرآنا (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون * وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين - إلى قوله - والله خبير بما تعملون) قال فما يوجب الزكاة ؟ قال إذا بلغ المال مائتين فصاعدا ؟ قال فما يوجب الحج . قال الزاد والبعير . ثم قال حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الرزاق عن الثورى عن يحيى بن أبى حية وهو أبو جناب الكلبى عن الضحاك عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه ثم قال وقد رواه سفيان بن عيينة وغيره عن أبى جناب عن الضحاك عن ابن عباس من قوله وهو أصح ، وضعف أبا جناب الكلبى ﴿ قلت ﴾ ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن نفيل حدثنا سليمان بن عطاء عن مسلمة الجهنى عن عمه يعنى أبا مشجعة بن ربعى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال ذكرنا عند رسول الله ﷺ الزيادة فى العمر فقال « إن الله لا يؤخر نفسا إذا جاء أجلها ، وإنما الزيادة فى العمر أن يرزق الله العبد ذرية صالحة يدعون له فيلحقه دعاؤهم فى قبره » . آخر تفسير سورة المنافقين ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة التغابن وهى مدنية وقيل مكية ﴾

قال الطبرانى حدثنا محمد بن هارون بن محمد بن بكار الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد الخلال حدثنا الوليد بن الوليد حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « مامن مولود يولد إلا مكتوب فى تشبيك رأسه خمس آيات من سورة التغابن » أورده ابن عساكر فى ترجمة الوليد بن صالح وهو غريب جدا بل منكر .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ * يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

هذه السورة هى آخر المسبحات وقد تقدم الكلام على تسبيح المخلوقات لبارئها ومالكها ولهذا قال تعالى (له الملك وله الحمد) أى هو المتصرف فى جميع الكائنات المحمود على جميع ما يخلقه ويقدره وقوله تعالى (وهو على كل شىء قدير) أى مهما أراد كان بلا ممانع ولا مدافع وما لم يشأ لم يكن وقوله تعالى (هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك فلا بد من وجود مؤمن وكافر وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء ولهذا قال تعالى (والله بما تعملون بصير) ثم قال تعالى (خلق السموات والأرض بالحق) أى بالعدل والحكمة (وصوركم فأحسن صوركم) أى أحسن أشكالكم كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ما شاء ركبك.) وكقوله تعالى (الله الذى جعل لكم الأرض قرارا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات) الآية وقوله تعالى (وإليه المصير) أى المرجع والمآب ثم أخبر تعالى عن علمه بجميع الكائنات السمائية والأرضية والنفسية فقال تعالى (يعلم ما فى السموات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور)

﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأمم الماضين وما حل بهم من العذاب والنكال فى مخالفة الرسل والتكذيب بالحق فقال تعالى (ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل) أى خبرهم وما كان من أمرهم (فذاقوا وبال أمرهم) أى وخيم تكذيبهم وردىء أفعالهم وهو ما حل بهم فى الدنيا من العقوبة والخزى (ولهم عذاب أليم) أى فى الدار الآخرة مضاف إلى هذا الدنيوى ثم علل ذلك فقال (ذلك بأنه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالحجج والدلائل والبراهين (فقالوا أبشر يهدوننا) أى استبعدوا أن تكون الرسالة فى البشر وأن يكون هداهم على يدى بشر مثلهم (فكفروا وتولوا) أى كذبوا بالحق ونكلوا عن العمل (واستغنى الله) أى عنهم (والله غنى حميد)

﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ * يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار والمشركين والملحدين أنهم يزعمون أنهم لا يبعثون (قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتخبرن بجميع أعمالكم جليلها وحقيرها صغيرها وكبيرها (وذلك على الله يسير) أى بعثكم وجازاتكم وهذه هى الآية الثالثة التى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقسم بربه عز وجل على وقوع المعاد ووجوده فالأولى فى سورة يونس (ويستنبؤنك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين) والثانية فى سورة سبأ (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) الآية والثالثة هى هذه (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى

لتبعثن ثم لتنبئون بما عملتم وذلك على الله يسير)

ثم قال تعالى (فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا) يعنى القرآن (والله بما تعملون خبير) أى فلا تخفى عليه من أعمالكم خافية وقوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع) وهو يوم القيامة سمى بذلك لأنه يجمع فيه الأولون والآخرون فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر كما قال تعالى (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وقال تعالى (قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم)

وقوله تعالى (ذلك يوم التغابن) قال ابن عباس : هو اسم من أسماء يوم القيامة وذلك أن أهل الجنة يغبنون أهل النار وكذا قال قتادة ومجاهد ، وقال مقاتل بن حيان لاغبن أعظم من أن يدخل هؤلاء إلى الجنة ويذهب بأولئك إلى النار قلت وقد فسر ذلك بقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) وقد تقدم تفسير مثل هذه غير مرة

﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ * وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ * ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا بما أخبر به فى سورة الحديد (ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير) وهكذا قال ههنا (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس بأمر الله يعنى عن قدره ومشيئته (ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم) أى ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله هدى الله قلبه . وعوضه عما فاته من الدنيا هدى فى قلبه ويقينا صادقا وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه أو خيرا منه . قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه

وقال الأعمش عن أبى ظبيان قال كنا عند علقمة فقرىء عنده هذه الآية (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) فسئل عن ذلك فقال: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. رواه ابن جرير وابن أبى حاتم فى تفسيرهما ، وقال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) يعنى يسترجع يقول (إنا لله وإنا إليه راجعون)

وفى الحديث المتفق عليه « عجبا للمؤمن لا يقضى الله له قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وإن أصابته سراء شكر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » وقال أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا الحارث بن يزيد عن على بن رباح أنه سمع جنادة بن أبى أمية يقول : سمعت عبادة بن الصامت يقول: إن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أى العمل أفضل ؟ قال « إيمان بالله وتصديق به وجهاد فى سبيل الله » قال أريد أهون من هذا يا رسول الله . قال « لا تتهم الله فى شىء قضى لك به » لم يخرجوه

وقوله تعالى (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أمر بطاعة الله ورسوله فيما شرع وفعل ما به أمر وترك ما عنه نهى وزجر ثم قال تعالى (فان توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين) أى إن نكلتم عن العمل فإنما عليه ما حمل من البلاغ وعليكم ما حملتم من السمع والطاعة . قال الزهرى : من الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التسليم

ثم قال تعالى مخبرا أنه الأحد الصمد الذى لا إله غيره فقال تعالى (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون) فالأول خبر عن التوحيد ومعناه معنى الطلب أى وحدوا الإلهية له وأخلصوها لديه وتوكلوا عليه، كما قال تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟

فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ * فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ * عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الأزواج والأولاد أن منهم من هو عدو الزوج والوالد بمعنى أنه يلتهى به عن العمل الصالح كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ولهذا قال تعالى ههنا(فاحذروهم) قال ابن زيد يعنى على دينكم ، وقال مجاهد (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) قال يحمل الرجل على قطيعة الرحم أو معصية ربه فلا يستطيع الرجل مع حبه إلا أن يطيعه وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد ابن خلف الصيدلانى حدثنا الفريابى حدثنا إسرائيل حدثنا سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس وسأله رجل عن هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم) قال فهؤلاء رجال أسلموا من مكة فأرادوا أن يأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم فلما أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا الناس قد فقهوا فى الدين فهموا أن يعاقبوهم فأنزل الله تعالى هذه الآية (وإن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) وكذا رواه الترمذى عن محمد بن يحيى عن الفريابى وهو محمد بن يوسف به وقال حسن صحيح ورواه ابن جرير والطبرانى من حديث إسرائيل به وروى من طريق العوفى عن ابن عباس نحوه وهكذا قال عكرمة مولاه سواء وقوله تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) يقول تعالى إنما الأموال والأولاد فتنة أى اختبار وابتلاء من الله تعالى لخلقه ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، وقوله تعالى (والله عنده) أى يوم القيامة (أجر عظيم) كما قال تعالى (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الدنيا والله عنده حسن المآب) والتى بعدها ، وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى حسين بن واقد حدثنى عبد الله بن بريدة سمعت أبا بريدة يقول : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فجاء الحسن والحسين رضى الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنبر فحملهما فوضعهما بين يديه ثم قال « صدق الله ورسوله إنما أموالكم وأولادكم فتنة نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما » ورواه أهل السنن من حديث حسين بن واقد به ، وقال الترمذى حسن غريب إنما نعرفه من حديثه ، وقال الإمام أحمد حدثنا شريح بن النعمان حدثنا هشيم أخبرنا مجالد عن الشعبى حدثنا الأشعث بن قيس قال : قدمت على رسول الله ﷺ فى وفد كندة فقال لى « هل لك من ولد ؟ » قلت: غلام ولد لى فى مخرجى إليك من ابنة حمد ولوددت أن بمكانه سبع القوم فقال « لا تقولن ذلك فان فيهم قرة عين وأجرا إذا قبضوا » ثم قال « ولئن قلت ذاك إنهم لمجبنة محزنة » تفرد به أحمد وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا محمود بن بكر حدثنا أبى عن عيسى عن ابن أبى ليلى عن عطية عن أبى سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الولد ثمرة القلوب وإنهم لمجبنة مبخلة محزنة » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد ، وقال الطبرانى حدثنا هاشم ابن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثنى أبى حدثنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « ليس عدوك الذى إن قتلته كان فوزا لك وان قتلك دخلت الجنة ولكن الذى لعله عدو لك ولدك الذى خرج من صلبك ، ثم أعدى عدو لك مالك الذى ملكت يمينك »

وقوله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) أى جهدكم وطاقتكم كما ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا أمرتكم بأمر فائتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه » . وقد قال بعض المفسرين كما رواه مالك عن زيد بن أسلم إن هذه الآية ناسخة للتى فى آل عمران وهى قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا

اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثني يحيى بن عبدالله بن بكير حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء هو ابن دينار عن سعيد بن جبير في قوله (اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون) قال لما نزلت هذه الآية اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم وتفرحت جباههم فأنزل الله تعالى هذه الآية تخفيفا على المسلمين (فاتقوا الله ما استطعتم) فنسخت الآية الأولى وروى عن أبي العالية وزيد بن أسلم وقتادة والربيع بن أنس والسدى ومقاتل بن حيان نحو ذلك وقوله تعالى (واسمعوا وأطيعوا) أي كونوا منقادين لما يأمركم الله به ورسوله ولا تحيدو عنه يمنة ولا يسرة ولا تقدموا بين يدى الله ورسوله ولا يتخلفوا عما به أمرتم. ولا تركبوا ما عنه زجرتم وقوله تعالى (وأنفقوا خيرا لأنفسكم) أي وابذلوا مما رزقكم الله على الأقارب والفقراء والمساكين وذوى الحاجات وأحسنوا إلى خلق الله كما أحسن الله إليكم يكن خيرا لكم في الدنيا والآخرة وإن لا تفعلوا يكن شرا لكم في الدنيا والآخرة وقوله تعالى (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) تقدم تفسيره في سورة الحشر وذكر الأحاديث الواردة في معنى هذه الآية بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة ، وقوله تعالى (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم) أي مهما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ومهما تصدقتم من شيء فعليه جزاؤه ونزل ذلك منزلة القرض له كما ثبت في الصحيحين أن الله تعالى يقول : من يقرض غير ظلوم ولا عديم ولهذا قال تعالى يضاعفه لكم كما تقدم في سورة البقرة (فيضاعفه له أضعافا كثيرة) (ويغفر لكم) أي ويكفر عنكم السيئات ولهذا قال تعالى (والله شكور) أي يجزى على القليل بالكثير (حليم) أي يصفح ويغفر ويستر ويتجاوز عن الذنوب والزلات والخطايا والسيئات (عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم) تقدم تفسيره غير مرة آخر تفسير سورة التغابن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الطلاق وهي مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾

خوطب النبي ﷺ أولا تشريفا وتكريما ثم خاطب الأمة تبعا فقال تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) وقال ابن أبي حاتم ثنا محمد بن ثواب بن سعيد الهبارى ثنا أسباط بن محمد عن سعيد عن قتادة عن أنس قال : طلق رسول الله ﷺ حفصة فأتت أهلها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن) فقيل له راجعها فانها صوامة قوامة وهي من أزواجك ونسائك في الجنة ورواه ابن جرير عن ابن بشار عن عبد الأعلى عن سعيد عن قتادة فذكره مرسلا وقد ورد من غير وجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طلق حفصة ثم راجعها

وقال البخارى ثنا يحيى بن بكير ثنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب أخبرني سالم أن عبدالله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال « ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ثم تحيض فتطهر فان بداله أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها فتلك العدة التي أمر بها الله عز وجل » هكذا رواه البخارى ههنا وقد رواه في مواضع من كتابه ومسلم ولفظه « فتلك العدة التي أمر الله أن يطلق لها النساء » ورواه أصحاب الكتب والمسانيد من طرق متعددة وألفاظ كثيرة وموضع استقصائها كتب الأحكام وأمس لفظ يورد ههنا ما رواه مسلم في صحيحه من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن مولى عزة يسأل ابن عمر وأبو الزبير يسمع ، كيف ترى في الرجل طلق امرأته حائضا؟ فقال طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقال رسول الله ﷺ « ليراجعها ـ فردها وقال ـ إذا طهرت فليطلق أو يمسك » قال ابن عمر: وقرأ النبي ﷺ (يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن فى قبل عدتهن) وقال الأعمش عن مالك بن الحارث عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله فى قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال الطهر من غير جماع، وروى عن ابن عمر وعطاء ومجاهد والحسن وابن سيرين وقتادة وميمون بن مهران ومقاتل بن حيان مثل ذلك وهو رواية عن عكرمة والضحاك وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (فطلقوهن لعدتهن) قال لا يطلقها وهى حائض ولا فى طهر قد جامعها فيه ولكن يتركها حتى إذا حاضت وطهرت طلقها تطليقة وقال عكرمة (فطلقوهن لعدتهن) العدة الطهر والقرء الحيضة أن يطلقها حبلى مستبينا حملها ولا يطلقها وقد طاف عليها ولا يدرى حبلى هى أم لا، ومن ههنا أخذ الفقهاء أحكام الطلاق وقسموه إلى طلاق سنة وطلاق بدعة فطلاق السنة أن يطلقها طاهرة من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها، والبدعى هو أن يطلقها فى حال الحيض أو فى طهر قد جامعها فيه ولا يدرى أحملت أم لا ، وطلاق ثالث لا سنة فيه ولا بدعة وهو طلاق الصغيرة والآيسة وغير المدخول بها ، وتحرير الكلام فى ذلك وما يتعلق به مستقصى فى كتب الفروع والله سبحانه وتعالى أعلم وقوله تعالى (وأحصوا العدة) أى احفظوها واعرفوا ابتداءها وانتهاءها لئلا تطول العدة على المرأة فتمتنع من الأزواج (واتقوا الله ربكم) أى فى ذلك . وقوله تعالى (لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن) أى فى مدة العدة لها حق السكنى على الزوج ما دامت معتدة منه فليس للرجل أن يخرجها ولا يجوز لها أيضا الخروج لأنها معتقلة لحق الزوج أيضا وقوله تعالى (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) أى لا يخرجن من بيوتهن إلا أن ترتكب المرأة فاحشة مبينة فتخرج من المنزل والفاحشة المبينة تشمل الزنا كما قاله ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب والشعبي والحسن وابن سيرين ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبو قلابة وأبو صالح والضحاك وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والسدى وسعيد بن أبي هلال وغيرهم وتشمل ما إذا نشزت المرأة أو بذت على أهل الرجل وآذتهم فى الكلام والفعال كما قاله أبي بن كعب وابن عباس وعكرمة وغيرهم وقوله تعالى (وتلك حدود الله) أى شرائعه ومحارمه (ومن يتعد حدود الله) أى يخرج عنها ويتجاوزها إلى غيرها ولا يأتمر بها (فقد ظلم نفسه) أى بفعل ذلك . وقوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) أى إنما أبقينا المطلقة فى منزل الزوج فى مدة العدة لعل الزوج يندم على طلاقها ويخلق الله تعالى فى قلبه رجعتها فيكون ذلك أيسر وأسهل ، قال الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن فاطمة بنت قيس فى قوله تعالى (لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا) قالت هى الرجعة ، وكذا قال الشعبي وعطاء وقتادة والضحاك ومقاتل بن حيان والثورى ، ومن ههنا ذهب من ذهب من السلف ومن تابعهم كالإمام أحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى إلى أنه لا تجب السكنى للمبتوتة أى المقطوعة وكذا المتوفى عنها زوجها ، واعتمدوا أيضا على حديث فاطمة بنت قيس الفهرية حين طلقها زوجها أبو عمرو ابن حفص آخر ثلاث تطليقات وكان غائبا عنها باليمن فأرسل إليها بذلك فأرسل إليها وكيله بشعير يعنى نفقة فتسخطته فقال والله ليس لك علينا نفقة ، فأتت رسول الله ﷺ فقال « ليس لك عليه نفقة » ولمسلم « ولا سكنى » وأمرها أن تعتد فى بيت أم شريك ثم قال « تلك امرأة يغشاها أصحابى اعتدى عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى تضعين ثيابك » الحديث . وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى بلفظ آخر فقال حدثنا يحيى بن سعيد ثنا مجالد ثنا عامر قال : قدمت المدينة فأتيت فاطمة بنت قيس فحدثتنى أن زوجها طلقها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعثه رسول الله ﷺ فى سرية قالت : فقال لى أخوه اخرجى من الدار فقلت إن لى نفقة وسكنى حتى يحل الأجل قال : لا ، قالت فأتيت رسول الله ﷺ فقلت إن فلانا طلقنى وإن أخاه أخرجنى ومنعنى السكنى والنفقة فقال له «مالك ولابنة آل قيس ؟» قال يا رسول الله إن أخى طلقها ثلاثا جميعا قالت : فقال رسول الله ﷺ « انظرى يابنت آل قيس إنما النفقة والسكنى للمرأة على زوجها ما كانت له عليها رجعة فإذا لم يكن له عليها رجعة فلا نفقة ولا سكنى اخرجى فانزلى على فلانة» ثم قال إنه يتحدث إليها « انزلى على ابن أم مكتوم فانه أعمى لا يراك » وذكر تمام الحديث .

وقال أبو القاسم الطبرانى ثنا أحمد بن عبد الله البزار التسترى ثنا إسحاق بن إبراهيم الصواف ثنا بكر بن بكار ثنا سعيد بن يزيد البجلى ثنا عامر الشعبي أنه دخل على فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس القرشى وزوجها أبو عمرو ابن حفص بن المغيرة المخزومى فقالت: إن أبا عمرو بن حفص أرسل إلى وهو منطلق فى جيش إلى اليمن بطلاقى فسألت أولياءه النفقة على والسكنى فقالوا ما أرسل الينا فى ذلك شيئا ولا أوصانا به فانطلقت إلى رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله إن أباعمرو بن حفص أرسل إلى بطلاقى فسألت أولياءه السكنى والنفقة على فقال أولياؤه لم يرسل الينا فى ذلك بشىء فقال رسول الله ﷺ « إنما السكنى والنفقة للمرأة إذا كان لزوجها عليها رجعة فاذا كانت لاتحل له حتى تنكح زوجا غيره فلا نفقة لها ولاسكنى» وكذا رواه النسائى عن أحمد بن يحيى الصوفى عن أبى نعيم الفضل بن دكين عن سعيد بن يزيد وهو الأحمسى البجلى الكوفى قال أبو حاتم الرازى هو شيخ يروى عنه

﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴾

يقول تعالى فاذا بلغت المعتدات أجلهن أى شارفن على انقضاء العدة وقارن ذلك ولكن لم تفرغ العدة بالكلية فحينئذ إما أن يعزم الزوج على إمساكها وهو رجعتها إلى عصمة نكاحه والاستمرار بها على ما كانت عليه عنده (بمعروف) أى محسنا اليها فى صحبتها ، وإما أن يعزم على مفارقتها بمعروف أى من غير مقابحة ولا مشاتمة ولا تعنيف بل يطلقها على وجه جميل وسبيل حسن

وقوله تعالى (وأشهدوا ذوى عدل منكم) أى على الرجعة إذا عزمتم عليها كما رواه أبوداود وابن ماجه عن عمران ابن حصين أنه سئل عن الرجل يطلق المرأة ثم يقع بها ولم يشهد على طلاقها ولا على رجعتها فقال طلقت لغير سنة وراجعت لغير سنة أشهد على طلاقها وعلى رجعتها ولا تعد ، وقال ابن جريج كان عطاء يقول (وأشهدوا ذوى عدل منكم) قال لا يجوز فى نكاح ولا طلاق ولا رجاع إلا شاهدا عدل كما قال الله عز وجل إلا أن يكون من عذر . وقوله تعالى (ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) أى هذا الذى أمرناكم به من الاشهاد وإقامة الشهادة إنما يأتمر به من يؤمن بالله واليوم الآخر وأنه شرع هذا ومن يخاف عقاب الله فى الدار الآخرة ، ومن ههنا ذهب الشافعى فى أحد قوليه إلى وجوب الاشهاد فى الرجعة كما يجب عنده فى ابتداء النكاح وقد قال بهذا طائفة من العلماء ومن قال بهذا يقول : إن الرجعة لاتصح إلا بالقول ليقع الاشهاد عليها . وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) أى ومن يتق الله فيما أمره به وترك ماتهاه عنه يجعل له من أمره مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب أى من جهة لاتخطر بباله قال الامام أحمد ثنا يزيد أنا كهمس بن الحسن ثنا أبو السليل عن أبى ذر قال : جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) حتى فرغ من الآية ثم قال « يا أباذر لو أن الناس كلهم أخذوا بها كفتهم » قال فجعل يتلوها ويرددها على حتى نعست ثم قال « يا أباذر كيف تصنع إذا أخرجت من المدينة ؟ » قلت إلى السعة والدعة أنطلق فأكون حمامة من حمام مكة قال « كيف تصنع إذا خرجت من مكة ؟ » قال : قلت إلى السعة والدعة إلى الشام والأرض المقدسة ، قال « وكيف تصنع إذا أخرجت من الشام » قلت إذا والذى بعثك بالحق أضع سيفى على عاتقى ، قال « أوخير من ذلك » قلت أوخير من ذلك ؟ قال تسمع وتطيع وإن كان عبدا حبشيا »

وقال ابن أبى حاتم ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا على بن عبيد ثنا زكريا عن عامر عن شتير بن شكل قال سمعت عبد الله بن مسعود يقول إن أجمع آية فى القرآن (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) وإن أكبر آية فى القرآن فرجا

(ومن يتق الله يجعل له مخرجا) وفى المسند حدثنى مهدى بن جعفر ثنا الوليد بن مسلم عن الحكم بن مصعب عن محمد بن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن جده عبد الله بن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لايحتسب » . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يقول ينجيه من كل كرب فى الدنيا والآخرة (ويرزقه من حيث لا يحتسب) وقال الربيع بن خيثم (يجعل له مخرجا) أى من كل شىء ضاق على الناس ، وقال عكرمه من طلق كما أمره الله يجعل له مخرجا ، وكذا روى عن ابن عباس والضحاك ، وقال ابن مسعود ومسروق (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) يعلم أن الله إن شاء أعطى وإن شاء منع (من حيث لايحتسب) أى من حيث لايدرى . وقال قتادة (ومن يتق الله يجعل له مخرجا) أى من شبهات الأمور والكرب عند الموت (ويرزقه من حيث لايحتسب) من حيث يرجو ولا يأمل ، وقال السدى (ومن يتق الله) يطلق للسنة ، ويراجع للسنه ، وزعم أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له عوف بن مالك الأشجعى كان له ابن وأن المشركين أسروه فكان فيهم وكان أبوه يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيشكو اليه مكان ابنه وحاله التى هو بها وحاجته فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر ويقول له « إن الله سيجعل لك فرجاً » فلم يلبث بعد ذلك إلا يسيرا أن انفلت ابنه من أيدى العدو فمر بغنم من أغنام العدو فاستاقها فجاء بها إلى أبيه وجاء معه بغنم قد أصابه من الغنم فنزلت فيه هذه الآية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق سالم بن أبى الجعد مرسلا نحوه . وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا سفيان عن عبد الله بن عيسى عن عبد الله بن أبى الجعد عن ثوبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر » ورواه النسائى وابن ماجه من حديث سفيان وهو الثورى به . وقال محمد بن إسحاق : جاء مالك الأشجعى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أسر ابنى عوف فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « أرسل اليه أن رسول الله يأمرك أن تكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله » وكانوا قد شدوه بالقد فسقط القد عنه فخرج فاذا هو بناقة لهم فركبها وأقبل فاذا بسرح القوم الذين كانوا قد شدوه فصاح بهم فاتبع أولها آخرها فلم يفجأ أبويه إلا وهو ينادى بالباب فقال أبوه: عوف ورب الكعبة فقالت أمه : وا سوأتاه وعوف كيف يقدم لما هو فيه من القد فاستبقا الباب والخادم فاذا عوف قد ملأ الفناء إبلا فقص على أبيه أمره وأمر الإبل فقال أبوه قفا حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فأتى رسول الله ﷺ فأخبره بخبر عوف وخبر الإبل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « اصنع بها ما أحببت وما كنت صانعا بمالك » ونزل (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب) رواه ابن أبى حاتم

وقال ابن أبى حاتم ثنا على بن الحسين ثنا محمد بن على بن الحسن بن سفيان ثنا إبراهيم بن الأشعث ثنا الفضيل بن عياض عن هشام بن الحسن عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله ﷺ « من انقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لايحتسب ومن انقطع إلى الدنيا وكله اليها » . وقوله تعالى (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال الامام أحمد حدثنا يونس ثنا ليث ثنا قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن عبد الله بن عباس أنه حدثه أنه ركب خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ياغلام إنى معلمك كلمات : احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » وقد رواه الترمذى من حديث الليث بن سعد وابن لهيعة به وقال حسن صحيح وقال الامام أحمد ثنا وكيع ثنا بشير بن سلمان عن سيار أبى الحكم عن طارق بن شهاب عن عبد الله هو ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « من نزل به حاجة فأنزلها بالناس كان قمنا أن لاتسهل حاجته ، ومن أنزلها بالله تعالى أتاه الله برزق عاجل أو بموت آجل » ثم رواه عن عبد الرزاق عن سفيان عن بشير عن سيار

أبى حمزة ثم قال وهو الصواب ، وسيار أبو الحكم لم يحدث عن طارق وقوله تعالى (إن الله بالغ أمره) أى منفذ قضاياه وأحكامه فى خلقه بما يريده ويشاؤه (قد جعل الله لكل شىء قدرا) كقوله تعالى (وكل شىء عنده بمقدار)

﴿ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا * ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا ﴾

يقول تعالى مبينا لعدة الآيسة وهى التى قد انقطع عنها المحيض لكبرها أنها ثلاثة أشهر عوضا عن الثلاثة قروء فى حق من تحيض كما دلت على ذلك آية البقرة وكذا الصغار اللائى لم يبلغن سن الحيض ان عدتهن كعدة الآيسة ثلاثة أشهر ولهذا قال تعالى (واللائى لم يحضن) ، وقوله تعالى (إن ارتبتم) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ وهو قول طائفة من السلف كمجاهد والزهرى وابن زيد أى إن رأين دما وشككتم فى كونه حيضا أو استحاضة وارتبتم فيه ﴿ والقول الثانى ﴾ إن ارتبتم فى حكم عدتهن ولم تعرفوه فهو ثلاثة أشهر ، وهذا مروى عن سعيد بن جبير وهو اختيار ابن جرير وهو أظهر فى المعنى واحتج عليه بما رواه عن أبى كريب وأبى السائب قالا ثنا ابن ادريس انا مطرف عن عمرو ابن سالم قال قال أبى بن كعب يارسول الله ان عددا من عدد النساء لم تذكر فى الكتاب الصغار والكبار وأولات الأحمال ، قال فأنزل الله عز وجل (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن ، وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ، ورواه ابن أبى حاتم بأبسط من هذا السياق فقال : ثنا أبى ثنا يحيى بن المغيرة أنا جرير عن مطرف عن عمر بن سالم عن أبى بن كعب قال : قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن ناسا من أهل المدينة لما أنزلت هذه الآية فى البقرة فى عدة النساء قالوا لقد بقى من عدة النساء عدد لم يذكرن فى القرآن الصغار والكبار اللائى قد انقطع منهن الحيض وذوات الحمل قال فأنزلت التى فى النساء القصرى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم إن أرتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) ، وقوله تعالى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) يقول تعالى ومن كانت حاملا فعدتها بوضعه ولو كان بعد الطلاق أو الموت بفواق ناقة فى قول جمهور العلماء من السلف والخلف كما هو نص هذه الآية الكريمة وكما وردت به السنة النبوية ، وقد روى عن على وابن عباس رضى الله عنهم أنهما ذهبا فى المتوفى عنها زوجها أنها تعتد بأبعد الأجلين من الوضع والأشهر عملا بهذه الآية والتى فى سورة البقرة وقال البخارى ثنا سعيد بن حفص ثنا شيبان عن يحيى قال أخبرنى أبو سلمة قال : جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس فقال أفتنى فى امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة فقال ابن عباس آخر الأجلين قلت أنا (وأولات الأحمال اجلهن أن يضعن حملهن) قال أبو هريرة أنا مع ابن أخى - يعنى أبا سلمة - فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها فقالت . قتل زوج سبيعة الأسلمية وهى حبلى فوضعت بعد موته بأربعين ليلة فخطبت فأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو السنابل فيمن خطبها ، هكذا أورد البخارى هذا الحديث ههنا مختصرا وقد رواه هو ومسلم وأصحاب الكتب مطولا من وجوه أخر وقال الإمام أحمد : ثنا حماد بن أسامة أنا هشام عن أبيه عن المسور بن مخرمة ان سبيعة الأسلمية توفى عنها زوجها وهى حامل فلم تمكث إلا ليالى حتى وضعت فلما تعلت من نفاسها خطبت فاستأذنت رسول الله ﷺ فى النكاح فأذن لها ان تنكح فنكحت ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجه من طرق عنها كما قال مسلم بن الحجاج حدثنى أبو الطاهر أنا ابن وهب حدثنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ان أباه كتب الى عمر بن عبد الله بن الأرقم الزهرى يأمره ان يدخل على سبيعة بنت الحارث الأسلمية فيسألها عن حديثها وعما قال لها رسول الله ﷺ حين استفتته ، فكتب عمر بن عبد الله يخبره ان سبيعة أخبرته انها كانت تحت سعد بن خولة وكان ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع وهى حامل فلم تنشب ان وضعت حملها

بعد وفاته فلما تعلت من نفاسها تجملت للخطاب فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها مالى أراك متجملة ؟ لعلك ترجين النكاح إنك والله ما أنت بناكح حتى تمر عليك أربعة أشهر وعشر ، قالت سبيعة فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فأفتانى بأنى قد حللت حين وضعت حملى وأمرنى بالتزويج ان بدالى ، هذا لفظ مسلم ورواه البخارى مختصرا ثم قال البخارى بعد روايته الحديث الأول عند هذه الآية ، وقال أبو سلمان بن حرب وأبو النعمان ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن محمد هو ابن سيرين قال كنت فى حلقة فيها عبد الرحمن بن أبى ليلى وكان أصحابه يعظمونه فذكر آخر الأجلين فحدثت بحديث سبيعة بنت الحارث عن عبد الله بن عتبة قال فضمزلى بعض أصحابه قال محمد ففطنت له فقلت له إنى لجرىء أن أكذب على عبد الله وهو فى ناحية الكوفة قال فاستحيا وقال لكن عمه لم يقل ذلك فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته فذهب يحدثنى بحديث سبيعة فقلت هل سمعت عن عبد الله فيها شيئا ؟ فقال كنا عند عبد الله فقال أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة ؟ فنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه ابن جرير من طريق سفيان بن عيينة وإسماعيل ابن علية عن أيوب به مختصرا ، ورواه النسائى فى التفسير عن محمد بن عبد الأعلى عن خالد بن الحارث عن ابن عون عن محمد بن سيرين فذكره . وقال ابن جرير : حدثنى زكريا بن يحيى بن أبان المصرى ثنا سعيد بن أبى مريم ثنا محمد بن جعفر حدثنى ابن شبرمة الكوفى عن إبراهيم عن علقمة بن قيس أن عبد الله بن مسعود قال : من شاء لاعنته ما نزلت (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) إلا بعد آية المتوفى عنها زوجها ، قال : وإذا وضعت المتوفى عنها زوجها فقد حلت يريد بآية المتوفى عنها (والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا) وقد رواه النسائى من حديث سعيد بن أبى مريم به ، ثم قال ابن جرير : ثنا أحمد بن منيع ثنا محمد بن عبيد ثنا إسماعيل بن أبى خالد عن الشعبى قال : ذكر عند ابن مسعود آخر الأجلين فقال من شاء قاسمته بالله إن هذه الآية التى فى النساء القصرى نزلت بعد الأربعة الأشهر والعشر ثم قال : أجل الحامل أن تضع ما فى بطنها . وقال ابن أبى حاتم ثنا أحمد بن سنان الواسطى ثنا عبد الرحمن بن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال بلغ ابن مسعود أن عليا رضى الله عنه يقول آخر الأجلين فقال من شاء لاعنته إن التى فى النساء القصرى نزلت بعد البقرة (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث أبى معاوية عن الأعمش

وقال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنى محمد بن أبى بكر المقدمى أنا عبد الوهاب الثقفى حدثنى المثنى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو عن أبى بن كعب قال قلت للنبى ﷺ (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) المطلقة ثلاثا أو المتوفى عنها زوجها ، فقال : هى المطلقة ثلاثا والمتوفى عنها . هذا حديث غريب جدا بل منكر لأن فى إسناده المثنى بن الصباح وهو متروك الحديث بمرة ولكن رواه ابن أبى حاتم بسند آخر فقال حدثنا محمد بن داود السمانى ثنا عمرو بن خالد يعنى الحرانى ثنا ابن لهيعة عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب عن أبى بن كعب أنه لما نزلت هذه الآية قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدرى أمشتركة أم مبهمة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أية آية ؟ » قال (أجلهن أن يضعن حملهن) المتوفى عنها والمطلقة ، قال نعم وكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن موسى بن داود عن ابن لهيعة به ثم رواه عن أبى كريب أيضا عن مالك بن إسماعيل عن ابن عيينة عن عبد الكريم بن أبى المخارق أنه حدث عن أبى بن كعب قال : سألت رسول الله ﷺ عن (وأولات الأحمال أجلهن أن يضعن حملهن) قال « أجل كل حامل أن تضع ما فى بطنها » عبد الكريم هذا ضعيف ولم يدرك أبيا ، وقوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا) أى يسهل له أمره وييسره عليه ويجعل له فرجا قريبا ومخرجا عاجلا ثم قال تعالى (ذلك أمر الله أنزله إليكم) أى حكمه وشرعه أنزله إليكم بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا) أى يذهب عنه المحذور ويجزل له الثواب على العمل اليسير

﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن

تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ * لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده إذا طلق أحدهم المرأة أن يسكنها فى منزل حتى تنقضى عدتها فقال (أسكنوهن من حيث سكنتم) أى عندكم (من وجدكم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى سعتكم حتى قال قتادة : إن لم تجد إلا جنب بيتك فأسكنها فيه وقوله تعالى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال مقاتل بن حيان يعنى يضاجرها لتفتدى منه بما لها أو تخرج من مسكنه ، وقال الثورى عن منصور عن أبى الضحى (ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن) قال يطلقها فإذا بقى يومان راجعها، وقوله تعالى (وإن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) قال كثير من العلماء منهم ابن عباس وطائفة من السلف وجماعات من الخلف هذه فى البائن إن كانت حاملا أنفق عليها حتى تضع حملها قالوا بدليل أن الرجعية تجب نفقتها سواء كانت حاملا أو حائلا ، وقال آخرون بل السياق كله فى الرجعيات وإنما نص على الانفاق على الحامل وإن كانت رجعية لأن الحمل تطول مدته غالبا فاحتيج إلى النص على وجوب الانفاق إلى الوضع لئلا يتوهم أنه إنما تجب النفقة بمقدار مدة العدة، ثم اختلف العلماء هل النفقة لها بواسطة الحمل أم للحمل وحده ؟ على قولين منصوصين عن الشافعى وغيره ويتفرع عليها مسائل كثيرة مذكورة فى علم الفروع

وقوله تعالى (فان أرضعن لكم) أى إذا وضعن حملهن وهن طوالق فقد بن بانقضاء عدتهن ولها حينئذ أن ترضع الولد ولها أن تمتنع منه ولكن بعد أن تغذيه باللبأ وهو باكورة اللبن الذى لا قوام للمولود غالبا إلا به ، فان أرضعت استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقد أباه أو وليه على ما يتفقان عليه من أجرة ولهذا قال تعالى (فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن) وقوله تعالى (وائتمروا بينكم بمعروف) أى ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة كما قال تعالى فى سورة البقرة (لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده) وقوله تعالى (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) أى وان اختلف الرجل والمرأة فطلبت المرأة فى أجرة الرضاع كثيرا ولم يجبها الرجل إلى ذلك أو بذل الرجل قليلا ولم توافقه عليه فليسترضع له غيرها فلو رضيت الأم بما استؤجرت به الأجنبية فهى أحق بولدها . وقوله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) أى لينفق على المولود والده أو وليه بحسب قدرته (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) كقوله تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وسعها) روى ابن جرير ثنا ابن حميد ثنا حكام عن أبى سنان قال سأل عمر بن الخطاب عن أبى عبيدة فقيل إنه يلبس الغليظ من الثياب ويأكل أخشن الطعام فبعث إليه بألف دينار وقال للرسول انظر ما يصنع بها إذا هو أخذها ؟ فما لبث أن لبس اللين من الثياب ، وأكل أطيب الطعام ، فجاءه الرسول فأخبره فقال رحمه الله تعالى تأول هذه الآية (لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) . وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى فى معجمه الكبير: ثنا هاشم بن يزيد الطبرانى ثنا محمد ابن إسماعيل بن عياش أخبرنى أبى أخبرنى ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد بن أبى مالك الأشعرى واسمه الحارث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة نفر كان لأحدهم عشرة دنانير فتصدق منها بدينار وكان لآخر عشر أواق فتصدق منها بأوقية ، وكان لآخر مائة أوقية فتصدق منها بعشر أواق — فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — هم فى الأجر سواء كل قد تصدق بعشر ماله قال الله تعالى (لينفق ذو سعة من سعته) » هذا حديث غريب من هذا الوجه . وقوله تعالى (سيجعل الله بعد عسر يسرا) وعد منه تعالى ووعده حق لا يخلفه وهذه كقوله تعالى (فان مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) . وقد روى الإمام أحمد حديثا يحسن أن نذكره ههنا فقال حدثنا هاشم بن القاسم ثنا عبد الحميد بن بهرام ثنا شهر بن حوشب قال : قال أبو هريرة بينا رجل وامرأته فى السلف الحالى لا يقدران على شىء فجاء الرجل من سفره فدخل على امرأته جائعته قد أصابته مسغبة شديدة فقال لامرأته عندك شىء ؟ قالت نعم أبشر أتانا رزق الله فاستحثها فقال ويحك ابتغى إن كان عندك شىء قالت نعم هنيهة ترجو رحمة الله ، حتى إذا طال عليه الطول قال ويحك قومى فابتغى إن كان عندك شىء فأتينى به فانى قد بلغت وجهدت ، فقالت نعم ،

الآن نفتح التنور فلا تعجل فلما أن سكت عنها ساعة وتحينت أن يقول لها قالت من عند نفسها لو قمت فنظرت إلى تنورى فقامت فنظرت إلى تنورها ملآن من جنوب الغنم ورحيها تطحنان فقامت إلى الرحى فنفضتها واستخرجت مافى تنورها من جنوب الغنم ، قال أبو هريرة فوالذى نفس أبى القاسم بيده هو قول محمد ﷺ «لو أخذت مافى رحيها ولم تنفضها لطحنتا إلى يوم القيامة »

وقال فى موضع آخر ثنا أبو عامر ثنا أبو بكر عن هشام عن محمد وهو ابن سيرين عن أبى هريرة قال دخل رجل على أهله فلما رأى ما بهم من الحاجة خرج إلى البرية فلما رأت امرأته قامت إلى الرحى فوضعتها وإلى التنور فسجرته ثم قالت اللهم ارزقنا ، فنظرت ، فإذا الجفنة قد امتلأت ، قال وذهبت إلى التنور فوجدته ممتلئا قال فرجع الزوج فقال أصبتم بعدى شيئا قالت امرأته نعم من ربنا فأم إلى الرحى فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال النبى ﷺ « أما إنه لو لم ترفعها لم تزل تدور إلى يوم القيامة »

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَٰأُولِى الْأَلْبَٰبِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ﴾

يقول تعالى متوعدا لمن خالف أمره وكذب رسله وسلك غير ما شرعه ومخبرا عما حل بالأمم السالفة بسبب ذلك فقال تعالى (وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله) أى تمردت وطغت واستكبرت عن اتباع أمر الله ومتابعة رسله (فحاسبناها حسابا شديداً وعذبناها عذاباً نكراً) أى منكراً نظيعا (فذاقت وبال أمرها) أى غب مخالفتها وندموا حيث لا ينفعهم الندم (وكان عاقبة أمرها خسرا * أعد الله لهم عذابا شديدا) أى فى الدار الآخرة مع ما محل لهم من العذاب فى الدنيا ثم قال تعالى بعد ما قص من خبر هؤلاء (فاتقوا الله يا أولى الألباب) أى الأفهام المستقيمة لا تكونوا مثلهم فيصيبكم ما أصابهم يا أولى الألباب (الذين آمنوا) أى صدقوا بالله ورسله (قد أنزل الله إليكم ذكر) يعنى القرآن كقوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) وقوله تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) قال بعضهم : رسولا منصوب على أنه بدل اشتمال وملابسة لأن الرسول هو الذى بلغ الذكر . وقال ابن جرير: الصواب أن الرسول ترجمة عن الذكر يعنى تفسيره ولهذا قال تعالى (رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات) أى فى حال كونها بينة واضحة جلية (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور) كقوله تعالى (كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) وقال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) أى من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وقد سمى الله تعالى الوحى الذى أنزله نوراً لما يحصل به من الهدى كما سماه روحا لما يحصل به من حياة القلوب فقال تعالى (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم) وقوله تعالى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا) قد تقدم تفسير مثل هذا غير مرة بما أغنى عن إعادته ههنا ولله الحمد والمنة

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن قدرته التامة وسلطانه العظيم ليكون ذلك باعثا على تعظيم ماشرع من الدين القويم (الله الذى خلق سبع سموات) كقوله تعالى إخبارا عن نوح أنه قال لقومه (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا ؟) وقوله تعالى (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) . وقوله تعالى (ومن الأرض مثلهن) أى سبعا أيضا كما ثبت فى الصحيحين « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين » وفى صحيح البخارى « خسف به إلى سبع أرضين » وقد ذكرت طرقه وألفاظه وعزوه فى أول البداية والنهاية عند ذكر خلق الأرض ولله الحمد والمنة ومن حمل ذلك على سبعة أقاليم فقد أبعد النجعة وأغرق فى النزع وخالف القرآن والحديث بلا مستند ، وقد تقدم فى سورة الحديد عند قوله تعالى (هو الأول والآخر والظاهر والباطن) ذكر الأرضين السبع وبعد مابينهن وكثافة كل واحدة منهن خمسمائة عام . وهكذا قال ابن مسعود وغيره وكذا فى الحديث الآخر « ما السموات السبع ومافيهن ومابينهن والأرضون السبع ومافيهن ومابينهن فى الكرسى إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة » . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ثنا وكيع ثنا الأعمش عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم ، وكفركم تكذيبكم بها ، وحدثنا ابن حميد ثنا يعقوب بن عبد الله بن سعد القمى الأشعرى عن جعفر بن أبى المغيرة الخزاعى عن سعيد بن جبير قال : قال رجل لابن عباس (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) الآية فقال ابن عباس مايؤمنك إن أخبرتك بها فتكفر . وقال ابن جرير ثنا عمرو بن على ومحمد بن المثنى قالا : ثنا محمد ابن جعفر ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى هذه الآية (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال عمرو قال فى كل أرض مثل إبراهيم ونحو ما على الأرض من الخلق . وقال ابن المثنى فى حديثه فى كل سماء إبراهيم ، وروى البيهقى فى كتاب الأسماء والصفات هذا الأثر عن ابن عباس بأبسط من هذا فقال أنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أحمد بن يعقوب ثنا عبيد بن غنام النخعى أنا على بن حكيم ثنا شريك عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى عن ابن عباس أنه قال (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال سبع أرضين فى كل أرض نبى كنبيكم وآدم كآدم ونوح كنوح وإبراهيم كابراهيم وعيسى كعيسى . ثم رواه البيهقى من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى الضحى عن ابن عباس فى قول الله عز وجل (الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن) قال فى كل أرض نحو إبراهيم عليه السلام ثم قال البيهقى إسناد هذا عن ابن عباس صحيح وهو شاذ بمرة لاأعلم لأبى الضحى عليه متابعا والله أعلم . قال الإمام أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا القرشى فى كتابه التفكر والاعتبار حدثنى إسحاق بن حاتم المدائنى ثنا يحيى بن سليمان عن عثمان بن أبى دهرس قال بلغنى أن رسول الله ﷺ انتهى إلى أصحابه وهم سكوت لايتكلمون فقال « مالكم لاتتكلمون ؟ » فقالوا نتفكر فى خلق الله عز وجل قال « فكذلك فافعلوا تفكروا فى خلق الله ولا تتفكروا فيه فان بهذا المغرب أرضا بيضاء نورها بياضها — أو قال بياضها نورها — مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله تعالى لم يعصوا الله طرفة عين قط » قالوا فأين الشيطان عنهم ؟ قال « مايدرون خلق الشيطان أم لم يخلق ؟ » قالوا أمن ولد آدم ؟ قال « لايدرون خلق آدم أم لم يخلق ؟ » وهذا حديث مرسل وهو منكر جدا وعثمان بن أبى دهرس ذكره ابن أبى حاتم فى كتابه فقال روى عن رجل من آل الحكم بن أبى العاص وعنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سليم الطائفى وابن المبارك سمعت أبى يقول ذلك . آخر تفسير سورة الطلاق ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة التحريم وهى مدنية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ اللَّهُ

لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴾

اختلف فى سبب نزول صدر هذه السورة فقيل نزلت فى شأن مارية وكان رسول الله ﷺ قد حرمها فنزل قوله تعالى (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ؟ تبتغى مرضات أزواجك) الآية

قال أبو عبد الرحمن النسائى أخبرنا إبراهيم بن يونس بن محمد ثنا أبى ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرمها فأنزل الله عز وجل (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك !) إلى آخر الآية . وقال ابن جرير حدثنى ابن عبد الرحيم البرقى ثنا ابن أبى مريم ثنا أبو غسان حدثنى زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصاب أم إبراهيم فى بيت بعض نسائه فقالت : أى رسول الله فى بيتى وعلى فراشى ! فجعلها عليه حراما فقالت: أى رسول الله كيف يحرم عليك الحلال ! فحلف لها بالله لا يصيبها فأنزل الله تعالى (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك !) قال زيد بن أسلم فقوله أنت على حرام لغو وهكذا روى عبد الرحمن بن زيد عن أبيه وقال ابن جرير أيضا ثنا يونس ثنا ابن وهب عن مالك عن زيد بن أسلم قال : قال لها « أنت على حرام والله لا أطؤك » وقال سفيان الثورى وابن علية عن داود بن أبى هند عن الشعبى عن مسروق قال آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم فعوتب فى التحريم وأمر بالكفارة فى اليمين رواه ابن جرير وكذا روى عن قتادة وغيره عن الشعبى نفسه وكذا قال غير واحد من السلف منهم الضحاك والحسن وقتادة ومقاتل بن حيان وروى العوفى عن ابن عباس القصة مطولة وقال ابن جرير ثنا سعيد بن يحيى ثنا أبى ثنا محمد بن إسحاق عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان ! قال عائشة وحفصة وكان بدء الحديث فى شأن أم إبراهيم القبطية أصابها النبي صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة فى نوبتها فوجدت حفصة فقالت يانبي الله لقد جئت إلى شيئا ما جئت إلى أحد من أزواجك فى يومى وفى دورى وعلى فراشى قال « ألا ترضين أن أحرمها فلا أقربها » قالت بلى فحرمها وقال لها « لا تذكرى ذلك لأحد » فذكرته لعائشة فأظهره الله عليه فأنزل الله تعالى (ياأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ! تبتغى مرضات أزواجك) الآيات كلها فبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر عن يمينه وأصاب جاريته وقال الهيثم بن كليب فى مسنده ثنا أبو قلابة عبد الملك بن محمد الرقاشى ثنا مسلم بن إبراهيم ثنا جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال : قال النبي ﷺ لحفصة « لا تخبرى أحدا وإن أم إبراهيم على حرام » فقالت أتحرم ما أحل الله لك ! قال « فوالله لا أقربها » قال فلم يقربها حتى أخبرت عائشة قال فأنزل الله تعالى (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) وهذا إسناد صحيح ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة ، وقد اختاره ، الحافظ الضياء المقدسى فى كتابه المستخرج . وقال ابن جرير أيضا حدثنى يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية ثنا هشام الدستوائى قال كتب إلى يحيى يحدث عن يعلى بن حكيم عن سعيد بن جبير أن ابن عباس كان يقول فى الحرام يمين تكفرها وقال ابن عباس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) يعنى أن رسول الله ﷺ حرم جاريته فقال الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك ! - إلى قوله - قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فكفر يمينه فصير الحرام يمينا . ورواه البخارى

عن معاذ بن فضالة عن هشام هو الدستوائى عن يحيى هو ابن أبى كثير عن ابن حكيم وهو يعلى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى الحرام يمين تكفر وقال ابن عباس (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة) ورواه مسلم من حديث هشام الدستوائى به وقال النسائى أنا عبد الله بن عبد الصمد بن على ثنا مخلد هو ابن يزيد ثنا سفيان عن سالم عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال أتاه رجل فقال إنى جعلت امرأتى على حراما قال كذبت ليست عليك بحرام ثم تلا هذه الآية (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟) عليك أغلظ الكفارات عتق رقبة ، تفرد به النسائى من هذا الوجه بهذا اللفظ وقال الطبرانى: ثنا محمد بن زكريا ثنا عبد الله بن رجاء ثنا إسرائيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) قال حرم رسول الله ﷺ سريته ومن ههنا ذهب من ذهب من الفقهاء ممن قال بوجوب الكفارة على من حرم جاريته أو زوجته أو طعاما أو شرابا أو ملبسا أو شيئا من المباحات وهو مذهب الإمام أحمد وطائفة ، وذهب الشافعى إلى أنه لا تجب الكفارة فيما عدا الزوجة والجارية إذا حرم عينهما أو أطلق التحريم فيهما فى قول فأما إن نوى بالتحريم طلاق الزوجة أو عتق الأمة نفذ فيهما وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى أنا حفص بن عمر العدنى أنا الحكم بن أبان أنا عكرمة عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك) فى المرأة التى وهبت نفسها للنبى ﷺ وهذا قول غريب والصحيح أن ذلك كان فى تحريمه العسل كما قال البخارى عند هذه الآية ثنا إبراهيم بن موسى أنا هشام بن يوسف عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد ابن عمير عن عائشة قالت كان النبى صلى الله عليه وسلم يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها فتواطأت أنا وحفصة على أيتنا دخل عليها فلتقل له : أكلت مغافير إنى أجد منك ريح مغافير . قال « لا ولكنى كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له وقد حلفت لا تخبرى بذلك أحدا » (تبتغى مرضاة أزواجك) هكذا أورد هذا الحديث ههنا بهذا اللفظ ، وقال فى كتاب الأيمان والنذور : ثنا الحسن بن محمد ثنا الحجاج عن ابن جريج قال زعم عطاء أنه سمع عبيد بن عمير يقول سمعت عائشة تزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا فتواطأت أنا وحفصة أن أيتنا دخل عليها النبى صلى الله عليه وسلم فلتقل له إنى أجد منك ريح مغافير أكلت مغافير فدخل على احداهما النبى ﷺ فقالت ذلك له فقال « لا بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له » فنزلت (يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ؟ - إلى قوله تعالى - إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) لعائشة وحفصة (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه حديثا) لقوله « بل شربت عسلا » وقال إبراهيم بن موسى عن هشام « ولن أعود له وقد حلفت فلا تخبرى بذلك أحدا » وهكذا رواه فى كتاب الطلاق بهذا الاسناد ولفظه قريب منه . ثم قال المغافير شبيه بالصمغ يكون فى الرمث فيه حلاوة ، أغفر الرمث إذا ظهر فيه ، واحدها مغفور ويقال مغافير وهكذا قال الجوهرى قال وقد يكون المغفور أيضا للعشر والثمام والسلم والطلح قال والرمث بالكسر مرعى من مراعى الابل وهو من الحمض قال والعرفط شجر من العضاه ينضح المغفور . وقد روى مسلم هذا الحديث فى كتاب الطلاق من صحيحه عن محمد بن حاتم عن حجاج بن محمد عن ابن جريج أخبرنى عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة به ولفظه كما أورده البخارى فى الأيمان والنذور ، ثم قال البخارى فى كتاب الطلاق ثنا فروة بن أبى المغراء ثنا على بن مسهر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يحب الحلوى والعسل وكان إذا انصرف من العصر دخل على نسائه فيدنو من إحداهن فدخل على حفصة بنت عمر فاحتبس أكثر ما كان يحتبس فغرت فسألت عن ذلك فقيل لى أهدت لها امرأة من قومها عكة عسل فسقت النبى صلى الله عليه وسلم منه شربة فقلت أما والله لنحتالن له فقلت لسودة بنت زمعة إنه سيدنو منك فاذا دنا منك فقولى أكلت مغافير فانه سيقول لك لا فقولى له ما هذه الريح التى أجد فانه سيقول لك سقتنى حفصة شربة عسل فقولى جرست نحله العرفط وسأقول ذلك ، وقولى له أنت ياصفية ذلك ، قالت : تقول سودة فوالله ما هو إلا أن قام على الباب فأردت أن أناديه بما أمرتنى فرقا منك ، فلما دنا منها قالت له سودة: يارسول الله أكلت مغافير ؟ قال « لا » قالت فما هذه الريح التى أجد

منك ؟ قال « سقتنى حفصة شربة عسل » قالت جرست نحله العرفط فلما دار إلى قلت نحو ذلك فلما دار إلى صفية قالت له مثل ذلك فلما دار إلى حفصة قالت له يارسول الله ألا أسقيك منه ؟ قال « لاحاجة لى فيه » قالت تقول سودة والله لقد حرمناه قلت لها اسكتى ، هذا لفظ البخارى . وقد رواه مسلم عن سويد بن سعيد عن على بن مسهر به وعن أبى كريب وهارون بن عبد الله والحسن بن بشر ثلاثتهم عن أبى أسامة حماد بن أسامة عن هشام بن عروة به وعنده قالت وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه أن يوجد منه الريح ، يعنى الريح الخبيثة ولهذا قلن له أكلت مغافير لأن ريحها فيه شىء ، فلما قال « بل شربت عسلا » قلن جرست نحله العرفط أى رعت نحله شجر العرفط الذى صمغه المغافير فلهذا ظهر ريحه فى العسل الذى شربته قال الجوهرى جرست النحل العرفط تجرس إذا أكلته ومنه قيل للنحل جوارس قال الشاعر * تظل على الثمراء منها جوارس * وقال الجرس والجرس الصوت الخفى ، ويقال سمعت جرس الطير إذا سمعت صوت مناقيرها على شىء تأكله ، وفى الحديث « فيسمعون جرس طير الجنة » قال الأصمعى كنت فى مجلس شعبة قال فيسمعون جرش طير الجنة بالشين فقلت جرس فنظر إلى فقال : خذوها عنه فانه أعلم بهذا منا والغرض أن هذا السياق فيه أن حفصة هى الساقية للعسل وهو من طريق هشام بن عروة عن أبيه عن خالته عائشة وفى طريق ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة ان زينب بنت جحش هى التى سقته العسل وإن عائشة وحفصة تواطأتا وتظاهرتا عليه فالله أعلم . وقد يقال انهما واقعتان ولا بعد فى ذلك الا ان كونهما سببا لنزول هذه الآية فيه نظر والله أعلم ومما يدل على أن عائشة وحفصة رضى الله عنهما هما المتظاهرتان الحديث الذى رواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهرى عن عبيد الله بن عبدالله بن أبى ثور عن ابن عباس قال : لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النبى ﷺ اللتين قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) حتى حج عمر وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه بالاداوة فتبرز ثم أتانى فسكبت على يديه فتوضأ فقلت يا أمير المؤمنين : من المرأتان من أزواج النبى ﷺ اللتان قال الله تعالى (إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما) فقال عمر : واعجبا لك يا ابن عباس ، قال الزهرى : كره والله ما سأله عنه ولم يكتمه قال هى عائشة وحفصة قال ثم أخذ يسوق الحديث قال : كنا معشر قريش قوما نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم قال : وكان منزلى فى دار أمية بن زيد بالعوالى ، قال فغضبت يوما على امرأتى فاذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ماتنكر أن أراجعك فوالله إن أزواج رسول الله ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل قال : فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت أتراجعين رسول الله ﷺ ؟ قالت نعم ، قلت : وتهجره إحداكن اليوم إلى الليل قالت : نعم قلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فاذا هى قد هلكت لاتراجعى رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئا وسلينى من مالى مابدالك ولا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم — أى أجمل — وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك — يريد عائشة — قال وكان لى جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل يوما وأنزل يوما فيأتينى بخبر الوحى وغيره وآتيه بمثل ذلك ، قال وكنا نتحدث أن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبى يوما ثم أتى عشاء فضرب بابى ثم نادانى فخرجت اليه فقال : حدث أمر عظيم فقلت وما ذاك أجاءت غسان ، قال لا بل أعظم من ذلك وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقلت قد خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا كائنا حتى إذا صليت الصبح شددت على ثيابى ثم نزلت فدخلت على حفصة وهى تبكى فقلت : أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا أدرى هو هذا معتزل فى هذه المشربة ، فأتيت غلاما له أسود فقلت استأذن لعمر فدخل الغلام ثم خرج إلى فقال ذكرتك له فصمت فانطلقت حتى أتيت المنبر فاذا عنده رهط جلوس يبكى بعضهم فجلست عنده قليلا ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت : استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال فقد ذكرتك له فصمت ، فخرجت فجلست إلى المنبر ثم غلبنى ما أجد فأتيت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم خرج إلى فقال : قد ذكرتك له ، فصمت ، فوليت

مدبرا فإذا الغلام يدعونى فقال ادخل قد أذن لك فدخلت فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكىء على رمال حصير ـ قال الإمام أحمد : وحدثناه يعقوب فى حديث صالح قال رمال حصير ـ وقد أثر فى جنبه فقلت : أطلقت يا رسول الله نساءك ؟ فرفع رأسه إلى وقال « لا » فقلت الله أكبر ولو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوما تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم فغضبت على امرأتى يوما فإذا هى تراجعنى فأنكرت أن تراجعنى فقالت ماتنكر أن أراجعك ؟ فوالله إن أزواج النبى ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل فقلت قد خاب من فعل ذلك منكن وخسرت أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هى قد هلكت ، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله قددخلت على حفصة فقلت لا يغرنك أن كانت جارتك هى أوسم أو أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فتبسم أخرى فقلت أستأنس يا رسول الله . قال « نعم » فجلست فرفعت رأسى فى البيت فوالله ما رأيت فى البيت شيئا يرد البصر الا أهب مقامة فقلت ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله فاستوى جالسا وقال « أفى شك أنت يا ابن الخطاب . أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم فى الحياة الدنيا» فقلت استغفر لى يارسول الله وكان أقسم أن لا يدخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن حتى عاتبه الله عزوجل . وقد رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به ، وأخرجه الشيخان من حديث يحيى بن سعيد الأنصارى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له حتى خرج حاجا فخرجت معه فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له قال فوقفت حتى فرغ ثم سرت معه فقلت يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا على النبى صلى الله عليه وسلم . هذا لفظ البخارى ولمسلم: من المرأتان اللتان قال الله تعالى (وإن تظاهرا عليه) قال عائشة وحفصة ثم ساق الحديث بطوله ومنهم من اختصره . وقال مسلم أيضاً حدثنى زهير بن حرب ثنا عمر بن يونس الحنفى ثنا عكرمة بن عمار عن سماك بن الوليد أبى زميل حدثنى عبدالله بن عباس حدثنى عمر بن الخطاب قال لما اعتزل نبى الله صلى الله عليه وسلم نساءه دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى ويقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه وذلك قبل أن يؤمر بالحجاب فقلت لأعلمن ذلك اليوم فذكر الحديث فى دخوله على عائشة وحفصة ووعظه إياهما إلى أن قال فدخلت فإذا أنا برباح غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أسكفة المشربة فناديت فقلت يا رباح استأذن لى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر نحو ما تقدم ـ إلى أن قال ـ فقلت يا رسول الله ما يشق عليك من أمر النساء فان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكال وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك وقلما تكلمت ـ وأحمد الله ـ بكلام إلا رجوت أن يكون الله يصدق قولى فنزلت هذه الآية آية التخيير (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيراً منكن) وإن تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير) فقلت أطلقتهن . قال « لا » فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتى لم يطلق نساءه ونزلت هذه الآية (وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم) فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة ومقاتل بن حيان والضحاك وغيرهم (وصالح المؤمنين) أبو بكر وعمر زاد الحسن البصرى وعثمان ، وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد (وصالح المؤمنين) قال على بن أبى طالب .

وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين ثنا محمد بن أبى عمر ثنا محمد بن جعفر بن محمد بن الحسين قال أخبرنى رجل ثقة يرفعه إلى على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (وصالح المؤمنين) قال «هو على بن أبى طالب » إسناده ضعيف وهو منكر جدا وقال البخارى ثنا عمرو بن عون ثنا هشيم عن حميد عن أنس قال: قال عمر اجتمع نساء النبى صلى الله عليه وسلم فى الغيرة عليه فقلت لهن (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن) فنزلت هذه الآية وقد تقدم أنه وافق القرآن فى أماكن منها فى نزول الحجاب ومنها فى أسارى بدر ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى

فأنزل الله تعالى (واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى) وقال ابن أبي حاتم ثنا أبي حدثنا الأنصاري ثنا حميد عن أنس قال : قال عمر بن الخطاب بلغني شيء كان بين أمهات المؤمنين وبين النبي صلى الله عليه وسلم فاستقريتهن أقول: لتكفن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ليبدلنه الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على آخر أمهات المؤمنين فقالت : يا عمر أما في رسول الله ما يعظ نساءه حتى تعظهن . فأمسكت فأنزل الله عز وجل (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا) وهذه المرأة التي ردته عما كان فيه من وعظ النساء هي أم سلمة كما ثبتت ذلك في صحيح البخاري وقال الطبراني ثنا إبراهيم بن نائلة الأصبهاني ثنا إسماعيل البجلي ثنا أبو عوانة عن أبي سنان عن الضحاك عن ابن عباس في قوله (وإذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا) قال، دخلت حفصة على النبي ﷺ في بيتها وهو يطأ مارية فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تخبري عائشة حتى أبشرك ببشارة ، إن أباك يلي الأمر من بعد أبي بكر إذا أنا مت) فذهبت حفصة فأخبرت عائشة فقالت عائشة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أنبأك هذا ؟ قال (نبأني العليم الخبير) فقالت عائشة لا أنظر إليك حتى تحرم مارية فحرمها فأنزل الله تعالى (يا أيها النبي لم تحرم) إسناده فيه نظر وقد تبين مما أوردناه تفسير هذه الآيات الكريمات ، ومعنى قوله (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات) ظاهر وقوله تعالى (سائحات) أي صائمات قاله أبو هريرة وعائشة وابن عباس وعكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وعطاء ومحمد بن كعب القرظي وأبو عبد الرحمن السلمي وأبو مالك وإبراهيم النخعي والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدي وغيرهم . وتقدم فيه حديث مرفوع عند قوله (السائحون) في سورة براءة ولفظه «وسياحة هذه الأمة الصيام» وقال زيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن (سائحات) أي مهاجرات وتلا عبد الرحمن (السائحون) أي المهاجرون والقول الأول أولى والله أعلم

وقوله تعالى (ثيبات وأبكارا) أي منهن ثيبات ومنهن أبكارا ليكون ذلك أشهى إلى النفس فان التنوع يبسط النفس ولهذا قال (ثيبات وأبكارا) . وقال أبو القاسم الطبراني في معجمه الكبير ثنا أبو بكر بن صدقة ثنا محمد بن محمد بن مرزوق ثنا عبد الله بن أبي أمية ثنا عبد القدوس عن صالح بن حيان عن ابن بريدة عن أبيه (ثيبات وأبكارا) قال وعد الله نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية أن يزوجه فالثيب آسية امرأة فرعون وبالأبكار مريم بنت عمران . وذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة مريم عليها السلام من طريق سويد بن سعيد ثنا محمد بن صالح بن عمر عن الضحاك ومجاهد عن ابن عمر قال جاء جبريل إلى رسول الله ﷺ فمرت خديجة فقال : إن الله يقرئها السلام ويبشرها ببيت في الجنة من قصب بعيد من اللهب لا نصب فيه ولا صخب من لؤلؤة جوفاء بين بيت مريم بنت عمران وبيت آسية بنت مزاحم. ومن حديث أبي بكر الهذلي عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي في الموت فقال « يا خديجة إذا لقيت ضرائرك فأقرئيهن مني السلام » فقالت يا رسول الله وهل تزوجت قبلي. قال «لا ولكن الله زوجني مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وكلثم أخت موسى » ضعيف أيضا ، وقال أبو يعلى ثنا إبراهيم بن عرعرة ثنا عبد النور بن عبد الله ثنا يوسف بن شعيب عن أبي أمامة قال : قال رسول الله ﷺ « أعلمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وآسية امرأة فرعون » فقلت هنيئا لك يا رسول الله ، وهذا أيضا ضعيف وروى مرسلا عن ابن أبي داود

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ

جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قال سفيان الثورى عن منصور عن رجل عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول أدبوهم وعلموهم وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) يقول اعملوا بطاعة الله واتقوا معاصى الله وأمروا أهليكم بالذكر ينجيكم الله من النار ، وقال مجاهد (قوا أنفسكم وأهليكم نارا) قال اتقوا الله وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال قتادة تأمرهم بطاعة الله وتنهاهم عن معصية الله وأن تقوم عليهم بأمر الله وتأمرهم به وتساعدهم عليه فاذا رأيت لله معصية قذعتهم عنها وزجرتهم عنها ، وهكذا قال الضحاك ومقاتل: حق على المسلم أن يعلم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم ومانهاهم الله عنه . وفى معنى هذه الآية الحديث الذى رواه أحمد وأبو داود والترمذى من حديث عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « مروا الصبى بالصلاة إذا بلغ سبع سنين فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » هذا لفظ أبى داود وقال الترمذى هذا حديث حسن وروى أبو داود من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك قال الفقهاء وهكذا فى الصوم ليكون ذلك تمرينا له على العبادة لكى يبلغ وهو مستمر على العبادة والطاعة ومجانبة المعصية وترك المنكر والله الموفق

وقوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) وقودها أى حطبها الذى يلقى فيها جثث بنى آدم (والحجارة) قيل المراد بها الأصنام التى تعبد لقوله تعالى (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم) وقال ابن مسعود ومجاهد وأبو جعفر الباقر والسدى : هى حجارة من كبريت ، زاد مجاهد : أنتن من الجيفة ، وروى ذلك ابن أبى حاتم رحمه الله ثم قال ثنا أبى ثنا عبد الرحمن بن سنان النقرى ثنا عبد العزيز — يعنى ابن أبى رواد — قال بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة) وعنده بعض أصحابه وفيهم شيخ فقال الشيخ : يارسول الله حجارة جهنم كحجارة الدنيا ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم « والذى نفسى بيده لصخرة من صخر جهنم أعظم من جبال الدنيا كلها » قال فوقع الشيخ مغشيا عليه فوضع النبى صلى الله عليه وسلم يده على فؤاده فاذا هو حى فناداه قال « ياشيخ قل لا إله إلا الله » فقالها فبشره بالجنة قال : فقال أصحابه يارسول الله أمن بيننا ؟ قال « نعم يقول الله تعالى (ذلك لمن خاف مقامى وخاف وعيد) » هذا حديث مرسل غريب وقوله تعالى (عليها ملائكة غلاظ شداد) أى طباعهم غليظة قد نزعت من قلوبهم الرحمة بالكافرين بالله (شداد) أى تركيبهم فى غاية الشدة والكثافة والمنظر المزعج. كما قال ابن حاتم ثنا أبى ثنا سلمة بن شبيب ثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان ثنا أبى عن عكرمة أنه قال إذا وصل أول أهل النار إلى النار وجدوا على الباب أربعمائة ألف من خزنة جهنم سود وجوههم كالحة أنيابهم قد نزع الله من قلوبهم الرحمة ليس فى قلب واحد منهم مثقال ذرة من الرحمة ، لو طير الطير من منكب أحدهم لطار شهرين قبل أن يبلغ منكبه الآخر ثم يجدون على الباب التسعة عشر ، عرض صدر أحدهم سبعون خريفا ثم يهوون من باب إلى باب خمسمائة سنة ثم يجدون على كل باب منها مثل ماوجدوا على الباب الأول حتى ينتهوا إلى آخرها ، وقوله (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون) أى مهما أمرهم به تعالى يبادروا اليه لا يتأخرون عنه طرفة عين وهم قادرون على فعله ليس بهم عجز عنه ، وهؤلاء هم الزبانية — عياذا بالله منهم — وقوله (يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال للكفرة يوم القيامة لاتعتذروا فانه لايقبل منكم ولاتجزون إلا ما كنتم تعملون وإنما تجزون اليوم بأعمالكم ، ثم قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أى توبة صادقة جازمة تمحو ماقبلها من السيئات، وتلم شعث التائب وتجمعه وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات

قال ابن جرير ثنا ابن مثنى ثنا محمد ثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب سمعت عمر بن الخطاب رضى الله

عنه يقول (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) قال يذنب الذنب ثم لا يرجع فيه ، وقال الثورى عن سماك عن النعمان عن عمر قال التوبة النصوح أن يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أو لا يريد أن يعود فيه وقال أبو الأحوص وغيره عن سماك عن النعمان سئل عمر عن التوبة النصوح فقال : أن يتوب الرجل من العمل السوء ثم لا يعود اليه أبدا . وقال الأعمش عن أبى إسحاق عن أبى الأحوص عن عبد الله (توبة نصوحا) قال يتوب ثم لا يعود

وقد روى هذا مرفوعا فقال الامام أحمد ثنا على بن عاصم عن إبراهيم الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « التوبة من الذنب أن يتوب منه ثم لا يعود فيه » تفرد به أحمد من طريق إبراهيم بن مسلم الهجرى وهو ضعيف والموقوف أصح والله أعلم ، ولهذا قال العلماء : التوبة النصوح هو أن يقلع عن الذنب فى الحاضر ويندم على ماسلف منه فى الماضى ويعزم على أن لا يفعل فى المستقبل ، ثم إن كان الحق لآدمى رده اليه بطريقه . قال الامام أحمد ثنا سفيان عن عبد الكريم أخبرنى زياد بن أبى مريم عن عبد الله بن مغفل قال دخلت مع أبى على عبد الله بن مسعود فقال أنت سمعت النبى ﷺ يقول « الندم توبة ؟ » قال نعم وقال مرة : نعم سمعته يقول « الندم توبة » ورواه ابن ماجه عن هشام بن عمار عن سفيان بن عيينة عن عبد الكريم وهو ابن مالك الجزرى به وقال ابن أبى حاتم ثنا الحسن بن عرفة حدثنى الوليد بن بكير أبو جناب عن عبد الله بن محمد العبدى عن أبى سنان البصرى عن أبى قلابة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال قيل لنا أشياء تكون فى آخر هذه الأمة عند اقتراب الساعة ، منها نكاح الرجل امرأته أو أمته فى دبرها وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح الرجل الرجل وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، ومنها نكاح المرأة المرأة وذلك مما حرم الله ورسوله ويمقت الله عليه ورسوله ، وليس لهؤلاء صلاة ما أقاموا على هذا حتى يتوبوا إلى الله توبة نصوحا ، قال زر : فقلت لأبى بن كعب فما التوبة النصوح ؟ فقال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال « هو الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله بندامتك منه عند الحاضر ثم لا تعود إليه أبدا » . وقال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا عمرو بن على ثنا عباد بن عمرو ثنا أبو عمرو بن العلاء سمعت الحسن يقول التوبة النصوح أن تبغض الذنب كما أحببته وتستغفر منه إذا ذكرته ، فأما إذا جزم بالتوبة وصمم عليها فانها تجب ماقبلها من الخطيئات كما ثبت فى الصحيح : « الاسلام يجب ماقبله ، والتوبة تجب ماقبلها » . وهل من شرط التوبة النصوح الاستمرار على ذلك إلى الممات - كما تقدم فى الحديث وفى الأثر - ثم لا يعود فيه أبدا . أو يكفى العزم على أن لا يعود فى تكفير الماضى بحيث لو وقع منه ذلك الذنب بعد ذلك لا يكون ذلك ضارا فى تكفير ماتقدم لعموم قوله عليه السلام : « التوبة تجب ماقبلها ؟ » وللأول أن يحتج بما ثبت فى الصحيح أيضا « من أحسن فى الاسلام لم يؤاخذ بما عمل فى الجاهلية ، ومن أساء فى الاسلام أخذ بالأول والآخر » فاذا كان هذا فى الاسلام الذى هو أقوى من التوبة فالتوبة بطريق الأولى والله أعلم

وقوله تعالى (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار) وعسى من الله موجبة (يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه) أى ولا يخزيهم معه يعنى يوم القيامة (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) كما تقدم فى سورة الحديد (يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) قال مجاهد والضحاك والحسن البصرى وغيرهم هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طفىء . وقال الامام أحمد ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقانى ثنا ابن المبارك عن يحيى بن حسان عن رجل من بنى كنانة قال : صليت خلف رسول الله ﷺ عام الفتح فسمعته يقول « اللهم لا تخزنى يوم القيامة » وقال محمد بن نصر المروزى : ثنا محمد بن مقاتل المروزى ثنا ابن المبارك أنا ابن لهيعة حدثنى يزيد بن أبى حبيب عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير أنه سمع أباذر وأبا الدرداء قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول من يؤذن له فى السجود يوم القيامة ، وأول من يؤذن له برفع رأسه فأنظر بين يدى فأعرف أمتى من بين الأمم وأنظر عن يمينى فأعرف أمتى من بين الأمم ، وأنظر عن شمالى فأعرف أمتى من بين الأمم » فقال رجل يارسول الله : وكيف تعرف أمتك من بين الأمم ؟ قال « غر محجلون

من آثار الطهور ولا يكون أحد من الأمم كذلك غيرهم وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم في وجوههم من أثر السجود ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم »

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين هؤلاء بالسلاح والقتال وهؤلاء باقامة الحدود عليهم (واغلظ عليهم) أى فى الدنيا (ومأواهم جهنم وبئس المصير) أى فى الآخرة ثم قال تعالى (ضرب الله مثلا للذين كفروا) أى فى مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدى عنهم شيئا ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلا فى قلوبهم ثم ذكر المثل فقال (امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) أى نبيين رسولين عندهما فى صحبتهما ليلا ونهارا يؤاكلانهما ويضاجعانهما ويعاشرانهما أشد العشرة والاختلاط (فخانتاهما) أى فى الإيمان لم يوافقاهما على الإيمان ولا صدقاهما فى الرسالة فلم يجد ذلك كله شيئا ولا دفع عنهما محذورا ولهذا قال تعالى (فلم يغنيا عنهما من الله شيئا) أى لكفرهما (وقيل) أى للمرأتين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) فى فاحشة بل فى الدين فان نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع فى الفاحشة لحرمة الأنبياء كما قدمنا فى سورة النور ، قال سفيان الثورى عن موسى بن أبى عائشة عن سليمان بن قرم سمعت ابن عباس يقول فى هذه الآية (فخانتاهما) قال ما زنتا ، أما خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدل قومها على أضيافه ، وقال العوفى عن ابن عباس قال كانت خيانتهما أنهما كانتا على غير دينهما فكانت امرأة نوح تطلع على سر نوح فإذا آمن مع نوح أحد أخبرت الجبابرة من قوم نوح به ، وأما امرأة لوط فكانت إذا أضاف لوط أحدا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء . وقال الضحاك عن ابن عباس ما بغت امرأة نبى قط إنما كانت خيانتهما فى الدين ، وهكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم وقد استدل بهذه الآية الكريمة بعض العلماء على ضعف الحديث الذى بأثره كثير من الناس : من أكل مع مغفور له غفر له . وهذا الحديث لا أصل له وإنما يروى هذا عن بعض الصالحين أنه رأى النبى ﷺ فى المنام فقال : يارسول الله أنت قلت من أكل مع مغفور له غفر له ؟ قال : لا ولكنى الآن أقوله .

﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾

وهذا مثل ضربه الله للمؤمنين أنهم لا تضرهم مخالطة الكافرين إذا كانوا محتاجين إليهم كما قال تعالى (لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شىء إلا أن تتقوا منهم تقاة) قال قتادة كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم فوالله ما ضر امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربها ليعلموا أن الله تعالى حكم عدل لا يؤاخذ أحدا إلا بذنبه . وقال ابن جرير : ثنا إسماعيل بن حفص الإيلى ثنا محمد بن جعفر عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان قال كانت امرأة فرعون تعذب فى الشمس فإذا انصرف عنها أظلتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها فى الجنة ثم رواه عن عبيد بن محمد المحاربى عن أسباط بن محمد عن سليمان التيمى به . ثم قال ابن جرير

حدثنى يعقوب بن إبراهيم ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى ثنا القاسم بن أبى بزة قال كانت امرأة فرعون تسأل من غلب ؟ فيقال غلب موسى وهارون فتقول آمنت برب موسى وهارون فأرسل إليها فرعون فقال انظروا أعظم صخرة تجدونها فان مضت على قولها فألقوها عليها وإن رجعت عن قولها فهى امرأتى ، فلما أتوها رفعت بصرها إلى السماء فأبصرت بيتها فى الجنة فمضت على قولها وانتزعت روحها وألقيت الصخرة على جسد ليس فيه روح ، فقولها (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) قالت العلماء اختارت الجار قبل الدار ، وقد ورد شىء من ذلك فى حديث مرفوع (ونجنى من فرعون وعمله) أى خلصنى منه فانى أبرأ إليك من عمله (ونجنى من القوم الظالمين) وهذه المرأة هى آسية بنت مزاحم رضى الله عنها . وقال أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالية قال كان إيمان امرأة فرعون من قبل إيمان امرأة خازن فرعون وذلك أنها جلست تمشط ابنة فرعون فوقع المشط من يدها فقالت تعس من كفر بالله فقالت لها بنت فرعون ولك رب غير أبى ؟ قالت ربى ورب أبيك ورب كل شىء الله فلطمتها بنت فرعون وضربتها وأخبرت أباها فأرسل إليها فرعون فقال تعبدين ربا غيرى ؟ قالت نعم ربى وربك ورب كل شىء الله وإياه أعبد ، فعذبها فرعون وأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها وأرسل عليها الحيات فكانت كذلك فأتى عليها يوما فقال لها ما أنت منتهية فقالت له ربى وربك ورب كل شىء الله فقال لها إنى ذابح ابنك فى فيك إن لم تفعلى فقالت له اقض ما أنت قاض فذبح ابنها فى فيها ، وإن روح ابنها بشرها فقال لها أبشرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا فصبرت ثم أتى عليها فرعون يوما آخر فقال لها مثل ذلك فقالت له مثل ذلك فذبح ابنها الآخر فى فيها فبشرها روحه أيضا وقال لها اصبرى يا أمه فان لك عند الله من الثواب كذا وكذا ، قال وسمعت امرأة فرعون كلام روح ابنها الأكبر ثم الأصغر فآمنت امرأة فرعون وقبض الله روح امرأة خازن فرعون وكشف الغطاء عن ثوابها ومنزلتها وكرامتها فى الجنة لا مرأة فرعون حتى رأت فازدادت إيمانا ويقينا وتصديقا فأطلع الله فرعون على إيمانها فقال للملأ ما تعلمون من آسية بنت مزاحم ؟ فأثنوا عليها فقال لهم إنها تعبد غيرى فقالوا له اقتلها فأوتد لها أوتادا فشد يديها ورجليها فدعت آسية ربها فقالت (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة) فوافق ذلك أن حضرها فرعون فضحكت حين رأت بيتها فى الجنة فقال فرعون ألا تعجبون من جنونها إنا نعذبها وهى تضحك ، فقبض الله روحها فى الجنة رضى الله عنها . وقوله تعالى (ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها) أى حفظته وصانته ، والاحصان : هو العفاف والحرية (فنفخنا فيه من روحنا) أى بواسطة الملك وهو جبريل فان الله بعثه إليها فتمثل لها فى صورة بشر سوى وأمره الله تعالى أن ينفخ بفيه فى جيب درعها فنزلت النفخة فولجت فى فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ولهذا قال تعالى (فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه) أى بقدره وشرعه (وكانت من القانتين) قال الإمام أحمد ثنا يونس ثنا داود بن أبى الفرات عن علباء عن عكرمة عن ابن عباس قال : خط رسول الله ﷺ فى الأرض أربعة خطوط وقال « أتدرون ما هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ « أفضل نساء أهل الجنة : خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد ومريم ابنة عمران وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون » وقد ثبت فى الصحيحين من حديث شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة الهمدانى عن أبى موسى الأشعرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد ، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام » وقد ذكرنا طرق هذه الأحاديث وألفاظها والكلام عليها فى قصة عيسى بن مريم عليهما السلام فى كتابنا (البداية والنهاية) ولله الحمد والمنة وذكرنا ماورد من الحديث من أنها تكون هى وآسية بنت مزاحم من أزواجه عليه السلام فى الجنة عند قوله (ثيبات وأبكارا) آخر تفسير سورة التحريم ، ولله الحمد والمنة .

(تفسير سورة الملك وهى مكية)

قال الإمام أحمد : حدثنا حجاج بن محمد وابن جعفر قالا : حدثنا شعبة عن قتادة عن عباس الجشمى عن أبى هريرة

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن سورة فى القرآن ثلاثين آية شفعت لصاحبها حتى غفرله : تبارك الذى بيده الملك » ورواه أهل السنن الأربعة من حديث شعبة به ، وقال الترمذى هذا حديث حسن ، وقد روى الحافظ ابن عساكر فى تاريخه فى ترجمة أحمد بن نصر بن زياد أبى عبد الله القرشى النيسابورى القرى الزاهد الفقيه أحد الثقات الذين روى عنهم البخارى ومسلم لكن فى غير الصحيحين ، وروى عنه الترمذى وابن ماجه وابن خزيمة وعليه تفقه فى مذهب أبى عبيد بن حربويه وخلق سواهم ساق بسنده من حديثه عن فرات بن السائب عن الزهرى عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « إن رجلا ممن كان قبلكم مات وليس معه شىء من كتاب الله إلا تبارك فلما وضع فى حفرته أتاه الملك فثارت السورة فى وجهه فقال لها إنك من كتاب الله وأنا أكره مساءتك وإنى لا أملك لك ولا له ولا لنفسى ضرا ولا نفعا فان أردت هذا به فانطلقى إلى الرب تبارك وتعالى فاشفعى له فتنطلق إلى الرب فتقول يارب ان فلانا عمد إلى من بين كتابك فتعلمنى وتلانى أفتحرقه أنت بالنار وتعذبه وأنا فى جوفه ؟ فان كنت فاعلا ذاك به فامحنى من كتابك ، فيقول ألا أراك غضبت ، فتقول وحق لى أن أغضب فيقول اذهبى فقد وهبته لك وشفعتك فيه ـ قال ـ فتجىء فتزجر الملك فيخرج خاسف البال لم يحل منه بشىء ـ قال ـ فتجىء فتضع فاها على فيه فتقول مرحبا بهذا الفم فربما تلانى ومرحبا بهذا الصدر فربما وعانى ومرحبا بهما بين القدمين فربما قامتا بى وتؤنسه فى قبره مخافة الوحشة عليه » قال فلما حدث بهذا رسول الله ﷺ لم يبق صغير ولا كبير ولا حر ولا عبد إلا تعلمها وعلماها رسول الله صلى الله عليه وسلم النجية .

﴿ قلت ﴾ وهذا حديث منكر جدا وفرات بن السائب هذا ضعفه الإمام أحمد ويحيى بن معين والبخارى وأبو حاتم والدارقطنى وغير واحد وقد ذكره ابن عساكر من وجه آخر عن الزهرى من قوله مختصرا وروى البيهقى فى كتاب إثبات عذاب القبر عن ابن مسعود موقوفا ومرفوعا مايشهد لهذا وقد كتبناه فى كتاب الجنائز ﴿ من الأحكام الكبرى ﴾ ولله الحمد والمنة ، وقد روى الطبرانى والحافظ الضياء المقدسى من طريق سلام بن مسكين عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « سورة فى القرآن خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة : تبارك الذى بيده الملك » وقال الترمذى حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب حدثنا يحيى بن عمرو بن مالك النكرى عن أبيه عن أبى الجوزاء عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهو لا يحسب أنه قبر فاذا قبر إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ضربت خبائى على قبر وأنا لا أحسب أنه قبر فاذا إنسان يقرأ سورة الملك : تبارك حتى ختمها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر » ثم قال هذا حديث غريب من هذا الوجه وفى الباب عن أبى هريرة ، ثم روى الترمذى أيضا من طريق ليث بن أبى سليم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل ، وتبارك الذى بيده الملك ، وقال ليث عن طاوس يفضلان كل سورة فى القرآن بسبعين حسنة .

وقال الطبرانى حدثنا محمد بن الحسن بن عجلان الأصبهانى حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن أبان عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » يعنى تبارك الذى بيده الملك ، هذا حديث غريب وإبراهيم ضعيف ، وقد تقدم مثله فى سورة يس ، وقد روى هذا الحديث عبد بن حميد فى مسنده بأبسط من هذا فقال حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال لرجل ألا أتحفك بحديث تفرح به ! قال : بلى ، قال : اقرأ تبارك الذى بيده الملك وعلمها أهلك وجميع ولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل أو تخاصم يوم القيامة عند ربها لقارئها وتطلب له أن ينجيه من عذاب النار وينجى بها صاحبها من عذاب القبر . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لوددت أنها فى قلب كل إنسان من أمتى » .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ * الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ

فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ * وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴾

يمجد تعالى نفسه الكريمة ويخبر أنه بيده الملك أى هو المتصرف فى جميع المخلوقات بما يشاء لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لقهره وحكمته وعدله ولهذا قال تعالى (وهو على كل شىء قدير) ثم قال تعالى (الذى خلق الموت والحياة) واستدل بهذه الآية من قال إن الموت أمر وجودى لأنه مخلوق ومعنى الآية أنه أوجد الخلائق من العدم ليبلوهم أى يختبرهم أيهم أحسن عملا كما قال تعالى (كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم) فسمى الحال الأول وهو العدم موتا وسمى هذه النشأة حياة ولهذا قال تعالى (ثم يميتكم ثم يحييكم) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليد عن قتادة فى قوله تعالى (الذى خلق الموت والحياة) قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن الله أذل بنى آدم بالموت وجعل الدنيا دار حياة ثم دار موت وجعل الآخرة دار جزاء ثم دار بقاء » ورواه معمر عن قتادة ، وقوله تعالى (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) أى خير عملا كما قال محمد بن عجلان ولم يقل أكثر عملا ثم قال تعالى (وهو العزيز الغفور) أى هو العزيز العظيم المنيع الجناب وهو مع ذلك غفور لمن تاب إليه وأناب بعد ما عصاه وخالف أمره وإن كان تعالى عزيزا هو مع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز ثم قال تعالى (الذى خلق سبع سموات طباقا) أى طبقة بعد طبقة وهل هن متواصلات بمعنى أنهن علويات بعضهن على بعض أو متفاصلات بينهن خلاء ، فيه قولان أصحهما الثانى كما دل على ذلك حديث الإسراء وغيره ، وقوله تعالى (ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت) أى بل هو مستحب مستو ليس فيه اختلاف ولا تنافر ولا مخالفة ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولهذا قال تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أى انظر إلى السماء فتأملها هل ترى فيها عيبا أو نقصا أو خللا أو فطورا ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والثورى وغيرهم فى قوله تعالى (فارجع البصر هل ترى من فطور) أى شقوق وقال السدى (هل ترى من فطور) أى من خروق ، وقال ابن عباس فى رواية (من فطور) أى من وهاء ، وقال قتادة (هل ترى من فطور) أى هل ترى خللا يا ابن آدم ؟ وقوله تعالى (ثم ارجع البصر كرتين) قال قتادة مرتين (ينقلب إليك البصر خاسئا) قال ابن عباس ذليلا؟ وقال مجاهد وقتادة صاغرا (وهو حسير) قال ابن عباس يعنى وهو كليل ، وقال مجاهد وقتادة والسدى: الحسير المنقطع من الاعياء ، ومعنى الآية إنك لو كررت البصر مهما كررت لا تقلب إليك أى لرجع إليك البصر (خاسئا) عن أن يرى عيبا أو خللا (وهو حسير) أى كليل قد انقطع من الاعياء من كثرة التكرر ولا يرى نقصا ، ولما نفى عنها فى خلقها النقص بين كمالها وزينتها فقال (ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح) وهى الكواكب التى وضعت فيها من السيارات والثوابت وقوله تعالى (وجعلناها رجوما للشياطين) عاد الضمير فى قوله وجعلناها على جنس المصابيح لا على عينها لأنه لا يرمى بالكواكب التى فى السماء بل بشهب من دونها وقد تكون مستمدة منها والله أعلم وقوله تعالى (وأعتدنا لهم عذاب السعير) أى جعلنا للشياطين هذا الخزى فى الدنيا وأعتدنا لهم عذاب السعير فى الأخرى كما قال تعالى فى أول الصافات (إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب * وحفظا من كل شيطان مارد * لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب دحورا ولهم عذاب واصب * إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب) قال قتادة إنما خلقت هذه النجوم لثلاث خصال خلقها الله زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ * إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ * تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ

فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ * وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾

يقول تعالى (و) أعتدنا (للذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير) أى بئس المآل والمنقلب (إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا) قال ابن جرير يعنى الصياح (وهى تفور) قال الثورى تغلى بهم كما يغلى الحب القليل فى الماء الكثير . وقوله تعالى (تكاد تميز من الغيظ) أى تكاد ينفصل بعضها من بعض من شدة غيظها عليهم وحنقها بهم (كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير * قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شىء إن أنتم إلا فى ضلال كبير) يذكر تعالى عدله فى خلقه وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه وإرسال الرسول إليه كما قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) وقال تعالى (حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ؟ قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين)وهكذا عادوا على أنفسهم بالملامة وندموا حيث لا تنفعهم الندامة فقالوا (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير) أى لو كانت لنا عقول ننتفع بها أو نسمع ما أنزله الله من الحق لما كنا على ما كنا عليه من الكفر بالله والاغترار به ولكن لم يكن لنا فهم نعى به ما جاءت به الرسل ولا كان لنا عقل يرشدنا إلى اتباعهم قال الله تعالى (فاعترفوا بذنبهم فسحقا لأصحاب السعير) قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى الطائى قال أخبرنى من سمعه من رسول الله ﷺ أنه قال « لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم » وفى حديث آخر « لا يدخل أحد النار إلا وهو يعلم أن النار أولى به من الجنة »

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ * هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

يقول تعالى مخبرا عمن يخاف مقام ربه فيما بينه وبينه إذا كان غائبا عن الناس فينكف عن المعاصى ويقوم بالطاعات حيث لا يراه أحد إلا الله تعالى بأنه له مغفرة وأجر كبير أى تكفر عنه ذنوبه ويجازى بالثواب الجزيل كما ثبت فى الصحيحين « سبعة يظلهم الله تعالى فى ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله » فذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله ، ورجلا تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . وقال الحافظ أبو بكر البزار فى مسنده حدثنا طالوت بن عباد حدثنا عباد حدثنا الحارث بن عبيد عن ثابت عن أنس قال : قالوا يا رسول الله : إنا نكون عندك على حال فإذا فارقناك كنا على غيره قال « كيف أنتم وربكم ؟ » قالوا الله ربنا فى السر والعلانية ، قال « ليس ذلك النفاق » لم يروه عن ثابت إلا الحارث بن عبيد فيما نعلمه ، ثم قال تعالى منبها على أنه مطلع على الضمائر والسرائر (وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور) أى بما يخطر فى القلوب (ألا يعلم من خلق ؟) أى ألا يعلم الخالق ، وقيل معناه ألا يعلم الله مخلوقه ؟ والأول أولى لقوله (وهو اللطيف الخبير) ، ثم ذكر نعمته على خلقه فى تسخيره لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون وسلك فيها من السبل وهيأ فيها من المنافع ومواضع الزروع والثمار فقال تعالى (هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها) أى فسافروا حيث شئتم من أقطارها وترددوا فى أقاليمها وأرجائها فى أنواع المكاسب والتجارات ، واعلموا أن سعيكم لا يجدى عليكم شيئا إلا أن ييسره الله لكم ولهذا قال تعالى (وكلوا من

رزقه) فالسعى فى السبب لا ينافى التوكل كما قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرنى بكر بن عمرو أنه سمع عبد الله بن هبيرة يقول إنه سمع أبا سهم الحبشانى يقول إنه سمع عمر بن الخطاب يقول إنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذى حسن صحيح ، فأثبت لها رواحا وغدوا لطلب الرزق مع توكلها على الله عز وجل وهو المسخر المسير المسبب (وإليه النشور) أى المرجع يوم القيامة . قال ابن عباس ومجاهد والسدى وقتادة : مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها ، وقال ابن عباس وقتادة أيضا: مناكبها الجبال وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عمرو بن حكام الأزدى حدثنا شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن بشير بن كعب أنه قرأ هذه الآية (فامشوا فى مناكبها) فقال لأم ولد له : إن عدت ما مناكبها فأنت عتيقة فقالت هى الجبال فسأل أبا الدرداء فقال :هى الجبال

﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ * أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ * وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ * أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴾

وهذا أيضا من لطفه ورحمته بخلقه أنه قادر على تعذيبهم بسبب كفر بعضهم به وعبادتهم معه غيره وهو مع هذا يحلم ويصفح ويؤجل ولا يعجل كما قال تعالى (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فان الله كان بعباده بصيرا) وقال ههنا (أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هى تمور) أى تذهب وتجىء وتضطرب (أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا) أى ريحا فيها حصباء تدمغكم كما قال تعالى (أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر أو يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا) وهكذا توعدهم ههنا بقوله (فستعلمون كيف نذير) أى كيف يكون إنذارى وعاقبة من تخلف عنه وكذب به . ثم قال تعالى (ولقد كذب الذين من قبلهم) أى من الأمم السالفة والقرون الخالية (فكيف كان نكير) أى فكيف كان إنكارى عليهم ومعاقبتى لهم، أى عظيما شديدا أليما . ثم قال تعالى (أو لم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن) أى تارة يصففن أجنحتهن فى الهواء وتارة تجمع جناحا وتنشر جناحا (ما يمسكهن) أى فى الجو (إلا الرحمن) أى بما سخر لهن من الهواء من رحمته ولطفه (إنه بكل شىء بصير) أى بما يصلح كل شىء من مخلوقاته وهذه كقوله تعالى (ألم يروا إلى الطير مسخرات فى جو السماء ما يمسكهن إلا الله * إن فى ذلك لآية لقوم يؤمنون)

﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ * أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ * أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * قُلْ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴾

يقول تعالى للمشركين الذين عبدوا معه غيره يبتغون عندهم نصرا ورزقا منكرا عليهم فيما اعتقدوه ومخبرا لهم أنه

لا يحصل لهم ما أملوه فقال تعالى (أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن)أى ليس لكم من دونه من ولى ولا واق ولا ناصر لكم غيره ولهذا قال تعالى (إن الكافرون إلا فى غرور) . ثم قال تعالى (أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه) أى من هذا الذى إذا قطع الله عنكم رزقه يرزقكم بعده أى لا أحد يعطى ويمنع ويخلق ويرزق وينصر إلا الله عز وجل وحده لا شريك له أى وهم يعلمون ذلك ومع هذا يعبدون غيره ولهذا قال تعالى (بل لجوا) أى استمروا فى طغيانهم وإفكهم وضلالهم (فى عتو ونفور) أى فى معاندة واستكبار ونفور على إدبارهم عن الحق لا يسمعون له ولا يتبعونه ، ثم قال تعالى (أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى ا أمن يمشى سويا على صراط مستقيم) وهذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر فالكافر مثله فيما هو فيه كمثل من يمشى مكبا على وجهه أى يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه أى لا يدرى أين يسلك ولا كيف يذهب بل تائه حائر ضال أهذا أهدى (أمن يمشى سويا) أى منتصب القامة (على صراط مستقيم) أى على طريق واضح بين وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة هذا مثلهم فى الدنيا وكذلك يكونون فى الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم مفض به إلى الجنة الفيحاء ، وأما الكافر فانه يحشر يمشى على وجهه إلى نار جهنم(احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم) الآيات أزواجهم أشباههم قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا ابن نمير حدثنا إسماعيل عن نفيع قال سمعت أنس بن مالك يقول قيل يا رسول الله كيف يحشر الناس على وجوههم فقال « أليس الذى أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من طريق(١) وقوله تعالى (قل هو الذى أنشأكم)أى ابتدأ خلقكم بعد أن لم تكونوا شيئا مذكورا(وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة) أى العقول والادراك (قليلا ما تشكرون) أى قلما تستعملون هذه القوى التى أنعم الله بها عليكم فى طاعته وامتثال أوامره وترك زواجره(قل هو الذى ذرأكم فى الأرض) أى بثكم ونشركم فى أقطار الأرض وأرجائها مع اختلاف ألسنتكم فى لغاتكم وألوانكم ، وحلاكم وأشكالكم وصوركم (وإليه تحشرون) أى تجمعون بعد هذا التفرق والشتات يجمعكم كما فرقكم ويعيدكم كما بدأكم . ثم قال تعالى مخبرا عن الكفار المنكرين للمعاد المستبعدين وقوعه (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) أى متى يقع هذا الذى تخبرنا بكونه من الاجتماع بعد هذا التفرق (قل إنما العلم عند الله) أى لا يعلم وقت ذلك على التعيين إلا الله عز وجل لكنه أمرنى أن أخبركم أن هذا كائن وواقع لا محالة فاحذروه (وإنما أنا نذير مبين) أى وإنما على البلاغ وقد أديته إليكم

قال الله تعالى (فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا)أى لما قامت القيامة وشاهدها الكفار ورأوا أن الأمر كان قريبا لأن كل ما هو آت آت وإن طال زمنه فلما وقع ما كذبوا به ساءهم ذلك لما يعلمون مالهم هناك من الشر أى فأحاط بهم ذلك وجاءهم من أمر الله مالم يكن لهم فى بال ولا حساب (وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون *وبدا لهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) ولهذا يقال لهم على وجه التقريع والتوبيخ (هذا الذى كنتم به تدعون) أى تستعجلون

﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِيَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴾

يقول تعالى(قل) يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الجاحدين لنعمه (أرأيتم إن أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا *فمن يجير الكافرين من عذاب أليم ،) أى خلصوا أنفسكم فانه لا منقذ لكم من الله إلا التوبة والانابة والرجوع إلى دينه

(١) هنا بياض بالأصول ، والحديث فى صحيح البخارى فى كتاب التفسير فى سورة الفرقان عن أنس بن مالك أيضا .

ولا ينفعكم وقوع ما تتمنون لنا من العذاب والنكال فسواء عذبنا الله أو رحمنا فلا مناص لكم من نكاله وعذابه الأليم الواقع بكم . ثم قال تعالى (قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا) أى آمنا برب العالمين الرحمن الرحيم وعليه توكلنا فى جميع أمورنا كما قال تعالى (فاعبده وتوكل عليه) ولهذا قال تعالى (فستعلمون من هو فى ضلال مبين) أى منا ومنكم ولمن تكون العاقبة فى الدنيا والآخرة ، ثم قال تعالى إظهارا للرحمة فى خلقه (قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا) أى ذاهبا فى الأرض إلى أسفل فلا ينال بالفؤوس الحداد ولا السواعد الشداد ، والغائر عكس النابع ولهذا قال تعالى (فمن يأتيكم بماء معين) أى نابع سائح جار على وجه الأرض ، أى لا يقدر على ذلك إلا الله عز وجل فمن فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها فى سائر أقطار الأرض بحسب ما يحتاج العباد إليه من القلة والكثرة ، فلله الحمد والمنة . آخر تفسير سورة الملك الحمد .

(تفسير سورة ن وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ * مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ * وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ * وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ * فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ * بِأَيِّيكُمُ الْمَفْتُونُ * إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)

قد تقدم الكلام على حروف الهجاء فى أول سورة البقرة وأن قوله تعالى (ن) كقوله (ص ، ق) ونحو ذلك من الحروف المقطعة فى أوائل السور وتحرير القول فى ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقيل المراد بقوله (ن) حوت عظيم على تيار الماء العظيم المحيط وهو حامل للأرضين السبع كما قال الإمام أبو جعفر بن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا يحيى حدثنا سفيان هو الثورى حدثنا سليمان هو الأعمش عن أبى ظبيان عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وماذا أكتب ، قال اكتب القدر فجرى بما يكون من ذلك اليوم إلى قيام الساعة ، ثم خلق النون ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء وبسطت الأرض على ظهر النون فاضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال فانها لتفخر على الأرض وكذا رواه ابن أبى حاتم عن أحمد بن سنان عن أبى معاوية عن الأعمش به وهكذا رواه شعبة ومحمد بن فضيل ووكيع عن الأعمش به ، وزاد شعبة فى روايته ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) وقد رواه شريك عن الأعمش عن أبى ظبيان أو مجاهد عن ابن عباس فذكر نحوه ، ورواه معمر عن الأعمش أن ابن عباس قال : فذكره ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) ثم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبى الضحى عن ابن عباس قال إن أول شىء خلق ربى عز وجل القلم ثم قال له اكتب فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ثم كبس الأرض عليه . وقد روى الطبرانى ذلك مرفوعا فقال حدثنا أبو حبيب زيد بن المهدى المروزى حدثنا سعيد بن يعقوب الطالقانى حدثنا مؤمل بن إسماعيل حدثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبى الضحى مسلم بن صبيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول ما خلق الله القلم والحوت قال للقلم اكتب قال ما أكتب ؟ قال كل شىء كائن إلى يوم القيامة » ثم قرأ (ن والقلم وما يسطرون) فالنون الحوت ، والقلم القلم (حديث آخر) فى ذلك رواه ابن عساكر عن أبى عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول شىء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهى الدواة ثم قال له اكتب ، قال وما أكتب قال اكتب ما يكون — أو ما هو كائن — من عمل أو رزق أو أثر أو أجل فكتب ذلك إلى يوم القيامة فذلك قوله (ن والقلم وما يسطرون) ثم ختم على القلم فلم يتكلم إلى يوم القيامة ثم خلق العقل وقال وعزتى لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك ممن أبغضت »

وقال ابن أبى نجيح إن إبراهيم بن أبى بكر أخبره عن مجاهد قال كان يقال النون الحوت العظيم الذى تحت الأرض السابعة وقد ذكر البغوى وجماعة من المفسرين أن على ظهر هذا الحوت صخرة

سمكها كغلظ السموات والأرض وعلى ظهرها ثوره أربعون ألف قرن وعلى متنه الأرضون السبع وما فيهن وما بينهن والله أعلم ومن العجيب أن بعضهم حمل على هذا المعنى الحديث الذى رواه الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا حميد عن أنس أن عبد الله بن سلام بلغه مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فأتاه فسأله عن أشياء قال إنى سائلك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي ، قال ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ وما بال الولد ينزع إلى أبيه ؟ وما بال الولد ينزع إلى أمه؟ قال « أخبرنى بهن جبريل آنفا » قال ابن سلام فذاك عدو اليهود من الملائكة قال « أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب ، وأول طعام يأكله أهل الجنة زيادة كبد الحوت ، وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت » ورواه البخارى من طرق عن حميد ورواه مسلم أيضا وله من حديث ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا وفى صحيح مسلم من حديث أبى أسماء الرحبى عن ثوبان أن حبرا سأل رسول الله ﷺ عن مسائل فكان منها أن قال فما تحفتهم يعنى أهل الجنة حين يدخلون الجنة قال « زيادة كبد الحوت » قال فما غذؤهم على أثرها ؟ قال « ينحر لهم ثور الجنة الذى كان يأكل من أطرافها » قال فما شرابهم عليه ؟ قال « من عين فيها تسمى سلسبيلا » وقيل المراد بقوله (ن) لوح من نور . قال ابن جرير حدثنا الحسن بن شبيب المكتب حدثنا محمد بن زياد الجزرى عن فرات بن أبى الفرات عن معاوية بن قرة عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « (ن) والقلم وما يسطرون) لوح من نور وقلم من نور يجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة » وهذا مرسل غريب ، وقال ابن جريج أخبرت أن ذلك القلم من نور طوله مائة عام وقيل المراد بقوله (ن) دواة والقلم القلم قال ابن جرير حدثنا عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن الحسن وقتادة فى قوله (ن) قالا هى الدواة ، وقد روى فى هذا حديث مرفوع عريب جدا فقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا الحسن بن يحيى حدثنا أبو عبد الله مولى بنى أمية عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « خلق الله النون وهى الدواة » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب حدثنا أخى عيسى بن عبد الله حدثنا ثابت الثمالى عن ابن عباس قال ، إن الله خلق النون وهى الدواة وخلق القلم فقال اكتب قال وما أكتب قال اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة من عمل معمول بر أو فجور أو رزق مقسوم حلال أو حرام ثم ألزم كل شىء من ذلك شأنه دخوله فى الدنيا ومقامه فيها كم وخروجه منها كيف ثم جعل على العباد حفظة وللكتاب خزانا فالحفظة ينسخون كل يوم من الخزان عمل ذلك اليوم فاذا فنى الرزق وانقطع الأثر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزنة يطلبون عمل ذلك اليوم فتقول لهم الخزنة مانجد لصاحبكم عندنا شيئا فترجع الحفظة فيجدونهم قد ماتوا قال فقال ابن عباس ألستم قوما عربا تسمعون الحفظة يقولون (إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون) وهل يكون لا ستنساخ إلا من أصل وقوله تعالى (والقلم) الظاهر انه جنس القلم الذى يكتب به كقوله (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم) فهو قسم منه تعالى وتنبيه لخلقه على ما أنعم به عليهم من تعليم الكتابة التى بها تنال العلوم ، ولهذا قال (ومايسطرون) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى ومايكتبون وقال أبو الضحى عن ابن عباس وما يسطرون أى وما يعملون وقال السدى وما يسطرون يعنى الملائكة وما تكتب من أعمال العباد ، وقال آخرون بل المراد ههنا بالقلم الذى أجراه الله بالقدر حين كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرضين بخمسين ألف عام ، وأوردوا فى ذلك الأحاديث الواردة فى ذكر القلم فقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى ابن سعيد القطان ويونس بن حبيب قالا حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا عبد الواحد بن سليم السلمى عن عطاء هو ابن أبى رباح حدثنى الوليد بن عبادة بن الصامت قال دعانى أبى حين حضره الموت فقال إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أول ماخلق الله القلم فقال له اكتب قال يارب وما أكتب ؟ قال اكتب القدر وماهو كائن إلى الأبد » وهذا الحديث قد رواه الامام أحمد من طرق عن الوليد بن عبادة عن أبيه به ، وأخرجه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى به وقال حسن صحيح غريب ورواه أبو داود فى كتاب السنة من سننه عن جعفر بن مسافر عن

يحيى بن حسان عن ابن رباح عن إبراهيم بن أبى عبلة عن أبى حفصة واسمه حبيش بن شريح الحبشى الشامى عن عبادة فذكره وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الله الطوسى حدثنا على بن الحسن بن شقيق أنبأنا عبدالله بن المبارك حدثنا رباح ابن زيد عن عمر بن حبيب عن القاسم بن أبى بزة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال « إن أول شىء خلقه الله القلم فأمره فكتب كل شىء » غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه ، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد: والقلم ، يعنى الذى كتب به الذكر وقوله تعالى (ومايسطرون) أى يكتبون كما تقدم

وقوله (ما أنت بنعمة ربك بمجنون) أى لست ولله الحمد بمجنون كما يقوله الجهلة من قومك المكذبون بما جئتهم به من الهدى والحق المبين فنسبوك فيه إلى الجنون (وإن لك لأجراً غير ممنون) أى بل إن لك الأجر العظيم والثواب الجزيل الذى لاينقطع ولا يبيد على إبلاغك رسالة ربك إلى الخلق وصبرك على أذاهم ، ومعنى غير ممنون أى غير مقطوع كقوله (عطاء غير مجذوذ) (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع عنهم . وقال مجاهد غير ممنون أى غير محسوب وهو يرجع إلى ماقلناه وقوله تعالى (وإنك لعلى خلق عظيم) قال العوفى عن ابن عباس وإنك لعلى دين عظيم وهو الاسلام وكذلك قال مجاهد وأبو مالك والسدى والربيع بن أنس وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال عطية: لعلى أدب عظيم . وقال معمر عن قتادة سئلت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ قالت كان خلقه القرآن تقول كما هو فى القرآن . وقال سعيد بن أبى عروبة عن قتادة قوله (وإنك لعلى خلق عظيم) ذكر لنا أن سعيد بن هشام سأل عائشة عن خلق رسول الله صلى عليه وسلم فقالت ألست تقرأ القرآن ؟ قال بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام قال سألت عائشة فقلت أخبرينى يا أم المؤمنين عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت أتقرأ القرآن ! فقلت نعم فقالت كان خلقه القرآن . هذا مختصر من حديث طويل . وقد رواه الامام مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بطوله وسيأتى فى سورة المزمل إن شاء الله تعالى وبه الثقة . وقال الامام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا يونس عن الحسن قال :سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت : كان خلقه القرآن . وقال الامام أحمد حدثنا أسود حدثنا شريك عن قيس بن وهب عن رجل من بنى سواد قال سألت عائشة عن خلق رسول الله ﷺ فقالت أما تقرأ القرآن ! (وإنك لعلى خلق عظيم) قال: قلت حدثينى عن ذاك قالت صنعت له طعاما وصنعت له حفصة طعاما فقلت لجاريتى اذهبى فان جاءت هى بالطعام فوضعته قبل فاطرحى الطعام قالت فجاءت بالطعام قالت فألقت الجارية فوقعت القصعة فانكسرت وكان نطع قالت فجمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « اقتصوا ـ أو اقتضى شك أسود ـ ظرفا مكان ظرفك » قالت فما قال شيئا . وقال ابن جرير حدثنا عبيد بن آدم بن أبى إياس حدثنا أبى حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن عن سعد بن هشام قال أتيت عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها فقلت لها أخبرينى بخلق النبى صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن أما تقرأ (وإنك لعلى خلق عظيم) ؟ . وقد روى أبو داود والنسائى من حديث الحسن نحوه وقال ابن جرير حدثنى يونس أنبأنا ابن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن أبى الزاهرية عن جبير بن نفير قال حججت فدخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ، وهكذا رواه أحمد عن عبد الرحمن بن مهدى . ورواه النسائى فى التفسير عن إسحاق بن منصور عن عبد الرحمن بن مهدى عن معاوية بن صالح به

ومعنى هذا أنه عليه الصلاة والسلام صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجية له وخلقا تطبعه وترك طبعه الجبلى فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه ، هذا مع ماجبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل كما ثبت فى الصحيحين عن أنس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لى أف قط ولا قال لشىء فعلته لم فعلته ؟ ولا لشىء لم أفعله ألا فعلته ؟ وكان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا ولا مسست خزاً ولا حريرا ولا شيئا كان ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا شممت مسكا ولا عطراً

كان أطيب من عرق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال البخارى حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا إبراهيم بن يونس عن أبيه عن أبى إسحاق قال سمعت البراء يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها وأحسن الناس خلقا ليس بالطويل ولا بالقصير . والأحاديث فى هذا كثيرة ولأبى عيسى الترمذى فى هذا كتاب الشمائل

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : ماضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده خادما له قط ولا ضرب امرأة ولا ضرب بيده شيئا قط إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ولا خير بين شيئين قط إلا كان أحبهما إليه أيسرهما حتى يكون إثما فاذا كان إثما كان أبعد الناس من الاثم ولا انتقم لنفسه من شىء يؤتى إليه إلا أن تنتهك حرمات الله فيكون هو ينتقم لله عزوجل وقال الإمام أحمد حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد العزيز ابن محمد عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » تفرد به

وقوله تعالى (فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون) أى فستعلم يا محمد وسيعلم مخالفوك ومكذبوك من المفتون الضال منك ومنهم ، وهذا كقوله تعالى (سيعلمون غدا من الكذب الأشر ،) كقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) قال ابن جريج قال ابن عباس فى هذه الآية ستعلم ويعلمون يوم القيامة وقال العوفى عن ابن عباس بأيكم المفتون أى المجنون وكذا قال مجاهد وغيره وقال قتادة وغيره بأيكم المفتون أى أولى بالشيطان ومعنى المفتون ظاهر أى الذى قد افتتن عن الحق وضل عنه وإنما دخلت الباء فى قوله بأيكم لتدل على تضمين الفعل فى قوله (فستبصر ويبصرون) وتقديره فستعلم ويعلمون أو فستخبر ويخبرون بأيكم المفتون والله أعلم ثم قال تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) أى هو يعلم تعالى أى الفريقين منكم ومنهم هو المهتدى ويعلم الحزب الضال عن الحق

﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ * وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ * مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ * أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ﴾

يقول تعالى كما أنعمنا عليك وأعطيناك الشرع المستقيم والخلق العظيم (فلا تطع المكذبين * ودوا لو تدهن فيدهنون) قال ابن عباس لو ترخص لهم فيرخصون وقال مجاهد (ودوا لو تدهن) تركن إلى آلهتهم وتترك ما أنت عليه من الحق ثم قال تعالى (ولا تطع كل حلاف مهين) وذلك أن الكاذب لضعفه ومهانته إنما يتقى بأيمانه الكاذبة التى يجترىء بها على أسماء الله تعالى واستعمالها فى كل وقت فى غير محلها قال ابن عباس : المهين الكاذب وقال مجاهد هو الضعيف القلب ، قال الحسن كل حلاف مكابر مهين ضعيف ، وقوله تعالى (هماز) قال ابن عباس وقتادة يعنى الاغتياب (مشاء بنميم) يعنى الذى يمشى بين الناس ويحرش بينهم وينقل الحديث لفساد ذات البين وهى الحالقة وقد ثبت فى الصحيحين من حديث مجاهد عن طاوس عن ابن عباس قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال « إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة » الحديث وأخرجه بقية الجماعة فى كتبهم من طرق عن مجاهد به وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام أن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » رواه الجماعة إلا ابن ماجه من طرق عن إبراهيم به وحدثنا عبد الرزاق حدثنا الثورى عن منصور عن إبراهيم عن همام عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا يدخل الجنة قتات » يعنى نماما وحدثنا يحيى بن سعيد القطان حدثنا أبو سعيد الأحول عن الأعمش حدثنى إبراهيم منذ نحو ستين سنة عن همام بن الحارث قال مر رجل على حذيفة فقيل إن هذا

يرفع الحديث إلى الأمراء فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لايدخل الجنة قتات » وقال أحمد حدثنا هشام حدثنا مهدى عن واصل الأحدب عن أبى وائل قال بلغ حذيفة عن رجل أنه ينم الحديث فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يدخل الجنة نمام » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن بن خثيم عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد بن السكن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ألا أخبركم بخياركم ؟ » قالوا بلى يا رسول الله قال « الذين إذا رؤوا ذكر الله عز وجل » ثم قال « ألا أخبركم بشراركم المشاءون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت » ورواه ابن ماجه عن سويد بن سعيد عن يحيى بن سليم عن ابن خثيم به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن ابن أبى حسين عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم يبلغ به النبى صلى الله عليه وسلم « خيار عباد الله الذين إذا رؤوا ذكر الله ، وشرار عباد الله المشاءون بالنميمة المفرقون بين الأحبة الباغون للبرءاء العنت »

وقوله تعالى (مناع للخير معتد أثيم) أى يمنع ما عليه وما لديه من الخير (معتد) فى تناول ما أحل الله له يتجاوز فيها الحد المشروع (أثيم) أى يتناول المحرمات ، وقوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) أما العتل فهو الفظ الغليظ الصحيح الجموع المنوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع وعبد الرحمن عن سفيان عن سعيد بن خالد عن حارثة بن وهب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أنبئكم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ، ألا أنبئكم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر » وقال وكيع « كل جواظ حعظرى مستكبر » أخرجاه فى الصحيحين وبقية الجماعة إلا أبادواد من حديث سفيان الثورى وشعبة كلاهما عن سعيد بن خالد به وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن على قال سمعت أبى يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبى صلى الله عليه وسلم قال عند ذكر أهل النار « كل جعظرى جواظ مستكبر جماع مناع » تفرد به أحمد قال أهل اللغة الجعظرى الفظ الغليظ والجواظ الجموع المنوع وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا عبد الحميد عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن العتل الزنيم فقال « هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس رحيب الجوف » وبهذا الإسناد قال رسول الله ﷺ « لا يدخل الجنة الجواظ الجعظرى العتل الزنيم » وقد أرسله أيضا غير واحد من التابعين . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا أبو ثور عن معمر عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تبكى السماء من عبد أصح الله جسمه ، وأرحب جوفه وأعطاه من الدنيا هضما[1] فكان للناس ظلوما قال فذلك العتل الزنيم » وهكذا رواه ابن أبى حاتم من طريقين مرسلين ونص عليه غير واحد من السلف منهم مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغيرهم أن العتل هو المصحح الخلق الشديد القوى فى المأكل والمشرب والمنكح وغير ذلك وأما الزنيم فقال البخارى حدثنا محمود حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن أبى حصين عن مجاهد عن ابن عباس (عتل بعد ذلك زنيم) قال رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة ، ومعنى هذا أنه كان مشهورا بالسوء كشهرة الشاة ذات الزنمة من بين أخواتها ، وإنما الزنيم فى لغة العرب هو الدعى فى القوم قاله ابن جرير وغير واحد من الأئمة قال ومنه قول حسان بن ثابت يعنى يذم بعض كفار قريش:

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم ... كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وقال آخر : زنيم ليس يعرف من أبوه ... بغى الأم ذو حسب لئيم

وقال ابن أبى حاتم حدثنا عمار بن خالد الواسطى حدثنا أسباط عن هشام عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (زنيم) قال : الدعى الفاحش اللئيم . ثم قال ابن عباس :

زنيم تداعاه الرجال زيادة ... كما زيد فى عرض الأديم الأكارع

وقال العوفى عن ابن عباس : الزنيم الدعى ويقال الزنيم رجل كانت به زنمة يعرف بها ويقال هو الأخنس بن شريق الثقفى حليف بنى زهرة ، وزعم أناس من بنى زهرة أن الزنيم الأسود بن عبد يغوث الزهرى وليس به ، وقال ابن أبى نجيح

(١) فى تفسير ابن جرير : مقضما .

عن مجاهد عن ابن عباس أنه زعم أن الزنيم الملحق النسب ، وقال ابن أبي حاتم حدثني يونس حدثنا ابن وهب حدثني سليمان بن بلال عن عبدالرحمن بن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول في هذه الآية (عتل بعد ذلك زنيم) قال سعيد: هو اللصق بالقوم ليس منهم وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عقبة بن خالد عن عامر ابن قدامة قال سئل عكرمة عن الزنيم قال هو ولد الزنا ، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة في قوله تعالى (عتل بعد ذلك زنيم) قال يعرف المؤمن من الكافر مثل الشاة الزنماء، والزنماء من الشياه التي في عنقها هنتان معلقتان في حلقها. وقال الثوري عن جابر عن الحسن عن سعيد بن جبير قال الزنيم الذي يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها والزنيم اللصق. رواه ابن جرير ، وروى أيضا من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في الزنيم: نعت فلم يعرف حتى قيل زنيم . قال وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها قال : وقال آخرون كان دعيا

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن إدريس عن أبيه عن أصحاب التفسير قالوا هو الذي تكون له زنمة مثل زنمة الشاة ، وقال الضحاك كانت له زنمة في أصل أذنه ويقال هو اللئيم اللصق في النسب ، وقال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس هو المريب الذي يعرف بالشر ، وقال مجاهد الزنيم الذي يعرف بهذا الوصف كما تعرف الشاة ، وقال أبو رزين الزنيم علامة الكفر ، وقال عكرمة الزنيم الذي يعرف باللؤم كما تعرف الشاة بزنمتها . والأقوال في هذا كثيرة وترجع إلى ما قلناه وهو أن الزنيم هو المشهور بالشر الذي يعرف به من بين الناس وغالبا يكون دعيا ولد زنا فانه في الغالب يتسلط الشيطان عليه مالا يتسلط على غيره كما جاء في الحديث « لا يدخل الجنة ولد زنا » وفي الحديث الآخر « ولد الزنا شر الثلاثة إذا عمل بعمل أبويه » وقوله تعالى (أن كان ذا مال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) يقول تعالى هذا مقابلة ما أنعم الله عليه من المال والبنين كفر بآيات الله عز وجل وأعرض عنها وزعم أنها كذب مأخوذ من أساطير الأولين كقوله تعالى (ذرني ومن خلقت وحيدا * وجعلت له مالا ممدودا * وبنين شهوداً * ومهدت له تمهيدا * ثم يطمع أن أزيد* كلا إنه كان لآياتنا عنيدا *سأرهقه صعودا* إنه فكر وقدر* فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر* ثم نظر* ثم عبس وبسر * ثم أدبر واستكبر* فقال إن هذا إلا سحر يؤثر* إن هذا إلا قول البشر * سأصليه سقر * وما أدراك ما سقر * لا تبقي ولا تذر * لواحة للبشر * عليها تسعة عشر) وقال تعالى ههنا (سنسمه على الخرطوم) قال ابن جرير سنبين أمره بيانا واضحا حتى يعرفوه ولا يخفى عليهم كما لا تخفى عليهم السمة على الخراطيم ، وهكذا قال قتادة (سنسمه على الخرطوم) شين لا يفارقه آخر ما عليه ، وفي رواية عنه : سيما على أنفه ، وكذا قال السدي وقال العوفي عن ابن عباس (سنسمه على الخرطوم) يقاتل يوم بدر فيخطم بالسيف في القتال ، وقال آخرون (سنسمه) سمة أهل النار يعني نسود وجهه يوم القيامة وعبر عن الوجه بالخرطوم ، حكى ذلك كله أبو جعفر ابن جرير ومال إلى أنه لا مانع . من اجتماع الجميع عليه في الدنيا والآخرة وهو متجه ، وقد قال ابن أبي حاتم في سورة (عم يتساءلون) حدثنا أبي حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني الليث حدثني خالد بن سعيد عن عبد الملك بن عبد الله عن عيسى ابن هلال الصدفي عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن العبد يكتب مؤمنا أحقابا ثم أحقابا ثم يموت والله عليه ساخط ، وإن العبد يكتب كافرا أحقاباً ثم أحقاباً ثم يموت والله عليه راض ومن مات هما زا لما زا ملقبا للناس كان علامة يوم القيامة أن يسمه الله على الخرطوم من كلا الشفتين »

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ * فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ * فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ *

وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ * قَالُوا يَٰوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ * كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة وأعظاهم من النعمة الجسيمة وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة ولهذا قال تعالى (إنا بلوناهم) أى اختبرناهم (كما بلونا أصحاب الجنة وهى البستان المشتمل على أنواع الثمار والفواكه (إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين)أى حلفوا فيما بينهم ليجذن ثمرها ليلا لئلا يعلم بهم فقير ولا سائل ليتوفر ثمرها عليهم ولا يتصدقوا منه بشىء (ولا يستثنون) أى فيما حلفوا به ، ولهذا حنثهم الله فى أيمانهم فقال تعالى (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون) أى أصابتها آفة سماوية(فأصبحت كالصريم) قال ابن عباس أى كالليل الأسود وقال الثورى والسدى مثل الزرع إذا حصد أى هشيما يبسا . وقال ابن أبى حاتم . ذكر عن أحمد بن الصباح أنبانا بشر بن زاذان عن عمر بن صبيح عن ليث بن أبى سليم عن عبدالرحمن بن سابط عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ « إياكم والمعاصى إن العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقا قد كان هيىء له » ثم تلا رسول الله ﷺ (فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم) قد حرموا خير جنتهم بذنبهم (فتنادوا مصبحين) أى لما كان وقت الصبح نادى بعضهم بعضا ليذهبوا إلى الجذاذ أى القطع(أن اغدو على حرثكم إن كنتم صارمين)أى تريدون الصرام قال مجاهد : كان حرثهم عنبا(فانطلقوا وهم يتخافتون)أى يتناجون فيما بينهم بحيث لا يسمعون أحدا كلامهم . ثم فسر الله سبحانه وتعالى عالم السر والنجوى ما كانوا يتخافتون به فقال تعالى (فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين) أى يقول بعضهم لبعض لا تمكنوا اليوم فقيرا يدخلها عليكم ؟ قال الله تعالى (وغدوا على حرد) أى قوة وشدة ، وقال مجاهد (وغدوا على حرد)أى جد، وقال عكرمة على غيظ ، وقال الشعبى (على حرد) على المساكين ، وقال السدى (على حرد) أى كان اسم قريتهم حرد فأبعد السدى فى قوله هذا (قادرين) أى عليها فيما يزعمون ويرومون (فلما رأوها قالوا إنا لضالون) أى فلما وصلوا إليها وأشرفوا عليها وهى على الحالة التى قال الله عزوجل قد استحالت عن تلك النضارة والزهرة وكثرة الثمار إلى أن صارت سوداء مدلهمة لا ينتفع بشىء منها فاعتقدوا أنهم قد أخطأوا والطريق ولهذا قالوا (إنا لضالون) أى قد سلكنا إليها فى الطريق فتهنا عنها قاله ابن عباس وغيره ، ثم رجعوا عما كانوا فيه وتيقنوا أنها هى فقالوا (بل نحن محرومون) أى بل هى هذه ولكن نحن لا حظ لنا ولا نصيب (قال أوسطهم) قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة ومحمد بن كعب والربيع بن أنس والضحاك وقتادة أى أعدلهم وخيرهم (ألم أقل لكم لولا تسبحون ؟) قال مجاهد والسدى وابن جريج (لو لا تسبحون)أى لو لا تستثنون قال السدى وكان استثناؤهم فى ذلك الزمان تسبيحا وقال ابن جرير هو قول القائل إن شاء الله ، وقيل معناه قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون أى هلا تسبحون الله وتشكرونه على ما أعطاكم وأنعم به عليكم (قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين) أتوا بالطاعة حيث لا تنفع وندموا واعترفوا حيث لا ينجع ولهذا قالوا (إنا كنا ظالمين * فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون) أى يلوم بعضهم بعضا على ما كانوا أصروا عليه من منع المساكين من حق الجذاذ فما كان جواب بعضهم لبعض إلا الاعتراف بالخطيئة والذنب (قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين) أى اعتدينا وبغينا وطغينا وجاوزنا الحد حتى أصابنا ما أصابنا (عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون) قيل رغبوا فى بذلها لهم فى الدنيا وقيل احتسبوا ثوابها فى الدار الآخرة والله أعلم ثم قد ذكر بعض السلف أن هؤلاء قد كانوا من أهل اليمن ، قال سعيد بن جبير كانوا من قرية يقال لها ضروان على ستة أميال من صنعاء . وقيل كانوا من أهل الحبشة وكان أبوهم قد خلف لهم هذه الجنة وكانوا من أهل الكتاب. وقد كان أبوهم يسير

فيها سيرة حسنة فكان ما يستغل منها يرد فيها ما تحتاج إليه ويدخر لعياله قوت سنتهم ويتصدق بالفاضل ، فلما مات وورثه بنوه قالوا لقد كان أبونا أحمق إذ كان يصرف من هذه شيئا للفقراء ولو أنا منعناهم لتوفر ذلك علينا فلما عزموا على ذلك عوقبوا بنقيض قصدهم فأذهب الله ما بأيديهم بالكلية رأس المال والربح والصدقة فلم يبق لهم شيء قال الله تعالى (كذلك العذاب) أى هكذا عذاب من خالف أمر الله وبخل بما آتاه الله وأنعم به عليه ومنع حق المسكين والفقير وذوى الحاجات وبدل نعمة الله كفرا (ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) أى هذه عقوبة الدنيا كما سمعتم وعذاب الآخرة أشق وقد ورد فى حديث رواه الحافظ البيهقى من طريق جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ نهى عن الجذاذ بالليل والحصاد بالليل

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴾

لما ذكر تعالى حال أهل الجنة الدنيوية وما أصابهم فيها من النقمة حين عصوا الله عز وجل وخالفوا أمره بين أن لمن اتقاه وأطاعه فى الدار الآخرة جنات النعيم التى لا تبيد ولا تفرغ ولا ينقضى نعيمها ثم قال تعالى (أفنجعل المسلمين كالمجرمين ؟) أى أفنساوى بين هؤلاء وهؤلاء فى الجزاء ؟ كلا ورب الأرض والسماء ولهذا قال (مالكم كيف تحكمون !) أى كيف تظنون ذلك ؟

ثم قال تعالى (أم لكم كتاب فيه تدرسون * إن لكم فيه لما تخيرون) يقول تعالى أفبأيديكم كتاب منزل من السماء تدرسونه وتحفظونه وتتداولونه بنقل الخلف عن السلف متضمن حكما مؤكدا كما تدعونه؟ (إن لكم فيه لما تخيرون * أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة ؟ إن لكم لما تحكمون) أى أمعكم عهود مساوم وثائق مؤكدة (إن لكم لما تحكمون) أى أنه سيصحل لكم ما تريدون وتشتهون (سلهم أيهم بذلك زعيم !) أى قل لهم من هو المتضمن المتكفل بهذا ! قال ابن عباس يقول أيهم بذلك كفيل (أم لهم شركاء) أى من الأصنام والأنداد (فليأتوا بشركائهم إن كانوا صادقين)

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ * خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ * فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ * وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ * أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ * أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴾

لما ذكر تعالى : أن للمتقين عند ربهم جنات النعيم . بين متى ذلك كائن وواقع فقال تعالى : (يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون) يعنى يوم القيامة وما يكون فيه من الأهوال والزلازل والبلاء والامتحان والأمور العظام . وقد قال البخارى ههنا حدثنا آدم حدثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال سمعت النبى ﷺ يقول « يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى من كان يسجد فى الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا » وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين وفى غيرهما من طرق وله ألفاظ وهو حديث طويل مشهور ، وقد قال عبدالله بن المبارك عن أسامة بن زيد عن عكرمة عن ابن عباس (يوم يكشف عن ساق) قال هو يوم القيامة يوم كرب وشدة رواه ابن جرير ثم قال حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن المغيرة عن إبراهيم عن ابن مسعود أو ابن عباس الشك من ابن جرير — (يوم يكشف عن ساق) قال عن أمر عظيم كقول الشاعر * شالت الحرب عن ساق *

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر ، وقال ابن عباس : هي أشد ساعة تكون في يوم القيامة ، وقال ابن جرير عن مجاهد (يوم يكشف عن ساق) قال شدة الأمر وجده . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) هو الأمر الشديد الفظيع من الهول يوم القيامة ، وقال العوفي عن ابن عباس قوله (يوم يكشف عن ساق) يقول حين يكشف الأمر وتبدو الأعمال ، وكشفه دخول الآخرة وكشف الأمر عنه وكذا روى الضحاك وغيره عن ابن عباس . أورد ذلك كله أبو جعفر بن جرير ، ثم قال حدثني أبو زيد عمر بن شيبة حدثنا هارون بن عمر المخزومي حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا أبو سعيد روح بن جناح عن مولى لعمر بن عبد العزيز عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه عن النبي ﷺ قال « يوم يكشف عن ساق يعني عن نور عظيم يخرون له سجدا » ورواه أبو يعلى عن القاسم بن يحيى عن الوليد بن مسلم به وفيه رجل مبهم والله أعلم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة) أي في الدار الآخرة باجرامهم وتكبرهم في الدنيا فعوقبوا بنقيض ما كانوا عليه ، ولما دعوا إلى السجود في الدنيا فامتنعوا منه مع صحتهم وسلامتهم كذلك عوقبوا بعدم قدرتهم عليه في الآخرة إذا تجلى الرب عز وجل فيسجد له المؤمنون ولا يستطيع أحد من الكافرين ولا المنافقين أن يسجد بل يعود ظهر أحدهم طبقا واحدا كلما أراد أحدهم أن يسجد خر لقفاه عكس السجود كما كانوا في الدنيا بخلاف ما عليه المؤمنون

ثم قال تعالى (فذرني ومن يكذب بهذا الحديث) يعني القرآن ، وهذا تهديد شديد أي دعني وإياه مني منه أنا أعلم به كيف أستدرجه وأمده في غيه وأنظره ثم آخذه أخذ عزيز مقتدر ، ولهذا قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) أي وهم لا يشعرون بل يعتقدون أن ذلك من الله كرامة وهو في نفس الأمر إهانة كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وقال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) ولهذا قال ههنا (وأملي لهم إن كيدي متين) أي وأؤخرهم وأنظرهم وأمدهم وذلك من كيدي ومكري بهم ولهذا قال تعالى (إن كيدي متين) أي عظيم لمن خالف أمري وكذب رسلي واجترأ على معصيتي

وفي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « إن الله تعالى ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته » ثم قرأ (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) وقوله تعالى (أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون ؟ * أم عندهم الغيب فهم يكتبون !) تقدم تفسيرهما في سورة الطور ، والمعنى في ذلك أنك يا محمد تدعوهم إلى الله عز وجل بلا أجر تأخذه منهم بل ترجو ثواب ذلك عند الله تعالى وهم يكذبون بما جئتهم به بمجرد الجهل والكفر والعناد

﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ * لَوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ * فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴾

يقول تعالى (فاصبر) يا محمد على أذى قومك لك وتكذيبهم فان الله سيحكم لك عليهم ويجعل العاقبة لك ولأتباعك في الدنيا والآخرة (ولا تكن كصاحب الحوت) يعني ذا النون وهو يونس بن متى عليه السلام حين ذهب مغاضبا على قومه فكان من أمره ما كان من ركوبه في البحر والتقام الحوت له وشرود الحوت به في البحار وظلمات غمرات اليم وسماعه تسبيح البحر بما فيه للعلي القدير الذي لا يرد ما أنفذه من التقدير فحينئذ نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) قال الله تعالى (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين) . وقال تعالى (فلولا أنه كان من المسبحين * للبث في بطنه إلى يوم يبعثون) وقال ههنا (إذ نادى وهو مكظوم) قال ابن عباس ومجاهد والسدي : وهو مغموم ، وقال عطاء الخراساني وأبو مالك . مكروب ، وقد قدمنا في الحديث أنه لما قال (لا إله

إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) خرجت الكلمة تحن حول العرش فقالت الملائكة يارب: هذا صوت ضعيف معروف من بلاد غريبة فقال الله تبارك وتعالى : أما تعرفون هذا ، قالوا لا ، قال هذا يونس ، قالوا يارب عبدك الذى لا يزال يرفع له عمل صالح ودعوة مجابة قال نعم ، قالوا أفلا ترحم ما كان يعمله فى الرخاء فتنجيه من البلاء . فأمر الله الحوت فألقاه بالعراء ولهذا قال تعالى (فاجتباه ربه فجعله من الصالحين) . وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبى وائل عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « لا ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى » ورواه البخارى من حديث سفيان الثورى وهو فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وقوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ليزلقونك) لينفذونك (بأبصارهم) أى يعينونك بأبصارهم بمعنى يحسدونك لبغضهم إياك لولا وقاية الله لك وحمايته إياك منهم ، وفى هذه الآية دليل على أن العين إصابتها وتأثيرها حق بأمر الله عز وجل كما وردت بذلك الأحاديث المروية من طرق متعددة كثيرة

﴿ حديث أنس بن مالك رضى الله عنه ﴾ قال أبو داود حدثنا سليمان بن داود العتكى حدثنا شريك ح وحدثنا العباس العنبرى حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شريك عن العباس بن ذريح عن الشعبى قال العباس عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة أو دم لا يرقأ » لم يذكر العباس العين وهذا لفظ سليمان

﴿ حديث بريدة بن الحصيب رضى الله عنه ﴾ قال أبو عبد الله بن ماجه حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا إسحاق ابن سليمان عن أبى جعفر الرازى عن حصين عن الشعبى عن بريدة بن الحصيب قال : قال رسول الله ﷺ « لا رقية إلا من عين أو حمة » هكذا رواه ابن ماجه وقد أخرجه مسلم فى صحيحه عن سعيد بن منصور عن هشيم عن حصين بن عبد الرحمن عن عامر الشعبى عن بريدة موقوفا وفيه قصة وقد رواه شعبة عن حصين عن الشعبى عن بريدة قاله الترمذى. وروى هذا الحديث الإمام البخارى من حديث محمد بن فضيل وأبو داود من حديث مالك بن مغول والترمذى من حديث سفيان بن عيينة ثلاثتهم عن حصين عن عامر الشعبى عن عمران بن حصين موقوفا « لا رقية إلا من عين أو حمة »

﴿ حديث أبى ذر جندب بن جنادة رضى الله عنه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة بن اليزيد السامى حدثنا ديلم بن غزوان حدثنا وهب بن أبى دنى عن ابن حرب عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إن العين لتولع الرجل باذن الله فيتصاعد حالقا ثم يتردى منه) إسناده غريب ولم يخرجوه .

﴿ حديث حابس التميمى ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حرب حدثنا يحيى بن أبى كثير حدثنى حية بن حابس التميمى أن أباه أخبره أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « لا شىء فى الهام والعين حق ، وأصدق الطيرة الفأل) وقد رواه الترمذى عن عمرو بن على عن أبى غسان يحيى بن كثير عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير به ثم قال غريب . قال وروى سنان عن يحيى بن أبى كثير عن حية بن حابس عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قلت كذلك رواه الامام أحمد عن حسين بن موسى وحسين بن محمد عن شيبان بن أبى حية حدثه عن أبيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا بأس فى الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل » . ﴿ حديث ابن عباس رضى الله عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الله بن الوليد عن سفيان عن دريد حدثنى إسماعيل بن ثوبان عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ، العين حق ، تستنزل الحالق » غريب .

﴿ طريق أخرى ﴾ قال مسلم فى صحيحه حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى أخبرنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « العين حق ، ولو كان شىء سابق القدر سبقت العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » انفرد به دون البخارى وقال عبد الرزاق عن سفيان الثورى عن منصور عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة . ومن كل عين لامة » ويقول « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام » أخرجه البخارى وأهل السنن من حديث المنهال به .

﴿ حديث أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف رضي الله عنه ﴾ قال ابن ماجه حدثنا هشام بن عمار حدثنا سفيان عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف قال مر عامر بن ربيعة بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة فما لبث أن لبط به فأتى به رسول الله ﷺ فقيل له أدرك سهلا صريعا قال « من تتهمون به » قالوا عامر بن ربيعة قال « علام يقتل أحدكم أخاه ؟ . إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة » ثم دعا بماء فأمر عامراً أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه قال سفيان قال معمر عن الزهري وأمر أن يكفأ الاناء من خلفه ، وقد رواه النسائي من حديث سفيان بن عيينة ومالك بن أنس كلاهما عن الزهري به ، ومن حديث سفيان بن عيينة به أيضا عن معمر عن الزهري عن أبي أمامة ويكفأ الاناء من خلفه ، ومن حديث ابن أبي ذئب عن الزهري عن أبي أمامة أسعد بن سهل بن حنيف عن أبيه به ومن حديث مالك أيضا عن محمد بن أبي أمامة بن سهل عن أبيه به.

﴿ حديث أبي سعيد الخدري ﴾ قال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد عن الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان وأعين الانس فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سوى ذلك ورواه الترمذي والنسائي من حديث سعيد بن أبي إياس أبي مسعود الجريري به وقال الترمذي حسن

﴿ حديث آخر عنه ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث حدثني أبي حدثني عبد العزيز بن صهيب حدثني أبو نضرة عن أبي سعيد أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اشتكيت يا محمد قال « نعم » قال باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ، من شر كل نفس وعين تشنيك والله يشفيك ، باسم الله أرقيك . ورواه عن عفان عن عبد الوارث مثله ، ورواه مسلم وأهل السنن إلا أبا داود من حديث عبد الوارث به

وقال الامام أحمد أيضا حدثنا عفان حدثنا وهيب حدثنا داود عن أبي نضره عن أبي سعيد أو جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فأتاه جبريل فقال : باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من كل حاسد وعين والله يشفيك ورواه أيضا عن محمد بن عبد الرحمن الطفاوي عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد به ، قال أبو زرعة الرازي روى عبد الصمد ابن عبد الوارث عن أبيه عن عبد العزيز عن أبي نضرة وعن عبد العزيز عن أنس في معناه وكلاهما صحيح ﴿ حديث أبي هريرة رضي الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أنبأنا معمر عن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال « إن العين حق » أخرجاه من حديث عبد الرزاق . وقال ابن ماجه حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن علية عن الجريري عن مضارب بن حزن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « العين حق » تفرد به ورواه أحمد عن إسماعيل بن علية عن سعيد الجريري به وقال الامام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا ثور يعني ابن يزيد عن مكحول عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « العين حق ويحضرها الشيطان وحسد ابن آدم » وقال أحمد حدثنا خلف بن الوليد حدثنا أبو معشر عن محمد بن قيس سئل أبو هريرة هل سمعت رسول الله ﷺ يقول : الطيرة في ثلاث : في المسكن والفرس والمرأة ؟ قال : قلت إذا أقول على رسول الله صلى الله عليه وسلم مالم يقل ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول « أصدق الطيرة الفأل ، والعين حق » ﴿ حديث أسماء بنت عميس ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة الزرقي قال : قالت أسماء يا رسول الله إن بني جعفر تصيبهم العين أفأسترقي لهم قال « نعم فلو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين » وكذا رواه الترمذي وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به ، ورواه الترمذي أيضا والنسائي من حديث عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن عمرو بن دينار عن عروة بن عامر عن عبيد بن رفاعة عن أسماء بنت عميس به وقال الترمذي حسن صحيح ﴿ حديث عائشة رضي الله عنها ﴾ قال ابن ماجه حدثنا علي بن أبي الخصيب حدثنا وكيع عن سفيان ومسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن شداد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرها أن تسترقي من العين . ورواه البخاري عن محمد بن كثير عن سفيان عن معبد بن خالد به ، وأخرجه مسلم من حديث سفيان ومسعر كلاهما عن معبد به ثم قال ابن ماجه حدثنا محمد بن بشار حدثنا أبو هشام المخزومي حدثنا وهيب عن أبي واقد عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن عائشة قالت : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « استعيذوا بالله فان النفس حق » تفرد به وقال أبو داود حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت : كان يؤمر العائن فيتوضأ ويغسل منه المعين . قلت كذلك رواه أحمد عن حسن بن موسى وحسين بن محمد عن سنان ان ابن حسنة حدثه عن أبيه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا[1] الهام ، والعين حق وأصدق الطيرة الفأل »

« حديث سهل بن حنيف » قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا أبو أويس حدثنا الزهري عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ان أباه حدثه ان رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة حتى إذا كانوا بشعب الخرار من الجحفة اغتسل سهل بن حنيف وكان رجلا أبيض حسن الجسم والجلد فنظر إليه عامر بن ربيعة أخو بني عدي ابن كعب وهو يغتسل فقال ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة فلبط سهل فأتى رسول الله ﷺ فقيل له يارسول الله هل لك في سهل ! والله مايرفع رأسه ولايفيق ، قال « هل تتهمون فيه من أحد ؟ » قالوا نظر إليه عامر بن ربيعة فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عامرا فتغيظ عليه وقال « علام يقتل أحدكم أخاه ، هلا إذا رأيت مايعجبك بركت ؟ - ثم قال - اغتسل له » فغسل وجهه ويديه ومرفقيه وركبتيه وأطراف رجليه وداخلة إزاره في قدح ثم صب ذلك الماء عليه فصبه رجل على رأسه وظهره من خلفه ثم يكفأ القدح وراءه ففعل ذلك فراح سهل مع الناس ليس به بأس ﴿ حديث عامر بن ربيعة ﴾ قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا وكيع حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن عيسى عن أمية بن هند بن سهل بن حنيف عن عبيد الله بن عامر قال انطلق عامر بن ربيعة وسهل بن حنيف يريدان الغسل قال فانطلقا يلتمسان الخمر قال فوضع عامر جبة كانت عليه من صوف فنظرت اليه فأصبته بعيني فنزل الماء يغتسل قال فسمعت له في الماء فرقعة فأتيته فناديته ثلاثا فلم يجبني فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته قال فجاء يمشي فخاض الماء فكأني أنظر إلى بياض ساقيه قال فضرب صدره بيده ثم قال « اللهم اصرف عنه حرها وبردها ووصبها » قال فقام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا رأى أحدكم من أخيه أو من نفسه أو من ماله مايعجبه فليرك فان العين حق » . ﴿ حديث جابر ﴾ قال الحافظ أبو بكر البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا أبو داود حدثنا طالب ابن حبيب بن عمرو بن سهل الأنصاري ويقال له ابن الضجيع ضجيع حمزة رضي الله عنه حدثني عبد الرحمن بن جابر ابن عبد الله عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « أكثر من يموت من أمتي بعد كتاب الله وقضائه وقدره بالأنفس » . قال البزار يعني العين قال ولا نعلم يروى هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد قلت بل قد روى من وجه آخر عن جابر . قال الحافظ أبو عبد الرحمن محمد بن المنذر الهروي المعروف بشكر في كتاب العجائب وهو مشتمل على فوائد جليلة وغريبة حدثنا الرمادي حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا علي بن أبي علي الهاشمي حدثنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « العين حق لتورد الرجل القبر والجمل القدر وإن أكثر هلاك أمتي في العين » . ثم رواه عن شعيب بن أيوب عن معاوية بن هشام عن سفيان عن محمد ابن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قد تدخل الرجل العين في القبر وتدخل الجمل القدر » . وهذا إسناد رجاله كلهم ثقات ولم يخرجوه . ﴿ حديث عبد الله بن عمرو ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا رشيدين ابن سعد عن الحسن بن ثوبان عن هشام بن أبي رقية عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . « لاعدوى ولا طيرة ولا هامة ولا حسد والعين حق » تفرد به أحمد

﴿ حديث عن علي ﴾ روى الحافظ ابن عساكر من طريق خيثمة بن سليمان الحافظ حدثنا عبيد بن محمد الكشوري حدثنا عبد الله بن عبد الله بن عبد ربه البصري عن أبي رجاء عن شعبة عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم فوافقه مغتما فقال يامحمد ماهذا الغم الذي أراه في وجهك ؟ قال « الحسن والحسين أصابتهما عين » قال صدق بالعين فان العين حق أفلا عوذتهما بهؤلاء الكلمات ؟ قال « وماهن ياجبريل ؟ » قال : قل اللهم ذا السلطان العظيم والمن القديم ذا الوجه الكريم ولي الكلمات التامات والدعوات المستجابات عاف الحسن والحسين

(١) بياض بأصله

من أنفس الجن وأعين الإنس فقالها النبي صلى الله عليه وسلم فقاما يلعبان بين يديه فقال النبي صلى الله عليه وسلم «عوذوا أنفسكم ونساءكم وأولادكم بهذا التعويذ فانه لم يتعوذ المتعوذون بمثله » قال الخطيب البغدادى تفرد بروايته أبو رجاء محمد بن عبيد الله الحنطى من أهل ترجمه ابن عساكر فى ترجمة طراد بن الحسين من تاريخه . وقوله تعالى (ويقولون إنه لمجنون) أى يزدرونه بأعينهم ويؤذونه بألسنتهم ويقولون إنه لمجنون أى لمجيئه بالقرآن قال الله تعالى (وما هو إلا ذكر للعالمين) آخر تفسير سورة ن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الحاقة وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ * سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ * فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ * وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ * فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً * إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ * لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾

الحاقة من أسماء يوم القيامة لأن فيها يتحقق الوعد والوعيد ولهذا عظم الله أمرها فقال (وما أدراك ما الحاقة) ثم ذكر تعالى إهلاكه الأمم المكذبين بها فقال تعالى (فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية) وهى الصيحة التى أسكتتهم والزلزلة التى أسكنتهم هكذا قال قتادة الطاغية الصيحة وهو اختيار ابن جرير وقال مجاهد الطاغية الذنوب وكذا قال الربيع بن أنس وابن زيد إنها الطغيان وقرأ ابن زيد (كذبت ثمود بطغواها) وقال السدى فأهلكوا بالطاغية قال يعنى عاقر الناقة (وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر) أى باردة قال قتادة والسدى والربيع بن أنس والثورى (عاتية) أى شديدة الهبوب قال قتادة عتت عليهم حتى نقبت عن أفئدتهم وقال الضحاك (صرصر) باردة (عاتية) عتت عليهم بغير رحمة ولا بركة وقال على وغيره عتت الخزنة فخرجت بغير حساب (سخرها عليهم) أى سلطها عليهم (سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أى كوامل متتابعات مشائيم قال ابن مسعود وابن عباس ومجاهد وعكرمة والثورى وغيرهم حسوما متتابعات وعن عكرمة والربيع بن خثيم مشائيم عليهم كقوله تعالى (فى أيام نحسات) قال الربيع وكان أولها الجمعة وقال غيره الأربعاء ويقال إنها التى تسميها الناس الأعجاز ، وكأن الناس أخذوا ذلك من قوله تعالى (فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية) وقيل لأنها تكون فى عجز الشتاء ويقال أيام العجوز لأن عجوزا من قوم عاد دخلت سربا فقتلها الريح فى اليوم الثامن ، حكاه البغوى والله أعلم

قال ابن عباس (خاوية) خربة وقال غيره بالية أى جعلت الريح تضرب بأحدهم الأرض فيخر ميتا على أم رأسه فينشدخ رأسه وتبقى جثته هامدة كأنها قائمة النخلة إذا خرت بلا أغصان . وقد ثبت فى الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن يحيى ابن الضريس العبدى حدثنا ابن فضيل عن مسلم عن مجاهد عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مافتح الله على عاد من الريح التى هلكوا بها إلا مثل موضع الخاتم فمرت بأهل البادية فحملتهم ومواشيهم وأموالهم فجعلتهم بين السماء والأرض فلما رأى ذلك أهل الحاضرة من عاد الريح وما فيها قالوا هذا عارض ممطرنا فألقت أهل البادية ومواشيهم على أهل الحاضرة » وقال الثورى عن ليث عن مجاهد : الريح لها جناحان وذنب (فهل ترى لهم من باقية ؟) أى هل تحس منهم من أحد من بقاياهم أو ممن ينتسب اليهم بل بادوا عن آخرهم ولم يجعل الله لهم خلفا ثم قال تعالى (وجاء

فرعون ومن قبله) قرىء بكسر القاف أى ومن عنده ممن فى زمانه من أتباعه من كفار القبط ، وقرأ آخرون بفتحها أى ومن قبله من الأمم المشبهين له وقوله تعالى (والمؤتفكات) وهم الأمم المكذبون بالرسل (بالخاطئة) وهى التكذيب بما أنزل الله قال الربيع (بالخاطئة) أى بالمعصية ، وقال مجاهد بالخطايا ولهذا قال تعالى (فعصوا رسول ربهم) وهذا جنس أى كل كذب رسول الله إليهم كما قال تعالى (إن كل كذب الرسل فحق وعيد) ومن كذب برسول فقد كذب بالجميع كما قال تعالى (كذبت قوم نوح المرسلين) كذبت عاد المرسلين (كذبت ثمود المرسلين) وإنما جاء إلى كل أمة رسول واحد ولهذا قال ههنا (فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية) أى عظيمة شديد ألمها ، قال مجاهد رابية شديدة وقال السدى مهلكة

ثم قال تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله وارتفع على الوجود ، وقال ابن عباس وغيره طغى الماء كثر . وذلك بسبب دعوة نوح عليه السلام على قومه حين كذبوه وخالفوه فعبدوا غير الله فاستجاب الله له وعم أهل الأرض بالطوفان إلا من كان مع نوح فى السفينة ، فالناس كلهم من سلالة نوح وذريته . قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن أبى سنان سعيد بن سنان عن غير واحد عن على بن أبى طالب قال لم تنزل قطرة من ماء إلا بكيل على يدى ملك فلما كان يوم نوح أذن للماء دون الخزان فطغى الماء على الخزان فخرج فذلك قوله تعالى (إنا لما طغى الماء) أى زاد على الحد بإذن الله (حملناكم فى الجارية) ولم ينزل شىء من الريح إلا بكيل على يدى ملك إلا يوم عاد فانه أذن لها دون الخزان فخرجت فذلك قوله تعالى (بريح صرصر عاتية) أى عتت على الخزان ولهذا قال تعالى ممتنا على الناس (إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية) وهى السفينة الجارية على وجه الماء (لنجعلها لكم تذكرة) عاد الضمير على الجنس لدلالة المعنى عليه أى وأبقينا لكم من جنسها ما تركبون على تيار الماء فى البحار كما قال (وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون * لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) وقال تعالى (وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون * وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) وقال قتادة : أبقى الله السفينة حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، والأول أظهر ولهذا قال تعالى (وتعيها أذن واعية) أى وتفهم هذه النعمة وتذكرها أذن واعية ، قال ابن عباس : حافظة سامعة . وقال قتادة (أذن واعية) عقلت عن الله فانتفعت بما سمعت من كتاب الله ، وقال الضحاك (وتعيها أذن واعية) سمعتها أذن ووعت أى من له سمع صحيح وعقل رجيح ، وهذا عام فى كل من فهم ووعى . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة الدمشقى حدثنا العباس بن الوليد بن صبيح الدمشقى حدثنا زيد بن يحيى حدثنا على بن حوشب سمعت مكحولا يقول : لما نزل على رسول الله ﷺ (وتعيها أذن واعية) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سألت ربى أن يجعلها أذن على » قال مكحول فكان على يقول: ما سمعت من رسول الله ﷺ شيئا قط فنسيته وهكذا رواه ابن جرير عن على بن سهل عن الوليد بن مسلم عن ابن حوشب عن مكحول به وهو حديث مرسل . وقد قال ابن أبى حاتم أيضا حدثنا جعفر بن محمد بن عامر حدثنا بشر ابن آدم حدثنا عبد الله بن الزبير أبو محمد يعنى والد أبى أحمد الزبيرى حدثنى صالح بن الهيثم سمعت بريدة الأسلمى يقول : قال رسول الله ﷺ لعلى « إنى أمرت أن أدنيك ولا أقصيك وأن أعلمك وأن تعى وحق لك أن تعى » قال فنزلت هذه الآية (وتعيها أذن واعية) ورواه ابن جرير عن محمد بن خلف عن بشر بن آدم به ثم رواه ابن جرير من طريق آخر عن داود الأعمى عن بريدة به ولا يصح أيضا

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ * وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً * فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ * وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ * يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن أهوال يوم القيامة وأول ذلك نفخة الفزع ثم يعقبها نفخة الصعق حين يصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم بعدها نفخة القيام لرب العالمين والبعث والنشور وهى هذه النفخة وقد أكدها ههنا بأنها واحدة لأن أمر الله لا يخالف ولا يمانع ولا يحتاج إلى تكرار ولا تأكيد ، وقال الربيع: هى النفخة الأخيرة والظاهر ما قلناه ، ولهذا قال ههنا (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) أى فمدت مد الأديم العكاظى وتبدلت الأرض غير الأرض (فيومئذ وقعت الواقعة) أى قامت القيامة (وانشقت السماء فهى يومئذ واهية) قال سماك عن شيخ من بنى أسد عن على قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبى حاتم وقال ابن جريج هى كقوله (وفتحت السماء فكانت أبوابا) وقال ابن عباس متخرقة والعرش بحذائها (والملك على أرجائها) الملك اسم جنس أى الملائكة على أرجاء السماء قال ابن عباس على مالم يه منها أى حافاتها وكذا قال سعيد بن جبير والأوزاعى ، وقال الضحاك أطرافها وقال الحسن البصرى أبوابها ، وقال الربيع بن أنس فى قوله (والملك على أرجائها) يقول على ما استدق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض . وقوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) أى يوم القيامة يحمل العرش ثمانية من الملائكة ويحتمل أن يكون المراد بهذا العرش العرش العظيم أو العرش الذى يوضع فى الأرض يوم القيامة لفصل القضاء والله أعلم بالصواب ، وفى حديث عبدالله بن عميرة عن الأحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب فى ذكر حملة العرش أنهم ثمانية أو عال ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد حدثنا زيد بن الحباب حدثنى أبو السمح البصرى حدثنا أبو قيل حيى بن هانىء أنه سمع عبدالله بن عمرو يقول : حملة العرش ثمانية ما بين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى قال كتب إلى أحمد بن حفص بن عبد الله النيسابورى حدثنى أبى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « أذن لى أن أحدثكم عن ملك من حملة العرش بعد ما بين شحمة أذنه وعنقه مخفق الطير سبعمائة عام » وهذا إسناد جيد رجاله كلهم ثقات وقد رواه أبو داود فى كتاب السنة من سننه حدثنا أحمد بن حفص بن عبدالله حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن طهمان عن موسى بن عقبة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام » هذا لفظ أبى داود

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن المغيرة حدثنا جرير عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله تعالى (ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية) قال ثمانية صفوف من الملائكة قال : وروى عن الشعبى وعكرمة والضحاك وابن جريج مثل ذلك ، وكذا روى السدى عن أبى مالك عن ابن عباس: ثمانية صفوف وكذا روى العوفى عنه وقال الضحاك عن ابن عباس الكروبيون ثمانية أجزاء كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة وقوله تعالى (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) أى تعرضون على عالم السر والنجوى الذى لا يخفى عليه شىء من أموركم بل هو عالم بالظواهر والسرائر والضمائر ولهذا قال تعالى (لا تخفى منكم خافية) وقد قال ابن أبى الدنيا أخبرنا إسحق بن إسماعيل أخبرنا سفيان بن عيينة عن جعفر بن برقان عن ثابت بن الحجاج قال : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا فانه أخف عليكم فى الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا للعرض الأكبر (يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية) . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا على ابن رفاعة عن الحسن عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ « يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجدال ومعاذير ، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله » ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن وكيع به وقد رواه الترمذى عن أبى كريب عن وكيع عن على بن على عن الحسن عن أبى هريرة به ، وقد روى ابن جرير عن مجاهد بن موسى عن يزيد عن سليم بن حيان عن مروان الأصغر عن أبى وائل عن عبد الله قال : يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات عرضتان معاذير وخصومات والعرضة الثالثة تطير الصحف فى الأيدى فآخذ بيمينه وآخذ بشماله ورواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة مرسلا مثله .

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴾

يخبر تعالى عن سعادة من يؤتى كتابه يوم القيامة بيمينه وفرحه بذلك وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه (هاؤم اقرءوا كتابيه) أى خذوا اقراءوا كتابيه لأنه يعلم أن الذى فيه خير وحسنات محضة لأنه ممن بدل الله سيئاته حسنات قال عبد الرحمن بن زيد معنى (هاؤم اقرءوا كتابيه) أى ها اقرءوا كتابيه وؤم زائدة كذا قال والظاهر أنها بمعنى ها كم

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا بشر بن مطر الواسطى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا عاصم الأحول عن أبى عثمان قال : المؤمن يعطى كتابه بيمينه فى سترمن الله فيقرأ سيئاته فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع اليه لونه ثم ينظر فإذا سيئاته قد بدلت حسنات قال فعند ذلك يقول : هاؤم اقرءا كتابيه . وحدثنا أبى حدثنا إبراهيم ابن الوليد بن سلمة حدثنا روح بن عبادة حدثنا موسى بن عبيدة أخبرنى عبدالله بن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة قال إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى أى يظهر سيئاته فى ظهر صحيفته فيقول له أنت عملت هذا فيقول نعم أى رب ، فيقول له إنى لم أفضحك به وإنى قد غفرت لك فيقول عند ذلك هاؤم اقرءوا كتابيه (إنى ظننت أنى ملاق حسابيه) حين نجا من فضيحته يوم القيامة . وقد تقدم فى الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « يدنى الله العبد يوم القيامة فيقرره بذنوبه كلها حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله تعالى إنى سترتها عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه ، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين » وقوله تعالى (إنى ظننت أنى ملاق حسابيه) أى قد كنت موقنا فى الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة كما قال تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) قال الله تعالى (فهو فى عيشة راضية) أى مرضية (فى جنة عالية) أى رفيعة قصورها ، حسان حورها ، نعيمة دورها ، دائم حبورها

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عتبة الحسن بن على بن مسلم السكونى حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى بن أبى كثير عن أبى سلام الأسود قال سمعت أبا أمامة قال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل يتزاور أهل الجنة ، قال « نعم إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى فيحيونهم ويسلمون عليهم ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين تقصر بهم أعمالهم » وقد ثبت فى الصحيح « إن الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السما والأرض » وقوله تعالى (قطوفها دانية) قال البراء بن عازب أى قريبة يتناولها أحدهم وهو نائم على سريره وكذا قال غير واحد قال الطبرانى عن الدبرى عن سفيان الثورى عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسى قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » وكذا رواه الضياء فى صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى عن سلمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يعطى المؤمن جوازا على الصراط : بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية » وقوله تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) أى يقال لهم ذلك تفضلا عليهم وامتنانا وإنعاما وإحسانا وإلا فقد ثبت فى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « اعملوا وسددوا وقاربوا واعلموا أن أحدا منكم لن يدخله عمله الجنه » قالوا ولا أنت يا رسول الله قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمة منه وفضل »

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ۝ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ۝ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ

ٱلْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ * هَلَكَ عَنِّى سُلْطَانِيَهْ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ * إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ * وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِن غِسْلِينٍ * لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا ٱلْخَٰطِئُونَ ﴾

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أعطى أحدهم كتابه فى العرصات بشماله فحينئذ يندم غاية الندم (فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه * ولم أدر ما حسابيه * ياليتها كانت القاضية) قال الضحاك يعنى موتة لا حياة بعدها وكذا قال محمد بن كعب والربيع والسدى وقال قتادة تمنى الموت ولم يكن شىء فى الدنيا أكره إليه منه (ماأغنى عنى ماليه*هلك عنى سلطانيه) أى لم يدفع عنى مالى ولا جاهى عذاب الله وبأسه بل خلص الأمر إلى وحدى فلا معين لى ولا مجير فعندها يقول الله عزوجل (خذوه فغلوه * ثم الجحيم صلوه) أى يأمر الزبانية أن تأخذه عنفا من المحشر فتغله أى تضع الأغلال فى عنقه ثم تورده إلى جهنم فتصليه إيا ها أى تغمره فيها . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو خالد عن عمرو بن قيس عن المنهال بن عمرو قال إذا قال الله تعالى خذوه ابتدره سبعون ألف ملك إن الملك منهم ليقول هكذا فيلقى سبعين ألفا فى النار . وروى ابن أبى الدنيا فى الأهوال أنه يبتدره أربعمائة ألف ولا يبقى شىء إلا دقه فيقول مالى ولك فيقول: إن الرب عليك غضبان فكل شىء غضبان عليك ،وقال الفضيل بن عياض : إذا قال الرب عزوجل خذوه فغلوه ابتدره سبعون ألف ملك أيهم يجعل الغل فى عنقه (ثم الجحيم صلوه) أى اغمروه فيها ، وقوله تعالى (ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه) قال كعب الأحبار : كل حلقة منها قدر حديد الدنيا ، وقال العوفى عن ابن عباس وابن جريج بذراع الملك وقال ابن جريج قال ابن عباس (فاسلكوه) تدخل فى استه ثم تخرج من فيه ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حين يشوى وقال العوفى عن ابن عباس يسلك فى دبره حتى يخرج من منخريه حتى لا يقوم على رجليه وقال الإمام أحمد حدثنا على بن إسحاق أخبرنا عبد الله أخبرنا سعيد بن يزيد عن أبى السمح عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو أن رضاضة مثل هذه - وأشار إلى جمجمة - أرسلت من السماء إلى الأرض وهى مسيرة خمسمائة سنة لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفا الليل والنهار قبل أن تبلغ قعرها أو أصلها » وأخرجه الترمذى عن سويد بن سعيد عن عبد الله بن المبارك به وقال هذا حديث حسن . وقوله تعالى (إنه كان لا يؤمن بالله العظيم * ولا يحض على طعام المسكين) أى لا يقوم بحق الله عليه من طاعته وعبادته ولا ينفع خلقه ويؤدى حقهم ، فان لله على العباد أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئا ، وللعباد بعضهم على بعض حق الإحسان والمعاونة على البر والتقوى ولهذا أمر الله باقام الصلاة وإيتاء الزكاة وقبض النبى ﷺ وهو يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » وقوله تعالى (فليس له اليوم ههنا حميم * ولا طعام إلا من غسلين * لا يأكله إلا الخاطئون) أى ليس له اليوم من ينقذه من عذاب الله تعالى لا حميم وهو القريب ولا شفيع يطاع ، ولا طعام له ههنا إلا من غسلين قال قتادة : هو شر طعام أهل النار . وقال الربيع والضحاك هو شجرة فى جهنم ، وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبى حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا أبو سعيد المؤدب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس قال ما أدرى ما الغسلين ولكنى أظنه الزقوم وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس قال الغسلين: الدم والماء يسيل من لحومهم . وقال على بن أبى طلحة عنه الغسلين صديد أهل النار .

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ * تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾

يقول تعالى مقسما لخلقه بما يشاهدونه من آياته فى مخلوقاته الدالة على كماله فى أسمائه وصفاته وما غاب عنهم مما لا يشاهدونه من المغيبات عنهم إن القرآن كلامه ووحيه وتنزيله على عبده ورسوله الذى اصطفاه لتبليغ الرسالة وأداء الأمانة فقال تعالى (فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون * إنه لقول رسول كريم) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم، أضافه إليه على معنى التبليغ لأن الرسول من شأنه أن يبلغ عن المرسل ولهذا أضافه فى سورة التكوير إلى الرسول الملكى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين) وهذا جبريل عليه السلام ، ثم قال تعالى (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمداً صلى الله عليه وسلم (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى أن محمداً رأى جبريل على صورته التى خلقه الله عليها (وما هو على الغيب بضنين) أى بمتهم (وما هو بقول شيطان رجيم) وهكذا قال ههنا (وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون * ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون) فأضافه الله تارة إلى قول الرسول الملكى وتارة إلى الرسول البشرى لأن كلامهما مبلغ عن الله ما استأمنه عليه من وحيه وكلامه ولهذا قال تعالى (تنزيل من رب العالمين) قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان حدثنا شريح بن عبيد قال: قال عمر بن الخطاب: خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى إلى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أعجب من تأليف القرآن قال : فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش ، قال فقرأ (إنه لقول رسول كريم * وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون) قال فقلت كاهن ، قال فقرأ (ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون * تنزيل من رب العالمين * ولو تقول علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين * فما منكم من أحد عنه حاجزين) إلى آخر السورة ، قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع ، فهذا من جملة الأسباب التى جعلها الله تعالى مؤثرة فى هداية عمر بن الخطاب رضى الله عنه كما أوردنا كيفية إسلامه فى سيرته المفردة ولله الحمد والمنة

﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ * فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ * وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ * وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ * وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى (ولو تقول علينا) أى محمد صلى الله عليه وسلم لو كان كما يزعمون مفتريا علينا فزاد فى الرسالة أو نقص منها أو قال شيئا من عنده فنسبه الينا وليس كذلك لعاجلناه بالعقوبة ، ولهذا قال تعالى (لأخذنا منه باليمين) قيل معناه لانتقمنا منه باليمين لأنها أشد فى البطش ، وقيل لأخذنا بيمينه (ثم لقطعنا منه الوتين) قال ابن عباس وهو نياط القلب وهو العرق الذى القلب معلق فيه ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير والحكم وقتادة والضحاك ومسلم البطين وأبو صخر حميد بن زياد ، وقال محمد بن كعب : هو القلب ومراقه وما يليه . وقوله تعالى (فما منكم من أحد عنه حاجزين) أى فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئا من ذلك . والمعنى فى هذا بل هو صادق بار راشد لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات . ثم قال تعالى (وإنه لتذكرة للمتقين) يعنى القرآن كما قال تعالى (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر وهو عليهم عمى) ثم قال تعالى (وإنا لنعلم أن منكم مكذبين) أى مع هذا البيان والوضوح سيوجد منكم من يكذب بالقرآن. ثم قال تعالى (وإنه لحسرة على الكافرين) قال ابن جرير وإن التكذيب لحسرة على الكافرين يوم القيامة . وحكاه عن قتادة بمثله وروى ابن أبى حاتم من طريق السدى عن أبى مالك (وإنه لحسرة على الكافرين) يقول لندامة ويحتمل عود الضمير على القرآن أى وإن القرآن والإيمان به لحسرة فى نفس الأمر على الكافرين كما قال تعالى (كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين لا يؤمنون به) وقال تعالى (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) ولهذا قال ههنا (وإنه لحق اليقين) أى الخبر الصدق الحق الذى لا مرية فيه ولا شك ولا ريب ثم قال تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) أى الذى أنزل هذا القرآن العظيم آخر تفسير سورة الحاقة والله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سأل سائل وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ * تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ * فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا * إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴾

(سأل سائل بعذاب واقع) فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده) أى وعذابه واقع لامحالة . قال النسائى حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (سأل سائل بعذاب واقع) قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفى عن ابن عباس (سأل سائل بعذاب واقع) قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله تعالى (سأل سائل) دعا داع بعذاب واقع يقع فى الآخرة قال وهو قولهم (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) وقال ابن زيد وغيره (سال سائل بعذاب واقع) أى واد فى جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول لدلالة السياق عليه .

وقوله تعالى (واقع للكافرين) أى مرصد معد للكافرين . وقال ابن عباس واقع جاء (ليس له دافع) أى لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى (من الله ذى المعارج) قال الثورى عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (ذى المعارج) قال ذو الدرجات ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ذى المعارج يعنى العلو والفواضل وقال مجاهد ذى المعارج معارج السماء ، وقال قتادة ذى الفواضل والنعم . وقوله تعالى (تعرج الملائكة والروح اليه) قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد وأما الروح فقال أبو صالح هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا ، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام ، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بنى آدم فانها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء، وفى الحديث الذى رواه الإمام أحمد وأبو دواد والنسائى وابن ماجه من حديث المنهاج عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله فى قبض الروح الطيبة قال فيه « فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله » والله أعلم بصحته فقد تكلم فى بعض رواته ولكنه مشهور وله شاهد فى حديث أبى هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه من طريق ابن أبى الدنيا عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه ، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة ، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) . وقوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنه) فيه أربعة أقوال ﴿ أحدها ﴾ أن المراد بذلك مسافة مابين العرش العظيم إلى أسفل السافلين وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة ، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذى فى وسط الأرض السابعة ، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة وانه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن أبى شيبة فى كتاب صفة العرش . وقد قال ابن أبى حاتم عند هذه الآية حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا إسحاق بن إبراهيم أخبرنا حكام عن عمرو بن معمر بن معروف عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السموات خمسين ألف سنة (فى يوم كان مقداره ألف سنة) يعنى بذلك حين ينزل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء فى يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لأن مابين السماء والأرض

مقدار مسيرة خمسمائة عام وقد رواه ابن جرير عن ابن حميد عن حكام بن سالم عن عمرو بن معروف عن ليث عن مجاهد قوله لم يذكر ابن عباس . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا إبراهيم بن منصور حدثنا نوح المعروف عن عبد الوهاب بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس قال غلظ كل أرض خمسمائة عام وبين كل أرض إلى أرض خمسمائة عام فذلك سبعة آلاف عام وغلظ كل سماء خمسمائة عام وبين السماء إلى السماء خمسمائة عام فذلك أربعة عشر ألف عام وبين السماء السابعة وبين العرش مسيرة ستة وثلاثين ألف عام فذلك قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ﴿ القول الثاني ﴾ أن المراد بذلك مدة بقاء الدنيا منذ خلق الله هذا العالم إلى قيام الساعة قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة أخبرنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا عمرها خمسون ألف سنة وذلك عمرها يوم سماها الله عز وجل يوما (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم) قال اليوم الدنيا ، وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن الحكم بن أبان عن عكرمة (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال الدنيا من أولها إلى آخرها مقدار خمسين ألف سنة لا يدري أحد كم مضى ولا كم بقي إلا الله عز وجل ﴿ القول الثالث ﴾ أنه اليوم الفاصل بين الدنيا والآخرة وهو قول غريب جدا . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا بهلول بن المورق حدثنا موسى ابن عبيدة أخبرني محمد بن كعب (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم الفصل بين الدنيا والآخرة ﴿ القول الرابع ﴾ أن المراد بذلك يوم القيامة . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطي حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال يوم القيامة وإسناده صحيح ورواه الثوري عن سماك بن حرب عن عكرمة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم القيامة وكذا قال الضحاك وابن زيد . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) قال هو يوم القيامة جعله الله تعالى على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة وقد وردت أحاديث في معنى ذلك قال الامام أحمد حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال : قيل لرسول الله ﷺ (في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) ما أطول هذا اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا » ورواه ابن جرير عن يونس عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج به إلا أن دراجا وشيخه أبا الهيثم ضعيفان والله أعلم وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن قتادة عن أبي عمر العدني قال كنت عند أبي هريرة فمر رجل من بني عامر بن صعصعة فقيل له هذا أكثر عامري مالا فقال أبو هريرة : ردوه إلى فردوه فقال نبئت انك ذو مال كثير فقال العامري إي والله إن لي لمائة حمرا ومائة أدما حتى عد من ألوان الإبل وأفنان الرقيق ورباط الخيل فقال أبو هريرة إياك وأخفاف الإبل وأظلاف النعم يردد ذلك عليه حتى جعل لون العامري يتغير فقال ماذاك يا أبا هريرة ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من كانت له إبل لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها » قلنا يارسول الله ما نجدتها ورسلها ، قال « في عسرها ويسرها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه بأخفافها فاذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له بقر لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره ثم يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذا جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله ، وإذا كانت له غنم لا يعطي حقها في نجدتها ورسلها فانها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطؤه كل ذات ظلف بظلفها وتنطحه كل ذات قرن بقرنها ليس فيها عقصاء ولا عضباء إذ جاوزته أخراها أعيدت عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين الناس فيرى

سبيله » فقال العامرى وما حق الإبل يا أباهريرة ؟ قال أن تعطى الكريمة وتمنح الغزيرة وتفقر الظهر وتسقى الإبل وتطرق الفحل وقد رواه أبوداود من حديث شعبة والنسائى من حديث سعيد بن أبى عروبة كلاهما عن قتادة به ﴿ طريق أخرى لهذا الحديث ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أبوكامل حدثنا حماد عن سهل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ما من صاحب كنز لا يؤدى حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار » وذكر بقية الحديث فى الغنم والإبل كما تقدم وفيه «والخيل لثلاثة لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر » إلى آخره ورواه مسلم فى صحيحه بتمامه منفردا به دون البخارى من حديث سهيل عن أبيه عن أبى هريرة وموضع استقصاء طرقه وألفاظه فى كتاب الزكاة من كتاب الأحكام ، والغرض من إيراده ههنا قوله « حتى يحكم الله بين عباده فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقد روى ابن جرير عن يعقوب عن ابن علية وعبد الوهاب عن أيوب عن ابن أبى مليكة قال سأل رجل ابن عباس عن قوله (فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة) فقال مايوم كان مقداره خمسين ألف سنة قال فاتهمه ، فقال إنما سألتك لتحدثنى ، قال هما يومان ذكرهما الله ، الله أعلم بهما وأكره أن أقول فى كتاب الله بمالا أعلم وقوله تعالى (فاصبر صبرا جميلا) أى اصبر يا محمد على تكذيب قومك لك واستعجالهم العذاب استبعادا لوقوعه كقوله (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) ولهذا قال (إنهم يرونه بعيدا) أى وقوع العذاب . وقيام الساعة يراه الكفرة بعيد الوقوع بمعنى مستحيل الوقوع (ونراه قريبا) أى المؤمنون يعتقدون كونه قريبا وإن كان له أمد لا يعلمه إلا الله عز وجل ، لكن كل ما هو آت فهو قريب وواقع لا محالة

﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ * وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ * وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيماً * يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ * وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾

يقول تعالى العذاب واقع بالكافرين (يوم تكون السماء كالمهل) قال ابن عباس ومجاهد وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة والسدى وغير واحد أى كدردى الزيت (وتكون الجبال كالعهن) أى كالصوف المنفوش قاله مجاهد وقتادة والسدى ، وهذه الآية كقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) . وقوله تعالى (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أى لا يسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه فى أسوإ الأحوال فتشغله نفسه عن غيره قال العوفى عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى (لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وهذه الآية الكريمة كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق) وكقوله تعالى (وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى) وكقوله تعالى (فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) وكقوله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه * لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه) وقوله تعالى (يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه * وصاحبته وأخيه * وفصيلته التى تؤويه * ومن فى الأرض جميعا ثم ينجيه * كلا) أى لا يقبل منه فداء ولو جاء بأهل الأرض وبأعز مايجده من المال ولو بملء الأرض ذهبا أو من ولده الذى كان فى الدنيا حشاشة كبده يود يوم القيامة إذا رأى الأهوال أن يفتدى من عذاب الله به ولا يقبل منه قال مجاهد والسدى (فصيلته) قبيلته وعشيرته ، وقال عكرمة فخذه الذى هو منهم وقال أشهب عن مالك: فصيلته أمه

وقوله تعالى (إنها لظى) يصف النار وشدة حرها (نزاعة للشوى) قال ابن عباس ومجاهد : جلدة الرأس ، وقال العوفى عن ابن عباس (نزاعة للشوى) الجلود والهام ؛ وقال مجاهد مادون العظم من اللحم ، وقال سعيد بن جبير: للعصب والعقب وقال أبو صالح (نزاعة للشوى) يعنى أطراف اليدين والرجلين وقال أيضا (نزاعة للشوى) لحم الساقين، وقال الحسن البصرى وثابت البنانى (نزاعة للشوى) أى مكارم وجهه ، وقال الحسن أيضا تحرق كل شىء فيه ويبقى فؤاده يصيح وقال قتادة (نزاعة للشوى) أى نزاعة لهامته ومكارم وجهه وخلقه وأطرافه . وقال الضحاك تبرى اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئا ، وقال ابن زيد الشوى: الآراب العظام فقوله نزاعة قال تقطع عظامهم ثم تبدل جلودهم وخلقهم . وقوله تعالى (تدعو من أدبر وتولى * وجمع فأوعى) أى تدعو النار إليها أبناءها الذين خلقهم الله لها : وقدر لهم أنهم فى الدار الدنيا يعملون عملها فتدعوهم يوم القيامة بلسان طلق ذلق ثم تلتقطهم من بين أهل المحشر كما يلتقط الطير الحب وذلك أنهم كما قال الله عز وجل كانوا ممن أدبر وتولى أى كذب بقلبه وترك العمل بجوارحه (وجمع فأوعى) أى جمع المال بعضه على بعض فأوعاه أى أوكاه ومنع حق الله منه من الواجب عليه فى النفقات ومن إخراج الزكاة . وقد ورد فى الحديث « ولا توعى فيوعى الله عليك » وكان عبد الله بن عكيم لا يربط له كيسا ويقول سمعت الله يقول (وجمع فأوعى) وقال الحسن البصرى يا ابن آدم سمعت وعيد الله ثم أوعيت الدنيا . وقال قتادة فى قوله (وجمع فأوعى) قال كان جموعا قوما للخبيث

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ * وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الإنسان وما هو مجبول عليه من الأخلاق الدنيئة (إن الإنسان خلق هلوعا) ثم فسره بقوله (إذا مسه الشر جزوعا) أى إذا مسه الضر فزع وجزع وانخلع قلبه من شدة الرعب وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير (وإذا مسه الخير منوعا) أى إذا حصلت له نعمة من الله بخل بها على غيره ومنع حق الله تعالى فيها . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى بن على بن رباح سمعت أبى يحدث عن عبد العزيز بن مروان بن الحكم قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « شر ما فى رجل: شح هالع وجبن خالع » ورواه أبو داود عن عبد الله بن الجراح عن أبى عبد الرحمن المقرى به وليس لعبد العزيز عنده سواه . ثم قال تعالى (إلا المصلين) أى الإنسان من حيث هو متصف بصفات الذم إلا من عصمه الله ووفقه وهداه إلى الخير ويسر له أسبابه وهم المصلون (الذين هم على صلاتهم دائمون) قيل معناه يحافظون على أوقاتها وواجباتها قاله ابن مسعود ومسروق وإبراهيم النخعى ، وقيل المراد بالدوام ههنا السكون والخشوع كقوله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) قاله عقبة بن عامر ومنه الماء الدائم وهو الساكن الراكد ، وهذا يدل على وجوب الطمأنينة فى الصلاة فان الذى لا يطمئن فى ركوعه وسجوده ليس بدائم على صلاته لأنه لم يسكن فيها ولم يدم بل ينقرها نقر الغراب فلا يفلح فى صلاته ، وقيل المراد بذلك الذين إذا عملوا عملا داوموا عليه وأثبتوه كما جاء فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها عن رسول الله ﷺ

أنه قال « أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل » وفى لفظ « ما داوم عليه صاحبه » قالت : وكان رسول الله ﷺ إذا عمل عملا داوم عليه ، وفى لفظ أثبته ، وقال قتادة فى قوله تعالى (الذين هم على صلاتهم دائمون) ذكر لنا أن دانيال عليه السلام نعت أمة محمد ﷺ فقال يصلون صلاة لو صلاها قوم نوح ما غرقوا أو قوم عاد ما أرسلت عليهم الريح العقيم أو ثمود ما أخذتهم الصيحة ، فعليكم بالصلاة فانها خلق للمؤمنين حسن

وقوله تعالى (والذين فى أموالهم حق معلوم * للسائل والمحروم) أى فى أموالهم نصيب مقرر لذوى الحاجات ، وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الذاريات . وقوله تعالى (والذين يصدقون بيوم الدين) أى يوقنون بالمعاد والحساب والجزاء فهم يعملون عمل من يرجوا الثواب ويخاف العقاب. ولهذا قال تعالى (والذين هم من عذاب ربهم مشفقون) أى خائفون وجلون (إن عذاب ربهم غير مأمون) أى لا يأمنه أحد ممن عقل عن الله أمره إلا بأمان من الله تبارك وتعالى وقوله تعالى (والذين هم لفروجهم حافظون) أى يكفونها عن الحرام ويمنعونها أن توضع فى غير ما أذن الله فيه ولهذا قال تعالى (إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم) أى من الإماء (فانهم غير ملومين * فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون) وقد تقدم تفسير هذا فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) بما أغنى عن إعادته ههنا وقوله تعالى (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أى إذا اؤتمنوا لم يخونوا ، وإذا عاهدوا لم يغدروا ، وهذه صفات المؤمنين وضدها صفات المنافقين كما ورد فى الحديث الصحيح « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان » وفى رواية « إذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » وقوله تعالى (والذين هم بشهاداتهم قائمون) أى محافظون عليها لا يزيدون فيها ولا ينقصون منها ولا يكتمونها (ومن يكتمها فانه آثم قلبه)

ثم قال تعالى (والذين هم على صلاتهم يحافظون) أى على مواقيتها وأركانها وواجباتها ومستحباتها فافتتح الكلام بذكر الصلاة واختتمه بذكرها فدل على الاعتناء بها والتنويه بشرفها كما تقدم فى أول سورة (قد أفلح المؤمنون) سواء ولهذا قال هناك (أولئك هم الوارثون * الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) وقال ههنا (أولئك فى جنات مكرمون) أى مكرمون بأنواع اللذات والمسار

﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ * عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ * أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ * كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ * فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَارِقِ وَٱلْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ * فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ * يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ * خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾

يقول تعالى منكرا على الكفار الذين كانوا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهم مشاهدون له ولما أرسله الله به من الهدى وما أيده الله به من المعجزات الباهرات ، ثم هم مع هذا كله فارون منه متفرقون عنه ، شاردون يمينا وشمالا فرقا فرقا ، وشيعا شيعا، كما قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين * كأنهم حمر مستنفرة * فرت من قسورة) الآية وهذه مثلها فانه قال تعالى (فما للذين كفروا قبلك مهطعين) أى فما لهؤلاء الكفار الذين عندك يا محمد مهطعين أى مسرعين نافرين منك كما قال الحسن البصرى مهطعين أى منطلقين (عن اليمين وعن الشمال عزين) واحدها عزة أى متفرقين وهو حال من مهطعين أى فى حال تفرقهم واختلافهم كما قال الإمام أحمد فى أهل الأهواء فهم مخالفون للكتاب مختلفون فى الكتاب ، متفقون على مخالفة الكتاب وقال العوفى عن ابن عباس (فما للذين كفروا قبلك

مهطعين قال قبلك ينظرون (عن اليمين وعن الشمال عزين) قال العزين العصب من الناس عن يمين وشمال معرضين يستهزئون به وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن الحسن فى قوله (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى متفرقين يأخذون يمينا وشمالا يقولون: ما قال هذا الرجل ؟ وقال قتادة (مهطعين) عامدين (عن اليمين وعن الشمال عزين) أى فرقا حول النبى ﷺ لا يرغبون فى كتاب الله ولا فى نبيه صلى الله عليه وسلم وقال الثورى وشعبة وعبثر بن القاسم وعيسى بن يونس ومحمد بن فضيل ووكيع ويحيى القطان وأبو معاوية كلهم عن الأعمش عن المسيب بن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ خرج عليهم وهم حلق فقال « مالى أراكم عزين ؟ » رواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى وابن جرير من حديث الأعمش به وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ خرج على أصحابه وهم حلق حلق فقال «مالى أراكم عزين؟ » وهذا إسناده جيد ولم أره فى شىء من الكتب الستة من هذا الوجه

وقوله تعالى (أيطمع كل امرىء منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا) أى أيطمع هؤلاء والحالة هذه من فرارهم عن الرسول ﷺ ونفارهم عن الحق أن يدخلوا جنات النعيم ؟ كلا بل مأواهم جهنم . ثم قال تعالى مقررا لوقوع المعاد والعذاب بهم الذى أنكروا كونه واستبعدوا وجوده مستدلا عليهم بالبداءة التى الاعادة أهون منها وهم معترفون بها فقال تعالى (إنا خلقناهم مما يعلمون) أى من المنى الضعيف كما قال تعالى (ألم نخلقكم من ماء مهين) وقال (فلينظر الإنسان مم خلق * خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * إنه على رجعه لقادر * يوم تبلى السرائر * فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال تعالى (فلا أقسم برب المشارق والمغارب) أى الذى خلق السموات والأرض وجعل مشرقا ومغربا وسخر الكواكب تبدو من مشارقها وتغيب فى مغاربها . وتقرير الكلام ليس الأمر كما تزعمون أن لا معاد ولا حساب ولا بعث ولا نشور بل كل ذلك واقع وكائن لامحالة ، ولهذا أتى بلا فى ابتداء القسم ليدل على أن المقسم عليه نفى وهو مضمون الكلام وهو الرد على زعمهم الفاسد فى نفى يوم القيامة وقد شاهدوا من عظيم قدرة الله تعالى ما هو أبلغ من إقامة القيامة وهو خلق السموات والأرض وتسخير ما فيهما من المخلوقات من الحيوانات والجمادات وسائر أصناف الموجودات ولهذا قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقال تعالى (أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى؟ بلى إنه على كل شىء قدير) وقال تعالى فى الآية الأخرى (أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ؟ بلى وهو الخلاق العليم * إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال ههنا (فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم) أى يوم القيامة نعيدهم بأبدان خير من هذه فان قدرته صالحة لذلك (وما نحن بمسبوقين) أى بعاجزين كما قال تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟ بلى قادرين على أن نسوى بنانه) وقال تعالى (نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين * على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون) واختار ابن جرير (على أن نبدل خيرا منهم) أى أمة تطيعنا ولا تعصينا وجعلها كقوله (وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم) والمعنى الأول أظهر لدلالة الآيات الأخر عليه والله سبحانه وتعالى أعلم ، ثم قال تعالى (فذرهم) أى يا محمد (يخوضوا ويلعبوا) أى دعهم فى تكذيبهم وكفرهم وعنادهم (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون) أى فسيعلمون غب ذلك ويذوقون وباله (يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون) أى يقومون من القبور إذا دعاهم الرب تبارك وتعالى لموقف الحساب ينهضون سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ، قال ابن عباس ومجاهد والضحاك : إلى علم يسعون ، وقال أبو العالية ويحيى بن أبى كثير إلى غاية يسعون إليها ، وقد قرأ الجمهور إلى نصب بفتح النون وإسكان الصاد وهو مصدر بمعنى المنصوب ، وقرأ الحسن البصرى نصب بضم النون والصاد وهو الصنم أى كأنهم فى إسراعهم إلى الموقف كما كانوا فى الدنيا يهرولون إلى النصب إذا عاينوه يوفضون يتبدرون أيهم

يستلمه أول . وهذا مروى عن مجاهد ويحيى بن أبى كثير ومسلم البطين وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وأبى صالح وعاصم بن بهدلة وابن زيد وغيرهم ، وقوله تعالى (خاشعة أبصارهم) أى خاضعة (ترهقهم ذلة) أى فى مقابلة ما استكبروا فى الدنيا عن الطاعة (ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون) .آخر تفسير سورة سأل سائل ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة نوح عليه السلام وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أرسله إلى قومه آمرا له أن ينذرهم بأس الله قبل حلوله بهم فان تابوا وأنابوا رفع عنهم ولهذا قال تعالى (أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب إليم* قال يا قوم إنى لكم نذير مبين)أى بين النذارة ظاهر الأمر واضحه أن اعبدوا الله واتقوه أى اتركوا محارمه واجتنبوا مآثمه (وأطيعون) فيما آمركم به وأنها كم عنه (يغفر لكم من ذنوبكم) أى إذا فعلتم ما آمركم به وصدقتم ما أرسلت به إليكم غفرالله لكم ذنوبكم ، ومن ههنا قيل إنها زائدة ولكن القول بزيادتها فى الإثبات قليل، ومنه قول بعض العرب : قد كان من مطر،وقيل إنها بمعنى عن تقديره يصفح لكم عن ذنوبكم واختاره ابن جرير ، وقيل إنها للتبعيض أى يغفر لكم الذنوب العظيم التى وعدكم على ارتكابكم إياها الانتقام (ويؤخركم إلى أجل مسمى) أى يمد فى أعماركم ويدرأ عنكم العذاب الذى إن لم تجتنبوا ما نها كم عنه أوقعه بكم ، وقد يستدل بهذه الآية من يقول إن الطاعة والبروصلة الرحم يزادبها فى العمر حقيقة كماورد به الحديث « صلة الرحم تزيد فى العمر » . وقوله تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لوكنتم تعلمون) أى بادروا بالطاعة قبل حلول النقمة فانه إذا أمر تعالى بكون ذلك لا يرد ولا يمانع فانه العظيم الذى قد قهر كل شىءالعزيزالذى دانت لعزته جميع المخلوقات

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا * مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله نوح عليه السلام أنه اشتكى إلى ربه عز وجل ما لقى من قومه وما صبر عليهم فى تلك المدة الطويلة التى هى ألف سنة إلا خمسين عاما وما بين لقومه ووضح لهم ودعاهم إلى الرشد والسبيل الأقوم فقال :

(رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا) أى لم أترك دعاءهم فى ليل ولانهار امتثالا لأمرك وابتغاء لطاعتك (فلم يزدهم دعائى إلا فرارا) أى كلما دعوتهم ليقتربوا من الحق فروا منه وحادوا عنه (وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم) أى سدوا آذانهم لئلا يسمعوا ماأدعوهم اليه كما أخبر تعالى عن كفار قريش (وقال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون) (واستغشوا ثيابهم) قال ابن جرير عن ابن عباس تنكروا له لئلا يعرفهم. وقال سعيد بن جبير والسدى غطوا رءوسهم لئلا يسمعوا مايقول (وأصروا) أى استمروا على ماهم فيه من الشرك والكفر العظيم الفظيع (واستكبروا استكبارا) أى واستنكفوا عن اتباع الحق والانقياد له (ثم إنى دعوتهم جهارا) أى جهرة بين الناس (ثم إنى أعلنت لهم) أى كلاما ظاهرا بصوت عال (وأسررت لهم إسرارا) أى فيما بينى وبينهم فنوع عليهم الدعوة لتكون أنجع فيهم (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا) أى ارجعوا إليه وارجعوا عما أنتم فيه وتوبوا إليه من قريب فانه من تاب إليه تاب عليه، ولو كانت ذنوبه مهما كانت فى الكفر والشرك؛ ولهذا قال (فقلت أستغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) أى متواصلة الأمطار، ولهذا تستحب قراءة هذه السورة فى صلاة الاستسقاء لأجل هذه الآية وهكذا روى عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه صعد المنبر ليستسقى فلم يزد على الاستغفار وقراءة الآيات فى الاستغفار ومنها هذه الآية (فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا * يرسل السماء عليكم مدرارا) ثم قال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التى يستنزل بها المطر. وقال ابن عباس وغيره يتبع بعضه بعضا. وقوله تعالى (ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا) أى إذا تبتم إلى الله واستغفرتموه وأطعتموه كثر الرزق عليكم وأسقاكم من بركات السماء وأنبت لكم من بركات الأرض وأنبت لكم الزرع وأدر لكم الضرع وأمدكم بأموال وبنين أى أعطاكم الأموال والأولاد وجعل لكم جنات فيها أنواع الثمار وخللها بالأنهار الجارية بينها، هذا مقام الدعوة بالترغيب، ثم عدل بهم إلى دعوتهم بالترهيب فقال (مالكم لا ترجون لله وقارا؟) أى عظمة قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك، وقال ابن عباس لاتعظمون الله حق عظمته أى لاتخافون من بأسه ونقمته (وقد خلقكم أطوارا) قيل معناه من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة ويحيى بن رافع والسدى وابن زيد. وقوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا؟) أى واحدة فوق واحدة وهل هذا يتلقى من جهة السمع فقط؟ أو هو من الامور المدركة بالحس مما علم من التسيير والكسوفات فان الكواكب السبعة السيارة يكسف بعضها بعضا فأدناها القمر فى السماء الدنيا وهو يكسف ما فوقه وعطارد فى الثانية والزهرة فى الثالثة، والشمس فى الرابعة والمريخ فى الخامسة والمشترى فى السادسة وزحل فى السابعة وأما بقية الكواكب وهى الثوابت ففى فلك ثامن يسمونه فلك الثوابت والمتشرعون منهم يقولون هو الكرسى والفلك التاسع وهو الأطلس والأثير عندهم الذى حركته على خلاف حركة سائر الأفلاك وذلك أن حركته مبدأ الحركات وهى من المغرب إلى المشرق؛ وسائر الأفلاك عكسه من المشرق إلى المغرب ومعها يدور سائر الكواكب تبعا ولكن للسيارة حركة معاكسة لحركة أفلاكها فانها تسير من المغرب إلى المشرق، وكل يقطع فلكه بحسبه فالقمر يقطع فلكه فى كل شهر مرة والشمس فى كل سنة مرة وزحل فى كل ثلاثين سنة مرة وذلك بحسب اتساع أفلاكها وإن كانت حركة الجميع فى السرعة متناسبة، هذا ملخص مايقولونه فى هذا المقام على اختلاف بينهم فى مواضع كثيرة لسنا بصدد بيانها وإنما المقصود أن الله سبحانه وتعالى (خلق سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا) أى فاوت بينهما فى الاستنارة فجعله كلا منهما أنموذجا على حدة ليعرف الليل والنهار بمطلع الشمس ومغيبها، وقدر للقمر منازل وبروجا وفاوت نوره فتارة يزداد حتى يتناهى ثم يشرع فى النقص حتى يستسر ليدل على مضى الشهور والأعوام كما قال تعالى (هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون) وقوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتا) هذا اسم مصدر والاتيان به ههنا أحسن (ثم يعيدكم فيها) أى إذا متم (ويخرجكم إخراجا) أى يوم القيامة يعيدكم كما بدأكم أول مرة (والله جعل

لكم الأرض بساطا) أى بسطها ومهدها وقررها وثبتها بالجبال الراسيات الشم الشامخات (لتسلكوا منها سبلا فجاجا) أى خلقها لكم لتستقروا عليها وتسلكوا فيها أين شئتم من نواحيها وأرجائها وأقطارها وكل هذا مما ينبههم به نوح عليه السلام على قدرة الله وعظمته فى خلق السموات والارض ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزاق جعل السماء بناء والأرض مهادا وأوسع على خلقه من رزقه فهو الذى يجب أن يعبد ويوحد ولا يشرك به أحد لأنه لا نظير له ولا عديل له ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العلى الكبير

﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن نوح عليه السلام أنه أنهى إليه وهو العليم الذى لا يعزب عنه شىء أنه مع البيان المتقدم ذكره والدعوة المتنوعة المشتملة على الترغيب تارة والترهيب أخرى أنهم عصوه وخالفوه وكذبوه واتبعوا أبناء الدنيا ممن غفل عن أمر الله ومتع بمال وأولاد وهى فى نفس الأمر استدراج وإنظار لا إكرام ولهذا قال (واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خسارا) قرىء وولده بالضم وبالفتح وكلاهما متقارب وقوله تعالى (ومكروا مكرا كبارا) قال مجاهد كبارا أى عظيما ، وقال ابن زيد كبارا أى كبير والعرب تقول أمر عجيب وعجاب وعجاب ، ورجل حسان وحسان وجمال وجمال بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد ، والمعنى فى قوله تعالى (ومكروا مكرا كبارا) أى بأتباعهم فى تسويلهم لهم أنهم على الحق والهدى كما يقولون لهم يوم القيامة (بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) ولهذا قال ههنا (ومكروا مكرا كبارا * وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا) وهذه أسماء أصنامهم التى كانوا يعبدونها من دون الله قال البخارى حدثنا إبراهيم حدثنا هشام عن ابن جريج ، وقال عطاء عن ابن عباس صارت الأوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد : أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ؛ وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبنى غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذى كلاع وهى أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت . وكذا روى عن عكرمة والضحاك وقتادة وابن إسحاق نحو هذا ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس هذه أصنام كانت تعبد فى زمن نوح وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن موسى عن محمد بن قيس (ويغوث ويعوق ونسرا) قال كانوا قوما صالحين بين آدم ونوح وكان لهم أتباع يقتدون بهم فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم فصوروهم فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم ، وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة شيث عليه السلام من طريق إسحاق بن بشر قال: أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال : ولد لآدم عليه السلام أربعون ولدا عشرون غلاما وعشرون جارية فكان ممن عاش منهم هابيل وقابيل وصالح وعبد الرحمن الذى كان سماه عبد الحارث ، وود وكان ود يقال له شيث ويقال له هبة الله وكان اخوته قد سودوه وولد له سواع ويغوث ويعوق ونسر وقال ابن حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عمرو الدورى حدثنى أبو إسماعيل المؤدب عن عبد الله بن مسلم بن هرمز عن أبى حزرة عن عروة بن الزبير قال : اشتكى آدم عليه السلام وعنده بنوه ود ويغوث ويعوق وسواع ونسر قال وكان ود أكبرهم وأبرهم به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور حدثنا الحسن بن موسى حدثنا يعقوب عن أبى المطهر

قال ذكروا عند أبي جعفر وهو قائم يصلي يزيد بن المهلب ، قال فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب أما إنه قتل في أول أرض عبد فيها غير الله ، قال ثم ذكروا رجلا مسلما وكان محببا في قومه فلما مات اعتكفوا حول قبره في أرض بابل وجزعوا عليه فلما رأى إبليس جزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال إني أرى جزعكم على هذا الرجل فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه ؟ قالوا نعم فصور لهم مثله قال ووضعوه في ناديهم وجعلوا يذكرونه؛ فلما رأى مابهم من ذكره قال هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالا مثله فيكون له في بيته فتذكرونه قالوا نعم، قال فمثل لكل أهل بيت تمثالا مثله فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به قال وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به قال وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه حتى اتخذه إلها يعبدونه أمن دون الله أولاد أولادهم فكان أول ماعبد من دون الله : الصنم الذي سموه ودا .

وقوله تعالى (وقد أضلوا كثيرا) يعني الأصنام التي اتخذوها أضلوا بها خلقا كثيرا فانه استمرت عبادتها في القرون إلى زماننا هذا في العرب والعجم وسائر صنوف بني آدم ، وقد قال الخليل عليه السلام في دعائه (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام *رب إنهن أضللن كثيرا من الناس) وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا ضلالا) دعاء منه على قومه لتمردهم وكفرهم وعنادهم كما دعا موسى على فرعون وملئه في قوله (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وقد استجاب الله لكل من النبيين في قومه وأغرق أمته بتكذيبهم لما جاءهم به

﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَاراً * وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً * رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِناً وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَاراً ﴾

يقول تعالى (مما خطيئاتهم) وقرىء خطاياهم (أغرقوا) أي من كثرة ذنوبهم وعتوهم وإصرارهم على كفرهم ومخالفتهم رسولهم (أغرقوا فأدخلوا نارا) أي نقلوا من تيار البحار إلى حرارة النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) أي لم يكن لهم معين ولا مغيث ولا مجير ينقذهم من عذاب الله كقوله تعالى (لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا) أي لا تترك على وجه الأرض منهم أحدا ولا ديارا وهذه من صيغ تأكيد النفي قال الضحاك : ديارا واحدا وقال السدي: الديار الذي يسكن الدار فاستجاب الله له فأهلك جميع من على وجه الأرض من الكافرين حتى ولد نوح لصلبه الذي اعتزل عن أبيه وقال (سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين) وقال ابن أبي حاتم قرأ على يونس ابن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرني شبيب بن سعيد عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « لو رحم الله من قوم نوح أحدا لرحم امرأة لما رأت الماء حملت ولدها ثم صعدت الجبل فلما بلغها الماء صعدت به منكبها فلما بلغ الماء منكبها وضعت ولدها على رأسها فلما بلغ الماء رأسها رفعت ولدها بيدها فلو رحم الله منهم أحدا لرحم هذه المرأة » هذا حديث غريب ورجاله ثقات ونجى الله أصحاب السفينة الذين آمنوا مع نوح عليه السلام وهم الذين أمره الله بحملهم معه . وقوله تعالى (إنك إن تذرهم يضلوا عبادك) أي إنك إن أبقيت منهم أحدا أضلوا عبادك أي الذين تخلقهم بعدهم (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) أي فاجرا في الأعمال كافر القلب وذلك لخبرته بهم ومكثه بين أظهرهم ألف سنة إلا خمسين عاما ثم قال (رب اغفرلي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا) قال الضحاك يعني مسجدي ، ولا مانع من حمل الآية على ظاهرها وهو أنه دعا لكل من دخل منزله وهو مؤمن وقد قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أنبأنا سالم بن غيلان ان الوليد بن قيس التجيبي أخبره أنه سمع أبا سعيد الخدري أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي » ورواه أبو داود والترمذي من حديث عبد الله بن المبارك عن حيوة بن شريح به ثم قال الترمذي

إنما نعرفه من هذا الوجه. وقوله تعالى (وللمؤمنين والمؤمنات) دعاء لجميع المؤمنين والمؤمنات وذلك يعم الأحياء منهم والأموات ولهذا يستحب مثل هذا الدعاء اقتداء بنوح عليه السلام وبما جاء في الآثار والأدعية المشهورة المشروعة، وقوله تعالى (ولا تزد الظالمين إلا تبارا) قال السدى إلا هلاكا وقال مجاهد إلا خسارا أى فى الدنيا والآخرة. آخر تفسير سورة نوح عليه السلام ولله الحمد .

﴿ تفسير سورة الجن وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا * وَأَنَّهُۥ تَعَـٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَـٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا * وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا * وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا * وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يخبر قومه أن الجن استمعوا القرآن فآمنوا به وصدقوه وانقادوا له فقال تعالى (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا * يهدى إلى الرشد) أى إلى السداد والنجاح (فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا) وهذا المقام شبيه بقوله تعالى (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) وقد قدمنا الأحديث الواردة فى ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا

وقوله تعالى (وأنه تعالى جد ربنا) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (جد ربنا) أى فعله وأمره وقدرته وقال الضحاك عن ابن عباس جد الله آلاؤه وقدرته ونعمته على خلقه وروى عن مجاهد وعكرمة جلال ربنا وقال قتادة تعالى جلاله وعظمته وأمره ، وقال السدى تعالى أمر ربنا وعن أبى الدرداء ومجاهد أيضا وابن جريج تعالى ذكره وقال سعيد بن جبير (تعالى جد ربنا) أى تعالى ربنا ، فأما مارواه ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عبدالله بن يزيد الكوفى حدثنا سفيان عن عمرو عن عطاء عن ابن عباس قال : الجد أب ولو علمت الجن أن فى الانس جدا ماقالوا تعالى جد ربنا فهذا إسناد جيد ولكن لست أفهم مامعنى هذا الكلام ولعله قد سقط شىء والله أعلم . وقوله تعالى (ما اتخذ صاحبة ولا ولدا) أى تعالى عن اتخاذ الصاحبة والأولاد ، أى قالت الجن :تنزه الرب جل جلاله حين أسلموا وآمنوا بالقرآن عن اتخاذ الصاحبة والولد ثم قالوا (وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا) قال مجاهد وعكرمة وقتادة والسدى (سفيهنا) يعنون إبليس (شططا) قال السدى عن أبى مالك (شططا) أى جورا ، وقال ابن زيد أى ظلما كبيرا ويحتمل أن يكون المراد بقولهم سفيهنا اسم جنس لكل من زعم أن لله صاحبة أوولدا ولهذا قالوا (وانه كان يقول سفيهنا) أى قبل إسلامه (على الله شططا) أى باطلا وزورا ولهذا قالوا (وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا) أى ماحسبنا أن الانس والجن يتمالئون على الكذب على الله تعالى فى نسبة الصاحبة والوالد إليه ، فلما سمعنا هذا القرآن وآمنا به علمنا أنهم كانوا يكذبون على الله فى ذلك ، وقوله تعالى (وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى كنا نرى أن لنا فضلا على الانس لأنهم كانوا يعوذون بنا إذا نزلوا واديا أو مكانا موحشا من البرارى وغيرها كما كانت عادة العرب فى جاهليتها يعوذون بعظيم ذلك المكان من الجان أن يصيبهم بشىء يسوءهم كما كان أحدهم يدخل بلاد أعدائه فى جوار رجل كبير وذمامه وخفارته فلما رأت الجن أن الانس يعوذون بهم من خوفهم منهم زادوهم رهقا أى خوفا وإرهابا وذعرا حتى بقوا أشد منهم مخافة وأكثر تعوذا بهم كما قال قتادة (فزادوهم رهقا) أى إثما وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة ، وقال الثورى عن منصور عن إبراهيم (فزادوهم رهقا) أى ازدادت الجن عليهم جرأة . وقال السدى : كان الرجل يخرج بأهله فيأتى الأرض فينزلها فيقول : أعوذ بسيد هذا الوادى من

الجن أن أضر أنا فيه أو مالى أو ولدى أو ما شيتى ، قال قتادة : فاذا عاذ بهم من دون الله رهقتهم الجن الأذى عند ذلك . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبى حدثنا الزبير بن الخريت عن عكرمة قال كان الجن يفرقون من الإنس كما يفرق الإنس منهم أو أشد فكان الإنس إذا نزلوا وادياهرب الجن فيقول سيد القوم نعوذبسيد أهل هذاالوادى فقال الجن نراهم يفرقون منا كما نفرق منهم فدنوامن الإنس فأصابوهم بالخبل والجنون فذلك قول الله عز وجل (وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا) أى إثما . وقال أبو العالية والربيع وزيد بن أسلم (رهقا) أى خوفا . وقال العوفى عن ابن عباس (فزادوهم رهقا) أى إثما وكذا قال قتادة . وقال مجاهد زاد الكفار طغيانا

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا فروة بن المغراء الكندى حدثنا القاسم بن مالك ـ يعنى المزنى ـ عن عبد الرحمن ابن إسحق عن أبيه عن كردم بن أبى السائب الأنصارى قال خرجت مع أبى من المدينة فى حاجة وذلك أول ماذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فآوانا المبيت إلى راعى غنم فلما انتصف الليل جاء ذئب فأخذ حملا من الغنم فوثب الراعى فقال : ياعامر الوادى جارك فنادى مناد لا نراه يقول يا سرحان أرسله . فأتى الحمل يشتد حتى دخل فى الغنم لم تصبه كدمة . وأنزل الله تعالى على رسوله بمكة (وانه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) ثم قال وروى عن عبيد بن عمير ومجاهد وأبى العالية والحسن وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى نحوه. وقد يكون هذا الذئب الذى أخذ الحمل وهو ولد الشاة كان جنيا حتى يرهب الإنسى ويخاف منه ثم رده عليه لما استجار به ليضله ويهينه ويخرجه عن دينه والله أعلم ، وقوله تعالى (وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً) أى لن يبعث الله بعد هذه المدة رسولا . قاله الكلبى وابن جرير .

﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾

يخبر تعالى عن الجن حين بعث الله رسوله محمداً ﷺ وأنزل عليه القرآن وكان من حفظه له أن السماء ملئت حرسا شديداً وحفظت من سائر أرجائها وطردت الشياطين عن مقاعدها التى كانت تقعد فيها قبل ذلك لئلا يسترقوا شيئا من القرآن فيلقوه على ألسنة الكهنة فيلتبس الأمر ويختلط ولا يدرى من الصادق ، وهذا من لطف الله تعالى بخلقه ، ورحمته بعباده ، وحفظه لكتابه العزيز ، ولهذا قال الجن (وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهبا * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا) أى من يروم أن يسترق السمع اليوم يجد له شهابا مرصدا له لا يتخطاه ولا يتعداه بل يمحقه ويهلكه (وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) أى ما ندرى هذا الأمر الذى قد حدث فى السماء لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا ، وهذا من أدبهم فى العبارة حيث أسندوا الشر إلى غير فاعل والخير أضافوه إلى الله عز وجل . وقد ورد فى الصحيح « والشر ليس إليك » وقد كانت الكواكب يرمى بها قبل ذلك ولكن ليس بكثير بل فى الأحيان بعد الأحيان كما فى حديث العباس بينا نحن جلوس مع رسول الله ﷺ إذا رمى بنجم فاستنار فقال « ما كنتم تقولون فى هذا ؟ » فقلنا كنا نقول يولد عظيم، يموت عظيم فقال « ليس كذلك ، ولكن الله إذا قضى الأمر فى السماء » وذكر تمام الحديث وقد أوردناه فى سورة سبأ بتمامه وهذا هو السبب الذى حملهم على تطلب السبب فى ذلك فأخذوا يضربون مشارق الأرض ومغاربها فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بأصحابه فى الصلاة فعرفوا أن هذا هو الذى حفظت من أجله السماء فآمن من آمن منهم وتمرد فى طغيانه من بقى كما تقدم حديث ابن عباس فى ذلك عند قوله فى سورة الأحقاف (وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن) الآية ولا شك أنه لما حدث

هذا الأمر وهو كثرة الشهب فى السماء والرمى بها هال ذلك الإنس والجن وانزعجوا له وارتاعوا لذلك وظنوا أن ذلك لخراب العالم كما قال السدى لم تكن السماء تحرس إلا أن يكون فى الأرض نبي أو دين لله ظاهر فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد فى السماء الدنيا يستمعون ما يحدث فى السماء من أمر فلما بعث الله محمداً ﷺ نبيا رسولا رجموا ليلة من الليالى ففزع لذلك أهل الطائف فقالوا هلك أهل السماء لما رأوا من شدة النار فى السماء واختلاف الشهب فجعلوا يعتقون أرقاءهم ويسيبون مواشيهم فقال لهم عبد ياليل بن عمرو بن عمير : ويحكم يامعشر أهل الطائف أمسكوا عن أموالكم وانظروا إلى معالم النجوم فان رأيتموها مستقرة فى أمكنتها فلم يهلك أهل السماء إنما هذا من أجل ابن أبى كبشة يعنى محمدا ﷺ وإن نظرتم فلم تروها فقد هلك أهل السماء فنظروا فرأوها فكفوا عن أموالهم ففزعت الشياطين فى تلك الليلة فأتوا إبليس فحدثوه بالذى كان من أمرهم فقال ائتونى من كل أرض بقبضة من تراب أشمها فأتوه فشم فقال صاحبكم بمكة فبعث سبعة نفر من جن نصيبين فقدموا مكة فوجدوا نبي الله ﷺ قائما يصلى فى المسجد الحرام يقرأ القرآن فدنوا منه حرصا على القرآن حتى كادت كلا كلهم تصيبه ثم أسلموا فأنزل الله تعالى أمرهم على رسوله ﷺ وقد ذكرنا هذا الفصل مستقصى فى أول البعث من ﴿ كتاب السيرة ﴾ المطول والله أعلم ولله الحمد والمنة

﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا * وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا * وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا * وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا * وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا * لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الجن أنهم قالوا مخبرين عن أنفسهم (وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك) أى غير ذلك (كنا طرائق قددا) أى طرائق متعددة مختلفة وآراء متفرقة ، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كنا طرائق قددا) أى منا المؤمن ومنا الكافر وقال أحمد بن سليمان النجاد فى أماليه حدثنا الحسن بن أسلم بن سهل بحشل حدثنا على بن سليمان وهو أبو الشعثاء الحضرمى شيخ مسلم حدثنا أبو معاوية قال سمعت الأعمش يقول تروح إلينا جنى فقلت له ما أحب الطعام إليكم فقال الأرز قال فأتيناهم به فجعلت أرى اللقم ترفع ولا أرى أحدا فقلت فيكم من هذه الأهواء التى فينا؟ قال نعم ، فقلت فما الرافضة فيكم ؟ قال: شرنا. عرضت هذا الإسناد على شيخنا الحافظ أبى الحجاج المزنى فقال هذا إسناد صحيح إلى الأعمش ، وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة العباس بن أحمد الدمشقى قال سمعت بعض الجن وأنا فى منزل لى بالليل ينشد :

قلوب براها الحب حتى تعقلت * مذاهبها فى كل غرب وشارق
تهيم بحب الله والله ربها * معلقة بالله دون الخلائق

وقوله تعالى (وأنا ظننا أن لن نعجز الله فى الأرض ولن نعجزه هربا) أى نعلم أن قدرة الله حاكمة علينا وأنا لا نعجزه فى الأرض ولو أمعنا فى الهرب فانه علينا قادر لا يعجزه أحد منا (وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به) يفتخرون بذلك وهو مفخر لهم وشرف رفيع وصفة حسنة ، وقولهم (فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا) قال ابن عباس وقتادة وغيرهما فلا يخاف أن ينقص من حسناته أو يحمل عليه غير سيئاته كما قال تعالى (فلا يخاف ظلما ولا هضما) (وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون) أى منا المسلم ومنا القاسط وهو الجائر عن الحق الناكب عنه بخلاف المقسط فانه العادل (فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا) أى طلبوا لأنفسهم النجاة (وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا) أى وقودا تسعر بهم وقوله تعالى (وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا * لنفتنهم فيه) اختلف المفسرون فى معنى هذا على

قولين ﴿ أحدهما ﴾ وأن لواستقام القاسطون على طريقة الإسلام وعدلوا إليها واستمروا عليها (لأسقيناهم ماء غدقا) أى كثيرا والمراد بذلك سعة الرزق كقوله تعالى (ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) وكقوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) وعلى هذا يكون معنى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنختبرهم كما قال مالك عن زيد بن أسلم لنفتنهم لنبتليهم من يستمر على الهداية ممن يرتد إلى الغواية ﴿ ذكر من قال بهذا القول ﴾ قال العوفى عن ابن عباس (وأن لو استقاموا على الطريقة) يعنى بالاستقامة الطاعة ، وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) قال الإسلام وكذا قال سعيد ابن جبير وسعيد بن المسيب وعطاء والسدى ومحمد بن كعب القرظى ، وقال قتادة (وأن لو استقاموا على الطريقة) يقول لو آمنوا كلهم لأوسعنا عليهم من الدنيا . وقال مجاهد (وأن لو استقاموا على الطريقة) أى طريقة الحق وكذا قال الضحاك واستشهد على ذلك بالآيتين اللتين ذكرناهما وكل هؤلاء أو أكثرهم قالوا فى قوله (لنفتنهم فيه) أى لنبتليهم به . وقال مقاتل نزلت فى كفار قريش حين منعوا المطر سبع سنين . ﴿ والقول الثانى ﴾ (وأن لواستقاموا على الطريقة) الضلال (لأسقيناهم ماء غدقا) أى لأوسعنا عليهم الرزق استدراجا كما قال تعالى (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شىء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وكقوله (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون ؟) وهذا قول أبى مجلز لاحق بن حميد فانه قال فى قوله تعالى (وأن لواستقاموا على الطريقة) أى طريقة الضلالة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وحكاه البغوى عن الربيع بن أنس وزيد بن أسلم والكلبى وابن كيسان وله اتجاه ويتأيد بقوله لنفتنهم فيه . وقوله (ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا) أى عذابا مشقا شديد موجعا مؤلما قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وابن زيد (عذابا صعدا) أى مشقة لا راحة معها، وعن ابن عباس : جبل فى جهنم وعن سعيد بن جبير : بئر فيها

﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا * قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا * إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا * حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا عباده أن يوحدوه فى محال عبادته ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به كما قال قتادة فى قوله تعالى ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال كانت اليهود والنصارى إذا دخلوا كنائسهم وبيعهم أشركوا بالله فأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يوحدوه وحده . وقال ابن أبى حاتم: ذكر على بن الحسين حدثنا إسماعيل بن بنت السدى أخبرنا رجل سماه عن السدى عن أبى مالك أو أبى صالح عن ابن عباس فى قوله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحد) قال لم يكن يوم نزلت هذه الآية فى الأرض مسجد إلا المسجد الحرام ومسجد إيليا بيت المقدس وقال الأعمش قالت الجن يا رسول الله ائذن لنا فنشهد معك الصلوات فى مسجدك فأنزل الله تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) يقول صلوا لا تخالطوا الناس . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران حدثنا سفيان عن إسماعيل بن أبى خالد عن محمود عن سعيد بن جبير (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) قال : قالت الجن لنبى الله ﷺ كيف لنا أن نأتى المسجد ونحن ناءون ؟ أى بعيدون عنك ،وكيف نشهد الصلاة ونحن ناءون عنك ؟ فنزلت (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا)

وقال سفيان عن خصيف عن عكرمة نزلت فى المساجد كلها ، وقال سعيد بن جبير نزلت فى أعضاء السجود أى هى

لله فلا تسجدوا بها لغيره . وذكروا عند هذا القول الحديث الصحيح من رواية عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « أمرت أن أسجد على سبعة أعظم : على الجبهة — أشار بيده إلى أنفه — واليدين والركبتين وأطراف القدمين » ، وقوله تعالى (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال العوفى عن ابن عباس يقول لما سمعوا النبى صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن كادوا يركبونه من الحرص لما سمعوه يتلو القرآن ودنوا منه فلم يعلم بهم حتى أتاه الرسول فجعل يقرئه (قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن) يستمعون القرآن . هـذا قول وهو مروى عن الزبير بن العوام رضى الله عنه ، وقال ابن جرير حدثنى محمد بن معمر حدثنا أبو مسلم عن أبى عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال الجن لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) قال لما رأوه يصلى وأصحابه يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده قال عجبوا من طواعية أصحابه له قال : فقالوا لقومهم (لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا) وهذا قول ثان وهو مروى عن سعيد بن جبير أيضا ، وقال الحسن لما قام رسول الله ﷺ يقول لا إله إلا الله ويدعو الناس إلى ربهم كادت العرب تلبد عليه جميعا وقال قتادة فى قوله (وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبد) قال تلبدت الانس والجن على هذا الأمر ليطفئوه فأبى الله إلا أن ينصره ويمضيه ويظهره على من ناوأه ، وهذا قول ثالث وهو مروى عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقول ابن زيد وهو اختيار ابن جرير وهو الأظهر لقوله بعده (قل إنما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا) أى قال لهم الرسول لما آذوه وخالفوه وكذبوه وتظاهروا عليه ليبطلوا ما جاء به من الحق واجتمعوا على عداوته (إنما ادعو ربى) أى انما أعبد ربى وحده لا شريك له وأستجير به وأتوكل عليه (ولا أشرك به أحدا) ، وقوله تعالى (قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا راشدا) أى إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى وعبد من عباد الله ليس إلى من الأمر شىء فى هدايتكم ولا غوايتكم بل المرجع فى ذلك كله إلى الله عز وجل ، ثم أخبر عن نفسه أيضا أنه لا يجيره من الله أحد أى لو عصيته فانه لا يقدر أحد على انقاذى من عذابه (ولن أجد من دونه ملتحدا) قال مجاهد وقتادة والسدى لا ملجأ وقال قتادة أيضا (قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا) أى لا نصير ولا ملجأ وفى رواية لاولى ولا موئل

وقوله تعالى (إلا بلاغا من الله ورسالاته) قال بعضهم هو مستثنى من قوله (قل إنى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا إلا بلاغا) ويحتمل أن يكون استثناء من قوله (لن يجيرنى من الله أحد) أى لا يجيرنى منه ويخلصنى إلا إبلاغى الرسالة التى أوجب أداءها على كما قال تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) . وقوله تعالى (ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا) أى أنا أبلغكم رسالة الله فمن يعص بعد ذلك فله جزاء على ذلك نار جهنم خالدين فيها أبداً أى لا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها . وقوله تعالى (حتى إذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا) أى حتى إذا رأى هؤلاء المشركون من الجن والإنس ما يوعدون يوم القيامة فسيعلمون يومئذ من أضعف ناصرا وأقل عددا ، هم أم المؤمنون الموحدون لله تعالى ؟ أى بل المشركين لا ناصر لهم بالكلية وهم أقل عددا من جنود الله عز وجل

﴿ قُلْ إِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا * عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس إنه لا علم له بوقت الساعة ولا يدرى أقريب وقتها أم بعيد (قل إن أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا) أى مدة طويلة وفى هذه الآية الكريمة دليل على أن الحديث الذى

يتداوله كثير من الجهلة من أنه عليه الصلاة والسلام لا يؤلف تحت الأرض كذب لا أصل له ولم نره فى شىء من الكتب وقد كان صلى الله عليه وسلم يسئل عن وقت الساعة فلا يجيب عنها ولما تبدى له جبريل فى صورة أعرابى كان فيما سأله أن قال يا محمد فأخبرنى عن الساعة ؟ قال «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» ولما ناداه ذلك الأعرابى بصوت جهورى فقال يا محمد متى الساعة قال « ويحك إنها كائنة فما أعددت لها ؟ » قال أما إنى لم أعدلها كثير صلاة ولا صيام ولكنى أحب الله ورسوله قال « فأنت مع من أحببت » قال أنس فما فرح المسلمون بشىء فرحهم بهذا الحديث . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن مضاء حدثنا محمد بن جبير حدثنى أبو بكر بن أبى مريم عن عطاء بن أبى رباح عن أبى سعيد الخدرى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « يابنى آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى ، والذى نفسى بيده إنما توعدون لآت » وقد قال أبو داود فى آخر كتاب الملاحم حدثنا موسى بن سهل حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثنى معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبى ثعلبة الخشنى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لن تعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » انفرد به أبو داود ثم قال أبو داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثنى صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد بن أبى وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إنى لأرجو أن لا تعجز أمتى عند ربها أن يؤخرهم نصف يوم » قيل لسعد وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة عام . انفرد به أبو داود

وقوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول) هذه كقوله تعالى (ولا يحيطون بشىء من علمه إلا بما شاء) وهكذا قال ههنا إنه يعلم الغيب والشهادة وانه لا يطلع أحد من خلقه على شىء من علمه إلا مما أطلعه تعالى عليه ولهذا قال (عالم الغيب فلا يظهر على غيبة أحدا * إلا من ارتضى من رسول) وهذا يعم الرسول الملكى والبشرى . ثم قال تعالى (فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) أى يحصه بمزيد معقبات من الملائكة يحفظونه من أمر الله ويساوقونه على مامعه من وحى الله ولهذا قال (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا) وقد اختلف المفسرون فى الضمير الذى فى قوله (ليعلم) إلى من يعود ؟ فقيل إنه عائد إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد بن جبير فى قوله (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال أربعة حفظة من الملائكة مع جبريل (ليعلم) محمد صلى الله عليه وسلم (أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عداد) وراوه ابن أبى حاتم من حديث يعقوب القمى به . وهكذا رواه الضحاك والسدى ويزيد بن أبى حبيب . وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم نبى الله أن الرسل قد بلغت عن الله وأن الملائكة حفظتها ودفعت عنها ، وكذا رواه سعيد بن أبى عروبة عن قتادة واختاره ابن جرير ، وقيل غير ذلك كما رواه العوفى عن ابن عباس فى قوله (إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا) قال هى معقبات من الملائكة يحفظون النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان حتى يتبين الذين أرسل إليهم وذلك حين يقول ليعلم أهل الشرك أن قد أبلغوا رسالات ربهم . وكذا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد (ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم) قال ليعلم من كذب الرسل ان قد أبلغوا رسالات ربهم وفى هذا نظر . وقال البغوى قرأ يعقوب (ليعلم) بالضم أى ليعلم الناس أن الرسل قد بلغوا . ويحتمل ان يكون الضمير عائدا إلى الله عز وجل وهو قول حكاه ابن الجوزى فى زاد المسير ، ويكون المعنى فى ذلك أنه يحفظ رسله بملائكته ليتمكنوا من أداء رسالاته ويحفظ ماينزله اليهم من الوحى ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ويكون ذلك كقوله تعالى (وما جعلنا القبلة التى كنت عليها إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه) وكقوله تعالى (وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين) إلى أمثال ذلك من العلم بأنه تعالى يعلم الأشياء قبل كونها قطعا لاعحالة ، ولهذا قال بعد هذا (وأحاط بما لديهم وأحصى كل شىء عددا) . آخر تفسير سورة الجن ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المزمل عليه السلام وهى مكية ﴾

قال الحافظ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار حدثنا محمد بن موسى القطان الواسطى حدثنا معلى بن عبدالرحمن حدثنا شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال اجتمعت قريش فى دار الندوة فقالوا سموا هذا الرجل اسما يصد الناس عنه فقالوا كاهن قالوا ليس بكاهن قالوا مجنون قالوا ليس بمجنون ، قالوا ساحر قالوا ليس بساحر ، فتفرق المشركون على ذلك فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فتزمل فى ثيابه وتدثر فيها . فأتاه جبريل عليه السلام فقال (يأيها المزمل) (يأيها المدثر) ثم قال البزار : معلى بن عبد الرحمن قد حدث عنه جماعة من أهل العلم واحتملوا حديثه لكنه تفرد بأحاديث لا يتابع عليها .

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ * قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا * رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴾

يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل وهو التغطى فى الليل وينهض إلى القيام لربه عز وجل كما قال تعالى (تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون) وكذلك كان صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل وقد كان واجبا عليه وحده كما قال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وههنا بين له مقدار ما يقوم فقال تعالى (يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا) قال ابن عباس والضحاك والسدى (يأيها المزمل) يعنى يأيها النائم . وقال قتادة : المزمل فى ثيابه . وقال إبراهيم النخعى : نزلت وهو متزمل بقطيفة ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يأيها المزمل) قال يا محمد زملت القرآن . وقوله تعالى (نصفه) بدل من الليل (أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) أى أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل لا حرج عليك فى ذلك . وقوله تعالى (ورتل القرآن ترتيلا) أى اقرأه على تمهل فانه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره . وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة رضى الله عنها كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وفى صحيح البخارى عن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت مدا ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله ويمد الرحمن ويمد الرحيم وقال ابن جريج عن ابن أبى مليكة عن أم سلمة رضى الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت كان يقطع قراءته آية آية (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) رواه أحمد وأبو داود والترمذى . وقال الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن عن سفيان عن عاصم عن ذر عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال « يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فان منزلتك عند آخر آية تقرؤها » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث سفيان الثورى به وقال الترمذى : حسن صحيح وقد قدمنا فى أول التفسير الأحاديث الدالة على استحباب الترتيل وتحسين الصوت بالقراءة كما جاء فى الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » و « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » و « لقد أوتى هذا مزمارا من مزامير آل داود » يعنى أبا موسى فقال أبو موسى : لو كنت أعلم أنك كنت تسمع قراءتى لحبرته لك تحبيرا ، وعن ابن مسعود أنه قال لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذوه هذ الشعر قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ولا يكن هم أحدكم آخر السورة . رواه البغوى وقال البخارى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا عمرو بن مرة سمعت أبا وائل قال : جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة فى ركعة . فقال هذا كهذ الشعر لقد عرفت النظائر التى كان رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقرن بينهن فذكر عشرين سورة من المفصل سورتين فى ركعة وقوله تعالى (إنا سنلقى عليك قولا ثقيلا) قال الحسن وقتادة أى العمل به وقيل ثقيل وقت نزوله من عظمته كما قال زيد بن ثابت رضى الله عنه أنزل على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذى فكادت ترض فخذى

وقال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن عمرو بن الوليد عن عبد الله بن عمرو قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله هل تحس بالوحى ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أسمع صلاصل ثم أسكت عند ذلك فما من مرة يوحى إلى إلا ظننت أن نفسى تقبض» تفرد به أحمد . وفى أول صحيح البخارى عن عبد الله بن يوسف عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحى ؟ فقال « أحيانا يأتى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال ، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول » قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحى صلى الله عليه وسلم فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه . وقال الامام أحمد حدثنا سليمان بن داود أخبرنا عبد الرحمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : إن كان ليوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على راحلته فتضرب بجرانها وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن هشام ابن عروة عن أبيه أن النبى ﷺ كان إذا أوحى اليه وهو على ناقته وضعت جرانها فما تستطيع أن تحرك حتى يسرى عنه وهذا مرسل ، الجران هو باطن العنق ، واختار ابن جرير أنه ثقيل من الوجهين معا كما قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كما ثقل فى الدنيا ثقل يوم القيامة فى الموازين

وقوله تعالى (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا) قال أبو إسحاق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: نشأ، قام بالحبشية ، وقال عمر وابن عباس وابن الزبير الليل كله ناشئة ، وكذا قال مجاهد وغير واحد ، يقال نشأ إذا قام من الليل وفى رواية عن مجاهد بعد العشاء ، وكذا قال أبو مجاز وقتادة وسالم وأبو حازم ومحمد بن المنكدر والغرض أن ناشئة الليل هى ساعاته وأوقاته وكل ساعة منه تسمى ناشئة وهى الآنات ، والمقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان وأجمع على التلاوة ولهذا قال تعالى (هى أشد وطأ وأقوم قيلا) أى أجمع للخاطر فى أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار لأنه وقت انتشار الناس ولغط الأصوات وأوقات المعاش . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا إبراهيم ابن سعيد الجوهرى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش أن أنس بن مالك قرأ هذه الآية (إن ناشئة الليل هى أشد وطأ وأصوب قيلا) فقال له رجل إنما نقرؤها وأقوم قيلا ، فقال له إن أصوب وأقوم وأهيأ واشباه هذا واحد . ولهذا قال تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال ابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبى مسلم: الفراغ والنوم ، وقال أبو العالية ومجاهد وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وسفيان الثورى : فراغا طويلا . وقال قتادة فراغا وبغية ومتقلبا . وقال السدى (سبحا طويلا) تطوعا كثيرا وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم فى قوله تعالى (إن لك فى النهار سبحا طويلا) قال لحوائجك فأفرغ لدينك الليل قال وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة ثم إن الله تبارك وتعالى من على عباده فخففها ووضعها وقرأ (قم الليل إلا قليلا) إلى آخر الآية ثم قرأ (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه — حتى بلغ — فاقرءوا ماتيسر منه) وقال تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وهذا الذى قاله كما قاله .

والدليل عليه مارواه الامام أحمد فى مسنده حيث قال حدثنا يحيى حدثنا سعيد هو ابن أبى عروبة عن قتادة عن زرارة ابن أوفى عن سعيد بن هشام أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارا له بها ويجعله فى الكراع والسلاح ثم يجاهد الروم حتى يموت ، فلقى رهطا من قومه فحدثوه أن رهطا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فقال « أليس لكم فى أسوة حسنة ؟ » فنهاهم عن ذلك فأشهدهم على رجعتها ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، قال ائت عائشة

فسلها ثم ارجع إلى فأخبرنى بردها عليك قال فأتيت على حكيم بن أفلح فاستلحقته اليها فقال ما أنا بقاربها إنى نهيتها أن تقول فى هاتين الشيعتين شيئا فأبت فيهما إلا مضياً ، فأقسمت عليه فجاء معى فدخلنا عليها فقالت: حكيم وعرفته قال نعم قالت من هذا الذى معك ؟ قال سعيد بن هشام قالت من هشام ؟ قال ابن عامر قال فترحمت عليه وقالت نعم المرء كان عامرا قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت ألست تقرأ القرآن قلت بلى قالت فان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن فهممت أن أقوم ثم بدالى قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ هذه السورة (يا أيها المزمل ؟) قلت بلى قالت فان الله افترض قيام الليل فى أول هذه السورة فقام رسول الله صلى عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم وأمسك الله خاتمتها فى السماء اثنى عشر شهرا ثم أنزل الله التخفيف فى آخر هذه السورة فصار قيام الليل تطوعا من بعد فريضة . فهممت أن أقوم ثم بدالى وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا أم المؤمنين أنبئينى عن وتر رسول الله ﷺ قالت كنا نعد له سواكه وطهوره فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلى ثمان ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة ، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو ثم ينهض وما يسلم ، ثم يقوم ليصلى التاسعة ثم يقعد فيذكر الله وحده ثم يدعوه ثم يسلم تسليما يسمعنا ، ثم يصلى ركعتين وهو جالس بعد مايسلم فتلك احدى عشرة ركعة يابنى ، فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم أوتر بسبع ثم صلى ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم فتلك تسع يابنى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها وكان إذا شغله عن قيام الليل نوم أو وجع أو مرض صلى من النهار ثنتى عشرة ركعة ولا أعلم نبى الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله فى ليلة حتى أصبح ولا صام شهرا كاملا غير رمضان . فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها فقال صدقت أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهنى مشافهة هكذا رواه الامام أحمد بتمامه وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث قتادة بنحوه

﴿ طريق أخرى عن عائشة رضى الله عنها فى هذا المعنى ﴾ قال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا زيد بن الحباب وحدثنا ابن حميد حدثنا مهران قالا جميعا واللفظ لابن وكيع عن موسى بن عبيدة حدثنى محمد بن طحلاء عن أبى سلمة عن عائشة رضى الله عنها قالت : كنت أجعل لرسول الله ﷺ حصيرا يصلى عليه من الليل فتسامع الناس به فاجتمعوا فخرج كالمغضب وكان بهم رحيما فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل فقال « أيها الناس اكلفوا من الأعمال ماتطيقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الأعمال ماديم عليه » ونزل القرآن (يأيها المزمل قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه) حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر فرأى الله مايبتغون من رضوانه فرحمهم فردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل . ورواه ابن أبى حاتم من طريق موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف والحديث فى الصحيح بدون زيادة نزول هذه السورة وهذا السياق قديوهم أن نزول هذه السورة بالمدينة وليس كذلك وإنما هى مكية وقوله فى هذا السياق إن بين نزول أولها وآخرها ثمانية أشهر غريب فقد تقدم فى رواية أحمد أنه كان بينهما سنة

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر عن سماك الحنفى سمعت ابن عباس يقول : أول مانزل أول المزمل كانوا يقومون نحوا من قيامهم فى شهر رمضان وكان بين أولها وآخرها قريب من سنة ، وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن أبى أسامة به وقال الثورى ومحمد بن بشر العبدى كلاهما عن مسعر عن سماك عن ابن عباس كان بينهما سنة ، وروى ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثله .

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن قيس بن وهب عن أبى عبد الرحمن قال لما نزلت (يا أيها المزمل) قاموا حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت (فاقرءوا ماتيسر منه) قال فاستراح الناس وكذا قال الحسن البصرى والسدى . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا معاذ بن هشام

حدثنا أبي عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعيد بن هشام قال : فقلت يعنى لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ألست تقرأ (يا أيها المزمل) ؟ قلت بلى قالت فإنها كانت قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها فى السماء ستة عشر شهرا ثم نزل ، وقال معمر عن قتادة (قم الليل إلا قليل) قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم فأنزل الله تخفيفها بعد فى آخر السورة وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن جعفر عن سعيد هو ابن جبير قال لما أنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم (يا أيها المزمل) قال مكث النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه فأنزل الله تعالى عليه بعد عشر سنين (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك - إلى قوله تعالى - وأقيموا الصلاة) فخفف الله تعالى عنهم بعد عشر سنين ، ورواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن عمرو بن رافع عن يعقوب القمى به ، وقال على بن أبي طلحة عن ابن عباس فى قوله تعالى (قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا) فشق ذلك على المؤمنين ثم خفف الله تعالى عنهم ورحمهم فأنزل بعد هذا (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله - إلى قوله تعالى - فاقرءوا ما تيسر منه) فوسع الله تعالى وله الحمد ولم يضيق ، وقوله تعالى (واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا) أى أكثر من ذكره وانقطع إليه وتفرغ لعبادته إذا فرغت من أشغالك وما تحتاج إليه من أمور دنياك كما قال تعالى (فإذا فرغت فانصب) أى إذا فرغت من أشغالك فانصب فى طاعته وعبادته لتكون فارغ البال قاله ابن زيد بمعناه أو قريب منه ، قال ابن عباس ومجاهد وأبو صالح وعطية والضحاك والسدى (وتبتل إليه تبتيلا) أى أخلص له العبادة ، وقال الحسن : اجتهد وأبتل إليه نفسك وقال ابن جرير يقال للعابد متبتل ومنه الحديث المروى نهى عن التبتل يعنى الانقطاع إلى العبادة وترك التزوج . وقوله تعالى (رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا) أى هو المالك المتصرف فى المشارق والمغارب الذى لا إله إلا هو ، وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل فاتخذه وكيلا كما قال تعالى فى الآية الأخرى (فاعبده وتوكل عليه) وكقوله (إياك نعبد وإياك نستعين) وآيات كثيرة فى هذا المعنى فيها الأمر بافراد العبادة والطاعة لله وتخصيصه بالتوكل عليه

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا * وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا * إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا * وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا * يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا * إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا * فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا * السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾

يقول تعالى آمرا رسوله ﷺ بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه وأن يهجرهم هجرا جميلا وهو الذى لا عتاب معه ثم قال له متهددا لكفار قومه ومتوعدا وهو العظيم الذى لا يقوم لغضبه شىء (وذرنى والمكذبين أولى النعمة) أى دعنى والمكذبين المترفين أصحاب الأموال فانهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم (ومهلهم قليلا) أى رويدا كما قال تعالى (فتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) ولهذا قال ههنا (إن لدينا أنكالا) وهى القيود قاله ابن عباس وعكرمة وطاوس ومحمد بن كعب وعبد الله بن بريدة وأبو عمران الجونى وأبو عجلز والضحاك وحماد بن أبي سليمان وقتادة والسدى وابن المبارك والثورى وغير واحد (وجحيما) وهى السعير المضطرمة (وطعاما ذا غصة) قال ابن عباس ينشب فى الحلق فلا يدخل ولا يخرج (وعذابا أليما * يوم ترجف الأرض والجبال) أى تزلزل (وكانت الجبال كثيبا مهيلا) أى تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شىء

إلا ذهب حتى تصير الأرض قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا أى واديا ولا أمتا أى رابية ومعناه لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع ثم قال تعالى مخاطبا لكفار قريش والمرادسائر الناس (إناأرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم)أى بأعمالكم (كماأرسلنا إلى فرعون رسولا * فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى والثورى (أخذا وبيلا) أى شديدا أىفاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول فيصيبكم ما أصاب فرعون حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر كما قال تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم رسولكم لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران ويروى عن ابن عباس ومجاهد ، وقوله تعالى (فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا) يحتمل أن يكون يوما معمولا لتتقون كما حكاه ابن جرير عن قراءة ابن مسعود فكيف تخافون أيها الناس يوما يجعل الولدان شيبا إن كفرتم بالله ولم تصدقوا به ؟ ويحتمل أن يكون معمولا لكفرتم فعلى الأول كيف يحصل لكم أمان من يوم هذا الفزع العظيم إن كفرتم ، وعلى الثانى كيف يحصل لكم تقوى إن كفرتم يوم القيامة وجحدتموه ، وكلاهما معنى حسن ولكن الأول أولى والله أعلم ، ومعنى قوله (يوما يجعل الولدان شيبا) أى من شدة أهواله وزلازله وبلابله وذلك حين يقول الله تعالى لآدم ابعث بعث النار فيقول من كم ؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة . قال الطبرانى حدثنا يحيى بن أيوب العلاف حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا نافع بن يزيد حدثنا عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قرأ (يوما يجعل الولدان شيبا) قال « ذلك يوم القيامة وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار ، قال من كم يا رب ؟ قال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وينجو واحد » فاشتد ذلك على المسلمين وعرف ذلك رسول الله ﷺ ثم قال حين أبصر ذلك فى وجوههم « إن بنى آدم كثير ، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم وإنه لا يموت منهم رجل حتى ينتشر لصلبه ألف رجل ففيهم وفى أشباههم جنة لكم » هذا حديث غريب وقد تقدم فى أول سورة الحج ذكر هذه الأحاديث . وقوله تعالى (السماء منفطر به) قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله ، ومنهم من يعيد الضمير على الله تعالى ، وروى عن ابن عباس ومجاهد وليس بقوى لأنه لم يجر له ذكر ههنا ، وقوله تعالى (كان وعده مفعولا) أى كان وعد هذا اليوم مفعولا أى واقعا لا محالة وكائنا لا محيد عنه

﴿ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا * إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَٱسْتَغْفِرُوا ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

يقول تعالى (إن هذه) أى السورة (تذكرة) أى يتذكر بها أولو الألباب ولهذا قال تعالى (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى ممن شاء الله تعالى هدايته كما قيده فى السورة الأخرى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) ثم قال تعالى (إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك) أى تارة هكذا وتارة هكذا وذلك كله من غير قصد منكم ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل لأنه يشق عليكم ولهذا قال (والله يقدر الليل والنهار) أى تارة يعتدلان وتارة يأخذ هذا من هذا وهذا من هذا (علم أن لن تحصوه) أى الفرض الذى أوجبه عليكم (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) أى من غير تحديد بوقت أى ولكن قوموا من الليل ما تيسر ، وعبر عن الصلاة بالقراءة كما

قال فى سورة سبحان (ولا تجهر بصلاتك) أى بقراءتك (ولا تخافت بها) وقد استدل أصحاب الإمام أبى حنيفة رحمه الله بهذه الآية وهى قوله (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) على أنه لا يجب تعين قراءة الفاتحة فى الصلاة بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن ولو بآية أجزأه واعتضدوا بحديث المسىء صلاته الذى فى الصحيحين « ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن » وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت وهو فى الصحيحين أيضا أن رسول الله ﷺ قال « لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب » ، وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل صلاة لا يقرأ فيها بأم القرآن فهى خداج فهى خداج غير تمام » وفى صحيح ابن خزيمة عن أبى هريرة مرفوعا « لا تجزىء صلاة من لم يقرأ بأم القرآن » . وقوله تعالى (علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله) أى علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغزو فى سبيل الله ، وهذه الآية بل السورة كلها مكية ولم يكن القتال شرع بعد فهى من أكبر دلائل النبوة لأنه من باب الاخبار بالمغيبات المستقبلة ولهذا قال تعالى (فاقرءوا ما تيسر منه) أى قوموا بما تيسر عليكم منه. قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء محمد قال قلت للحسن يا أبا سعيد ما تقول فى رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه ولا يقوم به إنما يصلى المكتوبة قال يتوسد القرآن لعن الله ذاك ، قال الله تعالى للعبد الصالح (وإنه لذو علم لما علمناه) (وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم) قلت يا أبا سعيد قال الله تعالى (فاقرءوا ما تيسر من القرآن) قال نعم ولو خمس آيات وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصرى أنه كان يرى حقا واجبا على حملة القرآن أن يقوموا ولو بشىء منه فى الليل ولهذا جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح فقال « ذاك رجل بال الشيطان فى أذنه » فقيل معناه نام عن المكتوبة ، وقيل عن قيام الليل : وفى السنن « أوتروا يا أهل القرآن » وفى الحديث الآخر « من لم يوتر فليس منا » وأغرب من هذا ما حكى عن أبى بكر بن عبد العزيز من الحنابلة من إيجابه قيام شهر رمضان فالله أعلم . وقال الطبرانى حدثنا أحمد بن سعيد فرقد الحدرد حدثنا أبو أحمد محمد بن يوسف الزبيدى حدثنا عبد الرحمن عن محمد بن عبد الله بن طاوس من ولد طاوس عن أبيه عن طاوس عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم (فاقرءوا ما تيسر منه) قال « مائة آية » وهذا حديث غريب جدا لم أره إلا فى معجم الطبرانى رحمه الله تعالى : وقوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم وآتوا الزكاة المفروضة ، وهذا يدل لمن قال أن فرض الزكاة نزل بمكة لكن مقادير النصب والمخرج لم تبين إلا بالمدينة والله أعلم ، وقد قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن وقتاده وغير واحد من السلف إن هذه الآية نسخت الذى كان الله قد أوجبه على المسلمين أولا من قيام الليل ، واختلفوا فى المدة التى بينهما على أقوال كما تقدم ، وقد ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لذلك الرجل « خمس صلوات فى اليوم والليلة » قال هل على غيرها ؟ قال « لا إلا أن تطوع » وقوله تعالى (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يعنى من الصدقات فان الله يجازى على ذلك أحسن الجزاء وأوفره كما قال تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة) وقوله تعالى (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا) أى جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو لكم حاصل وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا أبو خيثمة حدثنا جرير عن الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد قال : قال عبد الله : قال رسول الله ﷺ « أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟ » قالوا يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه قال « اعلموا ما تقولون » قالوا ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال « إنما مال أحدكم ما قدم ومال وارثه ما أخر » ورواه البخارى من حديث حفص بن غياث والنسائى من طريق أبى معاوية كلاهما عن الأعمش به ، ثم قال تعالى (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) أى أكثروا من ذكره واستغفاره فى أموركم كلها فانه غفور رحيم لمن استغفره. آخر تفسير سورة المزمل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة المدثر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ * وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ * فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ * فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ * عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴾

ثبت فى صحيح البخارى من حديث يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن جابر أنه كان يقول أول شىء نزل من القرآن (يا أيها المدثر) وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى (اقرأ باسم ربك الذى خلق) كما سيأتى ذلك هنالك إن شاء الله تعالى . قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير قال : سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول مانزل من القرآن فقال (يا أيها المدثر) قلت يقولون (اقرأ باسم ربك الذى خلق) فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت لى فقال جابر لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ قال « جاورت بحراء فلما قضيت جوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يمينى فلم أر شيئا ونظرت عن شمالى فلم أر شيئا ونظرت أمامى فلم أر شيئا ونظرت خلفى فلم أر شيئا فرفعت رأسى فرأيت شيئا فأتيت خديجة فقلت دثرونى وصبوا على ماء باردا ـ قال ـ فدثرونى وصبوا على ماء باردا ـ قال ـ فنزلت (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر) » هكذا ساقه من هذا الوجه . وقد رواه مسلم من طريق عقيل عن ابن شهاب عن أبى سلمة قال أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحى فقال فى حديثه « فبينا أنا أمشى إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى بحراء قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض فجئت إلى أهلى فقلت زملونى زملونى فزملونى فأنزل (يا أيها المدثر . قم فأنذر ـ إلى ـ فاهجر) ـ قال أبو سلمة والرجز الأوثان ـ ثم حمى الوحى وتتابع » هذا لفظ البخارى ، وهذا السياق هو المحفوظ وهو يقتضى أنه قد نزل الوحى قبل هذا لقوله « فإذا الملك الذى كان بحراء » وهو جبريل حين أتاه بقوله (اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم . علم الإنسان مالم يعلم) ثم إنه حصل بعد هذا فترة ثم نزل الملك بعد هذا . ووجه الجمع أن أول شىء نزل بعد فترة الوحى هذه السورة كما قال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا ليث حدثنا عقيل عن ابن شهاب قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن يقول أخبرنى جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « ثم فتر الوحى عنى فترة فبينا أنا أمشى سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى قبل السماء فإذا الملك الذى جاءنى قاعد على كرسى بين السماء والأرض فجئثت منه فرقا حتى هويت إلى الأرض فجئت أهلى فقلت لهم زملونى زملونى فزملونى فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر ، وربك فكبر ، وثيابك فطهر ، والرجز فاهجر) ثم حمى الوحى وتتابع » خرجاه من حديث الزهرى به . وقال الطبرانى حدثنا محمد بن على بن شعيب السمسار حدثنا الحسن بن بشر البجلى حدثنا المعافى بن عمران عن إبراهيم بن يزيد سمعت ابن أبى مليكة يقول سمعت ابن عباس يقول إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا منه قال ما تقولون فى هذا الرجل ؟ فقال بعضهم ساحر ، وقال بعضهم ليس بساحر ، وقال بعضهم كاهن ، وقال بعضهم ليس بكاهن ، وقال بعضهم شاعر ، وقال بعضهم ليس بشاعر ، وقال بعضهم بل سحر يؤثر فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبى ﷺ فحزن وقنع رأسه وتدثر فأنزل الله تعالى (يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر . ولا تمنن تستكثر . ولربك فاصبر) وقوله تعالى (قم فأنذر) أى شمر عن ساق العزم وأنذر الناس وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة (وربك فكبر) أى عظم وقوله تعالى (وثيابك فطهر) قال الأحلح الكندى عن عكرمة عن ابن عباس أنه أتاه رجل فسأله عن هذه

الآية (وثيابك فطهر) قال لاتلبسها على معصية ولا على غدرة ثم قال أما سمعت قول غيلان بن سلمة الثقفي :

فانى بحمد الله لا ثوب فاجر لبست ولا من غدرة أتقنع

وقال ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية (وثيابك فطهر) قال فى كلام العرب نقى الثياب وفى رواية بهذا الإسناد فطهر من الذنوب ، وكذا قال إبراهيم والشعبي وعطاء ، وقال الثورى عن رجل عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية (وثيابك فطهر) قال من الاثم ، وكذا قال إبراهيم النخعى وقال مجاهد (وثيابك فطهر) قال نفسك ليس ثيابه ، وفى رواية عنه (وثيابك فطهر) أى عملك فأصلح ، وكذا قال أبو رزين وقال فى رواية أخرى (وثيابك فطهر) أى لست بكاهن ولا ساحر فأعرض عما قالوا ، وقال قتادة (وثيابك فطهر) أى طهرها من المعاصى وكانت العرب تسمى الرجل إذا نكث ولم يف بعهد الله إنه لدنس الثياب وإذا وفى وأصلح إنه لطهر الثياب ، وقال عكرمة والضحاك لاتلبسها على معصية . وقال الشاعر :

إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل

وقال العوفى عن ابن عباس (وثيابك فطهر) يعنى لاتكن ثيابك التى تلبس من مكسب غير طائب ويقال لاتلبس ثيابك على معصية ، وقال محمد بن سيرين (وثيابك فطهر) أى اغسلها بالماء ، وقال ابن زيد كان المشركون لايتطهرون فأمره الله أن يتطهر وأن يطهر ثيابه وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب فان العرب تطلق الثياب عليه كما قال امرؤ القيس :

أفاطم مهلا بعض هذا التدلل وإن كنت قد أزمعت هجرى فأجملى

وإن تك قد ساءتك منى خليقة فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقال سعيد بن جبير (وثيابك فطهر) وقلبك ونيتك فطهر ، وقال محمد بن كعب القرظى والحسن البصرى : وخلقك فحسن ، وقوله تعالى (والرجز فاهجر) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس والرجز وهو الأصنام فاهجر وكذا قال مجاهد وعكرمة وقتادة والزهرى وابن زيد : إنها الأوثان ، وقال إبراهيم والضحاك (والرجز فاهجر) أى اترك المعصية ، وعلى كل تقدير فلا يلزم تلبسه بشىء من ذلك كقوله تعالى (ياأيها النبى اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين) (وقال موسى لأخيه هارون اخلفنى فى قومى وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين) . وقوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال ابن عباس لاتعط العطية تلتمس أكثر منها وكذا قال عكرمة ومجاهد وعطاء وطاوس وأبو الأحوص وإبراهيم النخعى والضحاك وقتادة والسدى وغيرهم وروى عن ابن مسعود أنه قرأ (ولاتمنن أن تستكثر) وقال الحسن البصرى : لاتمنن بعملك على ربك تستكثره وكذا قال الربيع بن أنس واختاره ابن جرير ، وقال خصيف عن مجاهد فى قوله تعالى (ولا تمنن تستكثر) قال لا تضعف أن تستكثر من الخير قال تمنن فى كلام العرب تضعف ، وقال ابن زيد : لا تمنن بالنبوة على الناس تستكثرهم بها تأخذ عليه عوضا من الدنيا . فهذه أربعة أقوال والأظهر القول الأول والله أعلم وقوله تعالى (ولربك فاصبر) أى اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل قاله مجاهد . وقال إبراهيم النخعى اصبر عطيتك لله عز وجل . وقوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) قال ابن عباس ومجاهد والشعبي وزيد بن أسلم والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس والسدى وابن زيد (الناقور) الصور قال مجاهد وهو كهيئة القرن . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أسباط بن محمد عن مطرف عن عطية العوفى عن ابن عباس (فاذا نقر فى الناقور) فقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ ؟ » فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فما تأمرنا يارسول الله ؟ قال « قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا » وهكذا رواه الإمام أحمد عن أسباط به ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن ابن فضيل وأسباط كلاهما عن مطرف به ، ورواه من طريق أخرى عن العوفى عن ابن عباس به .

وقوله تعالى (فذلك يومئذ يوم عسير) أى شديد (على الكافرين غير يسير) أى غير سهل عليهم كما قال تعالى (يقول

الكافرون هذا يوم عسر) ، وقدروينا عن زرارة بن أوفى قاضى البصرة أنه صلى بهم الصبح فقرأ هذه السورة فلما وصل إلى قوله تعالى (فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير) شهق شهقة ثم خر ميتا رحمه الله تعالى

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا * وَبَنِينَ شُهُودًا * وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا * ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ * كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ * فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ * ثُمَّ نَظَرَ * ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ * ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ * فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ * إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ * سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾

يقول تعالى متوعدا لهذا الخبيث الذى أنعم الله عليه بنعم الدنيا فكفر بأنعم الله وبدلها كفرا وقابلها بالجحود بآيات الله والافتراء عليها وجعلها من قول البشر وقد عدد الله عليه نعمه حيث قال تعالى (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أى خرج من بطن أمه وحده لامال له ولا ولد ثم رزقه الله تعالى (مالا ممدودا) أى واسعا كثيراً قيل ألف دينار وقيل مائة ألف دينار وقيل أرضا يستغلها وقيل غير ذلك وجعل له (بنين شهودا) قال مجاهد لايغيبون أى حضورا عنده لايسافرون بالتجارات بل مواليهم وأجراؤهم يتولون ذلك عنهم وهم قعود عند أبيهم يتمتع بهم ويتملى بهم ، وكانوا فيما ذكره السدى وأبو مالك وعاصم بن عمر بن قتادة ثلاثة عشر وقال ابن عباس ومجاهد كانوا عشرة وهذا أبلغ فى النعمة وهو إقامتهم عنده (ومهدت له تمهيداً) أى مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك (ثم يطمع أن أزيد * كلا إنه كان لآياتنا عنيداً) أى معاندا وهو الكفر على نعمه بعد العلم ، قال الله تعالى (سأرهقه صعودا) قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ويل واد فى جهنم يهوى فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره والصعود جبل من نار يتصعد فيه الكافر سبعين خريفا ثم يهوى به كذلك فيه أبدا » وقد رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن الحسن بن موسى الأشيب به ثم قال غريب لانعرفه إلا من حديث ابن لهيعة عن دراج كذا قال وقد رواه ابن جرير عن يونس عن عبد الله ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن دراج وفيه غرابة ونكارة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن المعروف بعلان المقرى قال حدثنا منجاب أخبرنا شريك عن عمار الدهنى عن عطية العوفى عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم (سأرهقه صعوداً) قال « هو جبل فى النار من نار يكلف أن يصعده فاذا وضع يده ذابت وإذا رفعها عادت فاذا وضع رجله ذابت وإذا رفعها عادت » ورواه البزار وابن جرير من حديث شريك به وقال قتادة عن ابن عباس صعودا صخرة فى جهنم يسحب عليها الكافر على وجهه وقال السدى صعودا صخرة ملساء فى جهنم يكلف أن يصعدها وقال مجاهد (سأرهقه صعوداً) أى مشقة من العذاب وقال قتادة عذابا لاراحة فيه واختاره ابن جرير . وقوله تعالى (إنه فكر وقدر) أى إنما أرهقناه صعودا أى قرناه من العذاب الشاق لبعده عن الإيمان لأنه فكر وقدر أى تروى ماذا يقول فى القرآن حين سئل عن القرآن ففكر ماذا يختلق من المقال (وقدر) أى تروى (فقتل كيف قدر * ثم قتل كيف قدر) دعاء عليه (ثم نظر) أى أعاد النظرة والتروى (ثم عبس) أى قبض بين عينيه وقطب (وبسر) أى كلح وكره ومنه قول توبة بن حمير :

وقد رابنى منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتى وبسورها

وقوله (ثم أدبر واستكبر) أى صرف عن الحق ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم ولهذا قال (إن هذا إلا قول البشر) أى ليس بكلام الله وهذا المذكور فى هذا السياق هو الوليد بن المغيرة المخزومى أحد رؤساء قريش لعنه الله وكان من خبره فى هذا ما رواه

العوفى عن ابن عباس قال دخل الوليد بن المغيرة على أبى بكر بن أبى قحافة فسأله عن القرآن فلما أخبره خرج على قريش فقال يا عجباً لما يقول ابن أبى كبشة فوالله ماهو بشعر ولا بسحر ولا بهذى من الجنون وإن قوله لمن كلام الله فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا والله لئن صبا الوليد لتصبوا قريش فلما سمع بذلك أبوجهل بن هشام قال أنا والله أكفيكم شأنه فانطلق حتى دخل عليه بيته فقال للوليد ألم تر إلى قومك قد جمعوا لك الصدقة ؟ فقال ألست أكثرهم مالا وولدا فقال له أبوجهل يتحدثون أنك إنما تدخل على ابن أبى قحافة لتصيب من طعامه فقال الوليد أقد تحدث به عشيرتى ! فلا والله لا أقرب ابن أبى قحافة ولا عمر ولا ابن أبى كبشة وما قوله إلا سحر يؤثر فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (ذرنى ومن خلقت وحيدا - إلى قوله - لاتبقى ولاتذر) وقال قتادة : زعموا أنه قال والله لقد نظرت فيما قال الرجل فاذا هو ليس بشعر وإن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه ليعلو وما يعلى عليه وما أشك أنه سحر فأنزل الله (فقتل كيف قدر) الآية (ثم عبس وبسر) قبض مابين عينيه وكلح ، وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن عباد بن منصور عن عكرمة أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكانه رقله فبلغ ذلك أباجهل بن هشام فأتاه فقال أى عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا ، قال لم ، قال يعطونكه فانك أتيت محمداً تعرض لما قبله ، قال قد علمت قريش أنى أكثرها مالا ، قال فقل فيه قولا يعلم قومك أنك منكر لماقال وانك كاره له ، قال فماذا أقول فيه ، فوالله مامنكم رجل أعلم بالأشعار منى ولا أعلم برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا ، والله إن لقوله الذى يقوله لحلاوة ، وإنه ليحطم ماتحته وإنه ليعلو وما يعلى ، وقال والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه ، قال فدعنى حتى أتفكر فيه ، فلما فكر قال : إن هذا إلا سحر يؤثره عن غيره فنزلت (ذرنى ومن خلقت وحيدا - حتى بلغ - تسعة عشر) وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد نحوا من هذا ، وقد زعم السدى أنهم لما اجتمعوا فى دار الندوة ليجمعوا رأيهم على قول يقولونه فيه قبل أن يقدم عليهم وفود العرب للحج ليصدوهم عنه فقال قائلون شاعر وقال آخرون ساحر وقال آخرون كاهن وقال آخرون مجنون كما قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلايستطيعون سبيلا) كل هذا والوليد يفكر فيما يقوله فيه ففكر وقدر ونظر وعبس وبسر ، فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر ، قال الله تعالى (سأصليه سقر) أى سأغمره فيما من جميع جهاته ، ثم قال تعالى (وما أدراك ماسقر) وهذا تهويل لأمرها وتفخيم ، ثم فسر ذلك بقوله تعالى (لاتبقى ولا تذر) أى تأكل لحومهم وعروقهم وعصبهم وجلودهم ثم تبدل غير ذلك وهم فى ذلك لايموتون ولا يحيون ، قاله ابن بريدة وأبوسنان وغيرهما

وقوله تعالى (لواحة للبشر) قال مجاهد أى للجلد ، وقال أبورزين : تلفح الجلد لفحة فتدعه أسود من الليل ، وقال زيد بن أسلم : تلوح أجسادهم عليها . وقال قتادة (لواحة للبشر) أى حراقة للجلد وقال ابن عباس : تحرق بشرة الانسان . وقوله تعالى (عليها تسعة عشر) أى من مقدمى الزبانية عظيم خلقهم غليظ خلقهم

وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا ابن أبى زائدة أخبرنى حارث عن عامر عن البراء فى قوله تعالى (عليها تسعة عشر) قال إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله ورسوله أعلم فجاء رجل فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى عليه ساعتئذ (عليها تسعة عشر) فأخبر أصحابه وقال « ادعهم أما إنى سائلهم عن تربة الجنة إن أتونى ، أما إنها درمكة بيضاء » فجاءوه فسألوه عن خزنة جهنم فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الابهام فى الثانية ثم قال « أخبرونى عن تربة الجنة » فقالوا أخبرهم يا ابن سلام فقال كأنها خبزة بيضاء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما إن الخبز إنما يكون من الدرمك » هكذا وقع عند ابن أبى حاتم عن البراء والمشهور عن جابر بن عبد الله كما قال الحافظ أبوبكر البزار فى مسنده حدثنا منده حدثنا أحمد بن عبيدة أخبرنا سفيان ويحيى بن حكيم حدثنا سفيان عن مجالد عن الشعبى عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد : غلب أصحابك اليوم فقال « بأى شىء »

قال سألتهم يهود هل أعلمكم نبيكم عدة خزنة أهل النار ؟ قالوا لانعلم حتى نسأل نبينا صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أفغلب قوم يسئلون عما لايعلمون فقالوا لانعلم حتى نسأل نبينا ﷺ ؟ على بأعداءالله لكنهم قدسألوا نبيهم أن يريهم الله جهرة » فأرسل اليهم فدعاهم قالوا ياأبا القاسم كم عدة خزنة أهل النار ؟ قال « هكذا » وطبق كفيه ثم طبق كفيه مرتين وعقد واحدة وقال لأصحابه « إن سئلتم عن تربة الجنة فهى الدرمك » فلما سألوه فأخبرهم بعدة خزنة أهل النار قال لهم رسول الله ﷺ « ماتربة الجنة » فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا خبزة يا أباالقاسم فقال « الخبز من الدرمك » وهكذا رواه الترمذى عند هذه الآية عن ابن أبى عمر عن شيبان به وقال هووالبزار لايعرف إلامن حديث مجالد وقد رواه الامام أحمد عن على بن المدينى عن سفيان بنقصه الدرمك فقط

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ * كَلَّا وَٱلْقَمَرِ * وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ * وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ * نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ * لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴾

يقول تعالى (وماجعلنا أصحاب النار) أى خزانها (إلا ملائكة) أى زبانية غلاظا شدادا ؛ وذلك ردعلى مشركى قريش حين ذكر عدد الخزنة فقال أبو جهل يامعشر قريش أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم ، فقال الله تعالى (وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة) أى شديدى الخلق لايقاومون ولا يغالبون ، وقد قيل إن أبا الأشدين واسمه كلدة بن أسيد بن خلف قال يامعشر قريش اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر إعجابا منه بنفسه ، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة ليزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه ، قال السهيلى وهو الذى دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه النبى صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن ، قال وقدنسب ابن إسحاق خبرالمصارعة إلى ركانة ابن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب ﴿ قلت ﴾ ولا منافاة بين ماذكراه والله أعلم ، وقوله تعالى (وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا) أى إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشر اختبارا منا للناس (ليستيقن الذين أوتوا الكتاب) أى يعلمون أن هذا الرسول حق فانه نطق بمطابقة مابأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله ، وقوله تعالى (ويزداد الذين آمنوا إيمانا) أى إلى إيمانهم بمايشهدون من صدق اخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم (ولايرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض) أى من المنافقين (والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا) أى يقولون ما الحكمة فى ذكر هذا ههنا ؟ قال الله تعالى (كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء) أى من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان فى قلوب أقوام ويتزلزل عند آخرين وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، وقوله تعالى (وما يعلم جنود ربك إلا هو) أى ما يعلم عددهم وكثرتهم إلاهو تعالى لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة من الفلاسفة اليونانيين ومن شايعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة التى اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها ، فافهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها وهو قوله (وما يعلم جنود ربك إلا هو) وقد ثبت فى حديث الاسراء المروى فى الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال فى صفة البيت المعمور الذى فى السماء السابعة « فاذا هو

يدخله فى كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه آخر ما عليهم »

وقال الإمام أحمد حدثنا أسود حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ « إنى أرى مالا ترون وأسمع مالا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولا تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى » فقال أبو ذر والله لوددت أنى شجرة تعضد ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث إسرائيل وقال الترمذى حديث حسن غريب ويروى عن أبى ذر موقوفا وقال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا حسين بن عرفة المصرى حدثنا عروة بن مروان الرقى حدثنا عبيد الله بن عمرو عن عبد الكريم بن مالك عن عطاء بن أبى رباح عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « مافى السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك ساجد أو ملك راكع فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أنا لم نشرك بك شيئا » . وقال محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة حدثنا عمرو بن زرارة أخبرنا عبد الوهاب عن عطاء عن سعيد عن قتادة عن صفوان بن محرز عن حكيم بن حزام قال بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا ما نسمع من شىء فقال رسول الله ﷺ « أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئط . ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد »

وقال أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن قهزاد حدثنا أبو معاذ الفضل بن خالد النحوى حدثنا عبيد بن سليمان الباهلى سمعت الضحاك بن مزاحم يحدث عن مسروق بن الاجدع عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله ﷺ « ما فى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم وذلك قول الملائكة (وما منا إلا له مقام معلوم * وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا مرفوع غريب جدا ثم رواه عن محمد بن آدم عن أبى معاوية عن الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال : إن من السموات سماء ما فيها موضع شبر إلا وعليه جبهة ملك أو قدماه قائم ثم قرأ (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون)

ثم قال حدثنا أحمد بن سيار حدثنا أبو جعفر محمد بن خالد الدمشقى المعروف بابن أمه حدثنا المغيرة بن عمر بن عطية من بنى عمرو بن عوف حدثنى سليمان بن أيوب عن سالم بن عوف حدثنى عطاء بن زيد بن مسعود من بنى الحبلى حدثنى سليمان بن عمرو بن الربيع من بنى سالم حدثنى عبد الرحمن بن العلاء من بنى ساعدة عن أبيه العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبى ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع ؟ » قالوا وما تسمع يا رسول الله ؟ قال « أطت السماء وحق لها أن تئط إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو راكع أو ساجد وقالت الملائكة (وإنا لنحن الصافون * وإنا لنحن المسبحون) » وهذا إسناد غريب جدا

ثم قال حدثنا إسحق بن محمد بن إسماعيل الفروى حدثنا عبد الملك بن قدامة عن عبد الرحمن عن عبد الله بن دينار عن أبيه عن عبد الله بن عمر أن عمر جاء والصلاة قائمة ونفر ثلاثة جلوس أحدهم أبو جحش الليثى فقال قوموا فصلوا مع رسول الله ﷺ فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم وقال لا أقوم حتى يأتى رجل هو أقوى منى ذراعين وأشد منى بطشا فيصرعنى ثم يدس وجهى فى التراب قال عمر فصرعته ودسست وجهه فى التراب فأتى عثمان بن عفان فحجزنى عنه فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « ما رأيك يا أبا حفص ؟ » فذكر له ما كان منه فقال رسول الله ﷺ « إن رضى عمر رحمه ، والله على ذلك لوددت أنك جئتنى برأس الحبيث » فقام عمر فوجه نحوه فلما أبعد ناداه فقال « اجلس حتى أخبرك بغناء الرب تبارك وتعالى عن صلاة أبى جحش إن لله تعالى فى السماء الدنيا ملائكة خشوع لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة ، فإذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا ربنا ما عبدناك حق عبادتك ، وإن لله فى السماء الثانية ملائكة سجود لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم وقالوا سبحانك ربنا ما عبدناك حق عبادتك » فقال له عمر وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال

« أما أهل السماء الدنيا فيقولون سبحان ذى الملك والملكوت ، وأما أهل السماء الثانية فيقولون سبحان ذى العزة والجبروت ، وأما أهل السماء الثالثة فيقولون سبحان الحى الذى لا يموت ، فقلها ياعمر فى صلاتك» فقال عمر يارسول الله فكيف بالذى كنت علمتنى وأمرتنى أن أقوله فى صلاتى؟ فقال « قل هذا مرة وهذا مرة » وكان الذى أمره به أن يقوله « أعوذ بعفوك من عقابك ، وأعوذ برضاك من سخطك ، وأعوذ بك منك حل وجهك» هذا حديث غريب جدا بل منكر نكارة شديدة ، وإسحق الفروى روى عنه البخارى، وذكره ابن حبان فى الثقات وضعفه أبو داود والنسائى والعقيلى والدارقطنى ، وقال أبو حاتم الرازى كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن وكتبه صحيحة، وقال مرة هو مضطرب وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحى تكلم فيه أيضا ، والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه ، ولا عرف بحاله ، ولا تعرض لضعف بعض رجاله غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه ومن طريق أخرى عن الحسن البصرى مرسلا قريبا منه ثم قال محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الله بن قهذاذ أخبرنا النضر أخبرنا عباد بن منصور قال سمعت عدى بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال سمعت رجلا من أصحاب النبى ﷺ عن رسول الله ﷺ قال « إن لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة ، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك » وهذا إسناد لا بأس به

وقوله تعالى (وما هى إلا ذكرى للبشر) قال مجاهد وغير واحد (وما هى) أى النار التى وصفت (إلا ذكرى للبشر) ثم قال تعالى (كلا والقمر * والليل إذ أدبر) أى ولى (والصبح إذا أسفر) أى أشرق (إنها لإحدى الكبر) أى العظائم يعنى النار ، قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغير واحد من السلف (نذيرا للبشر * لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) أى لمن شاء أن يقبل النذارة ويهتدى للحق أو يتأخر عنها ويولى ويردها

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ * فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ الْمُجْرِمِينَ * مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ * فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ * كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ * فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ * بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً * كَلَّا بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ * كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ * وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾

يقول تعالى مخبرا أن (كل نفس بما كسبت رهينة) أى معتقلة بعملها يوم القيامة قاله ابن عباس وغيره (إلا أصحاب اليمين) فانهم (فى جنات يتساءلون عن المجرمين) أى يسألون المجرمين وهم فى الغرفات وأولئك فى الدركات قائلين لهم (ما سلككم فى سقر * قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين) أى ما عبدنا ربنا ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا (وكنا نخوض مع الخائضين) أى نتكلم فيما لا نعلم : وقال قتادة : كلما غوى غاو غوينا معه (وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) يعنى الموت كقوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقال رسول الله ﷺ « أما هو — يعنى عثمان بن مظعون — فقد جاءه اليقين من ربه » قال الله تعالى (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) أى من كان

متصفا بمثل هذه الصفات فانه لاتنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فانه له النار لا محالة خالدا فيها ، ثم قال تعالى (فما لهم عن التذكرة معرضين ؟) أى فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك عما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين (كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة) أى كأنهم فى نفارهم عن الحق وإعراضهم عنه حمر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد ، قاله أبو هريرة وابن عباس فى رواية عنه وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن ، أو رام ، وهو رواية عن ابن عباس وهو قول الجمهور. وقال حماد بن سلمة عن على بن زيد عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس: الأسد بالعربية ويقال له بالحبشية قسورة وبالفارسية شير وبالنبطية أوبا . وقوله تعالى (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفا منشرة) أى بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتاب كما أنزل الله على النبى ﷺ قاله مجاهد وغيره كقوله تعالى (وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله ، الله أعلم حيث يجعل رسالته) وفى رواية عن قتادة يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل فقوله تعالى (كلا بل لا يخافون الآخرة) أى إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها وتكذيبهم بوقوعها

ثم قال تعالى (كلا إنه تذكرة) أى حقا ان القرآن تذكرة (فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله) كقوله (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) وقوله تعالى (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) أى هو أهل أن يخاف منه وهو أهل أن يغفر ذنب من تاب إليه وأناب . قاله قتادة . وقال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى سهيل أخو حزم حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) وقال « قال ربكم أنا أهل أن أتقى فلا يجعل معى إله فمن اتقى أن يجعل معى إلها كان أهلا أن غفر له » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب والنسائى من حديث المعافى بن عمران كلاهما عن سهيل بن عبد الله القطعى به وقال الترمذى حسن غريب وسهيل ليس بالقوى ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن هدبة بن خالد عن سهيل به وهكذا رواه أبو يعلى والبزار والبغوى وغيرهم من حديث سهيل القطعى به : آخر تفسير سورة المدثر ولله الحمد والمنة .

(تفسير سورة القيامة وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ * بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ * يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ * كَلَّا لَا وَزَرَ * إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ * يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ * بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ)

قد تقدم غير مرة أن المقسم عليه إذا كان منتفيا جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفى . والمقسم عليه ههنا هو إثبات المعاد والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بعث الأجساد ، ولهذا قال تعالى (لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال الحسن أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، وقال قتادة بل أقسم بهما جميعا ، هكذا حكاه ابن أبى حاتم وقد حكى ابن جرير عن الحسن والأعرج أنهما قرآ (لأقسم بيوم القيامة) وهذا يوجه قول الحسن لأنه أثبت القسم بيوم القيامة ونفى القسم بالنفس اللوامة ، والصحيح أنه أقسم بهما جميعا معا كما قاله قتادة رحمه الله وهو المروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير واختاره ابن جرير فأما يوم القيامة فمعروف وأما النفس اللوامة فقال قرة بن خالد عن الحسن البصرى فى هذه الآية إن المؤمن والله ما نراه إلا يلوم نفسه: ما أردت بكلمتى ، ما أردت بأكلتى ، ما أردت

بحديث نفسي ، وإن الفاجر يمضي قدما قدما ما يعاتب نفسه ، وقال جويبر بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامه) قال ليس أحد من أهل السموات والأرضين إلا يلوم نفسه يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم عن إسرائيل عن سماك أنه سأل عكرمة عن قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال يلوم على الخير والشر لو فعلت كذا وكذا ، ورواه ابن جرير عن أبي كريب عن وكيع عن إسرائيل به وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا مؤمل حدثنا سفيان عن ابن جريج عن الحسن بن مسلم عن سعيد بن جبير في قوله (ولا أقسم بالنفس اللوامة) قال تلوم على الخير والشر ، ثم رواه من وجه آخر عن سعيد أنه سأل ابن عباس عن ذلك فقال هي النفس اللئوم ، وقال علي بن أبي نجيح عن مجاهد تندم على مافات وتلوم عليه وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: اللوامة المذمومة ، وقال قتاده (اللوامة) الفاجرة . قال ابن جرير وكل هذه الأقوال متقاربة المعنى والأشبه بظاهر التنزيل أنها التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات

وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه ؟) أي يوم القيامة أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة (بلى قادرين على أن نسوي بنانه) قال سعيد بن جبير والعوفي عن ابن عباس أن نجعله خفا أو حافرا وكذا قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك وابن جرير ووجهه ابن جرير بأنه تعالى لو شاء لجعل ذلك في الدنيا والظاهر من الآية أن قوله تعالى (قادرين) حال من قوله تعالى (نجمع) أي أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نسوي بنانه أي قدرتنا صالحة لجمعها ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان فنجعل بنانه وهي أطراف أصابعه مستوية وهذا معنى قول ابن قتيبة والزجاج ، وقوله (بل يريد الإنسان ليفجر أمامه) قال سعيد عن ابن عباس يعني يمضي قدما ، وقال العوفي عن ابن عباس (ليفجر أمامه) يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة ، ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة . وقال مجاهد (ليفجر أمامه) ليمضي أمامه را كبا رأسه ، وقال الحسن لا يلفى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدما قدما إلا من عصمه الله تعالى ، وروي عن عكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي وغير واحد من السلف هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو الكافر يكذب بيوم الحساب ، وكذا قال ابن زيد وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده (يسأل أيان يوم القيامة ؟) أي يقول متى يكون يوم القيامة وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه وتكذيب لوجوده كما قال تعالى (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) . وقال تعالى ههنا (فإذا برق البصر) قرأ أبو عمرو بن العلاء برق بكسر الراء أي حار وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أي بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا لا يستقر لهم بصر على شيء من شدة الرعب ، وقرأ آخرون برق بالفتح وهو قريب في المعنى من الأول : والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة وتخشع وتحار وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور . وقوله تعالى (وخسف القمر) أي ذهب ضوؤه (وجمع الشمس والقمر) قال مجاهد كورا ، وقرأ ابن زيد عند تفسير هذه الآية (إذا الشمس كورت وإذا النجوم انكدرت) وروي عن ابن مسعود أنه قرأ (وجمع بين الشمس والقمر) . وقوله تعالى (يقول الإنسان يومئذ أين المفر) أي إذا عاين ابن آدم هذه الأهوال يوم القيامة حينئذ يريد أن يفر ويقول أين المفر أي هل من ملجأ أو موئل قال الله تعالى (كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر) قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف أي لا نجاة وهذه الآية كقوله تعالى (مالكم من ملجإ يومئذ ومالكم من نكير) أي ليس لكم مكان تنكرون فيه ، وكذا قال ههنا (لا وزر) أي ليس لكم مكان تعتصمون فيه ولهذا قال (إلى ربك يومئذ المستقر) أي المرجع والمصير . ثم قال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) أي يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها ، أولها وآخرها ، صغيرها وكبيرها كما قال تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا) وهكذا قال ههنا (بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره) أي هو شهيد على نفسه عالم بما فعله ولو اعتذر وأنكر كما قال تعالى (اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) . وقال علي

ابن أبي طلحة عن ابن عباس (بل الإنسان على نفسه بصيرة) يقول سمعه وبصره ويديه ورجليه وجوارحه . وقال قتادة شاهد على نفسه . وفي رواية قال إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم غافلا عن ذنوبه : وكان يقال إن في الانجيل مكتوبا يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك وتترك الجذع في عينك لا تبصره !

وقال مجاهد (ولو ألقى معاذيره) ولو جادل عنها فهو بصير عليها . وقال قتادة (ولو ألقى معاذيره) ولو اعتذر يومئذ بباطل لا يقبل منه . وقال السدي (ولو ألقى معاذيره) حجته . وكذا قال ابن زيد والحسن البصري وغيرهم واختاره ابن جرير . وقال قتادة عن زرارة عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) يقول لو ألقى ثيابه . وقال الضحاك ولو ألقى ستوره وأهل اليمين يسمون الستر المعذار . والصحيح قول مجاهد وأصحابه كقوله تعالى (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وكقوله تعالى (يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون) وقال العوفي عن ابن عباس (ولو ألقى معاذيره) هي الاعتذار ألم تسمع أنه قال (لا ينفع الظالمين معذرتهم) وقال (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) (فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء) وقولهم (والله ربنا ما كنا مشركين)

﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ * كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ * وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴾

هذا تعليم من الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في كيفية تلقيه الوحي من الملك فانه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته فأمره الله عز وجل إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي ألقاه إليه وأن يبينه له ويفسره ويوضحه . فالحالة الأولى جمعه في صدره والثانية تلاوته والثالثة تفسيره وإيضاح معناه ولهذا قال تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) أي بالقرآن كما قال تعالى (ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما) ثم قال تعالى (إن علينا جمعه) أي في صدرك (وقرآنه) أي أن تقرأه (فاذا قرأناه) أي إذا تلاه عليك الملك عن الله تعالى (فاتبع قرآنه) أي فاستمع له ثم اقرأه كما أقرأك (ثم إن علينا بيانه) أي بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن عن أبي عوانة عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعالج من التنزيل شدة فكان يحرك شفتيه قال فقال لي ابن عباس أنا أحرك شفتي كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرك شفتيه وقال لي سعيد وأنا أحرك شفتي كما رأيت ابن عباس يحرك شفتيه فأنزل الله عز وجل (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه) قال جمعه في صدرك ثم تقرأه (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) أي فاستمع له وأنصت (ثم ان علينا بيانه) فكان بعد ذلك إذا انطلق جبريل قرأه كما أقرأه . وقد رواه البخاري ومسلم من غير وجه عن موسى بن أبي عائشة به . ولفظ البخاري فكان إذا أتاه جبريل أطرق فاذا ذهب قرأه كما وعده الله عز وجل . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو يحيى التيمي حدثنا موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنزل عليه الوحي يلقى منه شدة وكان إذا نزل عليه عرف في تحريكه شفتيه يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره فأنزل الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) وهكذا قال الشعبي والحسن البصري وقتادة ومجاهد والضحاك وغير واحد إن هذه الآية نزلت في ذلك . وقد روى ابن جرير من طريق العوفي عن ابن عباس (لا تحرك به لسانك لتعجل به) قال كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه فقال الله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه) أن نجمعه لك (وقرآنه) أن نقرئك فلا تنسى ، وقال ابن عباس وعطية العوفي (ثم إن علينا بيانه) تبيين حلاله وحرامه وكذا قال قتادة . وقوله تعالى (كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة) أي إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة

ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحى الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم الى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة . ثم قال تعالى (وجوه يومئذ ناضرة) من النضارة أى حسنة بهية مشرقة مسرورة (الى ربها ناظرة) أى تراه عيانا كما رواه البخارى رحمه الله تعالى فى صحيحه « إنكم سترون ربكم عيانا » . وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل فى الدار الآخرة فى الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها، لحديث أبى سعيد وأبى هريرة وهما فى الصحيحين أن ناسا قالوا يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامه افقال « هل تضارون فى رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب؟ » قالوا لا، قال « إنكم ترون ربكم كذلك » . وفى الصحيحين عن جرير قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القمر ليلة البدر فقال « إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا » وفى الصحيحين عن أبى موسى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله عز وجل إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » . وفى افراد مسلم عن صهيب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا دخل أهل الجنة الجنة — قال — يقول الله تعالى تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون ألم تبيض وجوهنا ! ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ! قال فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب اليهم من النظر إلى ربهم وهى الزيادة » ثم تلا هذه الآية (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) . وفى افراد مسلم عن جابر فى حديثه « ان الله يتجلى للمؤمنين يضحك » يعنى فى عرصات القيامة ففى هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون الى ربهم عز وجل فى العرصات وفى روضات الجنات . وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا عبد الملك بن أبجر حدثنا يزيد بن أبى فاخته عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر فى ملكه ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ، ينظر الى أزواجه وخدمه ، وإن أفضلهم منزلة لينظر فى وجه الله كل يوم مرتين » ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن شبابة عن إسرائيل عن نوير قال سمعت ابن عمر فذكره ، قال : ورواه عبد الملك بن أبجر عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ، وكذلك رواه الثورى عن نوير عن مجاهد عن ابن عمر ولم يرفعه ، ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا فى مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام . وهداة الأنام ، ومن تأول ذلك بأن المراد بإلى مفرد الآلاء وهى النعم كما قال الثورى عن منصور عن مجاهد (إلى ربها ناظرة) قال تنتظر الثواب من ربها ، رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد وكذا قال أبو صالح أيضا فقد أبعد هذا القائل النجعة وأبطل فيما ذهب إليه ، وأين هو من قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ؟) قال الشافعى رحمه الله تعالى . ما حجب الفجار الا وقد علم أن الابرار يرونه عز وجل ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة وهى قوله تعالى (إلى ربها ناظرة) قال ابن جرير حدثنا محمد بن إسماعيل البخارى حدثنا آدم حدثنا المبارك عن الحسن (وجوه يومئذ ناضرة) قال حسنة (الى ربها ناظرة) قال تنظر إلى الخالق وحق لها أن تنضر وهى تنظر إلى الخالق وقوله تعالى (ووجوه يومئذ باسرة * تظن أن يفعل بها فاقرة) هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة ، قال قتادة : كالحة وقال السدى تغير ألوانها وقال ابن زيد (باسرة) أى عابسة (تظن) أى تستيقن (أن يفعل بها فاقرة) قال مجاهد داهية ، وقال قتادة شر وقال السدى تستيقن أنها هالكة وقال ابن زيد تظن أن ستدخل النار، وهذا المقام كقوله تعالى (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة . ضاحكة مستبشرة . ووجوه يومئذ عليها غبرة . ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة) وكقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة * عاملة ناصبة * تصلى نارا حامية — إلى قوله — وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * فى جنة عالية) فى أشباه ذلك من الآيات والسياقات

﴿ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ * وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ * إِلَىٰ رَبِّكَ

يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ * فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ * وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ * أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ * أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ * فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾

يخبر تعالى عن حالة الاحتضار وما عنده من الأهوال ثبتنا الله هنالك بالقول الثابت فقال تعالى (كلا إذا بلغت التراقى) إن جعلنا كلا رادعة فمعناها لست يا ابن آدم هنالك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عيانا، وإن جعلناها بمعنى حقا فظاهر أى حقا إذا بلغت التراقى أى انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك ، والتراقى جمع ترقوة وهى العظام التى بين ثغرة النحر والعاتق كقوله تعالى (فلولا إذا بلغت الحلقوم ، وأنتم حينئذ تنظرون ، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون ، فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين) وهكذا قال ههنا (كلا إذا بلغت التراقى) ويذكر ههنا حديث بشر بن حجاج الذى تقدم فى سورة يس . والتراقى جمع ترقوة وهى قريبة من الحلقوم (وقيل من راق ؟) قال عكرمة عن ابن عباس أى من راق يرقى وكذا قال أبو قلابة (وقيل من راق) أى من طبيب شاف وكذا قال قتادة والضحاك وابن زيد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا نصر بن على حدثنا روح بن المسيب أبو رجاء الكلبى حدثنا عمرو بن مالك عن أبى الجوزاء عن ابن عباس (وقيل من راق) قيل من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب ؟ فعلى هذا يكون من كلام الملائكة، وبهذا الإسناد عن ابن عباس فى قوله (والتفت الساق بالساق) قال التفت عليه الدنيا والآخرة ، وكذا قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (والتفت الساق بالساق) يقول آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة فتلتقى الشدة بالشدة إلا من رحمه الله . وقال عكرمة (والتفت الساق بالساق) الأمر العظيم بالأمر العظيم ، وقال مجاهد بلاء ببلاء وقال الحسن البصرى فى قوله تعالى (والتفت الساق بالساق) هما ساقاك إذا التفتا ، وفى رواية عنه ماتت رجلاه فلم تحملاه وقد كان عليهما جوالا وكذا قال السدى عن أبى مالك وفى رواية عن الحسن : هو لفهما فى الكفن ، وقال الضحاك (والتفت الساق بالساق) اجتمع عليه أمران : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه وقوله تعالى (إلى ربك يومئذ المساق) أى المرجع والمآب وذلك أن الروح ترفع إلى السموات فيقول الله عز وجل ردوا عبدى إلى الأرض فانى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى كما ورد فى حديث البراء الطويل وقد قال الله تعالى (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون * ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين) وقوله جل وعلا (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى) هذا إخبار عن الكافر الذى كان فى الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه متوليا عن العمل بقالبه فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا ولهذا قال تعالى (فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى جذلان أشرا بطرا كسلانا لاهمة له ولا عمل كما قال تعالى (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) وقال تعالى (إنه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور) أى يرجع (بلى انه كان به بصيرا) وقال الضحاك عن ابن عباس (ثم ذهب إلى أهله يتمطى) أى يختال وقال قتادة وزيد بن أسلم يتبختر قال الله تعالى (أولى لك فأولى * ثم أولى لك فأولى) وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر فى مشيه أى يحق لك أن تمشى هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال فى مثل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) وكقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) وكقوله تعالى (فاعبدوا ما شئتم من دونه) وكقوله جل جلاله (اعملوا ما شئتم) إلى غير ذلك. وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا عبد الرحمن يعنى ابن مهدى عن إسرائيل عن موسى بن أبى عائشة قال سألت سعيد بن جبير قلت (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) قال : قاله النبى ﷺ لأبى جهل ثم نزل به القرآن

وقال أبو عبد الرحمن النسائى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا أبو النعمان حدثنا أبو عوانة ح وحدثنا أبو داود حدثنا محمد بن سليمان حدثنا أبو عوانة عن موسى بن أبى عائشة عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس (أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى) ؟ قال : قاله رسول الله ﷺ لأبى جهل ثم أنزله الله عز وجل ، قال ابن أبى حاتم وحدثنا أبى حدثنا هشام بن خالد حدثنا شعيب عن إسحق حدثنا سعيد عن قتادة قوله (أولى لك فأولى ، ثم أولى لك فأولى) وعيد على أثر وعيد كما تسمعون وزعموا أن عدو الله أبا جهل أخذ نبى الله صلى الله عليه وسلم بمجامع ثيابه ثم قال « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » فقال عدو الله أبو جهل أتوعدنى يا محمد ؟ والله لا تستطيع أنت ولا ربك شيئا وإنى لأعز من مشى بين جبليها وقوله تعالى (أيحسب الإنسان أن يترك سدى) . قال السدى يعنى لا يبعث وقال مجاهد والشافعى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم يعنى لا يؤمر ولا ينهى ، والظاهر أن الآية تعم الحالين أى ليس يترك فى هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى ، ولا يترك فى قبره سدى لا يبعث بل هو مأمور منهى فى الدنيا محشور إلى الله فى الدار الآخرة ، والمقصود هنا إثبات المعاد والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد ولهذا قال تعالى مستدلا على الاعادة بالبداءة فقال تعالى (ألم يك نطفة من منى يمنى) أى أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يمنى يراق من الأصلاب فى الأرحام . (ثم كان علقة فخلق فسوى) أى فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقا آخر سويا سليم الأعضاء ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره . ولهذا قال تعالى (فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى) ثم قال تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) أى أما هذا الذى أنشأ هذا الخلق السوى من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدءه . وتناول القدرة للاعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة وإما مساوية على القولين فى قوله تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) والأول أشهر كما تقدم فى سورة الروم بيانه وتقريره والله أعلم

قال ابن أبى حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا شبابة عن شعبة عن موسى بن أبى عائشة عن آخر أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن فإذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى .) قال سبحانك اللهم فبلى فسئل عن ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك . وقال أبو داود رحمه الله حدثنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن موسى بن أبى عائشة قال كان رجل يصلى فوق بيته فكان إذا قرأ (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى .) قال سبحانك فبلى فسألوه عن ذلك فقال سمعته من رسول الله ﷺ تفرد به أبو داود ولم يسم هذا الصحابى ولا يضر ذلك وقال أبو داود أيضا حدثنا عبد الله بن محمد الزهرى حدثنا سفيان حدثنى إسماعيل بن أمية سمعت أعرابيا يقول سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين .) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين ، ومن قرأ (لا أقسم بيوم القيامة) فانتهى إلى قوله (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) فليقل بلى ، ومن قرأ (والمرسلات) فبلغ (فبأى حديث بعده يؤمنون .) فليقل آمنا بالله » ورواه أحمد عن سفيان بن عيينة ورواه الترمذى عن ابن أبى عمر عن سفيان بن عيينة به وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال : قلت له من حدثك : قال رجل صدق عن أبى هريرة وقال ابن جرير حدثنا بشر حدثنا يزيد حدثنا سعيد عن قتادة قوله تعالى (أليس ذلك بقادر على أن يحيي) ذكر لنا أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأها قال « سبحانك وبلى » . ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا سفيان عن أبى إسحق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه مر بهذه الآية (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى ؟) قال سبحانك فبلى . آخر تفسير سورة القيامة ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة الانسان وهى مكية)

قد تقدم فى صحيح مسلم عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ فى صلاة الصبح يوم الجمعة (الم تنزيل) السجدة و (هل أتى على الإنسان ؟) وقال عبد الله بن وهب أخبرنا ابن زيد أن رسول الله ﷺ

قرأ هذه السورة (هل أتى على الانسان حين من الدهر ؟) وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود فلما بلغ صفة الجنان زفر زفرة فخرجت نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أخرج نفس صاحبكم ـ أو قال أخيكم ـ الشوق إلى الجنة » مرسل غريب

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا * إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا * إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الانسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئا يذكر لحقارته وضعفه فقال تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا ؟) ثم بين ذلك فقال جل جلاله (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج) أى أخلاط ، والمشج والمشيج: الشىء المختلط بعضه فى بعض ، قال ابن عباس فى قوله تعالى (من نطفة أمشاج) يعنى ماء الرجل وماء المرأة إذا اجتمعا واختلطا ثم ينتقل بعد من طور إلى طور وحال إلى حال ولون إلى لون وهكذا قال عكرمة ومجاهد والحسن والربيع بن أنس الأمشاج هو اختلاط ماء الرجل بماء المرأة . وقوله تعالى (نبتليه) أى نختبره كقوله جل جلاله (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (فجعلناه سميعا بصيراً) أى جعلنا له سمعا وبصرا يتمكن بهما من الطاعة والمعصية وقوله جل وعلا (إنا هديناه السبيل) أى بيناه له ووضحناه وبصرناه به كقوله جل وعلا (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى) وكقوله جل وعلا (وهديناه النجدين) أى بينا له طريق الخير وطريق الشر وهذا قول عكرمة وعطية وابن زيد ومجاهد فى المشهور عنه والجمهور . وروى عن مجاهد وأبى صالح والضحاك والسدى أنهم قالوا فى قوله تعالى (إنا هديناه السبيل) يعنى خروجه من الرحم وهذا قول غريب والصحيح المشهور الأول . وقوله تعالى (إما شاكرا وإما كفورا) منصوب على الحال من الهاء فى قوله (إنا هديناه السبيل) تقديره فهو فى ذلك إما شقى وإما سعيد كما جاء فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو معتقها »

وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن ابن خثيم عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لكعب بن عجرة « أعاذك الله من إمارة السفهاء . » قال وما إمارة السفهاء ؟ قال « أمراء يكونون من بعدى لا يهتدون بهداى ، ولا يستنون بسنتى فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا منى ولست منهم ولا يردون على حوضى ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فأولئك منى وأنا منهم وسيردون على حوضى يا كعب بن عجرة : الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة ، والصلاة قربات ـ أو قال برهان ـ يا كعب بن عجرة إنه لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت ، النار أولى به ، يا كعب : الناس غاديان فمبتاع نفسه فمعتقها ، وبائع نفسه فموبقها » ورواه عن عفان عن وهيب عن عبد الله بن عثمان بن خثيم به وقد تقدم فى سورة الروم عند قوله جل جلاله (فطرة الله التى فطر الناس عليها) من رواية جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنه قال : قال رسول الله ﷺ « كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه إما شاكراً وإما كفوراً »

وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عبد الله بن جعفر عن عثمان بن محمد عن المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « ما من خارج يخرج إلا بيابه رايتان : راية بيد ملك وراية بيد شيطان فان خرج لما يحب الله اتبعه الملك برايته فلم يزل تحت راية الملك حتى يرجع إلى بيته ؛ وإن خرج لما يسخط الله اتبعه الشيطان برايته فلم يزل تحت راية الشيطان حتى يرجع إلى بيته » .

﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا * إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا *

عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا * إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا * فَوَقَاهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾

يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه به من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب والحريق فى نار جهنم كما قال تعالى (إذ الأغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون * فى الحميم ثم فى النار يسجرون) ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده (إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) وقد علم ما فى الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة فى الجنة . قال الحسن: برد الكافور فى طيب الزنجبيل ولهذا قال (عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً) أى هذا الذى مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويروون بها ولهذا ضمن يشرب معنى يروى حتى عداه بالباء ونصب عينا على التمييز ، قال بعضهم هذا الشراب فى طيبه كالكافور ، وقال بعضهم هو من عين كافور وقال بعضهم يجوز أن يكون منصوبا بيشرب حكى هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقوله تعالى (يفجرونها تفجيراً) أى يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع كما قال تعالى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) وقال (وفجرنا خلالهما نهراً) . وقال مجاهد (يفجرونها تفجيراً) يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة ، وقال الثوالى يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) أى يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الايلى عن القاسم بن مالك عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى من حديث مالك . ويتركون المحرمات التى نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذى شره مستطير أى منتشر عام على الناس إلا من رحم الله ، قال ابن عباس: فاشياً ، وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض ، قال ابن جرير : ومنه قولهم: استطار الصدع فى الزجاجة واستطال ، ومنه قول الأعشى :

فبانت وقد أسأت فى القوا د صدعا على نأيها مستطيرا

يعنى ممتدا فاشيا . وقوله تعالى (ويطعمون الطعام على حبه) قيل على حب الله تعالى ، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه ، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أى ويطعمون الطعام فى حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى (وآتى المال على حبه) وكقوله تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) وروى البيهقى من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعنى امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل : السائل فقال ابن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفى الصحيح « أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أى فى حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك اليه ولهذا قال تعالى (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس كان أسراؤهم

يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك ، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء فى غير ما حديث حتى انه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول « الصلاة وما ملكت أيمانكم » قال مجاهد هو المحبوس أى يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال (إنما نطعمكم لوجه الله) أى رجاء ثواب الله ورضاه (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) أى لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس . قال مجاهد وسعيد ابن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب فى ذلك راغب (إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا) أى إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه فى اليوم العبوس القمطرير. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس عبوسا ضيقا قمطريرا طويلا ، وقال عكرمة وغيره عنه فى قوله(يوما عبوسا قمطريرا) قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد (عبوسا) العابس الشفتين(قمطريرا)قال يقبض الوجه باليسور ، وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول قمطريرا تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال ابن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد ، وأوضح العبارات وأجلاها ، وأحلاها ، وأعلاها وأولاها قول ابن عباس رضى الله عنه قال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها فى البلاء والشدة ومنه قول بعضهم

بنى عمنا هل تذكرون بلاءنا ؟ عليكم إذا ما كان يوم قماطر

قال الله تعالى (فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا) وهذا من باب التجانس البليغ (فوقاهم الله شر ذلك اليوم) أى آمنهم مما خافوا منه (ولقاهم نضرة) أى فى وجوههم (وسرورا) أى فى قلوبهم ، قاله الحسن البصرى وقتادة وأبو العالية والربيع بن أنس وهذه كقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة) وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه ، قال كعب بن مالك فى حديثه الطويل وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر ، وقالت عائشة رضى الله عنها دخل على رسول الله ﷺ مسرورا تبرق أسارير وجهه . الحديث وقوله تعالى (وجزاهم بما صبروا) أى بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم جنة وحريرا أى منزلا رحبا وعيشا رغدا ولباسا حسنا وروى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة هشام بن سليمان الدارانى قال قرىء على أبى سليمان الدارانى سورة (هل أتى على الإنسان ؟) فلما بلغ القارىء إلى قوله تعالى (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) قال بما صبروا على ترك الشهوات فى الدنيا ثم أنشد يقول :

كم قتيل لشهوة وأسير أف من مشتهى خلاف الجميل

شهوات الإنسان تورثه الذل وتلقيه فى البلاء الطويل

﴿ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا * وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا * وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا * قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا * وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا * عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا * وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا * وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا * عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا * إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾

يخبر تعالى عن أهل الجنة وما هم فيه من النعيم المقيم وما أسبغ عليهم من الفضل العظيم فقال تعالى (متكئين فيها على الأرائك) وقد تقدم الكلام على ذلك فى سورة الصافات وذكر الخلاف فى الاتكاء هل هو الاضطجاع أو التمرفق أو التربع أو التمكن فى الجلوس وأن الأرائك هى السرر تحت الحجال وقوله تعالى (لايرون فيها شمسا ولازمهريرا) أى ليس عندهم حر مزعج ولا برد مؤلم بل هى مزاج واحد دائم سرمدى لا يبغون عنها حولا (ودانية عليهم ظلالها) أى قريبة إليهم أغصانها (وذللت قطوفها تذليلا) أى متى تعاطاه دنا القطف إليه وتدلى من أعلى غصنه كأنه سامع طائع كما قال تعالى فى الآية الأخرى (وجنى الجنتين دان) وقال جل وعلا (قطوفها دانية) قال مجاهد (وذللت قطوفها تذليلا) إن قام ارتفعت معه بقدر ، وإن قعد تذللت له حتى ينالها ، وإن اضطجع تذللت له حتى ينالها فذلك قوله تعالى (تذليلا) وقال قتادة لا يرد أيديهم عنها شوك ولا بعد ، وقال مجاهد أرض الجنة من ورق وترابها المسك ، وأصول شجرها من ذهب وفضة ، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت والورق والثمر بين ذلك فمن أكل منها قائما لم تؤذه ، ومن أكل منها قاعدا لم تؤذه ، ومن أكل منها مضطجعا لم تؤذه . وقوله جلت عظمته (ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب) أى يطوف عليهم الخدم بأوانى الطعام وهى من فضة وأكواب الشراب وهى الكيزان التى لا عرى لها ولا خراطيم وقوله (قوارير قوارير من فضة) فالأول منصوب بخبر كان أى كانت قوارير ، والثانى منصوب إما على البدلية أو تمييز لأنه بينه بقوله جل وعلا (قوارير من فضة) قال ابن عباس ومجاهد والحسن البصرى وغير واحد بياض الفضة فى صفاء الزجاج والقوارير لا تكون إلا من زجاج ، فهذه الأكواب هى من فضة وهى مع هذا شفافة يرى ما فى باطنها من ظاهرها وهذا مما لا نظير له فى الدنيا . قال ابن المبارك عن إسماعيل عن رجل عن ابن عباس : ليس فى الجنة شىء إلا قد أعطيتم فى الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة . رواه ابن أبى حاتم وقوله تعالى (قدروها تقديرا) أى على قدر ريهم لا تزيد عنه ولا تنقص بل هى معدة لذلك مقدرة بحسب رى صاحبها ، هذا معنى قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح وقتادة وابن أبزى وعبد الله بن عبيد بن عمير وقتادة والشعبى وابن زيد وقاله ابن جرير وغير واحد وهذا أبلغ فى الاعتناء والشرف والكرامة ، وقال العوفى عن ابن عباس (قدروها تقديرا) قدرت للكف وهكذا قال الربيع بن أنس ، وقال الضحاك على قدر كف الخادم وهذا لا ينافى القول الأول فانها مقدرة فى القدر والرى

وقوله تعالى (ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا) أى ويسقون يعنى الأبرار أيضا فى هذه الأكواب (كأسا) أى خمرا (كان مزاجها زنجبيلا) فتارة يمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد ، وتارة بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة ، وأما المقربون فانهم يشربون من كل منهما صرفا كما قاله قتادة وغير واحد . وقد تقدم قوله جل وعلا (عينا يشرب بها عباد الله) وقال ههنا (عينا فيها تسمى سلسبيلا) أى الزنجبيل عين فى الجنة تسمى سلسبيلا قال عكرمة : اسم عين فى الجنة وقال مجاهد سميت بذلك لسلاسة مسيلها وحدة جريها ، وقال قتادة (عينا فيها تسمى سلسبيلا) عين سلسة مستقيد ماؤها وحكى ابن جرير عن بعضهم أنها سميت بذلك لسلاستها فى الحلق واختار هو أنها تعم ذلك كله وهو كما قال . وقوله تعالى (ويطوف عليهم ولدان مخلدون * إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان الجنة (مخلدون) أى على حالة واحدة مخلدون عليها لا يتغيرون عنها لا تزيد أعمارهم عن تلك السن ومن فسرهم بأنهم مخرصون فى آذانهم الأقرطة فانما عبر عن المعنى بذلك لأن الصغير هو الذى يليق له ذلك دون الكبير . وقوله تعالى (إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) أى إذا رأيتهم فى انتشارهم فى قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤا منثورا ولا يكون فى التشبيه أحسن من هذا ولا فى المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن قال قتادة عن أبى أيوب عن عبد الله بن عمرو : ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم كل خادم على عمل ما عليه صاحبه وقوله جل وعلا (وإذا رأيت) أى وإذا رأيت يا محمد (ثم) أى هناك يعنى فى الجنة ونعيمها

وسعتها وارتفاعها وما فيها من الحبرة والسرور (رأيت نعيما وملكا كبيرا) أى مملكة لله هناك عظيمة وسلطاناً باهراً . وثبت فى الصحيح أن الله تعالى يقول لآخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا إليها إن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها . وقد قدمنا فى الحديث المروى من طريق ثوير بن أبى فاختة عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة ينظر إلى أقصاه كما ينظر إلى أدناه » فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون فى الجنة فما ظنك بما هو أعلى منزلة وأحظى عنده تعالى . وقد روى الطبرانى ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا على بن عبد العزيز حدثنا محمد بن عمار الموصلى حدثنا عقبة بن سالم عن أيوب بن عتبة عن عطاء عن ابن عمر قال جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى عليه وسلم « سل واستفهم » فقال يا رسول الله فضلتم علينا بالصور والألوان والنبوة أفرأيت إن آمنت بما آمنت به وعملت بما عملت به إنى لكائن معك فى الجنة قال « نعم والذى نفسى بيده إنه ليرى بياض الأسود فى الجنة من مسيرة ألف عام » ثم قال رسول الله ﷺ « من قال لا إله إلا الله كان له بها عهد عند الله ، ومن قال سبحان الله وبحمده كتب له مائة ألف حسنة وأربعة وعشرون ألف حسنة » فقال رجل كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « إن الرجل ليأتى يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل لأثقله فتقوم النعمة أو نعم الله فتكاد تستنفد ذلك كله إلا أن يتغمده الله برحمته » ونزلت هذه السورة (هل أتى على الإنسان حين من الدهر — إلى قوله — ملكا كبيرا) فقال الحبشى وإن عينى لترى ما ترى عيناك فى الجنة قال « نعم » فاستبكى حتى فاضت نفسه قال ابن عمر ولقد رأيت رسول الله ﷺ يدليه فى حفرته بيده

وقوله جل جلاله (عالهم ثياب سندس خضر وإستبرق) أى لباس أهل الجنة فيها الحرير ومنه سندس وهو رقيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلى أبدانهم ، والاستبرق منه ما فيه بريق ولمعان وهو مما يلى الظاهر كما هو المعهود فى اللباس (وحلوا أساور من فضة) وهذه صفة الأبرار ، وأما المقربون فكما قال تعالى (يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير) ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلى قال بعده (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى طهر بواطنهم من الحسد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرديئة كما روينا عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : إذا انتهى أهل الجنة إلى باب الجنة وجدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من احداها فأذهب الله ما فى بطونهم من أذى ثم اغتسلوا من الأخرى فجرت عليهم نضرة النعيم فأخبر سبحانه وتعالى بحالهم الظاهر وجمالهم الباطن وقوله تعالى (إن هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا) أى يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كما قال تعالى (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الأيام الخالية) وكقوله تعالى (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون) وقوله تعالى (وكان سعيكم مشكورا) أى جزاكم الله تعالى على القليل بالكثير

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ تَنزِيلاً * فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلاَ تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِماً أَوْ كَفُوراً * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً * وَمِنَ الَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً * إِنَّ هَؤُلاَءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلاً * نَّحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلاً * إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً * وَمَا تَشَآءُونَ إِلاَّ أَن يَشَآءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً * يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً ﴾

يقول تعالى ممتنا على رسوله صلى الله عليه وسلم بما أنزله عليه من القرآن العظيم تنزيلا (فاصبر لحكم ربك) أى

كما أكرمتك بما أنزلت عليك فاصبر على قضائه وقدره واعلم أنه سيدبرك بحسن تدبيره (ولا تطع منهم آثما أو كفورا) أى لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صدك عما أنزل إليك بل بلغ ما أنزل إليك من ربك وتوكل على الله فان الله يعصمك من الناس ، فالآثم هو الفاجر فى أفعاله والكفور هو الكافر قلبه (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) أى أول النهار وآخره (ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا) كقوله تعالى (ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) وكقوله تعالى (يأيها المزمل * قم الليل إلا قليلا * نصفه أو انقص منه قليلا * أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا) ثم قال تعالى منكرا على الكفار ومن أشبههم فى حب الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم (إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا) يعنى يوم القيامة ثم قال تعالى (نحن خلقناهم وشددنا أسرهم) قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد يعنى خلقهم (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة وبدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا ، وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة وقال ابن زيد وابن جرير (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أى وإذا شئنا أتينا بقوم آخرين غيرهم كقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديرا) وكقوله تعالى (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) ثم قال تعالى (إن هذه تذكرة) يعنى هذه السورة تذكرة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أى طريقا ومسلكا أى من شاء اهتدى بالقرآن كقوله تعالى (وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر) الآية ، ثم قال تعالى (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) أى لا يقدر أحد أن يهدى نفسه ولا يدخل فى الإيمان ولا يجر لنفسه نفعا (إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما) أى عليم بمن يستحق الهداية فييسرها له ويقيض له أسبابها ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى . وله الحكمة البالغة ، والحجة الدامغة ولهذا قال تعالى (إن الله كان عليما حكيما) ثم قال (يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعد لهم عذابا أليما) أى يهدى من يشاء ويضل من يشاء فمن يهده فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له . آخر تفسير سورة الإنسان ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة المرسلات وهى مكية ﴾

قال البخارى ثنا أحمد ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا الأعمش حدثنى إبراهيم عن الأسود عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ رضى الله عنه قال بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غار بمنى إذ نزلت عليه (والمرسلات) فانه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها إذ وثبت علينا حية فقال النبى ﷺ « اقتلوها » فابتدرناها فذهبت فقال النبى ﷺ « وقيت شركم كما وقيتم شرها » وأخرجه مسلم أيضا من طريق الأعمش وقال الإمام أحمد : ثنا سفيان بن عيينة عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس عن أمه أنها سمعت النبى ﷺ يقرأ فى المغرب بالمرسلات عرفا ، وفى رواية مالك عن الزهرى عن عبيد الله عن ابن عباس أن أم الفضل سمعته يقرأ (والمرسلات عرفا) فقالت يا بنى أذكرتنى بقراءتك هذه السورة إنها لآخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب . أخرجاه فى الصحيحين من طريق مالك به

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا * فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا * وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا * فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا * فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا * عُذْرًا أَوْ نُذْرًا * إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ * فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾

قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا زكريا بن سهل المروزى ثنا على بن الحسن بن الحسن بن شقيق أنا الحسين بن واقد ثنا الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة (والمرسلات عرفا) قال الملائكة ، وروى عن مسروق وأبى الضحى ومجاهد فى إحدى الروايات والسدى

وثربيع بن أنس مثل ذلك وروى عن أبي صالح أنه قال هي الرسل وفي رواية عنه أنها الملائكة ، وهكذا قال أبو صالح في العاصفات والناشرات والفارقات والملقيات أنها الملائكة . وقال الثوري عن سلمة بن كهيل عن مسلم البطين عن أبي العبيدين قال سألت ابن مسعود عن المرسلات عرفا قال الريح ، وكذا قال في (العاصفات عصفا والناشرات نشرا) إنها الريح وكذا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح في رواية عنه وتوقف ابن جرير في (والمرسلات عرفا) هل هي الملائكة إذا أرسلت بالعرف أو كعرف الفرس يتبع بعضهم بعضا أو هي الرياح إذا هبت شيئا فشيئا ؟ وقطع بأن العاصفات عصفا الرياح كما قاله ابن مسعود ومن تابعه ، وممن قال ذلك في العاصفات عصفا أيضا علي بن أبي طالب والسدي وتوقف في الناشرات نشرا هل هي الملائكة أو الريح كما تقدم ، وعن أبي صالح أن الناشرات نشرا هي المطر ، والأظهر أن المرسلات هي الرياح كما قال تعالى (وأرسلنا الرياح لواقح) وقال تعالى (وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) وهكذا العاصفات هي الرياح ، يقال عصفت الرياح إذا هبت بتصويت ، وكذا الناشرات هي الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء كما يشاء الرب عز وجل . وقوله تعالى (فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا) يعني الملائكة . قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق ومجاهد وقتادة والربيع بن أنس والسدي والثوري ولا خلاف ههنا فإنها تنزل بأمر الله على الرسل تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغي ، والحلال والحرام ، وتلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق وإنذار لهم عقاب الله إن خالفوا أمره . وقوله تعالى (إنما توعدون لواقع) هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام أي ما وعدتم به من قيام الساعة والنفخ في الصور وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد ومجازاة كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر إن هذا كله لواقع أي لكائن لا محالة . ثم قال تعالى (فإذا النجوم طمست) أي ذهب ضوءها كقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) وكقوله تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) (وإذا السماء فرجت) أي انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها (وإذا الجبال نسفت) أي ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر كقوله تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) الآية وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا) . وقوله تعالى (وإذا الرسل أقتت) قال العوفي عن ابن عباس جمعت . وقال ابن زيد وهذه كقوله تعالى (يوم يجمع الله الرسل) وقال مجاهد (أقتت) أجلت وقال الثوري عن منصور عن إبراهيم (أقتت) أوعدت وكأنه يجعلها كقوله تعالى (وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم بالحق وهم لا يظلمون) . ثم قال تعالى (لأي يوم أجلت ليوم الفصل . وما أدراك ما يوم الفصل . ويل يومئذ للمكذبين) يقول تعالى لأي يوم أجلت الرسل وأرجيء أمرها حتى تقوم الساعة كما قال تعالى (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله إن الله عزيز ذو انتقام . يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) وهو يوم الفصل كما قال تعالى (ليوم الفصل) ثم قال تعالى معظما لشأنه (وما أدراك ما يوم الفصل ، ويل يومئذ للمكذبين) أي ويل لهم من عذاب الله غدا وقد قدمنا في الحديث أن ويل واد في جهنم ولا يصح

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا * أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا * وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى (ألم نهلك الأولين) يعني من المكذبين للرسل المخالفين لما جاءوهم به (ثم نتبعهم الآخرين) أي ممن أشبههم ولهذا قال تعالى (كذلك نفعل بالمجرمين . ويل يومئذ للمكذبين) قاله ابن جرير . ثم قال تعالى ممتنا على خلقه

ومحتجا على الاعادة بالبداءة (ألم نخلقكم من ماء مهين) أى ضعيف حقير بالنسبة إلى قدرة البارى عز وجل كما تقدم فى سورة يس فى حديث بشر بن جحاش « ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ » (فجعلناه فى قرار مكين) يعنى جمعناه فى الرحم وهو قرار الماء من الرجل والمرأة والرحم معد لذلك حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله تعالى (إلى قدر معلوم) يعنى إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر ولهذا قال تعالى (فقدرنا فنعم القادرون * ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (ألم نجعل الأرض كفاتا * أحياء وأمواتا) قال ابن عباس كفاتا كنا وقال مجاهد يكفت الميت فلا يرى منه شىء وقال الشعبى بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم وكذا قال مجاهد وقتادة (وجعلنا فيها رواسى شامخات) يعنى الجبال رسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب (وأسقيناكم ماء فراتا) أى عذبا زلالا من السحاب أو مما أنبعه من عيون الأرض (ويل يومئذ للمكذبين) أى ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ * انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ * لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ * إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ * كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ * وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ * فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار أنهم يقال لهم يوم القيامة (انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون * انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب) يعنى لهب النار إذا ارتفع وصعد معه دخان فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب (لا ظليل ولا يغنى من اللهب) أى ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ولا يغنى من اللهب يعنى ولا يقيهم حر اللهب . وقوله تعالى (إنها ترمى بشرر كالقصر) أى يتطاير الشرر من لهبها كالقصر قال ابن مسعود كالحصون ، وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وغيرهم يعنى أصول الشجر (كأنه جمالة صفر) أى كالإبل السود قاله مجاهد والحسن وقتادة والضحاك واختاره ابن جرير ، وعن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير (جمالة صفر) يعنى حبال السفن ، وعنه أعنى ابن عباس (جمالة صفر) قطع نحاس وقال البخارى ثنا عمرو ابن على ثنا يحيى أنا سفيان عن عبد الرحمن بن عابس قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما (إنها ترمى بشرر كالقصر) قال كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك فنرفعه للبناء فنسميه القصر (كأنه جمالة صفر) حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (هذا يوم لا ينطقون) أى لا يتكلمون (ولا يؤذن لهم فيعتذرون) أى لا يقدرون على الكلام ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا بل قد قامت عليهم الحجة ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ، وعرصات القيامة حالات والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة وعن هذه الحال تارة ليدل على شدة الأهوال والزلازل يومئذ ، ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام (ويل يومئذ للمكذبين)

وقوله تعالى (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فإن كان لكم كيد فكيدون) وهذه مخاطبة من الخالق تعالى لعباده يقول لهم (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين) يعنى أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر . وقوله تعالى (فإن كان لكم كيد فكيدون) تهديد شديد ووعيد أكيد أى إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى وتنجوا من حكمى فافعلوا فإنكم لا تقدرون على ذلك كما قال تعالى (يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان) وقد قال تعالى (ولا تضرونه شيئا) وفى الحديث « يا عبادى إنكم لن تبلغوا نفعى فتنفعونى ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » .

وقد قال ابن أبى حاتم : ثنا على بن المنذر الطريفى الأودى ثنا محمد بن فضيل ثنا حصين بن عبد الرحمن عن حسان

ابن أبى المخارق عن أبى عبد الله الجدلى قال : أتيت بيت المقدس فاذا عبادة بن الصامت وعبد الله بن عمرو وكعب الأحبار يتحدثون فى بيت المقدس فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد ينفذهم ويسمعهم الداعى ويقول الله (هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين * فان كان لكم كيد فكيدون) اليوم لاينجو منى جبار عنيد ، ولا شيطان مريد ، فقال عبد الله بن عمرو فانا نحدث يومئذ أنها تخرج عنق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهرانى الناس نادت : أيها الناس إنى بعثت إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه لايغيبهم عنى وزر ولا تخفيهم عنى خافية ، الذى جعل مع الله إلها آخر ، وكل جبار عنيد ، وكل شيطان مريد ، فتنطوى عليهم فتقذف بهم فى النار قبل الحساب بأربعين سنة .

﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات ، إنهم يوم القيامة يكونون فى جنات وعيون أى بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه من ظل اليحموم وهو الدخان الأسود المنتن ، وقوله (وفواكه مما يشتهون) أى ومن سائر أنواع الثمار مهما طلبوا وجدوا (كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبرا مستأنفا (إنا كذلك نجزى المحسنين) أى هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل (ويل يومئذ للمكذبين) . وقوله تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون) خطاب للمكذبين بيوم الدين وأمرهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى (كلوا وتمتعوا قليلا) أى مدة قليلة قريبة قصيرة (إنكم مجرمون) أى ثم تساقون إلى نار جهنم التى تقدم ذكرها (ويل يومئذ للمكذبين) كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) وقال تعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون * متاع فى الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون) وقوله تعالى (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) أى إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ولهذا قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) ثم قال تعالى (فبأى حديث بعده يؤمنون ؟) أى إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن فبأى كلام يؤمنون به ؟ كقوله تعالى (فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ؟)

قال ابن أبى حاتم ثنا أبى ثنا ابن أبى عمر ثنا سفيان عن إسماعيل بن أمية سمعت رجلا أعرابيا بدويا يقول سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ والمرسلات عرفا ـ فقرأ ـ فبأى حديث بعده يؤمنون ؟ فليقل آمنت بالله وبما أنزل . وقد تقدم هذا الحديث فى سورة القيامة . آخر تفسير سورة المرسلات ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

﴿ تفسير سورة النبأ وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ * عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ * ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ * كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ * أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا * وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا * وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا * وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا * وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا * وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا * وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا * وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا * وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا * لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا * وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴾

يقول تعالى منكرا على المشركين فى تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارا لوقوعها (عم يتساءلون عن النبأ العظيم) أى عن أى شىء يتساءلون عن أمر القيامة وهو النبأ العظيم يعنى الخبر الهائل الفظع الباهر قال قتادة وابن زيد: النبأ العظيم البعث بعد الموت وقال مجاهد هو القرآن . والأظهر الأول لقوله (الذى هم فيه مختلفون) يعنى الناس فيه على قولين مؤمن به وكافر ثم قال تعالى متوعدا لمنكرى القيامة (كلا سيعلمون * ثم كلا سيعلمون) وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد . ثم شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على مايشاء من أمر المعاد وغيره فقال (ألم نجعل الأرض مهادا) أى ممهدة للخلائق ذلولا لهم قارة ساكنة ثابتة (والجبال أوتادا) أى جعلها لها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها . ثم قال تعالى (وخلقناكم أزواجا) يعنى ذكرا وأنثى يتمتع كل منهما بالآخر ويحصل التناسل بذلك كقوله (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وقوله تعالى (وجعلنا نومكم سباتا) أى قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة الترداد والسعى فى المعايش فى عرض النهار وقد تقدم مثل هذه الآية فى سورة الفرقان (وجعلنا الليل لباسا) أى يغشى الناس ظلامه وسواده كما قال (والليل إذا يغشاها) وقال الشاعر:

فلما لبسن الليل أو حين نصبت له من حذا آذانها وهو جانح

وقال قتادة فى قوله تعالى (وجعلنا الليل لباسا) أى سكنا وقوله تعالى (وجعلنا النهار معاشا) أى جعلناه مشرقا نيرا مضيئا ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجىء للمعاش والتكسب والتجارات وغير ذلك وقوله تعالى (وبنينا فوقكم سبعاً شدادا) يعنى السموات السبع فى إتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات ولهذا قال تعالى (وجعلنا سراجا وهاجا) يعنى الشمس المنيرة على جميع العالم التى يتوهج ضوءها لأهل الأرض كلهم . وقوله تعالى (وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا) قال العوفى عن ابن عباس : المعصرات الريح وقال ابن أبى حاتم ثنا أبو سعيد ثنا أبو داود الحفرى عن سفيان عن الأعمش عن المنهال عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس (وأنزلنا من المعصرات) قال الرياح وكذا قال عكرمة ومجاهد وقتادة ومقاتل والكلبى وزيد بن أسلم وابنه عبد الرحمن إنها الرياح ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس من المعصرات أى من السحاب وكذا قال عكرمة أيضا وأبو العالية والضحاك والحسن والربيع بن أنس والثورى واختاره ابن جرير ، وقال الفراء هى السحاب التى تتحلب بالمطر ولم تمطر بعد ، كما يقال امرأة معصر إذا دنا حيضها ولم تحض وعن الحسن وقتادة من المعصرات يعنى السموات وهذا قول غريب ، والا ظهر أن المراد بالمعصرات السحاب كما قال تعالى (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله) أى من بينه ، وقوله جل وعلا (ماء ثجاجا) قال مجاهد وقتادة والربيع بن أنس: ثجاجا منصبا وقال الثورى متتابعا وقال ابن زيد كثيرا ، قال ابن جرير ولا يعرف فى كلام العرب فى صفة الكثرة الثج وإنما الثج الصب المتتابع ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم « أفضل الحج العج والثج » يعنى صب دماء البدن هكذا قال، قلت وفى حديث المستحاضة حين قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنعت لك الكرسف » يعنى أن تحتشى بالقطن فقالت يارسول الله هو أكثر من ذلك إنما أثج ثجا ، وهذا فيه دلالة على استعمال الثج فى الصب المتتابع الكثير والله أعلم وقوله تعالى (لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا) أى لنخرج بهذا الماء الكثير الطيب النافع المبارك (حبا) يدخر للأناسى والأنعام (ونباتا) أى خضرا يؤكل رطبا (وجنات) أى بساتين وحدائق من ثمرات متنوعة وألوان مختلفة وطعوم وروائح متفاوتة وإن كان ذلك فى بقعة واحدة من الأرض مجتمعا ولهذا قال وجنات ألفافا قال ابن عباس وغيره ألفافا مجتمعة وهذه كقوله تعالى (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون)

﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا * يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا * وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا * لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا * لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا * جَزَآءً وِفَاقًا * إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا * وَكَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا * وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا * فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفصل وهو يوم القيامة أنه مؤقت بأجل معدود لا يزاد عليه ولا ينقص منه ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عزوجل كما قال تعالى (وما نؤخره إلا لأجل معدود) (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) قال مجاهد: زمرا زمرا قال ابن جرير يعنى تأتى كل أمة مع رسولها كقوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بامامهم)وقال البخارى (يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا) حدثنامحمد حدثناأبومعاوية عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ما بين النفختين أربعون » قالوا أربعون يوما ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون شهرا ؟ قال « أبيت » قالوا أربعون سنة ؟ قال « أبيت » قال « ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شىء الا يبلى الاعظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة »(وفتحت السماء فكانت أبوابا) أى طرقا ومسالك لنزول الملائكة (وسيرت الجبال فكانت سرابا) كقوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب) وكقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) وقال ههنا (فكانت سرابا) أى يخيل إلى الناظر أنها شىء وليست بشىء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر كما قال تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا* فيذرها قاعا صفصفا * لا ترى فيها عوجا ولا أمتا) ، وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وقوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) أى مرصدة معدة (للطاغين) وهم المردة العصاة المخالفون للرسل(مآبا)أى مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا وقال الحسن وقتادة فى قوله تعالى (إن جهنم كانت مرصادا) يعنى أنه لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز بالنار فان كان معه جواز نجا والا احتبس ؛ وقال سفيان الثورى عليها ثلاث قناطر

وقوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) أى ماكثين فيها أحقابا وهى جمع حقب وهو المدة من الزمان، وقد اختلفوا فى مقداره فقال ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن عمار الدهنى عن سالم بن أبى الجعد قال: قال على بن أبى طالب لهلال الهجرى ما تجدون الحقب فى كتاب الله المنزل ؟ قال نجده ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا كل شهر ثلاثون يوما كل يوم ألف سنة ، وهكذا روى عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وابن عباس وسعيد بن جبير وعمرو بن ميمون والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك ، وعن الحسن والسدى أيضا سبعون سنة كذلك، وعن عبد الله بن عمرو : الحقب أربعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون رواها ابن أبى حاتم . وقال بشير بن كعب ذكر لى أن الحقب الواحد ثلثمائه سنة اثنا عشر شهرا كل سنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها كألف سنة رواه ابن جرير وابن أبى حاتم ، ثم قال ابن أبى حاتم ذكر عن عمرو بن على بن أبى بكر الاسفيدى حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا) قال فالحقب شهر الشهر ثلاثون يوما والسنة اثنا عشر شهرا والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم منها ألف سنة مما تعدون فالحقب ثلاثون ألف ألف سنة وهذا حديث منكر جدا والقاسم هو والراوى عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك . وقال البزار حدثنا محمد بن مرداس حدثنا سليمان بن مسلم أبو العلاء قال: سألت سليمان التيمى هل يخرج من النار أحد ؟ فقال حدثنى نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا » قال والحقب بضع وثمانون سنة كل سنة ثلثمائة وستون يوما مما تعدون ثم قال سليمان بن مسلم بصرى مشهور

وقال السدى (لا يثين فيها احقابا) سبعمائة حقب كل حقب سبعون سنة كل سنة ثلثمائه وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون ، وقد قال مقاتل بن حيان إن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) وقال خالد ابن معدان هذه الآية وقوله تعالى (إلا ما شاء ربك) فى أهل التوحيد رواها ابن جرير ثم قال ويحتمل أن يكون قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) متعلقا بقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) ثم يحدث الله لهم بعد ذلك عذابا من شكل آخر ونوع آخر ثم قال والصحيح أنها لا انقضاء لها كما قال قتادة والربيع بن أنس وقد قال قبل ذلك حدثنى محمد بن عبد الرحيم البرقى حدثنا عمرو بن أبى سلمة عن زهير عن سالم سمعت الحسن يسأل عن قوله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) قال أما الأحقاب فليس لها عدة إلا الخلود فى النار ولكن ذكروا أن الحقب سبعون سنة كل يوم منها كألف سنة مما تعدون ، وقال سعيد عن قتادة قال الله تعالى (لا يثين فيها أحقابا) وهو مالا انقطاع له وكلما مضى حقب جاء حقب بعده وقال الربيع بن أنس (لا يثين فيها أحقابا) لا يعلم عدة هذه الأحقاب إلا الله عزوجل ، وذكر لنا أن الحقب الواحد ثمانون سنة والسنة ثلثمائة وستون يوما كل يوم كألف سنة مما تعدون رواهما أيضا ابن جرير ، وقوله تعالى (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) أى لا يجدون فى جهنم بردا لقلوبهم ولا شرابا طيبا يتغذون به ولهذا قال تعالى (إلا حميما وغساقا) قال أبو العالية استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق وكذا قال الربيع بن أنس ، فأما الحميم فهو الحار الذى قد انتهى حره وحموه ، والغساق هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم فهو بارد لا يستطاع من برده ولا يواجه من نتنه ، وقد قدمنا الكلام على الغساق فى سورة ص بما أغنى عن إعادته — أجارنا الله من ذلك بمنه وكرمه — قال ابن جرير وقيل المراد بقوله (لا يذوقون فيها بردا) يعنى النوم كما قال الكندى

بردت مراشفها علىّ فصدنى * عنها وعن قبلاتها البرد

يعنى بالبرد النعاس والنوم . هكذا ذكره ولم يعزه إلى أحد . وقد رواه ابن أبى حاتم من طريق السدى عن مرة الطيب ونقله عن مجاهد أيضا . وحكاه البغوى عن أبى عبيدة والكسائى أيضا : وقوله تعالى (جزاء وفاقا) أى هذا الذى صاروا إليه من هذه العقوبة وفق أعمالهم الفاسدة التى كانوا يعملونها فى الدنيا : قاله مجاهد وقتادة وغير واحد . ثم قال تعالى (إنهم كانوا لا يرجون حسابا) أى لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارا يجازون فيها ويحاسبون (وكذبوا بآياتنا كذابا) أى وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التى أنزلها على رسله صلى الله عليهم وسلم فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة وقوله (كذابا) أى تكذيبا ، وهو مصدر من غير الفعل ، قالوا وقد سمع أعرابى يستفتى الفراء على المروة : الحلق أحب إليك أو القصار ؟ وأنشد بعضهم .

لقد طال ما ثبطتنى عن صحابتى * وعن حوج قصارها من شقائيا

وقوله تعالى (وكل شىء أحصيناه كتابا) أى وقد علمنا أعمال العباد كلهم وكتبناها عليهم وسنجزيهم على ذلك إن خيراً فخير وإن شراً فشر ، وقوله تعالى (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) أى يقال لأهل النار ذوقوا ما أنتم فيه فلن نزيدكم إلا عذابا من جنسه وآخر من شكله أزواج ، قال قتادة عن أبى أيوب الأزدى عن عبد الله بن عمرو قال لم ينزل على أهل النار آية أشد من هذه الآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال فهم فى مزيد من العذاب أبدا ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن محمد بن مصعب الصورى حدثنا خالد بن عبد الرحمن حدثنا جسر بن فرقد عن الحسن قال سألت أبا برزة الأسلمى عن أشد آية فى كتاب الله على أهل النار قال سمعت رسول الله ﷺ قرأ (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) قال « هلك القوم بمعاصيهم الله عزوجل » جسر بن فرقد ضعيف الحديث بالكلية .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا * حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا * وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا * وَكَأْسًا دِهَاقًا * لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا * جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴾

يقول تعالى مخبرا عن السعداء وما أعد لهم تعالى من الكرامة والنعيم المقيم فقال تعالى (إن للمتقين مفازا)

قال ابن عباس والضحاك: متنزها. وقال مجاهد وقتادة: فازوا فنجوا من النار. والأظهر ههنا قول ابن عباس لأنه قال بعده (حدائق) والحدائق البساتين من النخيل وغيرها (وأعنابا وكواعب أترابا) أى وحورا كواعب، قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد (كواعب) أى نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار عرب أتراب أى فى سن واحد كما تقدم بيانه فى سورة الواقعة. قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن الدستكى حدثنى أبى عن أبى سفيان عبد الرحمن بن عبد الله بن تيم حدثنا عطية بن سليمان أبو الغيث عن أبى عبد الرحمن القاسم بن أبى القاسم الدمشقى عن أبى أمامة أنه سمعه يحدث عن النبى ﷺ أنه قال «إن قمص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله وإن السحابة لتمر بهم فتناديهم يا أهل الجنة ماذا ترويدون أن أمطركم؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب» وقوله تعالى (وكأسا دهاقا) قال ابن عباس مملوءة متتابعة. وقال عكرمة صافية، وقال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد (دهاقا) الملأى المترعة، وقال مجاهد وسعيد بن جبير هى المتتابعة. وقوله تعالى (لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا) كقوله (لا لغو فيها ولا تأثيم) أى ليس فيها كلام لاغ عار عن الفائدة ولا إثم كذب بل هى دار السلام وكل ما فيها سالم من النقص. وقوله (جزاء من ربك عطاء حسابا) أى هذا الذى ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه بفضله ومنه وإحسانه ورحمته. عطاء حسابا أى كافيا وافيا سالما كثيرا، تقول العرب أعطانى فأحسبنى أى كفانى ومنه حسبى الله أى الله كافى.

﴿ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا * يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا * ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا * إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا * يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًا ﴾

يخبر تعالى عن عظمته وجلاله وأنه رب السموات والأرض وما فيهما وما بينهما وأنه الرحمن الذى شملت رحمته كل شىء، وقوله تعالى (لا يملكون منه خطابا) أى لا يقدر أحد على ابتداء مخاطبته إلا بإذنه كقوله تعالى (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وكقوله تعالى (يوم يأتى لا تكلم نفسه إلا بإذنه) وقوله تعالى (يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون) اختلف المفسرون فى المراد بالروح ههنا ما هو؟ على أقوال ﴿أحدها﴾ ما رواه العوفى عن ابن عباس أنهم أرواح بنى آدم ﴿الثانى﴾ هم بنو آدم قاله الحسن وقتادة وقال قتادة: هذا مما كان ابن عباس يكتمه ﴿الثالث﴾ أنهم خلق من خلق الله على صور بنى آدم وليسوا بملائكة ولا ببشر وهم يأكلون ويشربون قاله ابن عباس ومجاهد وأبو صالح والأعمش ﴿الرابع﴾ هو جبريل قاله الشعبى وسعيد بن جبير والضحاك، ويستشهد لهذا القول بقوله عز وجل (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال مقاتل بن حيان: الروح هو أشرف الملائكة وأقرب إلى الرب عز وجل وصاحب الوحى ﴿الخامس﴾ أنه القرآن قاله ابن زيد كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا) الآية ﴿والسادس﴾ أنه ملك من الملائكة بقدر جميع المخلوقات. قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله (يوم يقوم الروح) قال هو ملك عظيم من أعظم الملائكة خلقا. وقال ابن جرير حدثنى محمد بن خلف العسقلانى حدثنا رواد بن الجراح عن أبى حمزة عن الشعبى عن علقمة عن ابن مسعود قال الروح فى السماء الرابعة هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة يخلق الله تعالى من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجىء يوم القيامة صفا وحده. وهذا قول غريب جدا. وقد قال الطبرانى حدثنا محمد بن عبد الله بن عوس المصرى حدثنا وهب الله بن روق ابن هبيرة حدثنا بشر بن بكر حدثنا الأوزاعى حدثنى عطاء عن عبد الله بن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن لله ملكا لو قيل له التقم السموات السبع والأرضين بلقمة واحدة لفعل، تسبيحه سبحانك حيث كنت» وهذا حديث غريب جدا وفى رفعه نظر وقد يكون موقوفا على ابن عباس ويكون مما تلقاه من الاسرائيليات والله أعلم.

وتوقف ابن جرير فلم يقطع بواحد من هذه الأقوال كلها والأشبه عندى والله أعلم أنهم بنو آدم . وقوله تعالى (إلا من أذن له الرحمن) كقوله (يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه) وكما ثبت فى الصحيح « ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل » وقوله تعالى (وقال صوابا) أى حقا ومن الحق لا إله إلا الله كما قاله أبو صالح وعكرمة ، وقوله تعالى (ذلك اليوم الحق) أى الكائن لا محالة (فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا) أى مرجعا وطريقا يهتدى إليه ومنهجا يمر به عليه وقوله تعالى (إنا أنذرناكم عذابا قريبا) يعنى يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا لأن كل ما هو آت آت (يوم ينظر المرء ما قدمت يداه)أى يعرض عليه جميع أعماله خيرها وشرها ، قديمها وحديثها كقوله تعالى(ووجدوا ما عملوا حاضرا) وكقوله تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) (ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا) أى يود الكافر يومئذ أنه كان فى الدار الدنيا ترابا ولم يكن خلق ولا خرج إلى الوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سطرت عليه بأيدى الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التى كانت فى الدنيا فيفصل بينها بحكمه العدل الذى لا يجور حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها كونى ترابا فتصير ترابا فعند ذلك يقول الكافر (ياليتنى كنت ترابا) أى كنت حيوانا فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا فى حديث الصور المشهور وورد فيه آثار عن أبى هريرة وعبد الله بن عمرو وغيرهما .آخر تفسير سورة النبإ ولله الحمد والمنة .وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة النازعات وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا * وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا * وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا * فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا * فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا * يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ * تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ * أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ * يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ * أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً * قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ * فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ * فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴾

قال ابن مسعود وابن عباس ومسروق وسعيد بن جبير وأبو صالح وأبو الضحى والسدى (النازعات غرقا) الملائكة يعنون حين تنزع أرواح بنى آدم فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتغرق فى نزعها ، ومنهم من تأخذ روحه بسهوله وكأنما حلته من نشاط وهو قوله (والناشطات نشطا) قاله ابن عباس وعن ابن عباس (والنازعات) هى أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق فى النار . رواه ابن أبى حاتم وقال مجاهد (والنازعات غرقا) الموت ، وقال الحسن وقتادة (والنازعات غرقا * والناشطات نشطا) هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح فى قوله تعالى والنازعات والناشطات هى القسى فى القتال والصحيح الأول وعليه الأكثرون . وأما قوله تعالى (والسابحات سبحا) فقال ابن مسعود هى الملائكة ، وروى عن على ومجاهد وسعيد بن جبير وأبى صالح مثل ذلك ، وعن مجاهد (والسابحات سبحا) الموت، وقال قتادة هى النجوم ، وقال عطاء بن أبى رباح :هى السفن . وقوله تعالى (فالسابقات سبقا) روى عن على ومسروق ومجاهد وأبى صالح والحسن البصرى يعنى الملائكة ، قال الحسن سبقت إلى الإيمان والتصديق وعن مجاهد الموت وقال قتادة: هى النجوم ، وقال عطاء هى الخيل فى سبيل الله . وقوله تعالى (فالمدبرات أمرا) قال على ومجاهد وعطاء وأبو صالح والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدى هى الملائكة زاد الحسن تدبر الأمر من السماء إلى الأرض يعنى بأمر ربها عز وجل ولم يختلفوا فى هذا ولم يقطع ابن جرير بالمراد فى شىء من ذلك إلا أنه حكى فى المدبرات أمرا أنها الملائكة ولا أثبت ولا نفى . وقوله تعالى (يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة) قال ابن عباس هما النفختان الأولى والثانية وهكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغير واحد ، وعن مجاهد أما الأولى وهى قوله جل وعلا (يوم ترجف الراجفة) فكقوله جلت عظمته (يوم ترجف الأرض والجبال) والثانية وهى الرادفة فهى

كقوله (وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة) وقد قال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عبد الله ابن محمد بن عقيل عن أبى الطفيل بن أبى بن كعب عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه » فقال رجل يارسول الله أرأيت إن جعلت صلاتى كلها عليك ، قال « إذاً يكفيك الله ما أهمك من دنياك وآخرتك » وقد روى الترمذى وابن جرير وابن أبى حاتم من حديث سفيان الثورى باسناده مثله ولفظ الترمذى وابن أبى حاتم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال « يا أيها الناس اذكروا الله جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاء الموت بما فيه » . وقوله تعالى (قلوب يومئذ واجفة) قال ابن عباس يعنى خائفة وكذا قال مجاهد وقتادة (أبصارها خاشعة) أى أبصار أصحابها وإنما أضيفت إليها للملابسة أى ذليلة حقيرة مما عاينت من الأهوال . وقوله تعالى (يقولون أئنا لمردودون فى الحافرة) يعنى مشركى قريش ومن قال بقولهم فى إنكار المعاد يستبعدون وقوع البعث بعد المصير إلى الحافرة وهى القبور قاله مجاهد ، وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها ولهذا قالوا (أئذا كنا عظاما نخرة) وقرئ ناخرة وقال ابن عباس ومجاهد وقتادة أى بالية قال ابن عباس وهو العظم إذا بلى ودخلت الريح فيه (قالوا تلك إذاً كرة خاسرة) وعن ابن عباس ومحمد ابن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير وأبى مالك والسدى وقتادة الحافرة الحياة بعد الموت وقال ابن زيد الحافرة النار ، وما أكثر أسماءها ! هى النار والجحيم وسقر وجهنم والهاوية والحافرة ولظى والحطمة ، وأما قولهم (تلك إذاً كرة خاسرة) فقال محمد بن كعب قالت قريش لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرن قال الله تعالى (فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة) أى فإنما هو أمر من الله لامثنوية فيه ولا تأكيد فاذا الناس قيام ينظرون وهو أن يأمر تعالى إسرافيل فينفخ فى الصور نفخة البعث فاذا الأولون والآخرون قيام بين يدى الرب عز وجل ينظرون كما قال تعالى (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) وقال تعالى (وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر) وقال تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أوهو أقرب) قال مجاهد (فإنما هى زجرة واحدة) صيحة واحدة وقال إبراهيم التيمى أشد ما يكون الرب عز وجل غضبا على خلقه يوم يبعثهم وقال الحسن البصرى زجرة من الغضب وقال أبومالك والربيع بن أنس زجرة واحدة هى النفخة الآخرة وقوله تعالى (فإذاهم بالساهرة) قال ابن عباس الساهرة الأرض كلها وكذا قال سعيد بن جبير وقتادة وأبوصالح وقال عكرمة والحسن والضحاك وابن زيد الساهرة وجه الأرض ، وقال مجاهد كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها قال والساهرة المكان المستوى ، وقال الثورى الساهرة أرض الشام ، وقال عثمان بن أبى العاتكة الساهرة أرض بيت المقدس ، وقال وهب بن منبه الساهرة جبل إلى جانب بيت المقدس وقال قتادة أيضا الساهرة جهنم ، وهذه أقوال كلها غريبة والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا حرز بن المبارك الشيخ الصالح حدثنا بشر بن السرى حدثنا مصعب ابن ثابت عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى (فإذا هم بالساهرة) قال أرض بيضاء عفراء خالية كالخبزة النقى ، وقال الربيع بن أنس (فإذا هم بالساهرة) يقول الله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار) ويقول تعالى (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا * فيذرها قاعا صفصفا لاترى فيها عوجاً ولا أمتا) وقال تعالى (ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة) وبرزت الأرض التى عليها الجبال وهى لاتعد من هذه الأرض وهى أرض لم يعمل عليها خطيئة ولم يهرق عليها دم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ * إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ * فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ * فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ * فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ * فَحَشَرَ فَنَادَىٰ * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ * إِنَّ فِي

ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴾

يخبر تعالى رسوله محمدا ﷺ عن عبده ورسوله موسى عليه السلام أنه ابتعثه إلى فرعون وأيده الله بالمعجزات ومع هذا استمر على كفره وطغيانه حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر ، وكذلك عاقبة من خالفك وكذب بما جئت به ولهذا قال في آخر القصة (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) فقوله تعالى (هل أتاك حديث موسى) أي هل سمعت بخبره (إذ ناداه ربه) أي كلمه نداء (بالواد المقدس) أي المطهر (طوى) وهو اسم الوادي على الصحيح كما تقدم في سورة طه فقال له (اذهب إلى فرعون إنه طغى) أي تجبر وتمرد وعتا (فقل هل لك إلى أن تزكى) أي قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تزكى به أي تسلم وتطيع (وأهديك إلى ربك) أي أدلك إلى عبادة ربك (فتخشى) أي فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشعا بعد ما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير (فأراه الآية الكبرى) يعني فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية ودليلا واضحا على صدق ماجاءه به من عند الله (فكذب وعصى) أي فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة ، وحاصله أنه كفر قلبه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره وعلمه بأن ماجاء به حق لايلزم منه أنه مؤمن به لأن المعرفة علم القلب والإيمان عمله وهو الانقياد للحق والخضوع له . وقوله تعالى (ثم أدبر يسعى) أي في مقابلة الحق بالباطل وهو جمعه السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات (فحشر فنادى) أي في قومه (فقال أنا ربكم الأعلى) قال ابن عباس ومجاهد وهذه الكلمة قالها فرعون بعد قوله ما علمت لكم من إله غيري بأربعين سنة قال الله تعالى (فأخذه الله نكال الآخرة والأولى) أي انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا (ويوم القيامة بئس الرفد المرفود) كما قال تعالى (وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لاينصرون) وهذا هو الصحيح في معنى الآية أن المراد بقوله (نكال الآخرة والأولى) أي الدنيا والآخرة ، وقيل المراد بذلك كلتاه الأولى والثانية ، وقيل كفره وعصيانه والصحيح الذي لاشك فيه الأول ، وقوله (إن في ذلك لعبرة لمن يخشى) أي لمن يتعظ وينزجر

﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ۞ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ۞ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ۞ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ۞ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۞ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۞ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾

يقول تعالى محتجا على منكري البعث في إعادة الخلق بعد بدئه (أأنتم) أيها الناس (أشد خلقا أم السماء) يعني بل السماء أشد خلقا منكم كما قال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم) وقوله تعالى (بناها) فسره بقوله (رفع سمكها فسواها) أي جعلها عالية البناء بعيدة الفناء مستوية الأرجاء مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء . وقوله تعالى (وأغطش ليلها وأخرج ضحاها) أي جعل ليلها مظلما أسود حالكا ونهارها مضيئا مشرقا نيرا واضحا ، قال ابن عباس : أغطش ليلها أظلمه ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وجماعة كثيرون (وأخرج ضحاها) أي أنار نهارها . وقوله تعالى (والأرض بعد ذلك دحاها) فسره بقوله تعالى (أخرج منها ماءها ومرعاها) وقد تقدم في سورة حم السجدة أن الأرض خلقت قبل خلق السماء ولكن إنما دحيت بعد خلق السماء بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وهذا معنى قول ابن عباس وغير واحد واختاره ابن جرير . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن جعفر الرقي حدثنا عبيد الله يعني ابن عمر عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (دحاها) ودحيها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام فذلك قوله (والأرض بعد ذلك دحاها) وقد تقدم تقرير ذلك هنالك . وقوله تعالى (والجبال أرساها) أي قررها وأثبتها وأكدها في أماكنها وهو الحكيم العليم . الرءوف بخلقه الرحيم . وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا العوام بن حوشب

عن سليمان بن أبي سليمان عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لما خلق الله الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فألقاها عليها فاستقرت فتعجبت الملائكة من خلق الجبال فقالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم : الحديد ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال نعم : النار ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال نعم : الماء ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الماء قال نعم : الريح ، قالت يارب فهل من خلقك شيء أشد من الريح قال نعم : ابن آدم يتصدق بيمينه يخفيها عن شماله » وقال أبو جعفر ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن عطاء عن أبي عبد الرحمن السلمي عن علي قال : لما خلق الله الأرض مخضت وقالت تخلق على آدم وذريته يلقون على نتنهم ويعجلون على بالخطايا ، فأرساها الله بالجبال فمنها ما ترون ومنها ما لاترون وكان أول قرار الأرض كلحم الجزور إذا نحر يختلج لحمه . غريب جدا . وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أي دحا الأرض فأنبع عيونها ، وأظهر مكنونها ، وأجرى أنهارها ، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها ، وثبت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون اليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم اليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد وينقضي الأجل

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ * فَأَمَّا مَن طَغَىٰ * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا * فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا * إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا * إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴾

يقول تعالى (فاذا جاءت الطامة الكبرى) وهو يوم القيامة قاله ابن عباس سميت بذلك لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع كما قال تعالى (والساعة أدهى وأمر) (يوم يتذكر الإنسان ماسعى) أي حينئذ يتذكر ابن آدم جميع عمله خيره وشره كما قال تعالى (يومئذ يتذكر الأنسان وأنى له الذكرى) (وبرزت الجحيم لمن يرى) أي أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا (فأما من طغى) أي تمرد وعتا (وآثر الحياة الدنيا) أي قدمها على أمر دينه وأخراه (فان الجحيم هي المأوى) أي فان مصيره إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم ومشربه من الحميم (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى) أي خاف القيام بين يدي الله عز وجل وخاف حكم الله فيه ونهى نفسه عن هواها وردها الى طاعة مولاها (فان الجنة هي المأوى) أي منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء ثم قال تعالى (يسئلونك عن الساعة أيان مرساها * فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها) أي ليس علمها اليك ولا الى أحد من الخلق بل مردها ومرجعها الى الله عز وجل فهو الذي يعلم وقتها على التعيين (ثقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسئلونك كأنك حفي عنها قل انما علمها عند الله) وقال ههنا (الى ربك منتهاها) ولهذا لما سأل جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » وقوله تعالى (إنما أنت منذر من يخشاها) أي إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده اتبعك فأفلح وأنجح والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك وقوله تعالى (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أوضحاها) أي اذا قاموا من قبورهم الى المحشر يستقصرون مدة الحياة الدنيا حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أوضحى من يوم ، قال جويبر عن الضحاك عن ابن عباس (كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها) أما غشية فما بين الظهر الى غروب الشمس (أوضحاها) ما بين طلوع الشمس الى نصف النهار وقال قتادة : وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة . آخر تفسير سورة النازعات ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة عبس وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰ * أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ * فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ * وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ * وَهُوَ يَخْشَىٰ * فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ * كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُ * فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ * بِأَيْدِى سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطب بعض عظماء قريش وقد طمع فى إسلامه فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابن أم مكتوم وكان ممن أسلم قديما فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء ويلح عليه وود النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل طمعا ورغبة فى هدايته . وعبس فى وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه وأقبل على الآخر فأنزل الله تعالى (عبس وتولى أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى) أى يحصل له زكاة وطهارة فى نفسه (أو يذكر فتنفعه الذكرى) أى يحصل له اتعاظ وازدجار عن المحارم (أما من استغنى فأنت له تصدى) أى أما الغنى فأنت تتعرض له لعله يهتدى (وما عليك ألا يزكى) أى ما أنت بمطالب به إذا لم يحصل له زكاة (وأما من جاءك يسعى * وهو يخشى) أى يقصدك ويؤمك ليهتدى بما تقول له (فانت عنه تلهى) أى تتشاغل ، ومن ههنا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يخص بالانذار أحدا بل يساوى فيه بين الشريف والضعيف والفقير والغنى والسادة والعبيد والرجال والنساء والصغار والكبار ثم الله تعالى يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة . قال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا محمد بن مهدى حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن أنس رضى الله عنه فى قوله تعالى (عبس وتولى) جاء ابن أم مكتوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبى بن خلف فأعرض عنه فأنزل الله عز وجل (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) فكان النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يكرمه . قال قتادة وأخبرنى أنس بن مالك قال : رأيته يوم القادسية وعليه درع ومعه راية سوداء يعنى ابن أم مكتوم وقال أبو يعلى وابن جرير حدثنا سعيد بن يحيى الأموى حدثنى أبى قال هذا ماعرضنا على هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت أنزلت (عبس وتولى) فى ابن أم مكتوم الأعمى أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول أرشدنى قالت وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من عظماء المشركين قالت فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول « أترى بما أقول بأسا ؟ » فيقول لا ! فى هذا أنزلت (عبس وتولى) . وقد روى الترمذى هذا الحديث عن سعيد بن يحيى الأموى باسناده مثله ، ثم قال وقد رواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه قال أنزلت عبس وتولى فى ابن أم مكتوم ولم يذكر فيه عن عائشة ﴿ قلت ﴾ كذلك هو فى الموطأ . ثم روى ابن جرير وابن أبى حاتم أيضا من طريق العوفى عن ابن عباس قوله (عبس وتولى أن جاءه الأعمى) قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يناجى عتبة بن ربيعة وأبا جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وكان يتصدى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا فأقبل اليه رجل أعمى يقال له عبد الله بن أم مكتوم يمشى وهو يناجيهم فجعل عبد الله يستقرىء النبي صلى الله عليه وسلم آية من القرآن وقال يارسول الله علمنى مما علمك الله فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله بعض بصره وخفق برأسه ثم أنزل الله تعالى (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى * وما يدريك لعله يزكى * أو يذكر لتنفعه الذكرى) فلما نزل فيه ما نزل أكرمه رسول الله

ﷺ وكلمه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما حاجتك ؟ هل تريد من شيء ا ـ وإذا ذهب من عنده قال ـ هل لك حاجة فى شيء ؟ » وذلك لما أنزل الله تعالى (أما من استغنى فأنت له تصدى. وماعليك ألا يزكى) فيه غرابة ونكارة وقد تكلم فى إسناده وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن منصور الرمادى حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث حدثنى يونس عن ابن شهاب قال : قال سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بلالا يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم » وهو الأعمى الذى أنزل الله تعالى فيه (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) وكان يؤذن مع بلال ، قال سالم وكان رجلا ضرير البصر فلم يك يؤذن حتى يقول له الناس حين ينظرون إلى بزوغ الفجر أذن . وهكذا ذكر عروة بن الزبير ومجاهد وأبو مالك وقتادة والضحاك وابن زيد وغير واحد من السلف والخلف أنها نزلت فى ابن أم مكتوم والمشهور أن اسمه عبد الله ويقال عمرو والله أعلم وقوله تعالى (كلا إنها تذكرة) أى هذه السورة أو الوصية بالمساواة بين الناس فى إبلاغ العلم بين شريفهم ووضيعهم وقال قتادة والسدى (كلا إنها تذكرة) يعنى القرآن (فمن شاء ذكره) أى فمن شاء ذكر الله تعالى فى جميع أموره ويحتمل عود الضمير إلى الوحى لدلالة الكلام عليه

وقوله تعالى (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة) أى هذه السورة أو العظة وكلاهما متلازم بل جميع القرآن فى صحف مكرمة أى معظمة موقرة (مرفوعة) أى عالية القدر (مطهرة) أى من الدنس والزيادة والنقص وقوله تعالى (بأيدى سفرة) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك وابن زيد : هى الملائكة . وقال وهب بن منبه هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال قتادة هم القراء وقال ابن جريج عن عباس السفرة بالنبطية القراء ، وقال ابن جرير والصحيح أن السفرة الملائكة والسفرة يعنى بين الله تعالى وبين خلقه ومنه يقال السفير الذى يسعى بين الناس فى الصلح والخير كما قال الشاعر :

وما أدع السفارة بين قومى ... وما أمشى بغش إن مشيت

وقال البخارى : سفرة: الملائكة ، سفرت أصلحت بينهم وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحى الله تعالى وتأديته كالسفير الذى يصلح بين القوم وقوله تعالى (كرام برره) أى خلقهم كريم حسن شريف وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة ومن ههنا ينبغى لحامل القرآن أن يكون فى أفعاله وأقواله على السداد والرشاد . قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا هشام عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن سعد بن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة ، والذى يقرؤه وهو عليه شاق، له أجران » أخرجه الجماعة من طريق قتادة به

﴿ قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ * فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ إِلَى طَعَامِهِ * أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا * فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾

يقول تعالى ذاما لمن أنكر البعث والنشور من بنى آدم (قتل الإنسان ما أكفره) قال الضحاك عن ابن عباس (قتل الإنسان) لعن الإنسان ، وكذا قال أبو مالك وهذا لجنس الإنسان المكذب لكثرة تكذيبه بلا مستند بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم ، قال ابن جريج (ما أكفره) أى ما أشد كفره ، وقال ابن جرير ويحتمل أن يكون المراد أى شىء جعله كافراً أى ما حمله على التكذيب بالمعاد . وقد حكاه البغوى عن مقاتل والكلبى وقال قتادة (ما أكفره) ما ألعنه ، ثم بين تعالى له كيف خلقه من الشىء الحقير وأنه قادر على إعادته كما بدأه فقال تعالى (من أى شىء خلقه؟

من نطفة خلقه فقدره) أى قدر أجله ورزقه وعمله وشقى أو سعيد (ثم السبيل يسره) قال العوفى عن ابن عباس ثم يسر عليه خروجه من بطن أمه ، وكذا قال عكرمة والضحاك وأبو صالح وقتادة والسدى واختاره ابن جرير وقال مجاهد هذه كقوله تعالى (إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا) أى بيناه له وأوضحناه وسهلنا عليه علمه، وكذا قال الحسن وابن زيد وهذا هو الأرجح والله أعلم وقوله تعالى (ثم أماته فأقبره) أى أنه بعد خلقه له أماته فأقبره أى جعله ذا قبر والعرب تقول قبرت الرجل إذا ولى ذلك منه ، وأقبره الله ، وعضبت قرن الثور وأعضبه الله وبترت ذنب البعير وابتره الله ، وطردت عنى فلاناً وأطرده الله ، أى جعله طريدا ، قال الأعشى

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

وقوله تعالى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه بعد موته ومنه يقال البعث والنشور (ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) ، (وانظر إلى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أصبغ بن الفرج أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث أن دراجا أبا السمح أخبره عن أبى الهيثم عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يأكل التراب كل شىء من الإنسان إلا عجب ذنبه » قيل وما هو يارسول الله ؟ قال « مثل حبة خردل منه تنشأون » وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين من رواية الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة بدون هذه الزيادة ولفظه « كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب » . وقوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال ابن جرير يقول جل ثناؤه كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدى حق الله عليه فى نفسه وماله (لما يقض ما أمره) يقول لم يؤد ما فرض عليه عز وجل من الفرائض لربه عز وجل. ثم روى هو وابن أبى حاتم من طريق ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله تعالى (كلا لما يقض ما أمره) قال لا يقضى أحد أبدا كل ما افترض عليه، وحكاه البغوى عن الحسن البصرى بنحو من هذا ، ولم أجد للمتقدمين فيه كلا ما سوى هذا ، والذى يقع لى فى معنى ذلك والله أعلم أن المعنى (ثم إذا شاء أنشره) أى بعثه (كلا لما يقض ما أمره) أى لا يفعله الآن حتى تنقضى المدة ويفرغ القدر من بنى آدم ممن كتب الله أن سيوجد منهم ويخرج إلى الدنيا وقد أمر به تعالى كونا وقدرا فاذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم وقد روى ابن أبى حاتم عن وهب بن منبه قال : قال عزير عليه السلام قال الملك الذى جاءنى فان القبور هى بطن الأرض ، وإن الأرض هى أم الخلق فاذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبور التى مد الله لها انقطعت الدنيا ومات من عليها ولفظت الأرض ما فى جوفها وأخرجت القبور ما فيها ، وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. وقوله تعالى (فلينظر الإنسان إلى طعامه) فيه امتنان وفيه استدلال باحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عظاما بالية وترابا متمزقا (أنا صببنا الماء صبا) أى أنزلناه من السماء على الأرض (ثم شققنا الأرض شقا) أى أسكناه فيها فيدخل فى تخومها وتخلل فى أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا) فالحب كل ما يذكر من الحبوب والعنب معروف والقضب هو الفصفصة التى تأكلها الدواب رطبة ويقال لها القت أيضا قال ذلك ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى ، وقال الحسن البصرى : القضب العلف (وزيتونا) وهو معروف وهو أدم وعصيره أدم ويستصبح به ويدهن به (ونخلا) يؤكل بلحا بسرا ورطبا وتمرا ونيئا ومطبوخا ويعتصر منه رب وخل (وحدائق غلبا) : أى بساتين قال الحسن وقتادة : غلبا نخل غلاظ كرام ، وقال ابن عباس ومجاهد كل ما التف واجتمع وقال ابن عباس أيضا غلبا الشجر الذى يستظل به، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وحدائق غلبا) أى طوال ، وقال عكرمة غلبا أى غلاظ الأوساط. وفى رواية غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل والله إنه لأغلب ، رواه ابن أبى حاتم وأنشد ابن جرير للفرزدق

عوى فأثار أغلب ضيغميا فويل ابن المراعة ما استثار

وقوله تعالى (وفاكهة وأبا) أما الفاكهة فكل ما يتفكه به من الثمار قال ابن عباس الفاكهة كل ما أكل رطبا والأب ما أنبتت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس ، وفى رواية عنه هو الحشيش البهائم وقال مجاهد وسعيد بن جبير

وأبو مالك : الأب الكلأ وعن مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد : الأب للبهائم كالفاكهة لبنى آدم ، وعن عطاء كل شيء نبت على وجه الأرض فهو أب ، وقال الضحاك كل شيء أنبتته الأرض سوى الفاكهة فهو الأب

وقال ابن إدريس عن عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس : الأب نبت الأرض مما تأكله الدواب ولا يأكله الناس. ورواه ابن جرير من ثلاث طرق عن ابن إدريس ثم قال حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا حدثنا ابن إدريس حدثنا عبد الملك عن سعيد بن جبير قال عدّ ابن عباس وقال : الأب : ما أنبتت الأرض للأنعام وهذا لفظ حديث أبى كريب. وقال أبو السائب فى حديثه ما أنبتت الأرض مما يأكل الناس وتأكل الأنعام ، وقال العوفى عن ابن عباس : الأب الكلأ والمرعى ، وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة وابن زيد وغير واحد . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام حدثنا محمد بن زيد حدثنا العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى قال سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن قوله تعالى (وفاكهة وأبا) فقال : أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن قلت فى كتاب الله مالا أعلم ، وهذا منقطع بين إبراهيم التيمى والصديق رضى الله عنه . فأما ما رواه ابن جرير حيث قال : حدثنا ابن بشار حدثنا ابن أبى عدى حدثنا حميد عن أنس قال : قرأ عمر ابن الخطاب رضى الله عنه (عبس وتولى) فلما أتى على هذه الآية (وفاكهة وأبا) قال قد عرفنا الفاكهة فما الأب ؟. فقال لعمرك يا ابن الخطاب إن هذا لهو التكلف فهو إسناد صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به، وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض لقوله (فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا) وقوله تعالى (متاعا لكم ولأنعامكم) أى عيشة لكم ولأنعامكم فى هذه الدار إلى يوم القيامة

﴿ فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾

قال ابن عباس : الصاخة اسم من أسماء يوم القيامة عظمه الله وحذره عباده . قال ابن جرير لعله اسم للنفخة فى الصور وقال البغوى : الصاخة يعنى صيحة يوم القيامة سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع أى تبالغ فى اسماعها حتى تكاد تصمها (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) أى يراهم ويفر منهم ويتبعد منهم لأن الهول عظيم والخطب جليل قال عكرمة : يلقى الرجل زوجته فيقول لها يا هذه أى بعل كنت لك ؟ فتقول نعم البعل كنت وتثنى بخير ما استطاعت فيقول لها فإنى أطلب إليك اليوم حسنة واحدة تهبيها لى لعلى أنجو مما ترين فتقول له ما أيسر ما طلبت ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذى تخاف . قال وإن الرجل ليلقى ابنه فيتعلق به فيقول يا بنى أى والد كنت لك؟ فيثنى بخير . فيقول له يا بنى إنى احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلى أنجو بها مما ترى . فيقول ولده : يا أبت ما أيسر ما طلبت ولكنى أتخوف مثل الذى تتخوف فلا أستطيع أن أعطيك شيئا يقول الله تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) . وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة أنه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول نفسى نفسى لا أسألك اليوم إلا نفسى حتى إن عيسى بن مريم يقول لا أسأله اليوم إلا نفسى لا أسأله مريم التى ولدتنى ولهذا قال تعالى (يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه) قال قتادة الأحب فالأحب والأقرب فالأقرب من هول ذلك اليوم . وقوله تعالى (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) أى هو فى شغل شاغل عن غيره، قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عمار بن الحارث حدثنا الوليد بن صالح حدثنا ثابت أبو زيد العبادانى عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا » قال : فقالت زوجته يا رسول الله ننظر أو يرى بعضنا عورة بعض؟ قال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - أو قال : ما أشغله عن النظر - »

وقد رواه النسائى منفردا به عن أبى داود عن عارم عن ثابت بن يزيد وهو ابن زيد الأحول البصرى أحد الثقات عن هلال بن خباب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به . وقد رواه الترمذى عن عبد الله بن حميد عن محمد بن الفضل عن ثابت بن زيد عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « تحشرون حفاة عراة غرلا » فقالت امرأة أيبصر أو يرى بعضنا عورة بعض ؟ قال « يا فلانة لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » ثم قال الترمذى وهذا حديث حسن صحيح وقد روى من غير وجه عن ابن عباس رضى الله عنهما، وقال النسائى أخبرنى عمرو بن عثمان حدثنا بقية حدثنا الزبيدى أخبرنى الزهرى عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا » فقالت عائشة : يا رسول الله فكيف بالعورات ؟ فقال « لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » انفرد به النسائى من هذا الوجه ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أزهر بن حاتم حدثنا الفضل بن موسى عن عائذ بن شريح عن أنس بن مالك قال سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله بأبى أنت وأمى ، إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به قال « إن كان عندى منه علم » قالت يانبى الله كيف يحشر الرجال ! قال « حفاة عراة » ثم انتظرت ساعة فقالت : يا رسول الله كيف يحشر النساء ؟ قال « كذلك حفاة عراة » قالت : واسوأتاه من يوم القيامة قال « وعن أى ذلك تسألين إنه قد نزل على آية لا يضرك كان عليك ثياب أولا يكون » قالت أية آية هى يا نبى الله قال (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) وقال البغوى فى تفسيره أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحى أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبى أخبرنى الحسين بن محمد بن عبد الله حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن حدثنا محمد بن عبد العزيز حدثنا ابن أبى أويس حدثنا أبى عن محمد بن أبى عياش عن عطاء بن يسار عن سودة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان » فقلت يا رسول الله واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض . فقال « قد شغل الناس لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا وهكذا رواه ابن جرير عن أبى عمار الحسين بن حريث المروزى عن الفضل بن موسى به ولكن قال أبو حاتم الرازى عائذ بن شريح ضعيف فى حديثه ضعف ، وقوله تعالى (وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة) أى يكون الناس هنالك فريقين وجوه مسفرة أى مستنيرة (ضاحكة مستبشرة) أى مسرورة فرحة من السرور فى قلوبهم قد ظهر البشر على وجوههم وهؤلاء هم أهل الجنة (ووجوه يومئذ عليها غبرة * ترهقها قترة) أى يعلوها وتغشاها قترة أى سواد ، قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سهل بن عثمان العسكرى حدثنا أبو على محمد مولى جعفر بن محمد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم » قال فهو قوله تعالى (ووجوه يومئذ عليها غبرة) وقال ابن عباس (ترهقها قترة) أى يغشاها سواد الوجوه وقوله تعالى (أولئك هم الكفرة الفجرة) أى الكفرة قلوبهم الفجرة فى أعمالهم كما قال تعالى (ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا) . آخر تفسير سورة عبس ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة التكوير وهى مكية)

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا عبد الله بن بحير القاص أن عبد الرحمن بن يزيد الصنعانى أخبره أنه سمع ابن عمر يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ (إذا الشمس كورت) و(إذا السماء انفطرت) و (إذا السماء انشقت) وهكذا رواه الترمذى عن العباس بن عبد العظيم العنبرى عن عبد الرزاق به

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(إذا الشمس كورت * وإذا النجوم انكدرت * وإذا الجبال سيرت * وإذا العشار عطلت * وإذا الوحوش حشرت * وإذا البحار سجرت * وإذا النفوس زوجت * وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب

قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (إذا الشمس كورت) يعنى أظلمت وقال العوفى عنه : ذهبت وقال مجاهد اضمحلت وذهبت وكذا قال الضحاك وقال قتادة ذهب ضوءها وقال سعيد بن جبير كورت غورت وقال الربيع بن خيثم كورت يعنى رمى بها وقال أبو صالح كورت ألقيت وعنه أيضا نكست وقال زيد بن أسلم تقع فى الأرض قال ابن جرير والصواب من القول عندنا فى ذلك أن التكوير جمع الشىء بعضه على بعض ومنه تكوير العمامة وجمع الثياب بعضها إلى بعض فمعنى قوله تعالى (كورت) جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوءها وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى حدثنا أبو أسامة عن مجالد عن شيخ من بجيلة عن ابن عباس إذا الشمس كورت قال يكور الله الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله ريحا دبورا فتضرمها نارا وكذا قال عامر الشعبى ، ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنى معاوية بن صالح عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال فى قول الله (إذا الشمس كورت) قال « كور فى جهنم » ، وقال الحافظ أبو يعلى فى مسنده حدثنا موسى بن محمد بن حيان حدثنا درست بن زياد حدثنا يزيد الرقاشى حدثنا أنس قال : قال رسول الله ﷺ « الشمس والقمر ثوران عقيران فى النار » هذا حديث ضعيف لأن يزيد الرقاشى ضعيف ، والذى رواه البخارى فى الصحيح بدون هذه الزيادة ثم قال البخارى حدثنا مسدد حدثنا عبد العزيز ابن المختار حدثنا عبد الله الداناج حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبى هريرة عن النبى ﷺ « الشمس والقمر يكوران يوم القيامة » انفرد به البخارى وهذا لفظه وانما أخرجه فى كتاب بدء الخلق وكان جديرا أن يذكره ههنا أو يكرره كما هى عادته فى أمثاله وقد رواه البزار فجود إيراده فقال حدثنا إبراهيم بن زياد البغدادى حدثنا يونس بن محمد حدثنا عبد العزيز بن المختار عن عبد الله الداناج قال سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن خالد بن عبد الله القسرى فى هذا المسجد مسجد الكوفة وجاء الحسن فجلس اليه فحدث قال حدثنا أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال « إن الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة » فقال الحسن وما ذنبهما ؟ فقال أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقول أحسبه قال وماذنبهما ثم قال لا يروى عن أبى هريرة إلا من هذا الوجه ولم يرو عبد الله الداناج عن أبى سلمة سوى هذا الحديث وقوله تعالى (وإذا النجوم انكدرت) أى انتثرت كما قال تعالى (وإذا الكواكب انتثرت) وأصل الانكدار الانصباب . قال الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب قال ست آيات قبل يوم القيامة ، بينا الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ففزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن ، واختلطت الدواب والطير والوحوش فماجوا بعضهم فى بعض (وإذا الوحوش حشرت) قال اختلطت (وإذا العشار عطلت) قال أهملها أهلها (وإذا البحار سجرت) قال : قالت الجن نحن نأتيكم بالخبر قال فانطلقوا إلى البحر فاذا هو نار تتأجج ، قال فبينما هم كذلك إذ تصدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا ، قال فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم . رواه ابن جرير وهذا لفظه وابن أبى حاتم ببعضه وهكذا قال مجاهد والربيع بن خيثم والحسن البصرى وأبو صالح وحماد بن أبى سليمان والضحاك فى قوله جل وعلا (وإذا النجوم انكدرت) أى تناثرت ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا النجوم انكدرت) أى تغيرت . وقال يزيد بن أبى مريم عن النبى صلى الله عليه وسلم (وإذا النجوم انكدرت) قال « انكدرت فى جهنم وكل من عبد من دون الله فهو فى جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها » رواه ابن أبى حاتم بالاسناد المتقدم ، وقوله تعالى (وإذا الجبال سيرت) أى زالت عن أماكنها ونسفت فتركت الأرض قاعا صفصفا وقوله (وإذا العشار عطلت) قال عكرمة ومجاهد : عشار الإبل ، قال مجاهد:

عطلت تركت وسيبت وقال أبي بن كعب والضحاك أهملها أهلها وقال الربيع بن خيثم لم تحلب ولم تصر تخلى منها أربابها وقال الضحاك تركت لاراعي لها والمعنى فى هذا كله متقارب ، والمقصود أن العشار من الإبل وهى خيارها والحوامل منها التى قد وصلت فى حملها إلى الشهر العاشر - واحدتها عشراء ولا يزال ذلك اسمها حتى تضع - قداشتغل الناس عنها وعن كفالتها والانتفاع بها بعد ما كانوا أرغب شيء فيها بما دهمهم من الأمر العظيم المفظع الهائل وهو أمر يوم القيامة وانعقاد أسبابها ووقوع مقدماتها وقيل بل يكون ذلك يوم القيامة يراها أصحابها كذلك لاسبيل لهم اليها ، وقد قيل فى العشار إنها السحاب تعطل عن المسير بين السماء والأرض لخراب الدنيا وقيل إنها الأرض التى تعشر ، وقيل انها الديار التى كانت تسكن تعطلت لذهاب أهلها . حكى هذه الأقوال كلها الامام أبوعبدالله القرطبى فى كتابه التذكرة ورجح أنها الإبل وعزاه إلى أكثر الناس ﴿ قلت ﴾ لايعرف عن السلف والأئمة سواه والله أعلم وقوله تعالى (وإذا الوحوش حشرت) أى جمعت كماقال تعالى (وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا فى الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون) قال ابن عباس يحشر كل شيء حتى الذباب رواه ابن أبى حاتم وكذا قال الربيع بن خيثم والسدى وغير واحد ، وكذا قال قتادة فى تفسير هذه الآية إن هذه الخلائق موافية فيقضى الله مافيها مايشاء ، وقال عكرمة حشرها موتها وقال ابن جرير حدثنى على بن مسلم الطوسى حدثنا عباد بن العوام حدثنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله (وإذا الوحوش حشرت) قال حشر البهائم موتها وحشر كل شيء الموت غير الجن والإنس فانهما يوقفان يوم القيامة حدثنا أبوكريب حدثنا وكيع عن سفيان عن أبيه عن أبى يعلى عن الربيع بن خيثم (وإذا الوحوش حشرت) قال أتى عليها أمر الله ، قال سفيان قال أبى فذكرته لعكرمة فقال قال ابن عباس حشرها موتها وقد تقدم عن أبى بن كعب أنه قال (وإذا الوحوش حشرت) اختلطت قال ابن جرير والأولى قول من قال حشرت جمعت قال الله تعالى (والطير محشورة) أى مجموعة ، وقوله تعالى (وإذا البحار سجرت) قال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية عن داود عن سعيد بن المسيب قال : قال على رضى الله عنه لرجل من اليهود أين جهنم ؟ قال البحر فقال ما أراه إلا صادقا والبحر المسجور (وإذا البحار سجرت) وقال ابن عباس وغير واحد يرسل الله عليها الرياح الدبور فتسعرها وتصير نارا تأجج وقد تقدم الكلام على ذلك عند قوله تعالى (والبحر المسجور) وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أبوطاهر حدثنى عبد الجبار بن سليمان أبوسليمان النفاط - شيخ صالح يشبه مالك بن أنس - عن معاوية بن سعيد قال إن هذا البحر بركة - يعنى بحر الروم - وسط الأرض والأنهار كلها تصب فيه والبحر الكبير يصب فيه وأسفله آبار مطبقة بالنحاس فاذا كان يوم القيامة أسجر وهذا أثر غريب عجيب وفى سنن أبى داود « لايركب البحر إلا حاج أومعتمر أو غاز فان تحت البحر نارا وتحت النار بحرا » الحديث وقد تقدم الكلام عليه فى سورة فاطر . وقال مجاهد والحسن بن مسلم : سجرت أوقدت وقال الحسن : يبست وقال الضحاك وقتادة : غاض ماؤها فذهب فلم يبق فيها قطرة ، وقال الضحاك أيضا سجرت فجرت ، وقال السدى فتحت وصيرت ، وقال الربيع بن خيثم سجرت فاضت ، وقوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى جمع كل شكل إلى نظيره كقوله تعالى (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا محمد بن الصباح البزار حدثنا الوليد بن أبى ثور عن سماك عن النعمان بن بشير أنه قال : قال رسول الله صلى عليه وسلم « (وإذا النفوس زوجت) - قال - الضرباء كل رجل مع كل قوم كانوا يعملون عمله » وذلك بأن الله عز وجل يقول (وكنتم أزواجا ثلاثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة ، والسابقون السابقون) قال هم الضرباء ، ثم رواه ابن أبى حاتم من طرق أخر عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير أن عمر بن الخطاب خطب الناس فقرأ (وإذا النفوس زوجت) فقال تزوجها أن تؤلف كل شيعة إلى شيعتهم ، وفى رواية هما الرجلان يعملان العمل فيدخلان به الجنة أو النار وفى رواية عن النعمان قال سئل عمر عن قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار فذلك تزويج الأنفس . وفى رواية عن النعمان

أن عمر قال للناس : ماتقولون فى تفسير هذه الآية (وإذا النفوس زوجت) ؟ فسكتوا . قال ولكن أعلمه هو الرجل يزوج نظيره من أهل الجنة ، والرجل يزوج نظيره من أهل النار ثم قرأ (احشروا الذين ظلموا وأزواجهم) وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ذلك حين يكون الناس أزواجا ثلاثة وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد (وإذا النفوس زوجت) قال الأمثال من الناس جمع بينهم ؛ وكذا قال الربيع بن خيثم والحسن وقتادة واختاره ابن جرير وهو الصحيح .

﴿ قول آخر ﴾ فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث بن سرار عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يسيل وادمن أصل العرش من ماء فيما بين الصيحتين ومقدار ما بينهما أربعون عاما فينبت منه كل خلق بلى من الإنسان أوطير أودابة ، ولو مر عليهم مار قد عرفهم قبل ذلك لعرفهم على وجه الأرض قد نبتوا ثم توسل الأرواح فتزوج الأجساد فذلك قول الله تعالى (وإذا النفوس زوجت) وكذا قال أبو العالية وعكرمة وسعيد بن جبير والشعبى والحسن البصرى أيضا فى قوله تعالى (وإذا النفوس زوجت) أى زوجت بالأبدان . وقيل زوج المؤمنون بالحور العين وزوج الكافرون بالشياطين . حكاه القرطبى فى التذكرة وقوله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) هكذا قراءة الجمهور سئلت . والموءودة هى التى كان أهل الجاهلية يدسونها فى التراب كراهية البنات ، فيوم القيامة تسئل الموءودة على أى ذنب قتلت ليكون ذلك تهديدا لقاتلها فانه إذا سئل المظلوم فما ظن الظالم إذا ! وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس (وإذا الموءودة سئلت) أى سألت . وكذا قال أبو الضحى سألت أى طالبت بدمها . وعن السدى وقتادة مثله . وقد وردت أحاديث تتعلق بالموءودة فقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا سعيد بن أبى أيوب حدثنى أبو الأسود وهو محمد بن عبد الرحمن بن نوفل عن عروة عن عائشة عن جذامة بنت وهب أخت عكاشة قالت حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناس وهو يقول « لقد هممت أن أنهى عن الغيلة فنظرت فى الروم وفارس فاذاهم يغيلون أولادهم ولايضر أولادهم ذلك شيئا » ثم سألوه عن العزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ذلك الوأد الخفى وهو الموءودة سئلت » ورواه مسلم من حديث أبى عبد الرحمن المقرى وهو عبد الله بن يزيد عن سعيد بن أبى أيوب . ورواه أيضا ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يحيى بن إسحاق السيلحينى عن يحيى بن أيوب، ورواه مسلم أيضا وأبو داود والترمذى والنسائى من حديث مالك بن أنس ثلاثتهم عن أبى الأسود به

وقال الإمام أحمد حدثنا ابن أبى عدى عن داود ابن أبى هند عن الشعبى عن علقمة عن سلمة بن يزيد الجعفى قال: انطلقت أنا وأخى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله إن أمنا مليكة كانت تصل الرحم وتقرى الضيف وتفعل، هلكت فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا ! قال « لا » قلنا فانها كانت وأدت أختا لنا فى الجاهلية فهل ذلك نافعها شيئا قال « الوائدة والموءودة فى النار إلا أن يدرك الوائدة الإسلام فيعفو الله عنها » ورواه النسائى من حديث داود بن أبى هند به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن علقمة وأبى الأحوص عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الوائدة والموءودة فى النار » وقال أحمد أيضا : حدثنا إسحاق الأزرق أخبرنا عوف حدثتنى خنساء ابنة معاوية الصريمية عن عمها قال: قلت يارسول الله من فى الجنة ! قال « النبى فى الجنة والشهيد فى الجنة والمولود فى الجنة والموءودة فى الجنة »

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا قرة قال سمعت الحسن يقول: قيل يارسول الله من فى الجنة ! قال « الموءودة فى الجنة » هذا حديث مرسل من مراسيل الحسن ومنهم من قبله . وقال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة قال : قال ابن عباس أطفال المشركين فى الجنة فمن زعم أنهم فى النار فقد كذب يقول الله تعالى (وإذا الموءودة سئلت * بأى ذنب قتلت) قال ابن عباس هى المدفونة. وقال عبد الرزاق أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن النعمان بن بشير عن عمر بن الخطاب فى قوله تعالى (وإذا

للموءودة سئلت) قال جاء قيس بن عاصم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى وأدت بنات لى فى الجاهلية قال « أعتق عن كل واحدة منهن رقبة » قال يارسول الله إنى صاحب إبل قال « فانحر عن كل واحدة منهن بدنة » قال الحافظ أبو بكر البزار خولف فيه عبد الرزاق ولم يكتبه إلا عن الحسين بن مهدى عنه ، وقد رواه ابن أبى حاتم فقال أخبرنا أبو عبد الله الظهرانى فيما كتب إلى قال حدثنا عبد الرزاق فذكره باسناده مثله ، إلا أنه قال: وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية وقال فى آخره « فأهد إن شئت عن كل واحدة بدنة » ثم قال حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين قال قدم قيس بن عاصم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إنى وأدت اثنى عشرة ابنة لى فى الجاهلية أو ثلاث عشرة قال « أعتق عددهن نسما » قال فأعتق عددهن نسما ، فلما كان فى العام المقبل جاء بمائة ناقة فقال يارسول الله هذه صدقة قومى على أثر ماصنعت بالمسلمين قال على ابن أبى طالب فكنا نريحها ونسميها القيسية . وقوله تعالى (وإذا الصحف نشرت) قال الضحاك أعطى كل إنسان صحيفته بيمينه أو بشماله وقال قتادة ياابن آدم تملى فيها ثم تطوى ثم تنشر عليك يوم القيامة فلينظر رجل ماذا يملى فى صحيفته

وقوله تعالى (وإذا السماء كشطت) قال مجاهد اجتذبت وقال السدى كشفت وقال الضحاك تنكشط فتذهب . وقوله تعالى (وإذا الجحيم سعرت) قال السدى أحميت وقال قتادة أوقدت قال وإنما يسعرها غضب الله وخطايا بنى آدم . وقوله تعالى (وإذا الجنة أزلفت) قال الضحاك وأبو مالك وقتادة والربيع بن خيثم أى قربت إلى أهلها ، وقوله تعالى (علمت نفس ما أحضرت) هذا هو الجواب أى إذا وقعت هذه الأمور حينئذ تعلم كل نفس ما عملت وأحضر ذلك لها كما قال تعالى (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا) وقال تعالى (ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبدة حدثنا ابن المبارك حدثنا محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن أبيه قال لما نزلت (إذا الشمس كورت) قال عمر لما بلغ (علمت نفس ما أحضرت) قال لهذا أجرى الحديث .

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ * وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ * وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ * فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ * وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾

روى مسلم فى صحيحه والنسائى فى تفسيره عند هذه الآيه من حديث مسعر بن كدام عن الوليد بن سريع عن عمرو بن حريث قال صليت خلف النبى صلى الله عليه وسلم الصبح فسمعته يقرأ (فلا أقسم بالخنس * الجوار الكنس * والليل إذا عسعس * والصبح إذا تنفس) ورواه النسائى عن بندار عن غندر عن شعبة عن الحجاج بن عاصم عن أبى الأسود عن عمرو بن حريث به نحوه قال ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق الثورى عن ابى إسحاق عن رجل من مراد عن على (فلا أقسم بالخنس ، الجوار الكنس) قال هى النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل وقال ابن جرير حدثنا ابن المثنى حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت خلد بن عرعرة سمعت عليا وسئل عن لاأقسم بالخنس الجوار الكنس فقال هى النجوم تخنس بالنهار وتكنس بالليل وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن خالد عن على قال هى النجوم وهذا إسناد جيد صحيح الى خالد بن عرعرة وهو السهمى الكوفى قال أبو حاتم الرازى روى عن على وروى عنه سماك والقاسم بن عوف الشيبانى ولم يذكر فيه جرحا ولا تعديلا فالله أعلم ، وروى يونس عن أبى إسحاق عن الحارث عن على أنها النجوم رواه ابن أبى حاتم وكذا روى عن ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة

والسدى وغيرهم أنها النجوم وقال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا هوذة بن خليفة حدثنا عوف عن بكر بن عبدالله فى قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) قال هى النجوم الدرارى التى تجرى تستقبل المشرق وقال بعض الأئمة إنما قيل للنجوم الخنس أى فى حال طلوعها ثم هى جوار فى فلكها وفى حال غيبوبتها يقال لها كنس من قول العرب أوى الظبى إلى كناسه إذا تغيب فيه وقال الأعمش عن إبراهيم قال : قال عبدالله فلاأقسم بالخنس قال بقر الوحش وكذا قال الثورى عن أبى إسحاق عن أبى ميسرة عن عبدالله فلاأقسم بالخنس الجوار الكنس ماهى ياعمرو ؟ قلت البقر قال وأنا أرى ذلك وكذا روى يونس عن أبى إسحاق عن أبيه وقال أبوداود الطيالسى عن عمرو عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس الجوار الكنس قال البقر تكنس إلى الظل وكذا قال سعيد بن جبير ، وقال العوفى عن ابن عباس هى الظباء وكذا قال سعيد أيضا ومجاهد والضحاك وقال أبو الشعثاء جابر بن زيد هى الظباء والبقر وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا مغيرة عن إبراهيم ومجاهد أنهما تذاكرا هذه الآية (فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) فقال إبراهيم لمجاهد قل فيها بما سمعت ، قال: فقال مجاهد كنا نسمع فيها شيئا وناس يقولون إنها النجوم قال فقال إبراهيم قل فيها بما سمعت ، قال فقال مجاهد كنا نسمع أنها بقر الوحش حين تكنس فى حجرتها ، قال فقال إبراهيم إنهم يكذبون علىّ على هذا كمارووا عن على أنه ضمن الأسفل الأعلى والأعلى الأسفل ، وتوقف ابن جرير فى المراد بقوله (الخنس الجوار الكنس) هل هو النجوم أو الظباء وبقر الوحش قال ويحتمل أن يكون الجميع مرادا ، وقوله تعالى (والليل إذا عسعس) فيه قولان ﴿ أحدهما ﴾ إقباله بظلامه قال مجاهد أظلم وقال سعيد بن جبير إذانشأ ، وقال الحسن البصرى إذاغشى الناس ، وكذاقال عطية العوفى وقال على بن أبى طلحة والعوفى عن ابن عباس (إذاعسعس) إذا أدبر ، وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وكذا قال زيد بن أسلم وابنه عبدالرحمن (إذا عسعس) أى إذا ذهب فتولى

وقال أبوداود الطيالسى حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبى البحترى سمع أباعبد الرحمن السلمى قال : خرج علينا على رضى الله عنه حين ثوب المثوب بصلاة الصبح فقال : أين السائلون عن الوتر (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ؟) هذا حين أدبر حسن . وقد اختار ابن جرير أن المراد بقوله (إذاعسعس) إذا أدبر قال لقوله (والصبح إذا تنفس) أى أضاء واشتشهد بقول الشاعر أيضا :

حتى إذا الصبح له تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا

أى أدبر وعندى أن المراد بقوله (إذا عسعس) إذا أقبل وإن كان يصح استعماله فى الإدبار أيضا لكن الاقبال ههنا أنسب كأنه أقسم بالليل وظلامه إذا أقبل وبالفجر وضيائه إذا أشرق كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (والضحى والليل إذاسجى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكناً) وغيرذلك من الآيات ، وقال كثير من علما الأصول إن لفظة عسعس تستعمل فى الاقبال والإدبار على وجه الاشتراك فعلى هذا يصح أن يراد كل منهما والله أعلم . قال ابن جرير وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب يزعم أن عسعس دنا من أوله وأظلم ، وقال الفراء كان أبو البلاد النحوى ينشد بيتاً :

عسعس حتى لو يشا أدنى كان له من ضوئه مقبس

يريد لو يشاء إذ دنا أدغم الذال فى الدال ؛ قال الفراء وكانوا يزعمون أن هذا البيت مصنوع . وقوله تعالى (والصبح إذا تنفس) قال الضحاك إذا طلع ، وقال قتادة إذا أضاء وأقبل وقال سعيد بن جبير إذا نشأ وهو المروى عن على رضى الله عنه . وقال ابن جرير يعنى ضوء النهار إذا أقبل وتبين . وقوله تعالى (إنه لقول رسول كريم) يعنى إن هذا القرآن لتبليغ رسول كريم أى ملك شريف حسن الخلق بهى المنظر وهو جبريل عليه الصلاة والسلام قاله ابن عباس والشعبى وميمون بن مهران والحسن وقتادة والربيع بن أنس والضحاك وغيرهم (ذى قوة) كقوله تعالى (علمه شديد القوى * ذومرة) أى شديد الخلق شديد البطش والفعل (عندذى العرش مكين) أى له مكانة عندالله عزوجل ومنزلة رفيعة ، قال أبوصالح فى قوله تعالى (عند ذى العرش مكين) قال جبريل يدخل فى سبعين حجابا من نور بغير إذن (مطاع ثم) أى له وجاهة وهو مسموع القول مطاع فى الملأ الأعلى قال قتادة (مطاع ثم) أى فى السموات يعنى ليس هو من أفناد الملائكة بل هو من السادة والأشراف معتنى به انتخب لهذه الرسالة العظيمة

وقوله تعالى (أمين) صفة لجبريل بالأمانة وهذا عظيم جدا أن الرب عز وجل يزكى عبده ورسوله الملكى جبريل كما زكى عبده ورسوله البشرى محمدا صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وماصاحبكم بمجنون) قال الشعبي وميمون ابن مهران وأبو صالح ومن تقدم ذكرهم المراد بقوله (وما صاحبكم بمجنون) يعنى محمدا ﷺ ، وقوله تعالى (ولقد رآه بالأفق المبين) يعنى ولقد رأى محمد جبريل الذى يأتيه بالرسالة عن الله عز وجل على الصورة التى خلقه الله عليها له ستمائة جناح (بالأفق المبين) أى البين وهى الرؤية الأولى التى كانت بالبطحاء وهى المذكورة فى قوله (علمه شديد القوى . ذومرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أوأدنى . فأوحى إلى عبده ماأوحى) كما تقدم تفسير ذلك وتقريره والدليل عليه أن المراد بذلك جبريل عليه السلام ، والظاهر والله أعلم أن هذه السورة نزلت قبل ليلة الإسراء لأنه لم يذكر فيها إلا هذه الرؤية وهى الأولى ، وأما الثانية وهى المذكورة فى قوله تعالى (ولقدرآه نزلة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . إذيغشى السدرة مايغشى) فتلك إنما ذكرت فى سورة النجم وقد نزلت بعد سورة الإسراء . وقوله تعالى (وما هو على الغيب بظنين) أى وما محمد على ما أنزله الله اليه بظنين أى بمتهم . ومنهم من قرأ ذلك بالضاد أى ببخيل بل يبذله لكل أحد . قال سفيان بن عيينه ظنين وضنين سواء أى ماهو بكاذب وما هو بفاجر . والظنين المتهم والضنين البخيل . وقال قتادة كان القرآن غيبا فأنزله الله على محمد فما ضن به على الناس بل نشره وبلغه وبذله لكل من أراده ، وكذا قال عكرمة وابن زيد وغير واحد واختار ابن جرير قراءة الضاد ﴿ قلت ﴾ وكلاهما متواتر ومعناه صحيح كما تقدم ، وقوله تعالى (وما هو بقول شيطان رجيم) أى وماهذا القرآن بقول شيطان رجيم أى لايقدر على حمله ولايريده ولاينبغى له كما قال تعالى (وما تنزلت به الشياطين . وماينبغى لهم وما يستطيعون . إنهم عن السمع لمعزولون) ، وقوله تعالى (فأين تذهبون ؟)أى فأين تذهب عقولكم فى تكذيبكم بهذا القرآن مع ظهوره ووضوحه وبيان كونه حقا من عند الله عز وجل كما قال الصديق رضى الله عنه لوفد بنى حنيفة حين قدموا مسلمين وأسرهم فتلوا عليه شيئا من قرآن مسيلمة الكذاب الذى هو فى غاية الهذيان والركاكة فقال : ويحكم أين تذهب عقولكم ؟ والله إن هذا الكلام لم يخرج من إل ، أى من إله ، وقال قتادة (فأين تذهبون) أى عن كتاب الله وعن طاعته

وقوله تعالى (إن هو إلا ذكر للعالمين) أى هذا القرآن ذكر لجميع الناس يتذكرون به ويتعظون (لمن شاء منكم أن يستقيم) أى من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن فانه مناجاة له وهداية ، ولاهداية فيما سواه (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين) أى ليست المشيئة موكولة اليكم فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل بل ذلك كله تابع لمشيئة الله تعالى رب العالمين . قال سفيان الثورى عن سعيد بن عبدالعزيز عن سليمان بن موسى: لما نزلت هذه الآية (لمن شاء منكم أن يستقيم) قال أبو جهل : الأمر الينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم فأنزل الله تعالى (وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين). آخر تفسير سورة التكوير ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة الانفطار وهى مكية ﴾

قال النسائى أخبرنا محمد بن قدامة حدثنا جرير عن الأعمش عن محارب بن دثار عن جابر قال: قام معاذ فصلى العشاء الآخرة فطول فقال النبى ﷺ « أفتان أنت يامعاذ ؟ أين كنت عن سبح اسم ربك الأعلى ، والضحى ، وإذا السماء انفطرت ! » وأصل الحديث مخرج فى الصحيحين ولكن ذكر (إذا السماء انفطرت) فى أفراد النسائى . وقد تقدم من رواية عبدالله بن عمر عن النبى ﷺ قال « من سره أن ينظر إلى القيامة رأى عين فليقرأ إذا الشمس كورت ، وإذا السماء انفطرت ، وإذا السماء انشقت »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ * وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ * وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ * ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ *

فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ * كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ * وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انفطرت) أى انشقت كما قال تعالى (السماء منفطر به) (وإذا الكواكب انتثرت) أى تساقطت (وإذا البحار فجرت) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فجر الله بعضها فى بعض وقال الحسن فجر الله بعضها فى بعض فذهب ماؤها ، وقال قتادة اختلط عذبها بمالحها .

وقال الكلبى ملئت (وإذا القبور بعثرت) قال ابن عباس بحثت ، وقال السدى تبعثر تحرك فيخرج من فيها (علمت نفس ما قدمت وأخرت) أى إذا كان هذا حصل هذا ، وقوله تعالى (يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم ؟) هذا تهديد لا كما يتوهمه بعض الناس من أنه إرشاد إلى الجواب حيث قال الكريم حتى يقول قائلهم غره كرمه بل المعنى فى هذه الآية ماغرك يا ابن آدم بربك الكريم أى العظيم حتى أقدمت على معصيته وقابلته بما لا يليق . كما جاء فى الحديث « يقول الله تعالى يوم القيامة يا ابن آدم ما غرك بى ؟ يا ابن آدم ماذا أجبت المرسلين ؟ »

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا ابن أبى عمر حدثنا سفيان أن عمر سمع رجلا يقرأ (يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم) فقال عمر : الجهل . وقال أيضا حدثنا عمر بن شيبة حدثنا أبو خلف حدثنا يحيى البكاء سمعت ابن عمر يقول وقرأ هذه الآية (يأيها الإنسان ماغرك بربك الكريم) قال ابن عمر غره والله جهله قال وروى عن ابن عباس والربيع بن خيثم والحسن مثل ذلك . وقال قتادة (ما غرك بربك الكريم) شىء ، ماغر ابن آدم غير هذا العدو الشيطان . وقال الفضيل ابن عياض لو قال لى ما غرك بى لقلت ستورك المرخاة ، وقال أبو بكر الوراق لو قال لى ماغرك بربك الكريم لقلت غرنى كرم الكريم . وقال بعض أهل الإشارة إنما قال بربك الكريم دون سائر أسمائه وصفاته كأنه لقنه الاجابة وهذا الذى تخيله هذا القائل ليس بطائل لأنه إنما أتى باسمه الكريم لينبه على أنه لا ينبغى أن يقابل الكريم بالأفعال القبيحة وأعمال الفجور . وقد حكى البغوى عن الكلبى ومقاتل أنهما قالا نزلت هذه الآية فى الأسود بن شريق ضرب النبى ﷺ ولم يعاقب فى الحالة الراهنة فأنزل الله تعالى (ما غرك بربك الكريم ؟)

وقوله تعالى (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى ما غرك بالرب الكريم (الذى خلقك فسواك فعدلك) أى جعلك سويا مستقيما معتدل القامة منتصبا فى أحسن الهيئات والأشكال ، قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا جرير حدثنى عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشر بن جحاش القرشى أن رسول الله ﷺ بصق يوما فى كفه فوضع عليها اصبعه ثم قال « قال الله عز وجل : يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذه ؟ حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟ » وكذا رواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن يزيد بن هارون عن جرير بن عثمان به قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى وتابعه يحيى بن حمزة عن ثور بن يزيد عن عبد الرحمن بن ميسرة وقوله تعالى (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال مجاهد فى أى شبه أب أو أم أو خال أو عم . وقال ابن جرير حدثنى محمد بن سنان القزاز حدثنا مطهر بن الهيثم حدثنا موسى بن على بن رباح حدثنى أبى عن جدى أن النبى ﷺ قال له « ما ولد لك » قال يا رسول الله ما عسى أن يولد لى إما غلام وإما جارية . قال « فمن يشبه » قال يا رسول الله من عسى أن يشبه إما أباه وإما أمه فقال النبى ﷺ عندها « مه لا تقولن هكذا إن النطفة إذا استقرت فى الرحم أحضرها الله تعالى كل نسب بينها وبين آدم ؟ أما قرأت هذه الآية فى كتاب الله تعالى فى أى صورة ما شاء ركبك » قال شكلك

وهكذا رواه ابن أبى حاتم والطبرانى من حديث مطهر بن الهيثم به وهذا الحديث لو صح لكان فيصلا فى هذه الآية ولكن إسناده ليس بالثابت لأن مطهر بن الهيثم قال فيه أبو سعيد بن يونس كان متروك الحديث وقال ابن حبان :

يروى عن موسى بن على وغيره ما لا يشبه حديث الأثبات ولكن فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا قال يا رسول الله إن امرأتى ولدت غلاما أسود ، قال « هل لك من إبل ؟ » قال نعم ، قال « فما ألوانها » قال حمر. قال « فهل فيها من أورق » قال نعم ، قال « فأنى أتاها ذلك » قال عسى أن يكون نزعه عرق قال « وهذا عسى أن يكون نزعه عرق » وقد قال عكرمة فى قوله تعالى (فى أى صورة ماشاء ركبك) إن شاء فى صورة قرد وإن شاء فى صورة خنزير ، وكذا قال أبو صالح (فى أى صورة ماشاء ركبك) إن شاء فى صورة كلب وإن شاء فى صورة حمار وإن شاء فى صورة خنزير وقال قتادة (فى أى صورة ما شاء ركبك) قال قادر والله ربنا على ذلك ومعنى هذا القول عند هؤلاء أن الله عز وجل قادر على خلق النطفة على شكل قبيح من الحيوانات المنكرة الخلق ولكن بقدرته ولطفه وحلمه يخلقه على شكل حسن مستقيم معتدل تام حسن المنظر والهيئة . وقوله تعالى (كلا بل تكذبون بالدين) أى إنما يحملكم على مواجهة الكريم ومقابلته بالمعاصى تكذيب فى قلوبكم بالمعاد والجزاء والحساب ، وقوله تعالى (وإن عليكم لحافظين * كراما كاتبين * يعلمون ماتفعلون) يعنى وإن عليكم للائكة حفظة كراما فلا تقابلوهم بالقبائح فانهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا وكيع حدثنا سفيان ومسعر عن علقمة ابن مرثد عن مجاهد قال : قال رسول الله ﷺ « أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند احدى حالتين الجنابة والغائط . فإذا اغتسل أحدكم فليستتر بجرم حائط أو ببعيره أو ليستره أخوه » . وقد رواه الحافظ أبو بكر البزار فوصله بلفظ آخر فقال حدثنا محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا عبيد الله بن موسى عن حفص بن سليمان عن علقمه بن مرثد عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله ينهاكم عن التعرى فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند احدى ثلاث حالات : الغائط والجنابة والغسل فإذا اغتسل أحدكم بالعراء فليستتر بثوبه أو بجرم حائط أو ببعيره » ثم قال حفص بن سليمان لين الحديث وقد روى عنه واحتمل حديثه . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا زياد بن أيوب حدثنا ميسرة بن إسماعيل الحلبى حدثنا تمام بن نجيح عن الحسن يعنى البصرى عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « ما من حافظين يرفعان إلى الله عز وجل ما حفظا فى يوم فيرى فى أول الصحيفة وفى آخرها استغفارا إلا قال الله تعالى قد غفرت لعبدى ما بين طرفى الصحيفة » ثم قال تفرد به تمام بن نجيح وهو صالح الحديث ﴿ قلت ﴾ وثقه ابن معين وضعفه البخارى وأبو زرعة وابن أبى حاتم والنسائى وابن عدى ورماه ابن حبان بالوضع وقال الإمام أحمد لا أعرف حقيقة أمره. وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إسحاق بن سليمان البغدادى المعروف بالفلوسى حدثنا بيان بن حمران حدثنا سلام عن منصور بن زاذان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إن لله ملائكة يعرفون بنى آدم - وأحسبه قال ويعرفون أعمالهم - فإذا نظروا إلى عبد يعمل بطاعة الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا أفلح الليلة فلان . نجا الليلة فلان وإذا نظروا إلى عبد يعمل بمعصية الله ذكروه بينهم وسموه وقالوا هلك الليلة فلان » ثم قال البزار : سلام هذا ، أحسبه سلام المدائنى وهو لين الحديث

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ * وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ * يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴾

يخبر تعالى عما يصير الأبرار إليه من النعيم وهم الذين أطاعوا الله عز وجل ولم يقابلوه بالمعاصى وقد روى ابن عساكر فى ترجمة موسى بن محمد عن هشام بن عمار عن عيسى بن يونس بن أبى إسحاق عن عبيد الله عن محارب عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال « إنما سماهم الله الأبرار لأنهم بروا الآباء والأبناء » ثم ذكر ما يصير إليه الفجار من الجحيم والعذاب المقيم ولهذا قال (يصلونها يوم الدين) أى يوم الحساب والجزاء والقيامة (وما هم عنها بغائبين) أى

لا يغيبون عن العذاب ساعة واحدة ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يجابون إلى ما يسألون من الموت أو الراحة ولو يوما واحدا ، وقوله تعالى (وما أدراك ما يوم الدين) تعظيم لشأن يوم القيامة ثم أكده بقوله تعالى (ثم ما أدراك ما يوم الدين) ثم فسره بقوله (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا) أي لا يقدر أحد على نفع أحد ولا خلاصه مما هو فيه إلا أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، ونذكر ههنا حديث « يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار لا أملك لكم من الله شيئا » وقد تقدم في آخر تفسير سورة الشعراء ولهذا قال (والأمر يومئذ لله) كقوله (لمن الملك اليوم ؟ لله الواحد القهار) وكقوله (الملك يومئذ الحق للرحمن) وكقوله (مالك يوم الدين) قال قتادة (يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله) والأمر والله اليوم لله ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحد . آخر تفسير سورة الانفطار ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة المطففين وهي مدنية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ * لِيَوْمٍ عَظِيمٍ * يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

قال النسائي وابن ماجه أخبرنا محمد بن عقيل زاد ابن ماجه وعبد الرحمن بن بشر قالا: حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي عن يزيد وهو ابن أبي سعيد النحوي مولى قريش عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله تعالى (ويل للمطففين) فحسنوا الكيل بعد ذلك . وقال ابن أبي حاتم حدثنا جعفر بن النضر بن حماد حدثنا محمد بن عبيد عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن عبد الله بن الحارث عن هلال بن طلق قال بينا أنا أسير مع ابن عمر فقلت من أحسن الناس هيئة وأوفاهم كيلا أهل مكة وأهل المدينة قال حتى لهم أما سمعت الله تعالى يقول (ويل للمطففين) وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا ابن فضيل عن ضرار عن عبد الله المكتب عن رجل عن عبد الله قال : قال له رجل يا أبا عبد الرحمن إن أهل المدينة ليوفون الكيل قال وما يمنعهم أن يوفوا الكيل وقد قال الله تعالى (ويل للمطففين — حتى بلغ — يوم يقوم الناس لرب العالمين) والمراد بالتطفيف ههنا البخس في المكيال والميزان إما بالازدياد إن اقتضى من الناس وإما بالنقصان إن قضاهم ولهذا فسر تعالى المطففين الذين وعدهم بالخسار والهلاك وهو الويل بقوله تعالى (الذين إذا اكتالوا على الناس) أي من الناس (يستوفون) أي يأخذون حقهم بالوافي والزائد (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي ينقصون ، والأحسن أن يجعل كالوا ووزنوا متعديا ويكون هم في محل نصب ، ومنهم من يجعلها ضمير امؤكدا المستتر في قوله كالوا ووزنوا ويحذف المفعول لدلالة الكلام عليه وكلاهما متقارب . وقد أمر الله تعالى بالوفاء في الكيل والميزان فقال تعالى (وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم * ذلك خير وأحسن تأويلا) وقال تعالى (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفسا إلا وسعها) وقال تعالى (وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان) وأهلك الله قوم شعيب ودمرهم على ما كانوا يبخسون الناس في الميزان والمكيال . ثم قال تعالى متوعدا لهم (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون * ليوم عظيم ؟) أي ما يخاف أولئك من البعث والقيام بين يدي من يعلم السرائر والضمائر في يوم عظيم الهول كثير الفزع جليل الخطب من خسر فيه أدخل نارا حامية ؟ وقوله تعالى (يوم يقوم الناس لرب العالمين) أي يقومون حفاة عراة غرلا في موقف صعب حرج ضيق ضنك على المجرم ويغشاهم من أمر الله تعالى ما تعجز القوى والحواس عنه

قال الإمام مالك عن نافع عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال « يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه » رواه البخاري من حديث مالك وعبد الله بن عون كلاهما عن نافع به ورواه مسلم من الطريقين أيضا ، وكذلك رواه أيوب بن يحيى وصالح بن كيسان وعبد الله وعبيد الله ابنا عمرو ومحمد بن إسحق عن نافع عن ابن عمر به ولفظ الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا ابن إسحق عن نافع عن ابن عمر سمعت رسول الله ﷺ يقول « يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمة الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف

آذانهم ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن إسحق حدثنا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر حدثنى سليم بن عامر حدثنى المقداد يعنى ابن الأسود الكندى قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين — قال — فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم ، منهم من يأخذه إلى عقبيه ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه ومنهم من يأخذه إلى حقويه ومنهم من يلجمه إلجاما » رواه مسلم عن الحكم بن موسى عن يحيى بن حمزة والترمذى عن سويد عن ابن المبارك كلاهما عن ابن جابر به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث بن سعد عن معاوية بن صالح أن أبا عبد الرحمن حدثه عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال « تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فى حرها كذا وكذا ، تغلى منها الهوام كما تغلى القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم ، منهم من يبلغ إلى كعبيه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ، ومنهم من يلجمه العرق » انفرد به أحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا أبو عشانة حى بن يؤمن أنه سمع عقبة بن عامر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبيه ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ العجز ومنهم من يبلغ الخاصرة ومنهم من يبلغ منكبيه ، ومنهم من يبلغ وسط فيه — وأشار بيده فألجمها فاه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشير بيده هكذا — ومنهم من يغطيه عرقه » وضرب بيده إشارة ، انفرد به أحمد ، وفى حديث أنهم يقومون سبعين سنة لا يتكلمون ، وقيل يقومون ثلثمائة سنة وقيل يقومون أربعين ألف سنة ويقضى بينهم فى مقدار عشرة آلاف سنة كما فى صحيح مسلم عن أبى هريرة مرفوعا « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو عون الزيادى أخبرنا عبد السلام بن عجلان سمعت أبا يزيد المدنى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لبشير الغفارى « كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبر من السماء ولا يؤمر فيهم بأمر ؟ » قال بشير : المستعان الله ، قال « فإذا أويت إلى فراشك فتعوذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب » ورواه ابن جرير من طريق عبد السلام به . وفى سنن أبى داود أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة . وعن ابن مسعود يقومون أربعين سنة رافعى رءوسهم إلى السماء لا يكلمهم أحد قد ألجم العرق برهم وفاجرهم ، وعن ابن عمر : يقومون مائة سنة رواهما ابن جرير . وفى سنن أبى داود والنسائى وابن ماجه من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أزهر بن سعيد الحرازى عن عاصم بن حميد عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يفتتح قيام الليل : يكبر عشرا ويحمد عشرا ، ويسبح عشرا ويستغفر عشرا ويقول « اللهم اغفرلى واهدنى وارزقنى وعافنى » ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ * ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ * وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ * كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا ٱلْجَحِيمِ * ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا (إن كتاب الفجار لفى سجين) أى ان مصيرهم ومأواهم لفى سجين فعيل من السجن وهو الضيق كما يقال فسيق وشريب وخمير وسكير ونحو ذلك ولهذا عظم أمره فقال تعالى (وما أدراك ما سجين ؟) أى هو أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم ، ثم قد قال قائلون : هى تحت الأرض السابعة ، وقد تقدم فى حديث البراء بن عازب فى حديثه

الطويل : يقول الله عز وجل فى روح الكافرا كتبوا كتابه فى سجين. وسجين هى تحت الأرض السابعة وقيل صخرة تحت السابعة خضراء ، وقيل بئر فى جهنم ، وقد روى ابن جرير فى ذلك حديثا غريبا منكرا لا يصح فقال : حدثنا إسحاق بن وهب الواسطى حدثنا مسعود بن موسى بن مسكان الواسطى حدثنا نصر بن خزيمة الواسطى عن شعيب ابن صفوان عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « الفلق جب فى جهنم مغطى وأما سجين فمفتوح » والصحيح أن سجينا مأخوذ من السجن وهو الضيق فان المخلوقات كل ماتسافل منها ضاق وكل ما تعالى منها اتسع فان الأفلاك السبعة كل واحد منها أوسع وأعلى من الذى دونه وكذلك الأرضون كل واحدة أوسع من التى دونها حتى ينتهى السفول المطلق والمحل الأضيق إلى المركز فى وسط الأرض السابعة ولما كان مصير الفجار إلى جهنم وهى أسفل السافلين كما قال تعالى (ثم رددناه أسفل سافلين * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال ههنا (كلا إن كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ماسجين) وهو يجمع الضيق والسفول كما قال تعالى (وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا) وقوله تعالى (كتاب مرقوم) ليس تفسيرا لقوله (وما أدراك ماسجين) وإنما هو تفسير لما كتب لهم من المصير الى سجين أى مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد . قاله محمد بن كعب القرظى ثم قال تعالى (ويل يومئذ للمكذبين) أى إذا صاروا يوم القيامة الى ماأوعدهم الله من السجن والعذاب المهين ، وقد تقدم الكلام على قوله ويل بما أغنى عن إعادته وأن المراد من ذلك الهلاك والدمار كما يقال ويل لفلان وكما جاء فى المسند والسنن من رواية بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ويل للذى يحدث فيكذب ليضحك الناس ويل له ويل له » ثم قال تعالى مفسرا للمكذبين الفجار الكفرة (الذين يكذبون بيوم الدين) أى لايصدقون بوقوعه ولايعتقدون كونه ويستبعدون أمره ، قال الله تعالى (وما يكذب به إلا كل معتد أثيم) أى معتد فى أفعاله من تعاطى الحرام والمجاوزة فى تناول المباح والأثيم فى أقواله إن حدث كذب ، وإن وعد أخلف ، وإن خاصم فجر ، وقوله تعالى (إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين) أى إذا سمع كلام الله تعالى من الرسول يكذب به ويظن به ظن السوء فيعتقد أنه مفتعل مجموع من كتب الأوائل كما قال تعالى (وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم ؟ قالوا أساطير الأولين) وقال تعالى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا) قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا إن هذا القرآن أساطير الأولين بل هو كلام الله ووحيه وتنزيله على رسوله صلى الله عليه وسلم وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الرين الذى قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا ولهذا قال تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) والرين يعترى قلوب الكافرين والغيم للأبرار والغين للمقربين وقد روى ابن جرير والترمذى والنسائى وابن ماجه من طرق عن محمد بن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إن العبد إذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب منها صقل قلبه وإن زاد زادت فذلك قول الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) » وقال الترمذى حسن صحيح ولفظ النسائى « إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فان هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه فان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران الذى قال الله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون)

وقال أحمد حدثنا صفوان بن عيسى أخبرنا ابن عجلان عن القعقاع بن حكيم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن المؤمن إذا أذنب كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه فان زاد زادت حتى تعلو قلبه وذاك الران الذى ذكر الله فى القرآن (كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون) . وقال الحسن البصرى هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب فيموت وكذا قال مجاهد بن جبر وقتادة وابن زيد وغيرهم . وقوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) أى لهم يوم القيامة منزل ونزل سجين ثم هم يوم القيامة مع ذلك محجوبون عن رؤية ربهم وخالقهم ، قال الإمام أبو عبدالله الشافعى وفى هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عزوجل

يومئذ وهذا الذى قاله الإمام الشافعى رحمه الله فى غاية الحسن وهو استدلال بمفهوم هذه الآية . كما دل عليه منطوق قوله تعالى (وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) وكما دلت على ذلك الأحاديث الصحاح المتواترة فى رؤية المؤمنين ربهم عز وجل فى الدار الآخرة رؤية بالأبصار فى عرصات القيامة وفى روضات الجنان الفاخرة . وقد قال ابن جرير حدثنا أبو معمر المقرى حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن عمرو بن عبيد عن الحسن فى قوله تعالى (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) قال يكشف الحجاب فينظر إليه المؤمنون والكافرون ثم يحجب عنه الكافرون وينظر اليه المؤمنون كل يوم غدوة وعشية أو كلاما هذا معناه ، وقوله تعالى (ثم إنهم لصالوا الجحيم) أى ثم هم مع هذا الحرمان عن رؤية الرحمن من أهل النيران (ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون) أى يقال لهم ذلك على وجه التقريع والتوبيخ والتصغير والتحقير

﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ * إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ * وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴾

يقول تعالى حقا إن كتاب الأبرار وهم بخلاف الفجار لفى عليين أى مصيرهم إلى عليين وهو بخلاف سجين . قال الأعمش عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر عن سجين قال هى الأرض السابعة وفيها أرواح الكفار ، وسأله عن عليين فقال هى السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين وهكذا قال غير واحد إنها السماء السابعة ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين) يعنى الجنة . وفى رواية العوفى عنه أعمالهم فى السماء عند الله وكذا قال الضحاك ، وقال قتادة عليون ساق العرش اليمنى ، وقال غيره عليون عند سدرة المنتهى والظاهر أن عليين مأخوذ من العلو ، وكلما علا الشىء وارتفع عظم واتسع ولهذا قال تعالى معظما أمره ومفخما شأنه (وما أدراك ما عليون) ثم قال تعالى مؤكدا لما كتب لهم (كتاب مرقوم يشهده المقربون) وهم الملائكة قاله قتادة ، وقال العوفى عن ابن عباس يشهده من كل سماء مقربوها . ثم قال تعالى (إن الأبرار لفى نعيم) أى يوم القيامة هم فى نعيم مقيم وجنات فيها فضل عميم (على الأرائك) وهى السرر تحت الحجال ينظرون قيل معناه ينظرون فى ملكهم وما أعطاهم الله من الخير والفضل الذى لا ينقضى ولا يبيد وقيل معناه (على الأرائك ينظرون) إلى الله عز وجل ، وهذا مقابل لما وصف به أولئك الفجار (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) فذكر عن هؤلاء أنهم يباحون النظر إلى الله عز وجل وهم على سرورهم وفرشهم كما تقدم فى حديث ابن عمر « إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر فى ملكه مسيرة ألفى سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه وإن أعلاهم لمن ينظر إلى الله عز وجل فى اليوم مرتين » وقوله تعالى (تعرف فى وجوههم نضرة النعيم) أى تعرف إذا نظرت اليهم فى وجوههم نضرة النعيم أى صفة الترافة والحشمة والسرور والدعة والرياسة مما هم فيه من النعيم العظيم . وقوله تعالى (يسقون من رحيق مختوم) أى يسقون من خمر من الجنة والرحيق من أسماء الخمر قاله ابن مسعود وابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة وابن زيد قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا زهير عن سعد أبى المحاصر الطائى عن عطية بن سعد العوفى عن أبى سعيد الخدرى أراه قد رفعه إلى النبى صلى الله عليه وسلم قال « أيما مؤمن سقى مؤمنا شربة ماء على ظمإ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم ، وأيما مؤمن أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة وأيما مؤمن كسا مؤمنا ثوبا على عرى كساه الله من خضر الجنة » وقال ابن مسعود فى قوله (ختامه مسك) أى خلطه مسك ، وقال العوفى عن ابن عباس طيب الله لهم الخمر فكان آخر شىء جعل فيها مسك ختم بمسك ، وكذا قال قتادة والضحاك ، وقال إبراهيم والحسن ختامه مسك أى عاقبته مسك وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن جابر عن عبد الرحمن بن سابط عن أبى

الدرداء (ختامه مسك) قال شراب أبيض مثل الفضة يختمون به شرابهم ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيبها وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد (ختامة مسك) قال طيبه مسك. وقوله تعالى (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) أي وفي مثل هذا الحال فليتفاخر المتفاخرون وليتباهى ويكاثر ويستبق إلى مثله المستبقون كقوله تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) ، وقوله تعالى (ومزاجه من تسنيم) أي ومزاج هذا الرحيق الموصوف من تسنيم أي من شراب يقال له تسنيم وهو أشرف شراب أهل الجنة وأعلاه ، قاله أبو صالح والضحاك ولهذا قال (عينا يشرب بها المقربون) أي يشربها المقربون صرفا وتمزج لأصحاب اليمين مزجا قاله ابن مسعود وابن عباس ومسروق وقتادة وغيرهم

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ * وَمَآ أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ * فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ * هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن المجرمين أنهم كانوا في الدار الدنيا يضحكون من المؤمنين أي يستهزئون بهم ويحتقرونهم، وإذا مروا بالمؤمنين يتغامزون عليهم أي محتقرين لهم (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) أي وإذا انقلب أي رجع هؤلاء المجرمون إلى منازلهم انقلبوا إليها فاكهين أي مهما طلبوا وجدوا ومع هذا ما شكروا نعمة الله عليهم بل اشتغلوا بالقوم المؤمنين يحقرونهم ويحسدونهم (وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون) أي لكونهم على غير دينهم قال الله تعالى (وما أرسلوا عليهم حافظين) أي وما بعث هؤلاء المجرمون حافظين على هؤلاء المؤمنين ما يصدر منهم من أعمالهم وأقوالهم ولا كلفوا بهم ؟ فلم اشتغلوا بهم وجعلوهم نصب أعينهم ، كما قال تعالى (اخسئوا فيها ولا تكلمون * إنه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين . فاتخذتموهم سخريا حتى أنسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون إني جزيتهم اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون) ولهذا قال ههنا (فاليوم) يعني يوم القيامة (الذين آمنوا من الكفار يضحكون) أي في مقابلة ما ضحك بهم أولئك (على الأرائك ينظرون) أي إلى الله عز وجل في مقابلة من زعم فيهم أنهم ضالون ليسوا بضالين بل هم من أولياء الله المقربين ينظرون إلى ربهم في دار كرامته وقوله تعالى (هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون ؟) أي هل جوزي الكفار على ما كانوا يقابلون به المؤمنين من الاستهزاء والتنقيص أم لا، يعني قد جوزوا أوفر الجزاء وأتمه وأكمله. آخر تفسير سورة المطففين ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الانشقاق وهي مكية ﴾

قال مالك عن عبد الله بن يزيد عن أبي سلمة أن أبا هريرة قرأ بهم (إذا السماء انشقت) فسجد فيها فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد فيها رواه مسلم والنسائي من طريق مالك به . وقال البخاري حدثنا أبو النعمان حدثنا معتمر عن أبيه عن بكر عن أبي رافع قال صليت مع أبي هريرة العتمة فقرأ (إذا السماء انشقت) فسجد فقلت له فقال سجدت خلف أبي القاسم ﷺ فلا أزال أسجد بها حتى ألقاه ورواه أيضا عن مسدد عن معتمر به ثم رواه عن مسدد عن يزيد بن زريع عن التيمي عن بكر عن أبي رافع فذكره، وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي من طرق عن سليمان بن طرخان التيمي به وقد رواه مسلم وأهل السنن من حديث سفيان بن عيينة زاد النسائي وسفيان الثوري كلاهما عن أيوب بن موسى عن عطاء بن ميناء عن أبي هريرة قال سجدنا مع رسول الله ﷺ في (إذا السماء انشقت) و (اقرأ باسم ربك الذي خلق)

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ * وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ * وَأَذِنَتْ

لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ * يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا * وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا * وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا * إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا * إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ * بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴾

يقول تعالى (إذا السماء انشقت) وذلك يوم القيامة (وأذنت لربها) أى استمعت لربها وأطاعت أمره فيما أمرها به من الإنشاق وذلك يوم القيامة (وحقت) أى وحق لها أن تطيع أمره لأنه العظيم الذى لا يمانع ولا يغالب بل قد قهر كل شىء وذل له كل شىء ثم قال (وإذا الأرض مدت) أى بسطت وفرشت ووسعت

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الزهرى عن على بن الحسين أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه فأكون أول من يدعى وجبريل عن يمين الرحمن والله ما رآه قبلها فأقول يا رب إن هذا أخبرنى أنك أرسلته إلى فيقول الله عزوجل صدق ثم أشفع فأقول يا رب عبادك عبدوك فى أطراف الأرض ـ قال ـ وهو المقام المحمود » . وقوله تعالى (وألقت ما فيها وتخلت) أى ألقت ما فى بطنها من الأموات وتخلت منهم قاله مجاهد وسعيد وقتادة (وأذنت لربها وحقت) كما تقدم . وقوله (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) أى إنك ساع إلى ربك سعيا وعامل عملا (فملاقيه) ثم إنك ستلقى ما عملت من خير أو شر . ويشهد لذلك ما رواه أبو داود الطيالسى عن الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ « قال جبريل يا محمد عش ما شئت فانك ميت ، وأحبب ما شئت فانك مفارقه . واعمل ماشئت فانك ملاقيه » ومن الناس من يعيد الضمير على قوله ربك أى فملاق ربك ومعناه فيجازيك بعملك ويكافئك على سعيك ، وعلى هذا فكلا القولين متلازم قال العوفى عن ابن عباس (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) يقول تعمل عملا تلقى الله به خيرا كان أو شرا . وقال قتادة (يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا) إن كدحك يا ابن آدم لضعيف فمن استطاع أن يكون كدحه فى طاعة الله فليفعل ولا قوة إلا بالله. ثم قال تعالى (فأما من أوتى كتابه بيمنه فسوف يحاسب حسابا يسيرا) أى سهلا بلا تعسير أى لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله فان من حوسب كذلك هلك لا محالة . وقال الامام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب عن عبد الله بن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من نوقش الحساب عذب » قالت فقلت : أفليس قال الله تعالى (فسوف يحاسب حسابا يسيرا) قال « ليس ذاك بالحساب ولكن ذاك العرض من نوقش الحساب يوم القيامة عذب » وهكذا رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن جرير من حديث أيوب السختيانى به

وقال ابن جرير حدثنا ابن وكيع حدثنا روح بن عبادة حدثنا أبو عامر الخزاز عن ابن أبى مليكة عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبا » فقلت أليس الله يقول (فسوف يحاسب حسابا يسيرا ؟) قال « ذاك العرض إنه من نوقش الحساب عذب » وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت وقد رواه أيضا عن عمرو بن على عن ابن أبى عدى عن أبى يونس القشيرى عن ابن أبى مليكة عن القاسم عن عائشة فذكر الحديث أخرجاه من طريق أبى يونس القشيرى واسمه حاتم بن أبى صغيرة به قال ابن جرير : وحدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا مسلم عن الحريش بن الخريت أخى الزبير عن ابن أبى مليكة عن عائشة قالت من نوقش الحساب ـ أو من حوسب ـ عذب . قال ثم قالت إنما الحساب اليسير عرض على الله تعالى وهو يراهم وقال أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا محمد بن إسحاق حدثنى عبد الواحد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير عن عباد بن عبد الله بن الزبير عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ

عليه وسلم يقول فى بعض صلاته « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » فلما انصرف قلت يارسول الله ما الحساب اليسير ؟ قال « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه إنه من نوقش الحساب ياعائشة يومئذ هلك » صحيح على شرط مسلم ، وقوله تعالى (وينقلب إلى أهله مسرورا) أى ويرجع إلى أهله فى الجنة ، قاله قتادة والضحاك: مسروراً أى فرحا مغتبطا بما أعطاه الله عز وجل . وقد روى الطبرانى عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ أنه قال إنكم تعملون أعمالا لاتعرف ويوشك الغائب أن يثوب إلى أهله فمسرور أو مكظوم ، وقوله تعالى (وأما من أوتى كتابه وراء ظهره) أى بشماله من وراء ظهره تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك (فسوف يدعو ثبورا) أى خسارا وهلاكا (ويصلى سعيرا * إنه كان فى أهله مسرورا) أى فرحا لا يفكر فى العواقب ولا يخاف مما أمامه فأعقبه ذلك الفرح اليسير الحزن الطويل (إنه ظن أن لن يحور) أى كان يعتقد أنه لايرجع إلى الله ولايعيده بعد موته قاله ابن عباس وقتادة وغيرهما ، والحور هو الرجوع قال الله (بلى إن ربه كان به بصيرا) يعنى بلى سيعيده الله كما بدأه ويجازيه على أعماله خيرها وشرها فإنه كان به بصيرا أى عليما خبيرا

﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ * فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ * وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ * فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾

روى عن على وابن عباس وعبادة بن الصامت وأبى هريرة وشداد بن أوس وابن عمر ومحمد بن على بن الحسين ومكحول وبكر بن عبد الله المزنى وبكير بن الأشج ومالك وابن أبى ذئب وعبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون أنهم قالوا الشفق الحمرة وقال عبد الرزاق عن معمر ابن خثيم عن ابن لبيبة عن أبى هريرة قال الشفق البياض ، فالشفق هو حمرة الأفق إما قبل طلوع الشمس كما قاله مجاهد وإما بعد غروبها كما هو معروف عند أهل اللغة . قال الخليل بن أحمد : الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة فاذا ذهب قيل غاب الشفق . وقال الجوهرى : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أول الليل إلى قريب من العتمة وكذا قال عكرمة الشفق الذى يكون بين المغرب والعشاء وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن رسول الله ﷺ أنه قال « وقت المغرب مالم يغب الشفق » ففى هذا كله دليل على أن الشفق هو كما قاله الجوهرى والخليل . ولكن صح عن مجاهد أنه قال فى هذه الآية (فلا أقسم بالشفق) هو النهار كله وفى رواية عنه أيضا أنه قال الشفق الشمس رواهما ابن أبى حاتم ، وانما حمله على هذا قرنه بقوله تعالى (والليل وما وسق) أى جمع كأنه أقسم بالضياء والظلام وقال ابن جرير : أقسم الله بالنهار مدبرا وبالليل مقبلا . وقال ابن جرير: وقال آخرون الشفق اسم للحمرة والبياض وقالوا هو من الأضداد . قال ابن عباس ومجاهد والحسن وقتادة (وما وسق) وما جمع قال قتادة وماجمع من نجم ودابة واستشهد ابن عباس بقول الشاعر :

* مستوسقات لو يجدن سائقا *

قد قال عكرمة (والليل وما وسق) يقول ماساق من ظلمة إذا كان الليل ذهب كل شىء إلى مأواه ، وقوله تعالى (والقمر إذا اتسق) قال ابن عباس إذا اجتمع واستوى وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير ومسروق وأبو صالح والضحاك وابن زيد (والقمر إذا اتسق) إذا استوى . وقال الحسن إذا اجتمع إذا امتلأ وقال قتادة إذا استدار ومعنى كلامهم أنه إذا تكامل نوره وأبدر جعله مقابلا لليل وما وسق ، وقوله تعالى (لتركبن طبقا عن طبق) قال البخارى أخبرنا سعيد بن النضر أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد قال : قال ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال قال هذا نبيكم صلى الله عليه وسلم ، هكذا رواه البخارى بهذا اللفظ . وهو محتمل أن يكون ابن عباس أسند هذا التفسير عن النبى صلى الله عليه وسلم كأنه قال سمعت هذا من نبيكم صلى الله عليه وسلم فيكون

قوله نبيكم مرفوعا على الفاعلية من قال وهو الأظهر والله أعلم كما قال أنس : لايأتى عام إلا والذى بعده شر منه سمعته من نبيكم ﷺ . وقال ابن جرير حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن مجاهد أن ابن عباس كان يقول (لتركبن طبقا عن طبق) قال يعنى نبيكم ﷺ يقول حالا بعد حال ، هذا لفظه ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس طبقا عن طبق حالا بعد حال . وكذا قال عكرمة ومرة والطيب ومجاهد والحسن والضحاك ومسروق وأبوصالح ويحتمل أن يكون المراد (لتركبن طبقا عن طبق) حالا بعد حال ، قال هذا يعنى المراد بهذا نبيكم ﷺ فيكون مرفوعا على أن هذا ونبيكم يكونان مبتدأ وخبرا والله أعلم ولعل هذا قد يكون هو المتبادر إلى كثير من الرواة كما قال أبوداود الطيالسى وغندر حدثنا شعبة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (لتركبن طبقا عن طبق) قال : محمد ﷺ ، ويؤيد هذا المعنى قراءة عمر وابن مسعود وابن عباس وعامة أهل مكة والكوفة لتركبن بفتح التاء والباء . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن إسماعيل عن الشعبى (لتركبن طبقا عن طبق) قال: لتركبن ياعمد سماء بعد سماء . وهكذا روى عن ابن مسعود ومسروق وأبى العالية (طبقا عن طبق) سماء بعد سماء ﴿ قلت ﴾ يعنون ليلة الإسراء ؟ وقال أبو إسحاق والسدى عن رجل عن ابن عباس (طبقا عن طبق) منزلا على منزل ، وكذا رواه العوفى عن ابن عباس مثله وزاد ويقال أمرا بعد أمر وحالا بعد حال ، وقال السدى نفسه (لتركبن طبقا عن طبق) أعمال من قبلكم منزلا بعد منزل ﴿ قلت ﴾ كأنه أراد معنى الحديث الصحيح «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لودخلوا جحر ضب لدخلتموه» قالوا يارسول الله : اليهود والنصارى قال « فمن ؟ » وهذا محتمل

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة حدثنا ابن جابر أنه سمع مكحولا يقول فى قول الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال فى كل عشرين سنة تحدثون أمرا لم تكونوا عليه وقال الأعمش حدثنا إبراهيم قال : قال عبد الله (لتركبن طبقا عن طبق) قال السماء تنشقق ثم تحمر ثم تكون لونا بعد لون . قال الثورى عن قيس بن وهب عن مرة عن ابن مسعود (طبقا عن طبق) قال السماء مرة كالدهان ومرة تنشق وروى البزار من طريق جابر الجعفى عن الشعبى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود (لتركبن طبقا عن طبق) ياعمد يعنى حالا بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس وقال سعيد بن جبير (لتركبن طبقا عن طبق) قال قوم كانوا فى الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا فى الآخرة ، وآخرون كانوا أشرافا فى الدنيا فاتضعوا فى الآخرة ، وقال عكرمة (طبقا عن طبق) حالا بعد حال فطيما بعد ما كان رضيعا ، وشيخا بعد ما كان شابا ، وقال الحسن البصرى (طبقا عن طبق) يقول حالا بعد حال ، رخاء بعد شدة وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر . وفقرا بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقما بعد صحة ، وقال ابن أبى حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثنى أبى عن عمرو بن ثمر عن جابر هو الجعفى عن محمد بن على عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن ابن آدم لفى غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقيا أوسعيدا . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله اليه ملكا آخر فيحفظه حتى يدرك ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته فاذا حضره الموت ارتفع ذانك الملكان وجاءه ملك الموت فقبض روحه فاذا دخل قبره رد الروح فى جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاءه ملكا القبر فامتحناه ثم يرتفعان فاذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتابا معقودا فى عنقه ثم حضرا معه واحد اسائقا وآخر شهيدا ثم قال الله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) » قال رسول الله ﷺ (لتركبن طبقا عن طبق) قال « حالا بعد حال » ثم قال النبى ﷺ « إن قدامكم لأمرا عظيما لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم » هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح والله سبحانه وتعالى أعلم

ثم قال ابن جرير بعد ماحكى أقوال الناس فى هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركبن أنت ياعمد حالا بعد حال وأمرا بعد أمر من الشدائد والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجها إلى رسول الله

ﷺ جميع النـــاس وأنهم يلقون من شـدائد يوم القيامة وأحواله أهوالا ، وقوله تعـالى (فمـا لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون) أى فمـاذا يمنعهم من الإيمـان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون اعظاما واكراما واحتراما وقوله تعالى (بل الذين كفروا يكذبون) أى من سجيتهم التـكذيب والعناد والمخالفة للحق (والله أعلم بما يوعون) قال مجاهـد وقتادة يكتمون فى صـدورهم (فبشرهم بعذاب أليم) أى فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذابا أليما

وقوله تعالى (إلا الذين آمنو وعملوا الصالحات) هذا استثناء منقطع يعنى لـكن الذين آمنوا أى بقلوبهم وعملوا الصالحات أى بجوارحهم (لهم أجر) أى فى الدار الآخرة (غير ممنون) قال ابن عباس غير منقوص، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولهما أنه غير مقطوع كما قال تعالى (عطاء غير مجذوذ) وقال السدى قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنـكره غير واحد فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة فى كل حال وآن ولحظة وإنما دخلوها بفضله ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائما سرمدا والحمد لله وحده أبدا ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين. آخر تفسير سورة الانشقاق ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة البروج وهى مكية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبى هريرة أن رسـول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء ذات البروج والسماء والطارق . وقال أحمد حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسى سمعت أبا المهزم يحدث عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسموات فى العشاء ، تفرد به أحمد

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلسَّمَاءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ * وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ * وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ * ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ * وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ * ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهى النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا) قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدى : البروج النجوم وعن مجاهد أيضا البروج التى فيها الحرس وقال يحيى بن رافع : البروج قصور فى السماء ، وقال المنهال بن عمرو (والسماء ذات البروج) الخلق الحسن واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهى اثنا عشر برجا تسير الشمس فى كل واحد منها شهرا ويسير القمر فى كل واحد منها يومين وثلثا فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستسر ليلتين ، وقوله تعالى (واليوم الموعود وشاهد ومشهود) اختلف المفسرون فى ذلك . وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله بن محمد ابن عمرو الغزى حدثنا عبيد الله يعنى ابن موسى حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن أوس الأنصارى عن عبد الله بن رافع عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد) يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه ولا يستعيذ فيها من شر إلا أعاذه (ومشهود) يوم عرفة » وهكذا روى هذا الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذى وهو ضعيف الحديث وقد روى موقوفا على أبى هريرة وهو أشبه

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد حدثنا شعبة سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني هاشم عن أبي هريرة أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أبا هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن يونس سمعت عمارا مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية (وشاهد ومشهود) قال الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة . وقد روى عن أبي هريرة أنه قال اليوم الموعود يوم القيامة وكذلك قال الحسن وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك ولله الحمد ثم قال ابن جرير حدثنا محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ «اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا » ثم قال ابن جرير حدثنا سهل بن موسى الرازي حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب ، ثم قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس قال: الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وحدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال سأل رجل الحسن بن علي عن (وشاهد ومشهود) قال سألت أحدا قبلي ؟ قال نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم النحر ويوم الجمعة ، فقال لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ثم قرأ (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) والمشهود يوم القيامة ثم قرأ (ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود) وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب: ومشهود يوم القيامة وقال مجاهد وعكرمة والضحاك الشاهد ابن آدم والمشهود يوم القيامة وعن عكرمة أيضا الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم الجمعة وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الشاهد الله والمشهود يوم القيامة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) قال الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة هكذا رواه ابن أبي حاتم

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (وشاهد ومشهود) الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال يوم النحر ويوم عرفة يعني الشاهد والمشهود قال ابن جرير وقال آخرون المشهود يوم الجمعة ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن حدثني عمي عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله وتلا (وكفى بالله شهيدا) والمشهود نحن ، حكاه البغوي ، وقال: الأكثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة . وقوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) أي لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدودا وأججوا فيه نارا وأعدوا لها وقودا يسعرونها به ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها ولهذا قال تعالى (قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود * إذ هم عليها قعود * وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود) أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك . على كثير من الناس . ثم قال تعالى (الذي له ملك السموات والأرض) من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما (والله على كل شيء شهيد) أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات

والأرض ولاتخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير فى أهل هذه القصة من هم ؟ فعن على أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم فامتنع عليه علماؤهم فعمد إلى حفر أخدود فقذف فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخدوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة واحدهم حبشى ، وقال العوفى عن ابن عباس (قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود) قال ناس من بنى إسرائيل خدوا أخدوداً فى الأرض ثم أوقدوا فيه نارا ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء فعرضوا عليها وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك وقد قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إنى قد كبر سنى وحضر أجلى فادفع إلى غلاما لأعلمه السحر فدفع اليه غلاما كان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ماحبسك وإذا أتى أهله ضربوه وقالوا ماحبسك فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل حبسنى الساحر قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجرا فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب اليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أى بنى أنت أفضل منى وانك ستبتلى فان ابتليت فلا تدل على ، فكان الغلام يبرىء الأكمه والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال اشفنى ولك ما ههنا أجمع فقال ما أنا أشفى أحداً إنما يشفى الله عزوجل فان آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه ، ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يافلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربى ؟ فقال أنا ! قال لا ، ربى وربك الله ، قال ولك رب غيرى ؟ قال نعم ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث اليه فقال أى بنى بلغ من سحرك أن تبرىء الأكمه والأبرص وهذه الادواء ! قال ما أشفى أحداً إنما يشفى الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولك رب غيرى ؟ قال ربى وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغتم ذروته فان رجع عن دينه وإلا فدهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت ، فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر فى قرقور فقال إذا لججتم به البحر فان رجع عن دينه وإلا فغرقوه فى البحر فلججوا به البحر فقال الغلام : اللهم اكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال مافعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فان أنت فعلت ما آمرك به قتلتنى وإلا فانك لاتستطيع قتلى ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى ثم قل باسم الله رب الغلام فانك إذا فعلت ذلك قتلتنى . ففعل ووضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال باسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات فقال الناس آمنا برب الغلام . فقيل للملك أرأيت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست ان تقع فى النار فقال الصبى : اصبرى ياأماه فانك على الحق .

وهكذا رواه مسلم فى آخر الصحيح عن هدبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائى عن أحمد بن سلمان عن

عثمان عن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واختصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذى فرواه فى تفسير هذه السورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد ـ المعنى واحد ـ قالا: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن ثابت البنانى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى العصر همس والهمس فى بعض قولهم تحريك شفتيه كأنه يتكلم فقيل له إنك يارسول الله إذا صليت العصر همست قال « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأمته فقال من يقوم لهؤلاء . فأوحى الله اليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم وبين أن أسلط عليهم عدوهم فاختاروا النقمة فسلط الله عليهم الموت فمات منهم فى يوم سبعون ألفا » قال وكان إذا حدث بهذا الحديث، حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له فقال الكاهن انظروا لى غلاما فهما أو قال فطنا لقنا أعلمه علمى هذا ، فذكر القصة بتمامها وقال فى آخره يقول الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود* النار ذات الوقود ـ حتى بلغ ـ العزيز الحميد) قال فأما الغلام فانه دفن فيذكر أنه أخرج فى زمان عمر بن الخطاب واصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذى : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة أن سياق هذه القصة من كلام النبى صلى الله عليه وسلم قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزى : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومى فانه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة فى السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال حدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثنى أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ـ ونجران هى القرية العظمى التى إليها جماع أهل تلك البلاد ـ ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيمون ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه قالوا نزلها رجل فابتنى خيمة بين نجران وبين تلك القرية التى فيها الساحر وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث التامر ابنه عبدالله بن التامر مع غلمان أهل نجران فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه مايرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له يا ابن أخى أنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه والتامر أبو عبد الله لايظن إلا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى أقداح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى إذا أحصاها أوقد نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى إذا مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شىء فأخذه ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذى قد كتبه فقال وما هو ؟ قال هو كذا وكذا ،قال وكيف علمته؟ فأخبره بما صنع فقال أى ابن أخى قد أصبته فأمسك على نفسك ومأظن أن تفعل فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر إلا قال له ياعبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وأدعو الله لك فيعافيك مما أنت فيه من البلاء؟ فيقول نعم فيوحد الله ويسلم فيدعوا الله له فشفى حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شأنه إلى ملك نجران فدعاه فقال له أفسدت على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لأمثلن بك ، قال لاتقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الأرض مابه بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شىء إلا هلك فيلقى به فيها فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبدالله بن التامر إنك والله لاتقدر على قتلى حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله فانك إن فعلت سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبدالله ابن التامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله ابن التامر وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران . قال ابن إسحاق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فالله أعلم أى ذلك كان ، قال فسار إليهم ذونواس بجنده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك أو القتل فاختاروا القتل فخد الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا ففى ذى نواس وجنده

أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ (قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذهم عليها قعود ، وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذى له ملك السموات والأرض والله على كل شىء شهيد) هكذا ذكر محمد بن إسحاق فى السيرة أن الذى قتل أصحاب الأخدود هو ذونواس واسمه زرعة ويسمى فى زمان مملكته يوسف وهو ابن بيان أسعد أبى كريب وهو تبع الذى غزا المدينة وكسى الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة فكان تهود من تهود من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مبسوطا فقتل ذونواس فى غداة واحدة فى الأخدود عشرين ألفا ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ذهب فارسا وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشى ملك الحبشة فأرسل معه جيشا من نصارى الحبشة يقدمهم أرياط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدى اليهود وذهب ذونواس هاربا فلجج فى البحر فغرق واستمر ملك الحبشة فى أيدى النصارى سبعين سنة ثم استنقذه سيف بن ذى يزن الحميرى من أيدى النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس فأرسل معه من فى السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير وسنذكر طرفا من ذلك إن شاء الله فى تفسير سورة (ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) وقال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلا من أهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فإذا أخذت يده عنها تنبعث دما ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أقروه على حاله وردوا عليه الذى كان عليه ففعلوا . وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبى الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعرى حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب حدثنى بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطا من حيطان المدينة قد سقط فبناه فسقط ثم بناه فسقط فقيل له إن تحته رجلا صالحا فحفر الأساس فوجد فيه رجلا قائما معه سيف فيه مكتوب أنا الحارث بن مضاض نقمت على أصحب الأخدود فاستخرجه أبو موسى وبنى الحائط فثبت (قلت) هو الحارث بن مضاض ابن عمرو بن مضاض الجرهمى أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن وهو القائل فى شعره الذى قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروف الليالى والجدود العواثر

وهذا يقتضى أن هذه القصة كانت قديما بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها وما ذكره ابن إسحاق يقتضى أن قصتهم كانت فى زمن الفترة التى بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه والله أعلم وقد يحتمل أن ذلك قد وقع فى العالم كثيراً كما قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو اليمان أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبير قال كانت الأخدود فى اليمن زمان تبع وفى القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد فاتخذوا أتونا وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفى العراق فى أرض بابل بختنصر الذى صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له فامتنع دانيال وصاحباه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتونا وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه فجعلها الله تعالى عليهما بردا وسلاما وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه وهم تسعة رهط فأكلتهم النار . وقال أسباط عن السدى فى قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ، وخد بالشام ، وخد باليمن . رواه ابن أبى حاتم ، وعن مقاتل قال كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار أما التى بالشام فهو انطانوس والرومى وأما التى بفارس فهو بختنصر ، وأما التى بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس فأما التى بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيهما قرآنا وأنزل فى التى كانت بنجران ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكى حدثنا عبد الله بن

أبي جعفر عن أبيه عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى (قتل أصحاب الأخدود) قال سمعنا أنهم كانوا قوما في زمان الفترة فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنه والشر وصاروا أحزابا كل حزب بما لديهم فرحون اعتزلو إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لانعبد إلا الله وحده لاشريك له فقال لهم إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فاني قاتلكم فأبوا عليه فخد أخدودا من نار وقال لهم الجبار وقعهم عليها اختاروا هذه أو الذي نحن فيه فقالوا هذه أحب إلينا وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية فقالوا لهم أي آباؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها فقبضت أرواحهم من قبل أن يمسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل (قتل أصحاب الأخدود * النار ذات الوقود * إذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود * وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد * الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد) ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه . وقوله تعالى (إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنين والمؤمنات) أي حرقوا قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وابن أبزى (ثم لم يتوبوا) أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا (فلهم عذاب جهنم ولهم عذا الحريق) وذلك أن الجزاء من جنس العمل قال الحسن البصري انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أولياءه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ * إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ * إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ * وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ * ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ * فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ * هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ * فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ * بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا فِى تَكْذِيبٍ * وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌ * بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ * فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن (لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار) بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ولهذا قال (ذلك الفوز الكبير) ثم قال تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوى فانه تعالى ذو القوه المتين الذي ماشاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب ولهذا قال تعالى (إنه هو يبدىء ويعيد) أي من قوته وقدرته التامة يبدىء الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع (وهو الغفور الودود) أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولوكان الذنب من أي شيء كان، والودود قال ابن عباس وغيره هو الحبيب (ذو العرش) أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق، والمجيد فيه قراءتان الرفع على أنه صفة للرب عز وجل والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح (فعال لما يريد) أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسئل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت هل نظر إليك الطبيب ؟ قال نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لي إني فعال لما أريد وقوله تعالى (هل أتاك حديث الجنود * فرعون وثمود) أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النقمة التي لم يردها عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى (إن بطش ربك لشديد) أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذا أليما شديدا أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الجنود) فقام يستمع فقال « نعم قد جاءني » وقوله تعالى (بل الذين كفروا في تكذيب) أي هم في شك وريب وكفر وعناد (والله من ورائهم محيط) أي هو قادر عليهم قاهر لا يفوتونه ولا يعجزونه (بل هو قرآن مجيد) أي عظيم كريم (في لوح محفوظ) أي هو في الملأ الأعلى محفوظ

من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل . قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن على حدثنا قرة بن سليمان حدثنا حرب بن شريح حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك فى قوله تعالى (بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ) قال إن اللوح المحفوظ الذى ذكر الله (بل هو قرآن مجيد* فى لوح محفوظ) فى جبهة إسرافيل . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح ثنا معاوية بن صالح أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شىء قضى الله : القرآن ، فما قبله وما بعده إلا وهو فى اللوح المحفوظ واللوح المحفوظ بين عينى إسرافيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصرى إن هذا القرآن المجيد عند الله فى لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه وقد روى البغوى من طريق إسحق بن بشر أخبرنى مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال إن فى صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الاسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض . وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافتاه من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش وأصله فى حجر ملك ، وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش وقال الطبرانى حدثنا محمد بن عثمان بن أبى شيبة حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحا محفوظا من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور ، لله فيه فى كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيى ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » . آخر تفسير سورة البروج ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الطارق وهى مكية ﴾

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعته أنا منه حدثنا مروان بن معاوية الفزارى عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفى عن عبد الرحمن بن خالد بن أبى حبل العدوانى عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ فى مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغى عندهم النصر فسمعته يقول « والسماء والطارق » حتى ختمها قال فوعيتها فى الجاهلية وأنا مشرك ثم قرأتها فى الإسلام قال فدعتنى ثقيف فقالوا ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقرأتها عليهم فقال من معهم من قريش نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه وقال النسائى حدثنا عمرو بن منصور حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والنساء فقال النبى ﷺ « أفتان أنت يا معاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالسماء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلسَّمَاءِ وَٱلطَّارِقِ * وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ * ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ * إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ * فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ * إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ * فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴾

يقسم تبارك وتعالى بالسماء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى (والسماء والطارق) ثم قال (وما أدراك ما الطارق) ثم فسره بقوله (النجم الثاقب) قال قتادة وغيره إنما سمى النجم طارقا لأنه إنما يرى بالليل ويختفى بالنهار ويؤيده ما جاء فى الحديث الصحيح نهى أن يطرق الرجل أهله طروقا أى يأتيهم فجأة بالليل ، وفى الحديث الآخر المشتمل على الدعاء « إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن » وقوله تعالى (الثاقب) قال ابن عباس المضىء وقال السدى يثقب الشياطين إذا أرسل عليها وقال عكرمة هو مضىء ومحرق للشيطان

وقوله تعالى (إن كل نفس لما عليها حافظ) أى كل نفس عليها من الله حافظ يحرسها من الآفات كما قال تعالى

(له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) . وقوله تعالى (فلينظر الإنسان مم خلق؟) تنبيه للانسان على ضعف أصله الذى خلق منه وإرشاد له إلى الاعتراف بالمعاد لأن من قدر على البداءة فهو قادر على الاعادة بطريق الأولى كما قال تعالى (وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه) وقوله تعالى (خلق من ماء دافق) يعنى الذى يخرج دفقا من الرجل ومن المرأة فيتولد منهما الولد بإذن الله عز وجل ولهذا قال (يخرج من بين الصلب والترائب) يعنى صلب الرجل وترائب المرأة وهو صدرها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) صلب الرجل وترائب المرأة أصفر رقيق لا يكون الولد إلا منهما ، وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة والسدى وغيرهم ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة عن مسعر سمعت الحكم ذكر عن ابن عباس (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هذه الترائب ووضع يده على صدره . وقال الضحاك وعطية عن ابن عباس ترببة المرأة موضع القلادة ، وكذا قال عكرمة وسعيد بن جبير . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: الترائب بين ثديها ، وعن مجاهد الترائب ما بين المنكبين إلى الصدر وعنه أيضا الترائب أسفل من التراقى ، وقال سفيان الثورى فوق الثديين وعن سعيد بن جبير الترائب أربعة أضلاع من هذا الجانب الأسفل . وعن الضحاك الترائب بين الثديين والرجلين والعينين ، وقال الليث بن سعد عن معمر بن أبى حبيبة المدنى أنه بلغه فى قول الله عز وجل (يخرج من بين الصلب والترائب) قال هو عصارة القلب من هناك يكون الولد . وعن قتادة (يخرج من بين الصلب والترائب) من بين صلبه ونحره وقوله تعالى (إنه على رجعه لقادر) فيه قولان ﴿أحدهما﴾ على رجع هذا الماء الدافق إلى مقره الذى خرج منه لقادر على ذلك قاله مجاهد وعكرمة وغيرهما ﴿والقول الثانى﴾ إنه على رجع هذا الإنسان المخلوق من ماء دافق أى إعادته وبعثه إلى الدار الآخرة لقادر لأن من قدر على البداءة قدر على الاعادة ، وقد ذكر الله عز وجل هذا الدليل فى القرآن فى غير ما موضع ، وهذا القول قال به الضحاك واختاره ابن جرير ولهذا قال تعالى (يوم تبلى السرائر) أى يوم القيامة تبلى فيه السرائر أى تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا ، وقد ثبت فى الصحيحين عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال « يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال هذه غدرة فلان بن فلان » وقوله تعالى (فما له) أى الإنسان يوم القيامة (من قوة) أى فى نفسه (ولا ناصر) أى من خارج منه أى لا يقدر على أن ينقذ نفسه من عذاب الله ولا يستطيع له أحد ذلك

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ * وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ * إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ * وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ * إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا * فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾

قال ابن عباس : الرجع المطر وعنه هو السحاب فيه المطر وعنه (والسماء ذات الرجع) تمطر ثم تمطر وقال قتادة ترجع رزق العباد كل عام ولولا ذلك لهلكوا وهلكت مواشيهم ، وقال ابن زيد ترجع نجومها وشمسها وقمرها يأتين من ههنا (والأرض ذات الصدع) قال ابن عباس هو انصداعها عن النبات وكذا قال سعيد بن جبير وعكرمة وأبو مالك والضحاك والحسن وقتادة والسدى وغير واحد ، وقوله تعالى (إنه لقول فصل) قال ابن عباس: حق ، وكذا قال قتادة وقال آخر: حكم عدل (وما هو بالهزل) أى بل هو جد حق ، ثم أخبر عن الكافرين بأنهم يكذبون به ويصدون عن سبيله فقال (إنهم يكيدون كيدا) أى يمكرون بالناس فى دعوتهم إلى خلاف القرآن ، ثم قال تعالى (فمهل الكافرين) أى أنظرهم ولا تستعجل لهم (أمهلهم رويدا) أى قليلا أى وسترى ماذا أحل بهم من العذاب والنكال والعقوبة والهلاك كما قال تعالى (نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ) . آخر تفسير سورة الطارق ولله الحمد والمنة

تفسير سورة سبح وهى مكية

والدليل على ذلك ما رواه البخارى حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة عن أبى إسحق عن البراء بن عازب قال: أول

من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن ثم جاء عمار وبلال وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون هذا رسول الله ﷺ قد جاء فما جاء حتى قرأت (سبح اسم ربك الأعلى) فى سور مثلها . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه عن علي رضى الله قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة (سبح اسم ربك الأعلى) تفرد به أحمد . وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها والليل إذا يغشى » . وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى العيدين بسبح اسم ربك الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وإن وافق يوم الجمعة قرأهما جميعا . هكذا وقع فى مسند الإمام أحمد إسناد هذا الحديث ، وقد رواه مسلم فى صحيحه وأبوداود والترمذى والنسائى من حديث أبي عوانة وجرير وشعبة ثلاثتهم عن محمد بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان بن بشير به ، قال الترمذى وكذا رواه الثورى ومسعر عن إبراهيم قال ورواه سفيان بن عيينة عن إبراهيم عن أبيه عن حبيب بن سالم عن أبيه عن النعمان ولا يعرف لحبيب رواية عن أبيه وقد رواه ابن ماجه عن محمد بن الصباح عن سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن المنتشر عن أبيه عن حبيب بن سالم عن النعمان به كما رواه الجماعة فالله أعلم ، ولفظ مسلم وأهل السنن كان يقرأ فى العيدين ويوم الجمعة بسبح اسم الأعلى وهل أتاك حديث الغاشية وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما . وقد روى الامام أحمد فى مسنده من حديث أبي بن كعب وعبد الله بن عباس وعبد الرحمن بن أبزى وعائشة أم المؤمنين أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى الوتر بسبح اسم ربك الأعلى وقل يأيها الكافرون ، وقل هو الله أحد زادت عائشة والمعوذتين . وهكذا روى هذا الحديث من طريق جابر وأبي أمامة صدى بن عجلان وعبد الله بن مسعود وعمران بن حصين وعلي بن أبي طالب رضى الله عنهم ، ولولا خشية الاطالة لأوردنا ماتيسر لنا من أسانيد ذلك ومتونه ولكن فى الارشاد بهذا الاختصار كفاية والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝ وَٱلَّذِى أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ۝ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ۝ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ۝ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا موسى يعنى ابن أيوب الغافقى حدثنا عمى إياس بن عامر سمعت عقبة ابن عامر الجهنى لما نزلت (فسبح باسم ربك العظيم) قال لنا رسول الله ﷺ « اجعلوها فى ركوعكم » فلما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال « اجعلوها فى سجودكم » ورواه أبو داود وابن ماجه من حديث ابن المبارك عن موسى بن أيوب به . وقال الامام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) قال « سبحان ربى الأعلى » وهكذا ورواه أبوداود عن زهير بن حرب عن وكيع به قال وخولف فيه وكيع رواه أبووكيع وشعبة عن أبي إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفا . وقال الثورى عن السدى عن عبد خير قال سمعت عليا قرأ (سبح ربك الأعلى) فقال: سبحان ربى الأعلى . وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام عن عنبسة عن أبي إسحاق الهمدانى أن ابن عباس كان إذا قرأ (سبح اسم ربك الأعلى) يقول سبحان ربى الأعلى وإذا قرأ (لاأقسم بيوم القيامة) فأتى

على آخرها (أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى) يقول سبحانك وبلى ، وقال قتادة (سبح اسم ربك الأعلى) ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال : سبحان ربي الأعلى ، وقوله تعالى (الذي خلق فسوى) أي خلق الخليقة وسوى كل مخلوق في أحسن الهيئات . وقوله تعالى (والذي قدر فهدى) قال مجاهد : هدى الإنسان للشقاوة والسعادة وهدى الأنعام لمراتعها وهذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن موسى أنه قال لفرعون (ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي قدر قدرا وهدى الخلائق اليه كما ثبت في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال « إن الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء » وقوله تعالى (والذي أخرج المرعى) أي من جميع صنوف النباتات والزروع (فجعله غثاء أحوى) قال ابن عباس هشيما متغيرا وعن مجاهد وقتادة وابن زيد نحوه . قال ابن جرير وكان بعض أهل العلم بكلام العرب يرى أن ذلك من المؤخر الذي معناه التقديم وأن معنى الكلام والذي أخرج المرعى، أحوى أخضر إلى السواد فجعله غثاء بعد ذلك ثم قال ابن جرير وهذا وإن كان محتملا إلا أنه غير صواب لمخالفته أقوال أهل التأويل . وقوله تعالى (سنقرئك) أي يا محمد (فلا تنسى) وهذا إخبار من الله تعالى ووعد منه له بأنه سيقرئه قراءة لا ينساها (إلا ما شاء الله) وهذا اختيار ابن جرير وقال قتادة : كان رسول الله ﷺ لا ينسى شيئا إلا ما شاء الله وقيل المراد بقوله (فلا تنسى) طلب وجعلوا معنى الاستثناء على هذا ما يقع من النسخ أي لا تنسى ما نقرئك إلا ما يشاء الله رفعه فلا عليك أن تتركه . وقوله تعالى (انه يعلم الجهر وما يخفى) أي يعلم ما يجهر به العباد وما يخافونه من أقوالهم وأفعالهم لا يخفى عليه من ذلك شيء وقوله تعالى (ونيسرك لليسرى) أي نسهل عليك أفعال الخير وأقواله ونشرع لك شرعا سهلا سمحا مستقيما عدلا لا اعوجاج فيه ولا حرج ولا عسر . وقوله تعالى (فذكر إن نفعت الذكرى) أي ذكر حيث تنفع التذكرة ، ومن ههنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي رضي الله عنه : ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة لبعضهم ، وقال : حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله ، وقوله تعالى (سيذكر من يخشى) أي سيتعظ بما تبلغه يا محمد من قلبه يخشى الله ويعلم أنه ملاقيه (ويتجنبها الأشقى * الذي يصلى النار الكبرى * ثم لا يموت فيها ولا يحيى) أي لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه بل هي مضرة عليه لأن بسببها يشعر ما يعاقب به من أليم العذاب وأنواع النكال قال الإمام أحمد حدثنا ابن أبي عدي عن سليمان يعني التيمي عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « أما أهل النار الذين هم أهلها لا يموتون ولا يحيون وأما أناس يريد الله بهم الرحمة فيميتهم في النار فيدخل عليهم الشفعاء فيأخذ الرجل الضبارة فينبتهم ـ أو قال ـ ينبتون ـ في نهر الحيا ـ أو قال الحياة ـ أو قال الحيوان ـ أو قال نهر الجنة فينبتون ـ نبات الحبة في حميل السيل» قال وقال: النبي صلى الله عليه وسلم « أما ترون الشجرة تكون خضراء ثم تكون صفراء ثم تكون خضراء ؟ » قال : فقال بعضهم كأن النبي صلى الله عليه وسلم كان بالبادية . وقال أحمد أيضا حدثنا إسماعيل حدثنا سعيد بن يزيد عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن أناس ـ أو كما قال ـ تصيبهم النار بذنوبهم ـ أو قال بخطاياهم ـ فيميتهم إماتة حتى إذا صاروا فحما أذن في الشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة فيقال يا أهل الجنة أفيضوا عليهم فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل » قال : فقال رجل من القوم حينئذ كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بالبادية ، ورواه مسلم من حديث بشر بن المفضل وشعبة كلاهما عن أبي سلمة سعيد بن يزيد به مثله ورواه أحمد أيضا عن يزيد عن سعيد بن إياس الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال « إن أهل النار الذين لا يريد الله إخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون وإن أهل النار الذين يريد الله إخراجهم يميتهم فيها إماتة حتى يصيروا فحما ثم يخرجون ضبائر فيلقون على أنهار الجنة فيرش عليهم من أنهار الجنة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل » . وقد قال الله تعالى إخبارا عن أهل النار (ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال إنكم ماكثون) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) إلى غير ذلك من

الآيات فى هذا المعنى

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ * وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ * بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا * وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ * إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ * صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾

يقول تعالى (قد أفلح من تزكى) أى طهر نفسه من الأخلاق الرذيلة وتابع ما أنزل الله على الرسول صلوات الله وسلامه عليه (وذكر اسم ربه فصلى) أى أقام الصلاة فى أوقاتها ابتغاء رضوان الله وطاعة لأمر الله وامتثالا لشرع الله . وقد قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا عباد بن أحمد العزرمى حدثنا عمى محمد بن عبد الرحمن عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عبد الرحمن بن سابط عن جابر بن عبد الله عن النبى صلى الله عليه وسلم (قد أفلح من تزكى) قال « من شهد أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد وشهد أنى رسول الله » (وذكر اسم ربه فصلى) قال « هى الصلوات الخمس والمحافظة عليها والاهتمام بها » ثم قال لا يروى عن جابر الا من هذا الوجه وكذا قال ابن عباس ان المراد بذلك الصلوات الخمس واختاره ابن جرير . وقال ابن جرير حدثنى عمرو بن عبد الحميد الايلى حدثنا مروان بن معاوية عن أبى خلدة قال دخلت على أبى العالية فقال لى إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بى قال فمررت به فقال هل طعمت شيئا ؟ قلت نعم قال أفضت على نفسك من الماء ؟ قلت نعم قال فأخبرنى مافعلت زكاتك ! قلت قد وجهتها قال إنما أردتك لهذا ثم قرأ (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء ﴿ قلت ﴾ وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه كان يأمر الناس باخراج صدقة الفطر ويتلو هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال أبو الأحوص إذا أتى أحدكم سائل وهو يريد الصلاة فليقدم بين يدى صلاته زكاة فان الله تعالى يقول (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) وقال قتادة فى هذه الآية (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) زكى ماله وأرضى خالقه

ثم قال تعالى (بل تؤثرون الحياة الدنيا) أى تقدمونها على أمر الآخرة وتبدونها على مافيه نفعكم وصلاحكم فى معاشكم ومعادكم (والآخرة خير وأبقى) أى ثواب الله فى الدار الآخرة خير من الدنيا وأبقى فان الدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية فكيف يؤثر عاقل مايفنى على ما يبقى ويهتم بما يزول عنه قريبا ويترك الاهتمام بدار البقاء والخلد . قال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن أبى إسحاق عن عروة عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدنيا دار من لا دار له ، ومال من لا مال له ، ولها يجمع من لا عقل له » وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا أبو حمزة عن عطاء عن عرفجة الثقفى قال : استقرأت ابن مسعود (سبح اسم ربك الأعلى — فلما بلغ — بل تؤثرون الحياة الدنيا) ترك القراءة وأقبل على أصحابه وقال آثرنا الدنيا على الآخرة فسكت القوم فقال آثرنا الدنيا لأنا رأينا زينتها ونساءها وطعامها وشرابها وزويت عنا الآخرة فاخترنا هذا العاجل وتركنا الآجل ، وهذا منه على وجه التواضع والهضم أو هو إخبار عن الجنس من حيث هو والله أعلم . وقد قال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود الهاشمى حدثنا إسماعيل بن جعفر أخبرنى عمرو بن أبى عمرو عن المطلب بن عبد الله عن أبى موسى الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال « من أحب دنياه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا مايبقى على ما يفنى » تفرد به أحمد ، وقد رواه أيضا عن أبى سلمة الخزاعى عن الدراوردى عن عمرو بن أبى عمرو به مثله سواء ، وقوله تعالى (إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) قال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا نصر بن على حدثنا معمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى) قال النبى صلى الله عليه وسلم « كان كل هذا — أو كان هذا — فى صحف إبراهيم وموسى » ثم قال لا نعلم أسند الثقات عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس غير هذا وحديثا آخر رواه مثل هذا

وقال النسائى أخبرنا زكريا بن يحيى أخبرنا نصر بن على حدثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (سبح اسم ربك الأعلى) قال كلها فى صحف إبراهيم وموسى ، ولما نزلت (وإبراهيم الذى وفى) قال وفى إبراهيم (لا تزر وازرة وزر أخرى) يعنى أن هذا الآية كقوله تعالى فى سورة النجم (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وإبراهيم الذى وفى * ألا تزر وازرة وزر أخرى . وأن ليس للانسان إلا ماسعى وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن إلى ربك المنتهى) الآيات إلى آخرهن ، وهكذا قال عكرمة فيما رواه ابن جرير عن ابن حميد عن مهران عن سفيان الثورى عن أبيه عن عكرمة فى قوله تعالى (إن هذا لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) يقول الآيات التى فى سبح اسم ربك الأعلى ، وقال أبو العالية : قصة هذه السورة فى الصحف الأولى ، واختار ابن جرير أن المراد بقوله إن هذا إشارة إلى قوله (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقى) ثم قال تعالى (إن هذا) أى مضمون هذا الكلام (لفى الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى) وهذا الذى اختاره حسن قوى وقد روى عن قتادة وابن زيد نحوه والله أعلم . آخر تفسير سورة سبح ، ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .

﴿ تفسير سورة الغاشية وهى مكية ﴾

قد تقدم عن النعمان بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ بسبح اسم ربك الأعلى والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة . وقال الإمام مالك عن ضمرة بن سعيد عن عبيد الله بن عبد الله أن الضحاك بن قيس سأل النعمان بن بشير بم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ فى الجمعة مع سورة الجمعة ؟ قال : هل أتاك حديث الغاشية . ورواه أبو داود عن القعنبى والنسائى عن قتيبة كلاهما عن مالك به ، ورواه مسلم وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن ضمرة بن سعيد به .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴾

الغاشية من أسماء يوم القيامة . قاله ابن عباس وقتادة وابن زيد لأنها تغشى الناس وتعمهم وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن محمد الطنافسى حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبى إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبى ﷺ على امرأة تقرأ (هل أتاك حديث الغاشية) فقام يستمع ويقول « نعم قد جاءنى » . وقوله تعالى (وجوه يومئذ خاشعة) أى ذليلة قاله قتادة ، وقاله ابن عباس تخشع ولا ينفعها عملها وقوله تعالى (عاملة ناصبة) أى قد عملت عملا كثيراً ونصبت فيه وصليت يوم القيامة ناراً حاميه . قال الحافظ أبو بكر البرقانى حدثنا إبراهيم بن محمد المزكى حدثنا محمد بن إسحاق السراج حدثنا هارون بن عبد الله حدثنا سيار حدثنا جعفر قال سمعت أبا عمران الجونى يقول مر عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه بدير راهب قال فناداه ياراهب فأشرف قال فجعل عمر ينظر اليه ويبكى فقيل له ياأمير المؤمنين ما يبكيك من هذا ؟ قال ذكرت قول الله عز وجل فى كتابه (عاملة ناصبة * تصلى ناراً حامية) فذاك الذى أبكانى . وقال البخارى قال ابن عباس (عاملة ناصبة) النصارى ، وعن عكرمة والسدى عاملة فى الدنيا بالمعاصى ناصبة فى النار بالعذاب والاهلاك ، قال ابن عباس والحسن وقتادة (تصلى ناراً حامية) أى حارة شديدة الحر (تسقى من عين آنية) أى قد انتهى حرها وغليانها قاله ابن عباس ومجاهد والحسن والسدى . وقوله تعالى (ليس لهم طعام إلا من ضريع) قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس شجر من النار وقال سعيد بن جبير هو الزقوم وعنه أنها الحجارة ، وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو الجوزاء وقتادة هو الشبرق ، قال قتادة : قريش تسميه فى الربيع الشبرق وفى الصيف الضريع ؛ قال عكرمة وهو شجرة ذات شوك لاطئة بالأرض . وقال البخارى قال مجاهد الضريع نبت يقال له الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع

إذا يبس وهوسم ، وقال معمر عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) هو الشبرق إذا يبس سمى الضريع ، وقال سعيد عن قتادة (ليس لهم طعام إلا من ضريع) من شر الطعام وأبشعه وأخبثه ؛ وقوله تعالى (لايسمن ولا يغنى من جوع) يعنى لايحصل به مقصود ولا يندفع به محذور .

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً * فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ * فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾

لما ذكر حال الأشقياء ثنى بذكر السعداء فقال (وجوه يومئذ) أى يوم القيامة (ناعمة) أى يعرف النعيم فيها وإنما حصل لها ذلك بسعيها ، وقال سفيان (لسعيها راضية) قد رضيت عملها . وقوله تعالى (فى جنة عالية) أى رفيعة بهية فى الغرفات آمنون (لاتسمع فيها لاغية) أى لاتسمع فى الجنة التى هم فيها كلمة لغو كما قال تعالى (لايسمعون فيها لغوا إلا سلاما) وقال تعالى (لالغو فيها ولا تأثيم) وقال تعالى (لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما إلا قيلا سلاما سلاما) (فيها عين جارية) أى سارحة وهذه نكرة فى سياق الإثبات وليس المراد بها عينا واحدة وإنما هذا جنس يعنى فيها عيون جاريات . قال ابن أبى حاتم قرىء على الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن ضمرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنهار الجنة تفجر من تحت تلال — أو من تحت جبال — المسك » (فيها سرر مرفوعة) أى عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فاذا أراد ولى الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له (وأكواب موضوعة) يعنى أوانى الشرب معدة مرصدة لمن أرادها من أربابها (ونمارق مصفوفة) قال ابن عباس النمارق الوسائد وكذا قال عكرمة وقتادة والضحاك والسدى والثورى وغيرهم ، وقوله تعالى (وزرابى مبثوثة) قال ابن عباس الزابى البسط وكذا قال الضحاك وغير واحد ، ومعنى مبثوثة أى ههنا وههنا لمن أراد الجلوس عليها ؛ ونذكر ههنا هذا الحديث الذى رواه أبو بكر بن أبى داود حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبى عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المعافرى عن سليمان بن موسى حدثنى كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ « ألا هل من مشمر للجنة فان الجنة لاخطر لها ، هى ورب الكعبة نور يتلألأ ، وريحانة تهتز ، وقصر مشيد ، ونهر مطرد ، وثمرة نضيجة ، وزوجة حسناء جميلة ، وحلل كثيرة ، ومقام فى أبدى دار سليمة ، وفاكهة وخضرة ، وحبرة ونعمة ، فى محلة عالية بهية ؟ » قالوا نعم يارسول الله نحن المشمرون لها ، قال « قولوا إن شاء الله » قال القوم إن شاء الله ، ورواه ابن ماجه عن العباس بن عثمان الدمشقى عن الوليد بن مسلم بن محمد بن مهاجر به

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ * إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴾

يقول تعالى آمرا عباده بالنظر فى مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ؟) فانها خلق عجيب وتركيبها غريب فانها فى غاية القوة والشدة وهى مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل ويتنفع بوبرها ويشرب لبنها ، ونبهوا بذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل وكان شريح القاضى يقول اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت ! أى كيف رفعها الله عز وجل عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى (أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج) (وإلى الجبال كيف نصبت) أى جعلت منصوبة فانها ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها ، وجعل فيها ماجعل من المنافع والمعادن (وإلى

الأرض كيف سطحت !) أى كيف بسطت ومدت ومهدت فنبه البدوى على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذى هو راكب عليه والسماء التى فوق رأسه والجبل الذى تجاهه والأرض التى تحته على قدرة خالق ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذى لا يستحق العبادة سواه ؛ وهكذا أقسم ضمام فى سؤاله على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رواه الإمام أحمد حيث قال حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس قال كنا نهينا أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شىء فكان يعجبنا أن يجىء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع فجاء رجل من أهل البادية فقال يامحمد إنه أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله أرسلك، قال « صدق » قال فمن خلق السماء ! قال « الله » قال فمن خلق الأرض ! قال « الله » قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل ! قال « الله » قال فبالذى خلق السماء والأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا زكاة فى أموالنا ؟ قال « صدق » قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا ؟ قال « نعم » قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال « صدق » قال ثم ولى فقال والذى بعثك بالحق لاأزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا فقال النبى صلى الله عليه وسلم « إن صدق ليدخلن الجنة » وقد رواه مسلم عن عمرو الناقد عن أبى النضر هاشم بن القاسم به وعلقه البخارى ورواه الترمذى والنسائى من حديث سليمان بن المغيرة به ورواه الإمام أحمد والبخارى وأبوداود والنسائى وابن ماجه من حديث الليث بن سعد عن سعيد المقبرى عن شريك بن عبد الله ابن أبى نمر عن أنس به بطوله ، وقال فى آخره وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا إسحاق حدثنا عبد الله بن جعفر حدثنى عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما كان يحدث عن امرأة فى الجاهلية على رأس جبل معها ابن صغير لها ترعى غنما فقال لها ابنها يا أمه من خلقك ؟ قالت الله قال فمن خلق أبى : قالت الله ، قال فمن خلقنى قالت الله ، قال فمن خلق السماء : قالت الله قال فمن خلق الأرض ، قالت الله قال فمن خلق الجبل ؟ قالت الله قال فمن خلق هذه الغنم قالت الله قال فإنى لأسمع لله شأنا وألقى نفسه من الجبل فتقطع قال ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا مايحدثنا هذا . قال ابن دينار كان ابن عمر كثيرا مايحدثنا بهذا فى إسناده ضعف وعبد الله بن جعفر هذا هو المدينى ضعفه ولده الامام على بن المدينى وغيره ، وقوله تعالى (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) أى فذكر يامحمد الناس بما أرسلت به اليهم (فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب) ولهذا قال (لست عليهم بمسيطر) قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما (لست عليهم بجبار) أى لست تخلق الإيمان فى قلوبهم ، وقال ابن زيد لست بالذى تكرههم على الإيمان قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبى الزبير عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » ثم قرأ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) وهكذا رواه مسلم فى كتاب الإيمان والترمذى والنسائى فى كتاب التفسير من سننهما من حديث سفيان بن سعيد الثورى به بهذه الزيادة . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من رواية أبى هريرة بدون ذكر هذه الآية ، وقوله تعالى (إلا من تولى وكفر) أى تولى عن العمل بأركانه وكفر بالحق بجنانه ولسانه وهذه كقوله تعالى (فلاصدق ولاصلى ولكن كذب وتولى) ولهذا قال (فيعذبه الله العذاب الأكبر) قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن سعيد بن أبى هلال عن على بن خالد ان أبا أمامة الباهلى مر على خالد بن يزيد بن معاوية فسأله عن ألين كلمة سمعها من رسول الله ﷺ فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا كلكم يدخل الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » تفرد بإخراجه الامام أحمد وعلى بن خالد هذا ذكره ابن أبى حاتم عن أبيه ولم يزد على ماههنا روى عن أبى أمامة وعنه سعيد بن أبى هلال ، وقوله تعالى (إن إلينا إيابهم) أى مرجعهم ومنقلبهم (ثم إن علينا حسابهم) أى نحن نحاسبهم على أعمالهم ونجازيهم بها إن خيرا فخير وإن شرا فشر . آخر تفسير سورة الغاشية ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الفجر وهى مكية ﴾

قال النسائى أنا عبد الوهاب بن الحكم أخبرنى يحيى بن سعيد عن سليمان عن محارب بن دثار وأبى صالح عن جابر قال صلى معاذ صلاة فجاء رجل فصلى معه فطول فصلى فى ناحية المسجد ثم انصرف فبلغ ذلك معاذا فقال منافق فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فسأل الفتى فقال يا رسول الله جئت أصلى معه فطول على فانصرفت وصليت فى ناحية المسجد فعلفت ناقتى فقال رسول الله ﷺ « أفتان يامعاذ ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى — والشمس وضحاها — والفجر — والليل إذا يغشى »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ * وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ * أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ * وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ * ٱلَّذِينَ طَغَوْا فِى ٱلْبِلَٰدِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا ٱلْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾

أما الفجر فمعروف وهو الصبح قاله على وابن عباس وعكرمة ومجاهد والسدى وعن مسروق ومحمد بن كعب المراد به فجر يوم النحر خاصة وهو خاتمة الليالى العشر ، وقيل المراد بذلك الصلاة التى تفعل عنده كما قاله عكرمة وقيل المراد به جميع النهار وهو رواية عن ابن عباس، والليالى العشر المراد بها عشر ذى الحجة كما قاله ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وغير واحد من السلف والخلف ، وقد ثبت فى صحيح البخارى عن ابن عباس مرفوعا « مامن أيام العمل الصالح أحب إلى الله فيهن من هذه الأيام » يعنى عشر ذى الحجة قالوا : ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال « ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشىء » وقيل المراد بذلك العشر الأول من المحرم حكاه أبو جعفر ابن جرير ولم يعزه إلى أحد وقد روى أبو كدينة عن قابوس بن أبى ظبيان عن أبيه عن ابن عباس (وليال عشر) قال هو العشر الأول من رمضان ، والصحيح القول الأول قال الإمام أحمد حدثنا زيد بن الحباب حدثنا عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر عن النبى ﷺ قال « إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة والشفع يوم النحر » ورواه النسائى عن محمد بن رافع وعبدة بن عبد الله وكل منهما عن زيد بن الحباب به ، ورواه ابن جرير وابن أبى حاتم من حديث زيد بن الحباب به وهذا إسناد رجاله لا بأس بهم وعندى أن المتن فى رفعه نكارة والله أعلم . وقوله تعالى (والشفع والوتر) قد تقدم فى هذا الحديث أن الوتر يوم عرفة لكونه التاسع وأن الشفع يوم النحر لكونه العاشر وقاله ابن عباس وعكرمة والضحاك أيضا ﴿ قول ثان ﴾ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنى عقبة بن خالد عن واصل بن السائب قال سألت عطاء عن قوله تعالى (والشفع والوتر) قلت صلاتنا وترنا هذا ؟ قال لا ولكن الشفع يوم عرفة والوتر ليلة الأضحى ﴿ قول ثالث ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد ابن عامر بن إبراهيم الأصبهانى حدثنى أبى عن النعمان يعنى ابن عبد السلام عن أبى سعيد بن عوف حدثنى بمكة قال سمعت عبد الله بن الزبير يخطب الناس فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن الشفع والوتر فقال الشفع قول الله تعالى (فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه) والوتر قوله تعالى (ومن تأخر فلا إثم عليه) وقال ابن جرير أخبرنى محمد بن المرتفع أنه سمع ابن الزبير يقول : الشفع أوسط أيام التشريق والوتر آخر أيام التشريق وفى الصحيحين من رواية أبى هريرة عن رسول الله ﷺ « إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر » ﴿ قول رابع ﴾ قال الحسن البصرى وزيد بن أسلم : الخلق كلهم شفع ووتر أقسم تعالى بخلقه

وهو رواية عن مجاهد والمشهور عنه الأول وقال العوفى عن ابن عباس (والشفع والوتر) قال : الله وتر واحد وأنتم شفع ويقال الشفع صلاة الغداة والوتر صلاة المغرب

﴿ قول خامس ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن أبى يحيى عن مجاهد (والشفع والوتر) قال : الشفع الزوج، والوتر : الله عزوجل وقال أبو عبد الله عن مجاهد : الله الوتر وخلقه الشفع الذكر والأنثى وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله (والشفع والوتر) كل شىء خلقه الله شفع. السماء والأرض والبر والبحر والجن والإنس والشمس والقمر ونحو هذا ، ونحا مجاهد فى هذا ما ذكروه فى قوله تعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون) أى لتعلموا أن خالق الأزواج واحد ﴿ قول سادس ﴾ قال قتادة عن الحسن (والشفع والوتر) هو العدد منه شفع ومنه وتر . ﴿ قول سابع فى الآية الكريمة ﴾ رواه ابن أبى حاتم وابن جرير من طريق ابن جريج. ثم قال ابن جرير وروى عن النبى ﷺ خبر يؤيد القول الذى ذكرنا عن ابن الزبير حدثنى عبد الله بن أبى زياد القطوانى حدثنا زيد بن الحباب أخبرنى عياش بن عقبة حدثنى خير بن نعيم عن أبى الزبير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال « الشفع اليومان والوتر اليوم الثالث » هكذا ورد هذا الخبر بهذا اللفظ وهو مخالف لما تقدم من اللفظ فى رواية أحمد والنسائى وابن أبى حاتم وما رواه هو أيضا والله أعلم . قال أبو العالية والربيع بن أنس وغيرهما : هى الصلاة منها شفع كالرباعية والثنائية ومنها وتر كالمغرب فانها ثلاث وهى وتر النهار وكذلك صلاة الوتر فى آخر التهجد من الليل. وقد قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن عمران بن حصين (والشفع والوتر) قال هى الصلاة المكتوبة منها شفع ومنها وتر وهذا منقطع وموقوف ولفظه خاص بالمكتوبة وقد روى متصلا مرفوعا إلى النبى ﷺ ولفظه عام . قال الإمام أحمد حدثنا أبو داود هو الطيالسى حدثنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام أن شيخا حدثه من أهل البصرة عن عمران بن حصين أن رسول الله ﷺ سئل عن الشفع والوتر فقال « هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر » هكذا وقع فى المسند ، وكذا رواه ابن جرير عن بندار عن عفان وعن أبى كريب عن عبيد الله بن موسى كلاهما عن همام وهو ابن يحيى عن قتادة عن عمران بن عصام عن شيخ عن عمران بن حصين، وكذا رواه أبو عيسى الترمذى عن عمرو ابن على عن ابن مهدى وأبى داود كلاهما عن همام عن قتادة عن عمران بن عصام عن رجل من أهل البصرة عن عمران بن حصين به ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة ، وقد رواه خالد بن قيس أيضا عن قتادة وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران نفسه والله أعلم ﴿ قلت ﴾ ورواه ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن سنان الواسطى حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا همام عن قتادة عن عمران بن عصام الضبعى شيخ من أهل البصرة عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ فذكره هكذا رأيته فى تفسيره فجعل الشيخ البصرى هو عمران بن عصام . وهكذا رواه ابن جرير أخبرنا نصر بن على حدثنى أبى حدثنى خالد بن قيس عن قتادة عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ فى الشفع والوتر قال « هى الصلاة منها شفع ومنها وتر » فأسقط ذكر الشيخ المبهم وتفرد به عمران بن عصام الضبعى أبو عمارة البصرى إمام مسجد بنى ضبيعة وهو والد أبى جمرة نصر بن عمران الضبعى روى عنه قتادة وابنه أبو جمرة والمثنى بن سعيد وأبو التياح يزيد بن حميد وذكره ابن حبان فى كتاب الثقات وذكره خليفة بن خياط فى التابعين من أهل البصرة وكان شريفا نبيلا حظيا عند الحجاج بن يوسف ثم قتله يوم الراوية سنة ثنتين وثمانين لخروجه مع ابن الأشعث وليس له عند الترمذى سوى هذا الحديث الواحد ، وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه والله أعلم ولم يجزم ابن جرير بشىء من هذه الأقوال فى الشفع والوتر وقوله تعالى (والليل إذا يسر) قال العوفى عن ابن عباس أى إذا ذهب، وقال عبد الله بن الزبير (والليل إذا يسر) حتى يذهب بعضه بعضا ، وقال مجاهد وأبو العالية وقتادة ومالك عن زيد بن أسلم وابن زيد (والليل إذا يسر) إذا سار وهذا يمكن حمله على ما قال ابن عباس أى ذهب ويحتمل أن يكون المراد إذا سار أى أقبل وقد يقال إن هذا أنسب لأنه فى مقابلة قوله (والفجر) فإن الفجر هو إقبال النهار وإدبار الليل فإذا حمل قوله (والليل إذا يسر) على إقباله كان قسما بإقبال الليل وإدبار النهار وبالعكس كقوله (والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس) وكذا قال الضحاك (والليل إذا يسر)

أى يجرى ، وقال عكرمة (والليل إذا يسر) يعنى ليلة جمع ليلة المزدلفة . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم

ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عامر عن كثير بن عبد الله بن عمرو قال سمعت محمد بن كعب القرظى يقول فى قوله (والليل إذا يسر) قال: اسر ياسارولا تبيتن إلا بجمع، وقوله تعالى (هل فى ذلك قسم لذى حجر) أى لذى عقل ولب وحجا ، وإنما سمى العقل حجرا لأنه يمنع الإنسان من تعاطى مالا يليق به من الأفعال والأقوال ، ومنه حجر البيت لأنه يمنع الطائف من اللصوق بجداره الشامى ، ومنه حجر اليمامة ، وحجر الحاكم على فلان إذا منعه التصرف (ويقولون حجرا محجورا) كل هذا من قبيل واحد ، ومعنى متقارب ، وهذا القسم هو بأوقات العبادة وبنفس العبادة من حج وصلاة وغير ذلك من أنواع القرب التى يتقرب بها إليه عباده المتقون المطيعون له الخائفون منه المتواضعون لديه الخاشعون لوجهه الكريم ولما ذكر هؤلاء وعبادتهم وطاعتهم قال بعده (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟) وهؤلاء كانوا متمردين عتاة جبارين خارجين عن طاعته مكذبين لرسله جاحدين لكتبه فذكر تعالى كيف أهلكهم ودمرهم وجعلهم أحاديث وعبرا فقال (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد ؟) وهؤلاء عاد الأولى وهم ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح قاله ابن إسحق وهم الذين بعث الله فيهم رسوله هودا عليه السلام فكذبوه وخالفوه فأنجاه الله من بين أظهرهم ومن آمن معه منهم وأهلكهم بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية ؟ وقد ذكر الله قصتهم فى القرآن فى غير ما موضع ليعتبر بمصرعهم المؤمنون فقوله تعالى (إرم ذات العماد) عطف بيان زيادة تعريف بهم وقوله تعالى (ذات العماد) لأنهم كانوا يسكنون بيوت الشعر التى ترفع بالأعمدة الشداد وقد كانوا أشد الناس فى زمانهم خلقة وأقواهم بطشا ، ولهذا ذكرهم هود بتلك النعمة وأرشدهم إلى أن يستعملوها فى طاعة ربهم الذى خلقهم فقال (واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسط فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الأرض مفسدين) وقال تعالى (فأما عاد فاستكبروا فى الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ؟ أو لم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة) وقال ههنا (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أى القبيلة التى لم يخلق مثلها فى بلادهم لقوتهم وشدتهم وعظم تركيبهم ، قال مجاهد: إرم، أمة قديمة يعنى عادا الأولى ، قال قتادة بن دعامة والسدى : إن إرم بيت مملكة عاد ، وهذا قول حسن جيد قوى وقال مجاهد وقتادة والكلبى فى قوله (ذات العماد) كانوا أهل عمد لا يقيمون ، وقال العوفى عن ابن عباس إنما قيل لهم ذات العماد لطولهم ، واختار الأول ابن جرير ورد الثانى فأصاب ، وقوله تعالى (التى لم يخلق مثلها فى البلاد) أعاد ابن زيد الضمير على العماد لارتفاعها وقال بنوا عمدا بالأحقاف لم يخلق مثلها فى البلاد ، وأما قتادة وابن جرير فأعاد الضمير على القبيلة أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى البلاد يعنى فى زمانهم ، وهذا القول هو الصواب ، وقول ابن زيد ومن ذهب مذهبه ضعيف لأنه لو كان المراد ذلك لقال التى لم يعمل مثلها فى البلاد وإنما قال (لم يخلق مثلها فى البلاد) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثنى معاوية بن صالح عمن حدثه عن المقدام عن النبى ﷺ أنه ذكر إرم ذات العماد فقال « كان الرجل منهم يأتى على الصخرة فيحملها على الحى فيهلكهم » ثم قال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو الطاهر حدثنا أنس بن عياض عن ثور بن زيد الديلى قال قرأت كتابا قد عمى حيث قرأه أنا شداد بن عاد وأنا الذى رفعت العماد وأنا الذى شددت بذراعى نظر واحد وأنا الذى كنزت كنزا على سبعة أذرع لا يخرجه إلا أمة محمد ﷺ ﴿ قلت ﴾ فعلى كل قول سواء كانت العماد أبنية بنوها أو أعمدة بيوتهم للبدو أو سلاحا يقاتلون به أو طول الواحد منهم فهم قبيلة وأمة من الأمم وهم المذكورون فى القرآن فى غير ما موضع المقرونون بثمود كما ههنا والله أعلم

ومن زعم أن المراد بقوله (إرم ذات العماد) مدينة إما دمشق كما روى عن سعيد بن المسيب وعكرمة أو اسكندرية كما روى عن القرظى أو غيرها ففيه نظر فانه كيف يلتئم الكلام على هذا (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد) إن جعل ذلك بدلا أو عطف بيان ، فانه لا يتسق الكلام حينئذ ، ثم المراد إنما هو الاخبار عن إهلاك

القبيلة المسماة بعاد وما أحل الله بهم من بأسه الذى لا يرد لا أن المراد الاخبار عن مدينة أو إقليم . وإنما نبهت على ذلك لئلا يغتر بكثير مما ذكره جماعة من المفسرين عند هذه الآية من ذكر مدينة يقال لها: إرم ذات العماد، مبنية بلبن الذهب والفضة قصورها ودورها وبساتينها ، وأن حصباءها لآلىء وجواهر وترابها بنادق المسك وأنهارها سارحة وثمارها ساقطة ودورها لا أنيس بها وسورها وأبوابها تصفر ليس بها داع ولا مجيب ، وأنها تنتقل فتارة تكون بأرض الشام وتارة باليمن وتارة بالعراق وتارة بغير ذلك من البلاد فان هذا كله من خرافات الإسرائيليين من وضع بعض زنادقتهم ليختبروا بذلك عقول الجهلة من الناس أن تصدقهم فى جميع ذلك . وذكر الثعلبى وغيره أن رجلا من الأعراب وهو عبد الله بن قلابة فى زمان معاوية ذهب فى طلب أباعر له شردت فبينما هو يبتغيها إذ اطلع على مدينة عظيمة لها سور وأبواب فدخلها فوجد فيها قريبا مما ذكرناه من صفات المدينة الذهبية التى تقدم ذكرها وأنه رجع فأخبر الناس فذهبوا معه إلى المكان الذى قال فلم يروا شيئا . وقد ذكر ابن أبى حاتم قصة إرم ذات العماد ههنا مطولة جدا فهذه الحكاية ليس يصح إسنادها ولو صح إلى ذلك الأعرابى فقد يكون اختلق ذلك أو أنه أصابه نوع من الهوس والخبال فاعتقد أن ذلك له حقيقة فى الخارج وليس كذلك ، وهذا مما يقطع بعدم صحته ، وهذا قريب مما يخبر به كثير من الجهلة والطامعين والمتحيلين من وجود مطالب تحت الأرض فيها قناطير الذهب والفضة وألوان الجواهر واليواقيت واللآلىء والإكسير الكبير لكن عليها موانع تمنع من الوصول إليها والأخذ منها فيحتالون على أموال الأغنياء والضعفة والسفهاء فيأكلونها بالباطل فى صرفها فى بخاخير وعقاقير ونحو ذلك من الهذيانات ويطنزون بهم والذى يجزم به أن فى الأرض دفائن جاهلية وإسلامية وكنوزا كثيرة من ظفر بشىء منها أمكنه تحويله ، فأما على الصفة التى زعموها فكذب وافتراء وبهت ولم يصح فى ذلك شىء مما يقولون إلا عن نقلهم أو نقل من أخذ عنهم والله سبحانه وتعالى الهادى للصواب . وقول ابن جرير يحتمل أن يكون المراد بقوله (إرم ذات العماد) قبيلة أو بلدة كانت عاد تسكنها فلذلك لم تصرف ، فيه نظر لأن المراد من السياق إنما هو الاخبار عن القبيلة ولهذا قال بعده (وثمود الذين جابوا الصخر بالواد) يعنى يقطعون الصخر بالوادى قال ابن عباس ينحتونها ويخرقونها وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد ومنه يقال مجتابى النمار إذا خرقوها واجتاب الثوب إذا فتحه ومنه الجيب أيضا وقال الله تعالى (وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين) وأنشد ابن جرير وابن أبى حاتم ههنا قول الشاعر :

ألا كل شىء ماخلا الله بائد * كما باد حى من شنيف ومارد

هم ضربوا فى كل صماء صعدة * بأيد شداد أيدات السواعد

وقال ابن إسحق كانوا عربا وكان منزلهم بوادى القرى وقد ذكرنا قصة عاد مستقصاة فى سورة الأعراف بما أغنى عن إعادته . وقوله تعالى (وفرعون ذى الأوتاد) قال العوفى عن ابن عباس الأوتاد الجنود الذين يشدون له أمره ويقال كان فرعون يوتد أيديهم وأرجلهم فى أوتاد من حديد يعلقهم بها وكذا قال مجاهد كان يوتد الناس بالأوتاد وهكذا قال سعيد بن جبير والحسن والسدى . قال السدى كان يربط الرجل كل قائمة من قوائمه فى وتد ثم يرسل عليه صخرة عظيمة فيشدخه وقال قتادة بلغنا أنه كان له مظال وملاعب يلعب له تحتها من أوتاد وحبال وقال ثابت البنانى عن أبى رافع قيل لفرعون ذى الأوتاد لأنه ضرب لامرأته أربعة أوتاد ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت . وقوله تعالى (الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد) أى تمردوا وعتوا وعاثوا فى الأرض بالافساد والأذية للناس (فصب عليهم ربك سوط عذاب) أى أنزل عليهم رجزا من السماء وأحل بهم عقوبة لا يردها عن القوم المجرمين

وقوله تعالى (إن ربك لبالمرصاد) قال ابن عباس يسمع ويرى يعنى يرصد خلقه فيما يعملون ويجازى كلا بسعيه فى الدنيا والأخرى وسيعرض الخلائق كلهم عليه فيحكم فيهم بعدله ويقابل كلا بما يستحقه وهو المنزه عن الظلم والجور . وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا جدا وفى إسناده نظر وفى صحته ، فقال حدثنا أبى حدثنا أحمد بن أبى الحوارى حدثنا يونس الحذاء عن أبى حمزة البيسانى عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ « يامعاذ إن المؤمن

لدى الحق أسير ، يا معاذ إن المؤمن لا يسكن روعه ولا يأمن اضطرابه حتى يخلف جسر جهنم خلف ظهره ، يامعاذ إن المؤمن قيده القرآن عن كثير من شهواته وعن أن يهلك فيها هو بإذن الله عز وجل فالقرآن دليله ، والخوف محجته والشوق مطيته ، والصلاة كهفه ، والصوم جنته ، والصدقة فكاكه ، والصدق أميره ، والحياء وزيره ، وربه عز وجل من وراء ذلك كله بالمرصاد » قال ابن أبي حاتم : يونس الحذاء وأبو حمزة مجهولان وأبو حمزة عن معاذ مرسل ولو كان عن أبي حمزة لكان حسنا أي لو كان من كلامه لكان حسنا ثم قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع عن ابن عبد الكلاعي أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول إن لجهنم سبع قناطر قال والصراط عليهن قال فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى فيقول (قفوهم إنهم مسؤلون) قال فيحاسبون على الصلاة ويسئلون عنها قال فيهلك فيها من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثانية حوسبوا على الأمانة كيف أدوها وكيف خانوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها قال فيهلك من هلك وينجو من نجا ، قال والرحم يومئذ متدلية إلى الهوى في جهنم تقول اللهم من وصلني فصله ، ومن قطعني فاقطعه قال وهي التي يقول الله عز وجل (إن ربك لبالمرصاد) هكذا أورد هذا الأثر ولم يذكر تمامه

﴿ فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ * كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ * وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ * وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا * وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾

يقول تعالى مكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له وليس كذلك بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له قال الله تعالى (كلا) أي ليس الأمر كما زعم لا في هذا ولا في هذا فان الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب ويضيق على من يحب ومن لا يحب وإنما المدار في ذلك على طاعة الله في كل من الحالين إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر وقوله تعالى(بل لا تكرمون اليتيم) فيه أمر بالاكرام له كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن المبارك عن سعيد بن أيوب عن يحيى بن سليمان عن يزيد بن أبي غياث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ « خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه — ثم قال باصبعه — أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا » . وقال أبو داود حدثنا محمد بن الصباح بن سفيان أخبرنا عبد العزيز يعني ابن أبي حازم حدثني أبي عن سهل يعني ابن سعيد أن رسول الله ﷺ قال « أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة » وقرن بين اصبعيه الوسطى والتي تلي الابهام (ولا تحاضون على طعام المسكين) يعني لا يأمرون بالإحسان إلى الفقراء والمساكين ويحث بعضهم على بعض في ذلك (وتأكلون التراث) يعني للميراث (أكلا لما) أي من أي جهة حصل لهم من حلال أو حرام (وتحبون المال حبا جما) أي كثيرا زاد بعضهم فاحشا

﴿ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِايْءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي *

﴿ وَادْخُلِي جَنَّتِي ﴾

يخبر تعالى عما يقع يوم القيامة من الأهوال العظيمة فقال تعالى (كلا) أى حقا (إذا دكت الأرض دكا دكا) أى وطئت ومهدت وسويت الأرض والجبال وقام الخلائق من قبورهم لربهم (وجاء ربك) يعنى لفصل القضاء بين خلقه وذلك بعدما يستشفعون إليه بسيد ولد آدم على الاطلاق محمد صلوات الله وسلامه عليه بعد ما يسألون أولى العزم من الرسل واحدا بعد واحد فكلهم يقول لست بصاحب ذاكم حتى تنتهى النوبة إلى محمد ﷺ فيقول « أنا لها أنا لها » فيذهب فيشفع عند الله تعالى فى أن يأتى لفصل القضاء فيشفعه الله تعالى فى ذلك وهى أول الشفاعات وهى المقام المحمود كما تقدم بيانه فى سورة سبحان فيجىء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفا صفوفا وقوله تعالى (وجىء يومئذ بجهنم) قال الإمام مسلم بن الحجاج فى صحيحه حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى عن العلاء بن خالد الكاهلى عن شقيق عن عبدالله هو ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » وهكذا رواه الترمذى عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمى عن عمر بن حفص به ورواه أيضا عن عبد بن حميد عن أبى عامر عن سفيان الثورى عن العلاء بن خالد عن شقيق بن سلمة وهو أبو وائل عن عبد الله بن مسعود قوله ولم يرفعه وكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن عرفة عن مروان بن معاوية الفزارى عن العلاء بن خالد عن شقيق عن عبدالله قوله . وقوله تعالى (يومئذ يتذكر الإنسان) أى عمله وما كان أسلفه فى قديم دهره وحديثه (وأنى له الذكرى) أى وكيف تنفعه الذكرى (يقول يا ليتنى قدمت لحياتى) يعنى يندم على ما كان سلف منه من المعاصى إن كان عاصيا ويود لو كان ازداد من الطاعات إن كان طائعا كما قال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا على بن إسحق حدثنا عبد الله يعنى ابن المبارك حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن جبير ابن نفير عن محمد بن عمرة وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن عبدا خر على وجهه من يوم ولد إلى أن يموت فى طاعة الله لحقره يوم القيامة ولود أنه رد إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب . قال الله تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد) أى ليس أحد أشد عذابا من تعذيب الله من عصاه (ولا يوثق وثاقه أحد) أى وليس أحد أشد قبضا ووثقا من الزبانية لمن كفر بربهم عز وجل وهذا فى حق المجرمين من الخلائق والظالمين فأما النفس الزكية المطمئنة وهى الساكنة الثابتة الدائرة مع الحق فيقال لها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) أى إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده فى جنته (راضية) أى فى نفسها (مرضية) أى قد رضيت عن الله ورضى عنها وأرضاها (فادخلى فى عبادى) أى فى جملتهم (وادخلى جنتى) وهذا يقال لها عند الاحتضار وفى يوم القيامة أيضا كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره فكذلك ههنا

ثم اختلف المفسرون فيمن نزلت هذه الآية فروى الضحاك عن ابن عباس نزلت فى عثمان بن عفان : وعن بريدة ابن الحصيب نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه. وقال العوفى عن ابن عباس يقال للأرواح المطمئنة يوم القيامة (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك) يعنى صاحبك وهو بدنها الذى كانت تعمره فى الدنيا (راضية مرضية) وروى عنه أنه كان يقرؤها (فادخلى فى عبدى وادخلى جنتى) وكذا قال عكرمة والكلبى واختاره ابن جرير وهو غريب والظاهر الأول لقوله تعالى (ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق) (وأن مردنا إلى الله) أى إلى حكمه والوقوف بين يديه وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن عبد الله الدشتكى حدثنى أبى عن أبيه عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله تعالى (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) قال نزلت وأبو بكر جالس فقال يا رسول الله ما أحسن هذا فقال « أما إنه سيقال لك هذا » ثم قال حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا ابن يمان عن أشعث عن سعيد بن جبير قال : قرأت عند النبى صلى الله عليه وسلم (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية) فقال أبو بكر رضى الله عنه إن هذا لحسن ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « أما إن الملك

سيقول لك هذا عند الموت » وكذا رواه ابن جرير عن أبي كريب عن ابن يمان به وهذا مرسل حسن .

ثم قال ابن أبي حاتم وحدثنا الحسن بن عرفة حدثنا مروان بن شجاع الجزرى عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجا منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يدرى من تلاها (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتى) ورواه الطبرانى عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن مروان بن شجاع عن سالم بن عجلان الأفطس به فذكره . وقد ذكر الحافظ محمد بن المنذر الهروى المعروف بشكر في كتاب العجائب بسنده عن قباث بن رزين أبي هاشم قال : أسرت في بلاد الروم فجمعنا الملك وعرض علينا دينه على أن من امتنع ضربت عنقه فارتد ثلاثة وجاء الرابع فامتنع فضربت عنقه وألقى رأسه في نهر هناك فرسب في الماء ثم طفا على وجه الماء ونظر إلى أولئك الثلاثة فقال: يا فلان ويا فلان ويا فلان يناديهم بأسمائهم قال الله تعالى في كتابه (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتى) ثم غاص في الماء وقال فكادت النصارى أن يسلموا ووقع سرير الملك ورجع أولئك الثلاثة إلى الاسلام قال وجاء الفداء من عند الخليفة أبي جعفر المنصور فخلصنا

وروى الحافظ ابن عساكر في ترجمة رواحة بنت أبي عمرو الأوزاعي عن أبيها حدثني سليمان بن حبيب المحاربي حدثني أبو أمامة أن رسول الله ﷺ قال لرجل « قل اللهم إني أسألك نفسا بك مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك » ثم روى عن أبي سليمان بن وبر أنه قال: حديث رواحة هذا واحد أمه آخر تفسير سورة الفجر ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة البلد وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ * أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ * يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا * أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ * أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾

هذا قسم من الله تبارك وتعالى بمكة أم القرى في حال كون الساكن فيها حلالا لينبه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها ، قال خصيف عن مجاهد (لا أقسم بهذا البلد) لا رد عليهم . أقسم بهذا البلد ، وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (لا أقسم بهذا البلد) يعنى مكة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل به ، وكذا روى عن سعيد بن جبير وأبي صالح وعطية والضحاك وقتادة والسدى وابن زيد ، وقال مجاهد ما أصبت فيه فهو حلال لك ، وقال قتادة (وأنت حل بهذا البلد) قال أنت به من غير حرج ولا إثم ، وقال الحسن البصرى أحلها الله له ساعة من نهار وهذا المعنى الذى قالوه قد ورد به الحديث المتفق على صحته « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة لا يعضد شجره ولا يختلى خلاه ، وإنما أحلت لى ساعة من نهار وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فليبلغ الشاهد الغائب » وفى لفظ آخر « فان أحد ترخص بقتال رسول الله فقولوا إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم » ، وقوله تعالى (ووالد وما ولد) قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن عطية عن شريك عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس في قوله تعالى (ووالد وما ولد) الوالد الذى يلد وما ولد العاقر الذى لا يولد له ، ورواه ابن أبي حاتم من حديث شريك وهو ابن عبد الله القاضي به وقال عكرمة الوالد العاقر وما ولد الذى يلد . رواه ابن أبي حاتم . وقال مجاهد وأبو صالح وقتادة والضحاك وسفيان الثورى وسعيد بن جبير والسدى والحسن البصرى وخصيف وشرحبيل بن سعد وغيرهم يعنى بالوالد آدم وما ولد ولده وهذا الذى ذهب اليه مجاهد وأصحابه حسن قوى لأنه تعالى لما أقسم بأم القرى وهى المساكن أقسم بعده بالساكن وهو آدم أبو البشر وولده وقال أبو عمران الجونى هو إبراهيم وذريته » رواه ابن جرير وابن

أبى حاتم واختار ابن جرير أنه عام فى كل والد وولده وهو محتمل أيضا ، وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) روى عن ابن مسعود وابن عباس وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعى وخيثمة والضحاك وغيرهم يعنى منتصبا زاد ابن عباس فى رواية عنه منتصبا فى بطن أمه والكبد الاستواء والاستقامة ، ومعنى هذا القول لقد خلقناه سويا مستقيما كقوله تعالى (يا أيها الإنسان ماغرك بربك الكريم الذى خلقك فسواك فعدلك فى أى صورة ماشاء ركبك) وكقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان) فى أحسن تقويم) وقال ابن أبى نجيح وجريج وعطاء عن ابن عباس : فى كبد قال فى شدة خلق ألم تر إليه وذكر مولده ونبات أسنانه ، وقال مجاهد (فى كبد) نطفة ثم علقة ثم مضغة يتكبد فى الخلق قال مجاهد وهو كقوله تعالى (حملته أمه كرها ووضعته كرها) وأرضعته كرها ومعيشته كره فهو يكابد ذلك وقال سعيد بن جبير (لقد خلقنا الإنسان فى كبد) فى شدة وطلب معيشة وقال عكرمة فى شدة وطول وقال قتادة فى مشقة . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو عاصم أخبرنا عبد الحميد بن جعفر سمعت محمد بن على أبا جعفر الباقر سأل رجلا من الأنصار عن قول الله تعالى (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال فى قيامه واعتداله فلم ينكر عليه أبو جعفر ، وروى من طريق أبى مودود سمعت الحسن قرأ هذه الآية (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال يكابد أمرا من أمر الدنيا وأمرا من أمر الآخرة وفى رواية يكابد مضايق الدنيا وشدائد الآخرة وقال ابن زيد (لقد خلقنا الانسان فى كبد) قال آدم خلق فى السماء فسمى ذلك الكبد واختار ابن جرير أن المراد بذلك مكابدة الأمور ومشاقها ، وقوله تعالى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الحسن البصرى يعنى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) يأخذ ماله وقال قتادة (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال ابن آدم يظن أن لن يسئل عن هذا المال من أين اكتسبه وأين أنفقه ، وقال السدى (أيحسب أن لن يقدر عليه أحد) قال الله عزوجل ، وقوله تعالى (يقول أهلكت مالا لبدا) أى يقول ابن آدم أنفقت مالا لبدا أى كثيرا قاله مجاهد والحسن وقتادة والسدى وغيرهم (أيحسب أن لن يره أحد) قال مجاهد أى أيحسب أن لم يره الله عزوجل وكذا قال غيره من السلف : وقوله تعالى (ألم نجعل له عينين) أى يبصر بهما (ولسانا) أى ينطق به فيعبر عما فى ضميره (وشفتين) يستعين بهما على الكلام وأكل الطعام وجمالا لوجهه وفمه .

وقد روى الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبى الربيع الدمشقى عن مكحول قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى يا ابن آدم قد أنعمت عليك نعما عظاما لاتحصى عددها ولاتطيق شكرها وإن مما أنعمت عليك أن جعلت لك عينين تنظر بهما وجعلت لهما غطاء فانظر بعينيك إلى ما أحللت لك وإن رأيت ماحرمت عليك فأطبق عليهما غطاءهما وجعلت لك لسانا وجعلت له غلافا فانطق بما أمرتك وأحللت لك فان عرض عليك ماحرمت عليك فأغلق عليك لسانك . وجعلت لك فرجا وجعلت لك سترا فأصب بفرجك ما أحللت لك فان عرض عليك ماحرمت عليك فأرخ عليك سترك ، ابن آدم إنك لاتحمل سخطى ولاتطيق انتقامى » (وهديناه النجدين) الطريقين قال سفيان الثورى عن عاصم عن زر عن عبدالله هو ابن مسعود (وهديناه النجدين) قال الخير والشر وكذا روى عن على وابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبى وائل وأبى صالح ومحمد بن كعب والضحاك وعطاء الخراسانى فى آخرين وقال عبد الله بن وهب أخبرنى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن سنان بن سعد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ « هما نجدان فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » تفرد به سنان بن سعد ويقال سعد بن سنان وقد وثقه ابن معين وقال الامام أحمد والنسائى والجوزجانى منكر الحديث ، وقال أحمد تركت حديثه لاضطرابه وروى خمسة عشر حديثا منكرة كلها ما أعرف منها حديثا واحدا يشبه حديثه حديث الحسن — يعنى البصرى — لايشبه حديث أنس وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية عن أبى رجاء قال سمعت الحسن يقول (وهديناه النجدين) قال ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول « يا أيها الناس إنهما النجدان نجد الخير ونجد الشر فما جعل نجد الشر أحب اليكم من نجد الخير » وكذا رواه حبيب بن الشهيد و معمر ويونس بن عبيد وأبو وهب عن الحسن مرسلا وهكذا أرسله قتادة وقال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد بن عصام الأنصارى حدثنا أبو أحمد الزبيرى حدثنا عيسى بن عفان عن أبيه عن ابن عباس فى قوله تعالى (وهديناه النجدين) قال التدين وروى عن الربيع بن خيثم وقتادة وأبى حازم مثل ذلك ورواه ابن جرير عن أبى كريب عن وكيع عن عيسى بن عقال به ثم قال والصواب القول الأول

ونظير هذه الآية قوله تعالى (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا * إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا)

﴿ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُؤْصَدَةٌ ﴾

قال ابن جرير حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد حدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي عطية عن ابن عمر في قوله تعالى (فلا اقتحم) أي دخل (العقبة) قال جبل في جهنم وقال كعب الأحبار (فلا اقتحم العقبة) هو سبعون درجة في جهنم وقال الحسن البصري (فلا اقتحم العقبة) قال عقبة في جهنم وقال قتادة إنها عقبة قحمة شديدة فاقتحموها بطاعة الله تعالى وقال قتادة (وما أدراك ما العقبة ؟) ثم أخبر تعالى عن اقتحامها فقال (فك رقبة أو إطعام) وقال ابن زيد (فلا اقتحم العقبة) أي أفلا سلك الطريق التي فيها النجاة والخير ثم بينها فقال تعالى (وما أدراك ما العقبة * فك رقبة أو إطعام) قرىء فك رقبة بالإضافة وقرىء على أنه فعل وفيه ضمير الفاعل والرقبة مفعوله وكلتا القراءتين معناهما متقارب . قال الإمام أحمد حدثنا علي بن إبراهيم حدثنا عبد الله يعني ابن سعيد بن أبي هند عن إسماعيل بن أبي حكيم مولى آل الزبير عن سعيد بن مرجانة أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب — أي عضو — منها إربا منه من النار حتى إنه ليعتق باليد اليد وبالرجل الرجل وبالفرج الفرج» فقال علي بن الحسين أنت سمعت هذا من أبي هريرة ؟ فقال سعيد نعم فقال علي بن الحسين لغلام له أقره غلمانه ادع مطرفا فلما قام بين يديه قال اذهب فأنت حر لوجه الله ، وقد رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من طرق عن سعيد بن مرجانه به وعند مسلم أن هذا الغلام الذي أعتقه علي بن الحسين زين العابدين كان قد أعطى فيه عشرة آلاف درهم وقال قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن أبي نجيح قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما مسلم أعتق رجلا مسلما فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامه عظماً من عظام محرره من النار وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة فان الله جاعل وفاء كل عظم من عظامها عظما من عظامها من النار » رواه ابن جرير هكذا وأبو نجيح هذا هو عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه

قال الإمام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثني بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة عن عمرو بن عبسة أنه حدثهم أن النبي ﷺ قال «من بنى مسجدا ليذكر الله فيه بنى الله له بيتا في الجنة، ومن أعتق نفسا مسلمة كانت فديته من جهنم ، ومن شاب شيبة في الإسلام كانت له نورا يوم القيامة »

﴿ طريق آخرى ﴾ قال أحمد حدثنا الحكم بن نافع حدثنا جرير عن سليم بن عامر أن شرحبيل بن السمط قال لعمرو ابن عبسة حدثنا حديثا ليس فيه تزيد ولا نسيان قال عمرو: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «من أعتق رقبة مسلمة كانت فكاكه من النار عضوا بعضوا ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم فبلغ فأصاب أو أخطأ كان كمعتق رقبة من بني إسماعيل » وروى أبو داود والنسائي بعضه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا الفرج حدثنا لقمان عن أبي أمامة عن عمرو بن عبسة: قال السلمي قلت له حدثنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وهم قال سمعته يقول « من ولد له ثلاثة أو لاد في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحنث أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم ، ومن شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورا يوم القيامة ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له عتق رقبة ومن أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منه عضوا منه من النار ، ومن أنفق زوجين في سبيل الله فان للجنة ثمانية أبواب يدخله الله من أي باب شاء منها »

وهذه أسانيد جيدة قوية ولله الحمد

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو داود حدثنا عيسى بن محمد الرملي حدثنا ضمرة عن ابن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي قال أتينا واثلة بن الأسقع فقلنا له حدثنا حديثا ليس فيه زيادة ولا نقصان فغضب وقال إن أحدكم ليقرأ ومصحفه معلق في بيته فيزيد وينقص قلنا إنما أردنا حديثا سمعته من رسول الله ﷺ قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحب لنا قد أوجب يعني النار بالقتل فقال « أعتقوا عنه يعتق الله بكل عضو منه عضوا من النار » وكذا رواه النسائي من حديث إبراهيم بن أبي عبلة عن العريف بن عياش الديلمي عن واثلة به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا هشام عن قتادة عن قيس الجذامي عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مسلمة فهو فداؤه من النار » وحدثنا عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن قيسا الجذامي حدث عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى عليه وسلم قال « من أعتق رقبة مؤمنة فهي فكاكه من النار » تفرد به أحمد من هذا الوجه . ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن آدم وأبو أحمد قالا: حدثنا عيسى بن عبد الرحمن البجلي من بني بجيلة من بني سليم عن طلحة بن مصرف عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء ابن عازب قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله علمني عملا يدخلني الجنة فقال « لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسئلة ، أعتق النسمة وفك الرقبة » فقال يا رسول الله أوليستا بواحدة، قال « لا إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها ، والمنحة الوكوف ، والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تطق ذلك فأطعم الجائع ، واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن النكر فان لم تطق ذلك فكف لسانك إلا من الخير » . وقوله تعالى (أو إطعام في يوم ذي مسغبة) قال ابن عباس ذي مجاعة ، وكذا قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وغير واحد والسغب هو الجوع ، وقال إبراهيم النخعي في يوم الطعام فيه عزيز ، وقال قتادة في يوم مشتهى فيه الطعام . وقوله تعالى (يتيما) أي أطعم في مثل هذا اليوم يتيما (ذا مقربة) أي ذا قرابة منه قاله ابن عباس وعكرمة والحسن والضحاك والسدي كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد أخبرنا هشام عن حفصة بنت سيرين عن سلمان بن عامر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم اثنتان ، صدقة وصلة » وقد رواه الترمذي والنسائي وهذا إسناد صحيح وقوله تعالى (أو مسكينا ذا متربة) أي فقيرا مدقعا لا صفا بالتراب وهو الدقعاء أيضا قال ابن عباس ذا مَتربة هو المطروح في الطريق الذي لا بيت له ولا شيء يقيه من التراب وفي رواية هو الذي لصق بالدقعاء من الفقر والحاجة ليس له شيء ، وفي رواية عنه هو البعيد التربة، قال ابن أبي حاتم يعني الغريب عن وطنه ، وقال عكرمة هو الفقير المديون المحتاج، وقال سعيد بن جبير هو الذي لا أحد له وقال ابن عباس وسعيد وقتادة ومقاتل بن حيان هو ذو العيال ، وكل هذه قريبة المعنى. وقوله تعالى (ثم كان من الذين آمنوا) أي ثم هو مع هذه الأوصاف الجميلة الطاهرة مؤمن بقلبة محتسب ثواب ذلك عند الله عز وجل كما قال تعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) وقال تعالى (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) الآية . وقوله تعالى (وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة) أي كان من المؤمنين العاملين صالحا «المتواصين بالصبر على أذى الناس وعلى الرحمة بهم كما جاء في الحديث الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء » وفي الحديث الآخر « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » . وقال أبو داود حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن ابن عامر عن عبد الله بن عمرو يرويه قال : من لم يرحم صغيرنا ويعرف حق كبيرنا فليس منا ، وقوله تعالى (أولئك أصحاب الميمنة) أي المتصفون بهذه الصفات من أصحاب اليمين . ثم قال (والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة) أي أصحاب الشمال (عليهم نار مؤصدة) أي مطبقة عليهم فلا محيد لهم عنها ولا خروج لهم منها ! قال أبو هريرة وابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحمد بن كعب القرظي وعطية العوفي والحسن وقتادة والسدي (مؤصدة) أي مطبقة قال ابن عباس مغلقة الأبواب ، وقال مجاهد أصد الباب بلغة

قريش أى أغلقه وسيأتى فى ذلك حديث فى سورة (ويل لكل همزة لمزة) . وقال الضحاك (مؤصدة) حيطلا باب له وقال قتادة (مؤصدة) مطبقة فلا ضوء فيها ولا فرج ولا خروج منها آخر الأبد ، وقال أبو عمران الجونى إذا كان يوم القيامة أمر الله بكل جبار وكل شيطان وكل من كان يخاف الناس فى الدنيا شره فأوثقوا بالحديد ثم أمر بهم إلى جهنم ثم أو صدوها عليهم أى أطبقوها قال فلا والله لا تستقر أقدامهم على قرار أبدا ، ولا والله لا ينظرون فيها إلى أديم سماء أبدا ولا والله لا تلتقى جفون أعينهم على غمض نوم أبدا ، ولا والله لا يذوقون فيها بارد شراب أبدا . رواه ابن أبى حاتم . آخر تفسير سورة البلد ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة والشمس وضحاها وهى مكية ﴾

تقدم حديث جابر الذى فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ « هلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى والشمس وضحاها والليل إذا يغشى ؟ »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا * وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا * وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا * وَٱللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا * وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا * وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾

قال مجاهد (والشمس وضحاها) أى وضوئها وقال قتادة (وضحاها)النهار كله . قال ابن جرير والصواب أن يقال أقسم الله بالشمس ونهارها لأن ضوء الشمس الظاهر هو النهار (والقمر إذا تلاها) قال مجاهد تبعها ، وقال العوفى عن ابن عباس (والقمر إذا تلاها) قال يتلو النهار ، وقال قتادة إذا تلاها ليلة الهلال إذا سقطت الشمس رؤى الهلال ، وقال ابن زيد هو يتلوها فى النصف الأول من الشهر ثم هى تتلوه وهو يتقدمها فى النصف الأخير من الشهر ،وقال مالك عن زيد بن أسلم إذا تلاها ليلة القدر . وقوله تعالى(والنهار إذا جلاها) قال مجاهد أضاء وقال قتادة (والنهار إذا جلاها) إذا غشيها النهار ، وقال ابن جرير : وكان بعض أهل العربية يتأول ذلك بمعنى والنهار إذا جلا الظلمة لدلالة الكلام عليها ﴿ قلت ﴾ ولو أن هذا القائل تأول ذلك بمعنى (والنهار إذا جلاها) أى البسيطة لكان أولى ولصح تأويله فى قوله تعالى(والليل إذا يغشاها) فكان أجود وأقوى والله أعلم ولهذا قال مجاهد (والنهار إذا جلاها) انه كقوله تعالى(والنهار إذا تجلى) وأما ابن جرير فاختار عود الضمير فى ذلك كله على الشمس لجريان ذكرها وقالوا فى قوله تعالى (والليل إذا يغشاها) يعنى إذا يغشى الشمس حين تغيب فتظلم الآفاق

وقال بقية بن الوليد عن صفوان حدثنى يزيد بن ذى حمامة قال : إذا جاء الليل قال الرب جل جلاله غشى عبادى خلق العظيم فالليل يهابه والذى خلقه أحق أن يهاب . رواه ابن أبى حاتم ، وقوله تعالى (والسماء وما بناها) يحتمل أن تكون ما ههنا مصدرية بمعنى والسماء وبنائها وهو قول قتادة ويحتمل أن تكون بمعنى من يعنى والسماء وبانيها وهو قول مجاهد وكلاهما متلازم والبناء هو الرفع كقوله تعالى (والسماء بنيناها بأيد ـ أى بقوة ـ وإنا لموسعون *والأرض فرشناها فنعم الماهدون) وهكذا قوله تعالى (والأرض وما طحاها) قال مجاهد : طحاها دحاها ، قال العوفى عن ابن عباس (وما طحاها) أى خلق فيها وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: ضحاها قسمها . وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسدى والثورى وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها وهذا أشهر الأقوال وعليه الأكثر من المفسرين وهو المعروف عند أهل اللغة ، قال الجوهرى طحوته مثل دحوته أى بسطته ، وقوله تعالى (ونفس وما سواها) أى خلقها سوية مستقيمه على الفطره القويمة كما قال تعالى (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه

أو ينصرانه أو يمجسانه كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ » أخرجاه من رواية أبي هريرة وفي صحيح مسلم من رواية عياض بن حماد المجاشعي عن رسول الله ﷺ قال « يقول الله عز وجل : إني خلقت عبادي حنفاء فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم » ، وقوله تعالى (فألهمها فجورها وتقواها) أي فأرشدها إلى فجورها وتقواها أي بين ذلك لها وهداها إلى ماقدر لها . قال ابن عباس (فألهمها فجورها وتقواها) بين لها الخير والشر وكذا قال مجاهد وقتادة والضحاك والثوري وقال سعيد بن جبير: ألهمها الخير والشر ، وقال ابن زيد : جعل فيها فجورها وتقواها ، وقال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا صفوان بن عيسى وأبو عاصم النبيل قالا حدثنا عزرة ابن ثابت حدثني يحي بن عقيل عن يحي بن يعمر عن أبي الأسود الديلي قال : قال لي عمران بن حصين أرأيت ما يعمل الناس فيه ويتكادحون فيه أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أو فيما تستقبلون مما أتاهم به نبيهم ﷺ وأكدت عليهم الحجة ؟ قلت بل شيء قضى عليهم ، قال فهل يكون ذلك ظلما ؟ قال ففزعت منه فزعا شديدا قال : قلت له ليس شيء إلا وهو خلقه وملك يده لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال سددك الله إنما سألتك لأخبر عقلك إن رجلا من مزينة أو جهينة أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أرأيت مايعمل الناس فيه ويتكادحون أشيء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر قد سبق أم شيء مما يستقبلون مما أتاهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم وأكدت به عليهم الحجة ؟ قال « بل شيء قد قضى عليهم » قال ففيم نعمل ؟ قال « من كان الله خلقه لإحدى المنزلتين يهيئه لها وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) » رواه أحمد ومسلم من حديث عزرة بن ثابت به ، وقوله تعالى (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى نفسه أي بطاعة الله كما قال قتادة وطهرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل ، ويروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وكقوله تعالى (قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربه فصلى) (وقد خاب من دساها) أي دسسها أي أخملها ووضع منها بخذلانه إياها عن الهدى حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله عز وجل وقد يحتمل أن يكون المعنى قد أفلح من زكى الله نفسه وقد خاب من دسى الله نفسه كما قال العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي وأبو زرعة قالا : حدثنا سهل بن عثمان حدثنا أبو مالك يعني عمرو ابن الحارث عن عمرو بن هشام عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قول الله عز وجل (قد أفلح من زكاها) قال النبي صلى الله عليه وسلم « أفلحت نفس زكاها الله عز وجل » ورواه ابن أبي حاتم من حديث أبي مالك به وجويبر هذا هو ابن سعيد متروك الحديث والضحاك لم يلق ابن عباس ، وقال الطبراني حدثنا يحي بن عثمان بن صالح حدثنا أبي حدثنا ابن لهيعة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مر بهذه الآية (ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها) وقف ثم قال « اللهم آت نفسي تقواها ، أنت وليها ومولاها ، وخير من زكاها » ﴿حديث آخر﴾ قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يعقوب بن حميد المدني حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموي حدثنا معن بن محمد الغفاري عن حنظلة بن علي الأسلمي عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقرأ « (فألهمها فجورها وتقواها) ـ قال ـ اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » لم يخرجوه من هذا الوجه ، وقال الامام أحمد حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن صالح ابن سعيد عن عائشة أنها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول « رب أعط نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » تفرد به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث عن زيد بن أرقم : قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل ، والهرم والجبن والبخل وعذاب القبر . اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها . اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع . وعلم لا ينفع ودعوة لا يستجاب لها » قال زيد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم يعلمناهن ونحن نعلمكموهن ، رواه مسلم من حديث أبي معاوية عن عاصم الأحول عن عبد الله بن الحارث وأبي عثمان النهدي عن زيد بن أرقم به

﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا * إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾

يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي وقال محمد بن كعب (بطغواها) أي بأجمعها والأول أولى قاله مجاهد وقتادة وغيرهما فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين (إذ انبعث أشقاها) أي أشقى القبيلة وهو قدار بن سالف عاقر الناقة وهو أحيمر ثمود وهو الذي قال الله تعالى (فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر) الآية وكان هذا الرجل عزيزا فيهم شريفا في قومه نسيبا رئيسا مطاعا كما قال الإمام أحمد حدثنا ابن نمير حدثنا هشام عن أبيه عن عبد الله بن زمعة قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة وذكر الذي عقرها فقال « إذ انبعث أشقاها انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة » ورواه البخاري في التفسير ومسلم في صفة النار والترمذي والنسائي في التفسير من سننهما وكذا ابن جرير وابن أبي حاتم عن طوق عن هشام بن عروة به . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى حدثنا عيسى بن يونس حدثنا محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن محمد بن خثيم عن محمد بن كعب القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار ابن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي « ألا أحدثك بأشقى الناس ، » قال بلى قال « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته . وقوله تعالى (فقال لهم رسول الله) يعني صالحا عليه السلام (ناقة الله) أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء (وسقياها) أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم قال الله تعالى (فكذبوه فعقروها) أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم (فدمدم عليهم ربهم بذنبهم) أي غضب عليهم فدمر عليهم (فسواها) أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها . وقوله تعالى (ولا يخاف) وقرىء فلا يخاف (عقباها) قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة وكذا قال مجاهد والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي (ولا يخاف عقباها) أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم . آخر تفسير سورة والشمس وضحاها ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة الليل وهي مكية ﴾

تقدم قوله عليه الصلاة والسلام لمعاذ « فهلا صليت بسبح اسم ربك الأعلى ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى * وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا شعبة عن المغيرة عن إبراهيم عن علقمة أنه قدم الشام فدخل مسجد دمشق فصلى فيه ركعتين وقال : اللهم ارزقني جليسا صالحا : قال فجلس إلى أبي الدرداء فقال له أبو الدرداء ممن أنت؟ قال من أهل الكوفة ، قال كيف سمعت ابن أم عبد يقرأ (والليل إذا يغشى * والنهار إذا تجلى) قال علقمة (والذكر

والأنثى) فقال أبو الدرداء لقد سمعتها من رسول الله ﷺ فما زال هؤلاء حتى شككونى ثم قال ألم يكن فيكم صاحب السواد وصاحب السر الذى لا يعلمه أحد غيره والذى أجير من الشيطان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم وقد رواه البخارى ههنا ومسلم من طريق الأعمش عن إبراهيم قال قدم أصحاب عبد الله على أبى الدرداء فطلبهم فوجدهم فقال أيكم يقرأ على قراءة عبد الله ؟ قالوا كلنا ، قال أيكم أحفظ ؟ فأشاروا إلى علقمة فقال كيف سمعته يقرأ (والليل إذا يغشى ـ قال ـ والذكر والأنثى) قال أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ هكذا وهو لا يريدنى على أن أقرأ (وما خلق الذكر والأنثى) والله لا أتابعهم هـذا لفظ البخارى . هكذا قرأ ذلك ابن مسعود وأبو الدرداء ورفعه أبو الدرداء وأما الجمهور فقرأوا ذلك كما هو المثبت فى المصحف الإمام العثمانى فى سائر الآفاق (وما خلق الذكر والأنثى) فأقسم تعالى (بالليل إذا يغشى) أى إذا غشى الخليقة بظلامه (والنهار إذا تجلى) أى بضيائه وإشراقه (وما خلق الذكر والأنثى) كقوله تعالى (وخلقناكم أزواجا) وكقوله (ومن كل شىء خلقنا زوجين) ولما كان القسم بهذه الأشياء المتضادة كان المقسم عليه أيضا متضادا ولهذا قال تعالى (إن سعيكم لشتى) أى أعمال العباد التى اكتسبوها متضادة أيضا ومتخالفة فمن فاعل خيرا ومن فاعل شرا قال الله تعالى (فأما من أعطى واتقى) أى أعطى ما أمر بإخراجه واتقى الله فى أموره (وصدق بالحسنى) أى بالمجازاة على ذلك قاله قتادة ، وقال خصيف بالثواب وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وأبو صالح وزيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) أى بالخلف وقال أبو عبد الرحمن السلمى والضحاك (وصدق بالحسنى) أى بلا إله إلا الله وفى رواية عن عكرمة (وصدق بالحسنى) أى بما أنعم الله عليه ، وفى رواية عن زيد بن أسلم (وصدق بالحسنى) قال الصلاة والزكاة والصوم وقال مرة وصدقة الفطر . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان بن صالح الدمشقى حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد حدثنى من سمع أبا العالية الرياحى يحدث عن أبى بن كعب قال سألت رسول الله ﷺ عن الحسنى قال « الحسنى : الجنة »

وقوله تعالى (فسنيسره لليسرى) قال ابن عباس يعنى للخير ، وقال زيد بن أسلم يعنى للجنة وقال بعض السلف من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها ولهذا قال تعالى (وأما من بخل) أى بما عنده (واستغنى) قال عكرمة عن ابن عباس أى بخل بماله واستغنى عن ربه عزوجل . رواه ابن أبى حاتم (وكذب بالحسنى) أى بالجزاء فى الدار الآخرة (فسنيسره للعسرى) أى لطريق الشر كما قال تعالى (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون) والآيات فى هذا المعنى كثيرة دالة على أن الله عزوجل يجازى من قصد الخير بالتوفيق له ومن قصد الشر بالخذلان وكل ذلك بقدر مقدر والأحاديث الدالة على هذا المعنى كثيرة ﴿ رواية أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا على بن عياش حدثنى العطاف بن خالد حدثنى رجل من أهل البصرة عن طلحة ابن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق عن أبيه قال سمعت أبى يذكر أن أباه سمع أبا بكر وهو يقول : قلت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنعمل على ما فرغ منه أو على أمر مؤتنف ؟ قال « بل على أمر قد فرغ منه » قال ففيم العمل يا رسول الله ؟ قال « كل ميسر لما خلق له » ﴿ رواية على رضى الله عنه ﴾ قال البخارى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأعمش عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل ؟ فقال « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » ثم قرأ (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ إلى قوله ـ للعسرى) وكذا رواه من طريق شعبة ووكيع عن الأعمش بنحوه . ثم رواه عن عثمان بن أبى شيبة عن جرير عن منصور عن سعيد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد فأتى رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال « ما منكم من أحد ـ أو ما من نفس منفوسة ـ إلا كتب مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة » فقال رجل يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل ؟ فمن كان منا من

أهل السعادة فسيصير إلى أهل السعادة ومن كان منامن أهل الشقاء ، فسيصير إلى أهل الشقاء ؟ فقال « أماأهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة ، وأما أهل الشقاء فييسرون إلى عمل أهل الشقاء » ثم قرأ (فأمامن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأمامن بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) وقد أخرجه بقية الجماعة من طرق عن سعيد بن عبيدة به ﴿ رواية عبدالله بن عمر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبدالرحمن حدثنا شعبة عن عاصم بن عبيدالله قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن ابن عمر قال: قال عمر يارسول الله أرأيت مانعمل فيه أفي أمر قدفرغ أو مبتدأ أو مبتدع؟ قال « فيما قد فرغ منه ، فاعمل يا ابن الخطاب فإن كلا ميسر ، أما من كان من أهل السعادة فانه يعمل للسعادة وأما من كان من أهل الشقاء فانه يعمل للشقاء » ورواه الترمذى فى القدر عن بندار عن ابن مهدى به وقال حسن صحيح

﴿ حديث آخر من رواية جابر ﴾ قال ابن جرير حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير عن جابر بن عبد الله أنه قال يارسول الله أنعمل لأمر قدفرغ منه أولأمر نستأنفه ؟ فقال « لأمر قدفرغ منه » فقال سراقة ففيم العمل إذاً ؟ فقال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » ورواه مسلم عن أبى الطاهر عن أبى بن وهب به

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنى يونس حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن طلق بن حبيب عن بشير بن كعب العدوى قال سأل غلامان شابان النبى ﷺ فقالا: يارسول الله أنعمل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أوفى شىء يستأنف ؟ فقال « بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير » قالا : ففيم العمل إذاً ! قال « اعملوا فكل عامل ميسر لعمله الذى خلق له » قالا : نجد ونعمل ﴿ رواية أبى الدرداء ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا هشيم بن خارجة حدثنا أبوالربيع سليمان ابن عتبة السلمى عن يونس بن ميسرة بن حلبس عن أبى إدريس عن أبى الدرداء قال : قالوا يارسول الله أرأيت مانعمل أمر قدفرغ منه أم شىء نستأنفه ؟ قال « بل أمر قد فرغ منه » فقالوا فكيف بالعمل يارسول الله ؟ قال « كل امرىء مهيأ لما خلق له » تفرد به أحمد من هذا الوجه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن جرير حدثنى الحسن بن سلمة بن أبى كبشة حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا عباد بن راشد عن قتادة حدثنى خليد العصرى عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن يوم غربت فيه شمسه إلا وبجنبتيها ملكان يناديان يسمعهما خلق الله كلهم إلا الثقلين : اللهم أعط منفقاً خلفاً وأعط ممسكا تلفاً » وأنزل الله فى ذلك القرآن (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن ابن أبى كبشة باسناده مثله ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنى أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا كان له نخيل ومنها . نخلة فرعها فى دار رجل صالح فقير ذى عيال فاذا جاء الرجل فدخل داره فيأخذ الثمرة من نخلته فتسقط الثمرة فيأخذها صبيان الرجل الفقير فينزل من نخلته فينزع الثمرة من أيديهم وإن أدخل أحدهم الثمرة فى فمه أدخل اصبعه فى حلق الغلام ونزع الثمرة من حلقه فشكا ذلك الرجل إلى النبى ﷺ وأخبره بما هو فيه من صاحب النخلة فقال له النبى ﷺ « اذهب » ولقى النبى صلى الله عليه وسلم صاحب النخلة فقال له « أعطنى نخلتك التى فرعها فى دار فلان ولك بها نخلة فى الجنة » فقال له لقد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها وإن لى لنخلا كثيراً مافيها نخلة أعجب إلى ثمرة من ثمرها فذهب النبى ﷺ فتبعه رجل كان يسمع الكلام من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صاحب النخلة فقال الرجل يارسول الله إن أنا أخذت النخلة فصارت لى النخلة فأعطيتك إياها أتعطينى ما أعطيته بها نخلة فى الجنة ؟ قال « نعم » ثم إن الرجل لقى صاحب النخلة ولكلامها نخل فقال له أخبرك أن محمدا أعطانى بنخلتى المائلة فى دار فلان نخلة فى الجنة فقلت له قد أعطيت ولكن يعجبنى ثمرها فسكت عنه الرجل فقال له أراك إذا بعتها قال لا إلا أن أعطى بها شيئا ولا أظنى أعطاه قال : وما مناك ؟ قال أربعون نخلة فقال الرجل : لقد جئت بأمر عظيم نخلتك تطلب بها أربعين نخلة ، ثم سكتا وأنشأ فى كلام آخر ثم قال أنا أعطيتك أربعين نخلة فقال اشهدلى إن كنت صادقا فأمر بأناس فدعاهم فقال اشهدوا أنى قدأعطيته من نخلى أربعين نخلة بنخلته التى فرعها فى دار فلان بن فلان ثم قال ماتقول

فقال صاحب النخلة قد رضيت ، ثم قال بعد ليس بيني وبينك بيع لم نفترق فقال له قد أقالك الله ولست بأحمق حين أعطيتك أربعين نخلة بنخلتك الماثلة فقال صاحب النخلة قد رضيت على أن تعطيني الأربعين على ما أريد قال تعطينيها على ساق ثم مكث ساعة ثم قال هي لك على ساق وأوقف له شهوداً وعد له أربعين نخلة على ساق فتفرقا فذهب الرجل إلى رسول ﷺ فقال يارسول الله إن النخلة الماثلة في دار فلان قد صارت لي فهي لك فذهب رسول الله ﷺ إلى الرجل صاحب الدار فقال له « النخلة لك ولعيالك » قال عكرمة قال ابن عباس فأنزل الله عز وجل (والليل إذا يغشى — إلى قوله — فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى . وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى) إلى آخر السورة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم وهو حديث غريب جداً .

قال ابن جرير وذكر أن هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حدثنا هارون بن إدريس الأصم حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي حدثنا محمد بن إسحاق عن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال كان أبو بكر رضي الله عنه يعتق على الإسلام بمكة فكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن فقال له أبوه أي بني أراك تعتق أناسا ضعفاء فلو أنك تعتق رجالا جلداء يقومون معك ويمنعونك ويدفعون عنك فقال أي أبت إنما أريد — أظنه قال — ماعند الله قال فحدثني بعض أهل بيتي أن هذه الآية أنزلت فيه (فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى) ، وقوله تعالى (وما يغني عنه ماله إذا تردى) قال مجاهد : أي إذا مات . وقال أبو صالح ومالك عن زيد بن أسلم إذا تردى في النار .

﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ * فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ * لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى * الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ * وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ * وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴾

قال قتادة (إن علينا للهدى) أي نبين الحلال والحرام ، وقال غيره : من سلك طريق الهدى وصل إلى الله وجعله كقوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) حكاه ابن جرير ، وقوله تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) أي الجميع ملكنا وأنا المتصرف فيهما ، وقوله تعالى (فأنذرتكم ناراً تلظى) قال مجاهد أي توهج . قال الإمام أحمد حدثنا محمد ابن جعفر حدثنا شعبة عن سماك بن حرب سمعت النعمان بن بشير يخطب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب يقول « أنذرتكم النار » حتى لو أن رجلا كان بالسوق لسمعه من مقامي هذا قال حتى وقعت خميصة كانت على عاتقه عند رجليه . وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر حدثني شعبة حدثني أبو إسحاق سمعت النعمان بن بشير يخطب ويقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن أهون أهل النار عذابا يوم القيامة رجل توضع في أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه » رواه البخاري ، وقال مسلم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو أسامة عن الأعمش عن أبي إسحاق عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ « إن أهول أهل النار عذابا من له نعلان وشراكان من نار يغلى منهما دماغه كما يغلى المرجل مايرى أن أحدا أشد منه عذابا وإنه لأهونهم عذابا » ، وقوله تعالى (لا يصلاها إلا الأشقى) أي لا يدخلها دخولا يحيط به من جميع جوانبه إلا الأشقى ثم فسره فقال (الذي كذب) أي بقلبه (وتولى) أي عن العمل بجوارحه وأركانه

قال الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى حدثنا بن لهيعة حدثنا عبد الله بن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « لا يدخل النار إلا شقي » قيل ومن الشقي قال « الذي لا يعمل بطاعة ولا يترك لله معصية »

وقال الامام أحمد حدثنا يونس وشريح قالا حدثنا فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « كل أمتي تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » قالوا ومن يأبى يارسول الله ؟

قال« من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » ورواه البخارى عن محمد بن سنان عن فليح به

وقوله تعالى (وسيجنبها الأتقى) أى وسيزحزح عن النار التقى النقى الأتقى ثم فسره بقوله (الذى يؤتى ماله يتزكى) أى يصرف ماله فى طاعة ربه ليزكى نفسه وماله وماوهبه الله من دين ودنيا (وما لأحد عنده من نعمة تجزى) أى ليس بذله ماله فى مكافأة من أسدى إليه معروفا فهو يعطى فى مقابلة ذلك وإنما دفعه ذلك (ابتغاء وجه ربه الأعلى) أى طمعا فى أن يحصل له رؤيته فى الدار الآخرة فى روضات الجنات قال الله تعالى (ولسوف يرضى) أى ولسوف يرضى من اتصف بهذه الصفات، وقد ذكر غير واحد من المفسرين أن هذه الآيات نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه حتى إن بعضهم حكى الاجماع من المفسرين على ذلك ، ولا شك أنه داخل فيها وأولى الأمة بعمومها فان لفظها لفظ العموم ، وهو قوله تعالى (وسيجنبها الأتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى) ولكنه مقدم الأمة وسابقهم فى جميع هذه الأوصاف وسائر الأوصاف الحميدة فانه كان صديقا تقياً كريماً جواداً بذالا لأمواله فى طاعة مولاه ونصرة رسول الله ﷺ فكم من دراهم ودنانير بذلها ابتغاء وجه ربه الكريم ولم يكن لأحد من الناس عنده منة يحتاج إلى أن يكافئه بها ولكن كان فضله وإحسانه على السادات والرؤساء من سائر القبائل ولهذا قال له عروة بن مسعود وهو سيد ثقيف يوم صلح الحديبية أما والله لولا يد لك عندى لم أجزك بها لأجبتك وكان الصديق قد أغلظ له فى المقالة فإذا كان هذا حاله مع سادات العرب ورؤساء القبائل فكيف بمن عداهم ، ولهذا قال تعالى (وما لأحد عنده من نعمة تجزى * إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « من أنفق زوجين فى سبيل الله دعته خزنة الجنة يا عبد الله هذا خير » فقال أبو بكر يا رسول الله ما على من يدعى منها ضرورة فهل يدعى منها كلها أحد ؟ قال « نعم وأرجو أن تكون منهم » ، آخر تفسير سورة الليل ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الضحى وهى مكية ﴾

روينا من طريق أبى الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى قال: قرأت على عكرمة بن سليمان وأخبرنى أنه قرأ على إسماعيل بن قسطنطين وشبل بن عباد فلما بلغت والضحى قالا لى : كبر حتى تختم مع خاتمة كل سورة فإنا قرأنا على ابن كثير فأمرنا بذلك . وأخبرنا أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أنه قرأ على ابن عباس فأمره بذلك وأخبره ابن عباس أنه قرأ على أبى بن كعب فأمره بذلك وأخبره أبى أنه قرأ على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمره بذلك فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى من ولد القاسم بن أبى بزة وكان إماما فى القرا آت . فأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال لا أحدث عنه وكذلك أبو جعفر العقيلى قال هو منكر الحديث لكن حكى الشيخ شهاب الدين أبو شامة فى شرح الشاطبية عن الشافعى أنه سمع رجلا يكبر هذا التكبير فى الصلاة فقال : أحسنت وأصبت السنة وهذا يقتضى صحة هذا الحديث. ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته فقال بعضهم يكبر من آخر والليل إذا يغشى ، وقال آخرون من آخر والضحى ، وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول الله أكبر ويقتصر ، ومنهم من يقول الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر . وذكر القراء فى مناسبة التكبير من أول سورة الضحى أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله ﷺ وفتر تلك المدة ثم جاء الملك فأوحى إليه (والضحى والليل إذا سجى) السورة بتمامها كبر فرحا وسرورا ، ولم يرو ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف فالله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَٱلضُّحَىٰ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ * مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ * وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ * أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَىٰ * وَوَجَدَكَ ضَآلّاً فَهَدَىٰ * وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَىٰ * فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ * وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقم ليلة أو ليلتين فأتت امرأة فقالت يا محمد ما أرى شيطانك إلا قد تركك فأنزل الله عزوجل (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وابن أبى حاتم وابن جرير من طرق عن الأسود بن قيس عن جندب هو ابن عبد الله البجلى ثم العلقى به وفى رواية سفيان بن عيينة عن الأسود بن قيس سمع جندبا قال أبطأ جبريل على رسول الله ﷺ فقال المشركون ودع محمدا ربه فأنزل الله تعالى (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج وعمرو بن عبد الله الأودى قالا حدثنا أبو أسامة حدثنى سفيان حدثنى الأسود بن قيس أنه سمع جندبا يقول رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فى اصبعه فقال : « هل أنت إلا أصبع دميت * وفى سبيل الله ما لقيت ؟ »

قال فمكث ليلتين أو ثلاثا لا يقوم فقالت له امرأة ما أرى شيطانك إلا قد تركك فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) والسياق لأبى سعيد قيل إن هذه المرأة هى أم جميل امرأة أبى لهب ، وذكر أن اصبعه عليه السلام دميت ، وقوله هذا الكلام الذى اتفق أنه موزون ثابت فى الصحيحين ولكن الغريب ههنا جعله سببا لتركه القيام ونزول هذه السورة . فأما مارواه ابن جرير حدثنا ابن أبى الشوارب حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا سليمان الشيبانى عن عبد الله بن شداد أن خديجة قالت للنبي ﷺ ما أرى ربك إلا قد قلاك فأنزل الله (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) وقال أيضا حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن هشام بن عروة عن أبيه قال أبطأ جبريل على النبي ﷺ فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة إنى أرى ربك قد قلاك مما نرى من جزعك قال فنزلت (والضحى والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وما قلى) إلى آخرها فانه حديث مرسل من هذين الوجهين ولعل ذكر خديجة ليس محفوظا أو قالته على وجه التأسف والتحزن والله أعلم

وقد ذكر بعض السلف منهم ابن إسحق هذه أن السورة هى التى أوحاها جبريل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين تبدى له فى صورته التى خلقه الله عليها ودنا إليه وتدلى منهبطا عليه وهو بالأبطح (فأوحى إلى عبده ما أوحى) قال: قال له هذه السورة (والضحى والليل إذا سجى) قال العوفى عن ابن عباس لما نزل على رسول الله ﷺ القرآن أبطأ عنه جبريل أياما فتغير بذلك فقال المشركون ودعه ربه وقلاه فأنزل الله (ما ودعك ربك وما قلى) وهذا قسم منه تعالى بالضحى وما جعل فيه من الضياء (والليل إذا سجى) أى سكن فأظلم وادلهم ؟ قاله مجاهد وقتادة والضحاك وابن زيد وغيرهم وذلك دليل ظاهر على قدرة خالق هذا وهذا كما قال تعالى (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى) وقال تعالى (فالق الإصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم) وقوله تعالى (ما ودعك ربك) أى ما تركك (وما قلى) أى وما أبغضك (وللآخرة خير لك من الأولى) أى وللدار الآخرة خير لك من هذه الدار ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أزهد الناس فى الدنيا وأعظمهم لها اطراحا كما هو معلوم بالضرورة من سيرته ، ولما خير عليه السلام فى آخر عمره بين الخلد فى الدنيا إلى آخرها ثم الجنة وبين الصيرورة إلى الله عز وجل اختار ما عند الله على هذه الدنيا الدنية ، قال الامام أحمد حدثنا يزيد حدثنا المسعودى عن عمرو بن مرة عن إبراهيم النخعى عن علقمة عن عبد الله هو ابن مسعود قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير فأثر فى جنبه فلما استيقظ جعلت أمسح جنبه وقلت يا رسول الله ألا آذنتنا حتى نبسط لك على الحصير شيئا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مالى وللدنيا إنما مثلى ومثل الدنيا كراكب ظل تحت شجرة ثم راح وتركها » ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث المسعودى به وقال الترمذى حسن صحيح. وقوله تعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) أى فى الدار الآخرة يعطيه حتى يرضيه فى أمته وفيما أعده له من الكرامة ومن جملته نهر الكوثر الذى حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف وطينه مسك أذفر كما سيأتى وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعى عن إسماعيل بن عبد الله ابن أبى المهاجر المخزومى عن على بن عبد الله بن عباس عن أبيه قال عرض على رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته من بعده كنزا كنزا فسر بذلك فأنزل الله (ولسوف يعطيك ربك فترضى) فأعطاه فى الجنة ألف ألف قصر

فى كل قصر ماينبغى له من الأزواج والخدم رواه ابن جرير وابن أبى حاتم من طريقه وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس ومثل هذا مايقال إلا عن توقيف وقال السدى عن ابن عباس من رضاء محمد ﷺ أن لا يدخل أحد من أهل بيته النار رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وقال الحسن يعنى بذلك الشفاعة وهكذا قال أبو جعفر الباقر وقال أبو بكر ابن أبى شيبة حدثنا معاوية بن هشام عن على بن صالح عن يزيد بن أبى زياد عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى » .

ثم قال تعالى يعدد نعمه على عبده ورسوله محمد صلوات الله وسلامه عليه (ألم يجدك يتيما فآوى) وذلك أن أباه توفى وهو حمل فى بطن أمه وقيل بعد أن ولد عليه السلام ثم توفيت أمه آمنة بنت وهب وله من العمر ست سنين ، ثم كان فى كفالة جده عبد المطلب إلى أن توفى وله من العمر ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب ، ثم لم يزل يحوطه وينصره ويرفع من قدره ويوقره ويكف عنه أذى قومه بعد أن ابتعثه الله على رأس أربعين سنة من عمره ، هذا وأبو طالب على دين قومه من عبادة الأوثان وكل ذلك بقدر الله وحسن تدبيره إلى أن توفى أبو طالب قبل الهجرة بقليل فأقدم عليه سفهاء قريش وجهالهم فاختار الله له الهجرة من بين أظهرهم إلى بلد الأنصار من الأوس والخزرج كما أجرى الله سنته على الوجه الأتم الأكمل فلما وصل اليهم آووه ونصروه وحاطوه وقاتلوا بين يديه رضى الله عنهم أجمعين وكل هذا من حفظ الله له وكلاءته وعنايته به ، وقوله تعالى (ووجدك ضالا فهدى) كقوله (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا) الآية ومنهم من قال إن المراد بهذا أن النبى صلى الله عليه وسلم ضل فى شعاب مكة وهو صغير ثم رجع وقيل إنه ضل وهو مع عمه فى طريق الشام وكان راكبا ناقة فى الليل فجاء إبليس فعدل بها عن الطريق فجاء جبريل ففخ إبليس نفخة ذهب منها إلى الحبشة ثم عدل بالراحلة إلى الطريق حكاها البغوى ، وقوله تعالى (ووجدك عائلا فأغنى) أى كنت فقيرا ذا عيال فأغناك الله عمن سواه فجمع له بين مقامى الفقير الصابر والغنى الشاكر صلوات الله وسلامه عليه . وقال قتادة فى قوله (ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى) قال كانت هذه منازل رسول الله ﷺ قبل أن يبعثه الله عز وجل . رواه ابن جرير وابن أبى حاتم وفى الصحيحين من طريق عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه قال هذا ماحدثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس » وفى صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ﷺ « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » ثم قال تعالى (فأما اليتيم فلا تقهر) أى كما كنت يتيما فآواك الله فلا تقهر اليتيم أى لا تذله وتقهره وتهنه ولكن أحسن إليه وتلطف به ، قال قتادة كن لليتيم كالأب الرحيم (وأما السائل فلا تنهر) أى وكما كنت ضالا فهداك الله فلا تنهر السائل فى العلم المسترشد قال ابن إسحاق (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا ولا فظا على الضعفاء من عباد الله ، وقال قتادة يعنى رد المسكين برحمة ولين (وأما بنعمة ربك فحدث) أى وكما كنت عائلا فقيرا فأغناك الله فحدث بنعمة الله عليك كما جاء فى الدعاء المأثور النبوى « واجعلنا شاكرين لنعمتك مثنين بها عليك قابليها وأتمها علينا » وقال ابن جرير حدثنا يعقوب حدثنا ابن علية حدثنا سعيد بن إياس الجريرى عن أبى نضرة قال كان المسلمون يرون أن من شكر النعم أن يحدث بها

وقال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا منصور بن أبى مزاحم حدثنا الجراح بن فليح عن أبى عبد الرحمن عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله ، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ، والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وإسناده ضعيف وفى الصحيحين عن أنس أن المهاجرين قالوا يارسول الله ذهب الأنصار بالأجر كله قال « لا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم » . وقال أبو داود حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الربيع بن مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ورواه الترمذى عن أحمد بن محمد عن ابن المبارك عن الربيع بن مسلم

وقال صحيح . وقال أبو داود حدثنا عبد الله بن الجراح حدثنا جرير عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ قال « من أبلى بلاء فذكره فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره » تفرد به أبو داود . وقال أبو داود : حدثنا مسدد حدثنا بشر حدثنا عمارة بن غزية حدثني رجل من قومي عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فان لم يجد فليثن به فمن أثنى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ، قال أبو داود : ورواه يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل عن جابر كرهوه فلم يسموه تفرد به أبو داود ، وقال مجاهد يعني النبوة التي أعطاك ربك وفي رواية عنه القرآن ، وقال ليث عن رجل عن الحسن بن علي (وأما بنعمة ربك فحدث) قال ما عملت من خير فحدث إخوانك ، وقال محمد بن إسحق ما جاءك من الله من نعمة وكرامة من النبوة فحدث بها واذكرها وادع إليها قال فجعل رسول الله ﷺ يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سرا إلى من يطمئن إليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى . آخر تفسير سورة الضحى ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ألم نشرح وهي مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴾

يقول تعالى (ألم نشرح لك صدرك) يعني أنا شرحنا لك صدرك أي نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله (فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام) وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق . وقيل المراد بقوله (ألم نشرح لك صدرك) شرح صدره ليلة الاسراء كما تقدم من رواية مالك بن صعصعة وقد أورده الترمذي ههنا وهذا وإن كان واقعا ليلة الاسراء كما رواه مالك بن صعصعة ولكن لا منافاة فان من جملة شرح صدره الذي فعل بصدره ليلة الاسراء وما نشأ عنه من الشرح المعنوي أيضا فالله أعلم

قال عبد الله بن الإمام أحمد حدثني محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزار حدثنا يونس بن محمد حدثنا معاذ بن محمد ابن أبي بن كعب حدثني أبو محمد بن معاذ عن محمد عن أبي بن كعب أن أبا هريرة كان جريئا على أن يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أشياء لا يسأله عنها غيره فقال يا رسول الله ما أول ما رأيت من أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسا وقال « لقد سألت يا أبا هريرة ، إني في الصحراء ابن عشر سنين وأشهر وإذا بكلام فوق رأسي وإذا رجل يقول لرجل أهو هو ؟ فاستقبلاني بوجوه لم أرها قط وأرواح لم أجدها من خلق قط وثياب لم أرها على أحد قط فأقبلا إلي يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسا فقال أحدهما لصاحبه أضجعه فأضجعاني بلا قصر ولا هصر فقال أحدهما لصاحبه افلق صدره فهوى أحدهما إلى صدري ففلقه فيما أرى بلا دم ولا وجع فقال له أخرج الغل والحسد فأخرج شيئا كهيئة العلقة ثم نبذها فطرحها فقال له أدخل الرأفة والرحمة فإذا مثل الذي أخرج شبه الفضة ثم هز إبهام رجلي اليمنى فقال أعد واسلم فرجعت بها أعدو رقة على الصغير ، ورحمة للكبير » وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) بمعنى (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) (الذي أنقض ظهرك) الانقاض الصوت وقال غير واحد من السلف في قوله (الذي أنقض ظهرك) أي اثقلك حمله ، وقوله تعالى (ورفعنا لك ذكرك) قال مجاهد لا أذكر إلا ذكرت معي أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله ، وقال قتادة رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي بها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أنه قال « أتاني جبريل فقال إن ربي وربك يقول كيف رفعت ذكرك : قال الله أعلم قال إذا ذكرت ذكرت معي » وكذا رواه ابن أبي حاتم عن يونس عن عبد الأعلى به ورواه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج : وقال ابن أبي حاتم

حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو عمر الحوضي حدثنا حماد بن زيد حدثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ « سألت ربي مسئلة وددت أني لم أسأله قلت قد كان قبلي أنبياء منهم من سخرت له الريح ومنهم من يحي الموتى، قال: يا محمد ألم أجدك يتيما فآويتك؟ قلت بلى يا رب قال ألم أجدك ضالا فهديتك قلت بلى يارب قال ألم أجدك عائلا فأغنيتك، قلت بلى يارب قال ألم أشرح لك صدرك، ألم أرفع لك ذكرك، قلت بلى يارب » وقال أبو نعيم في دلائل النبوة حدثنا أبو أحمد الغطريفي حدثنا موسى بن سهل الجويني حدثنا أحمد بن القاسم بن بهزان الهيتي حدثنا نصر بن حماد عن عثمان بن عطاء عن الزهري عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ « لما فرغت مما أمرني به من أمر السموات والأرض قلت يا رب إنه لم يكن نبي قبلي إلا وقد كرمته جعلت إبراهيم خليلا وموسى كليما وسخرت لداود الجبال ولسليمان الريح والشياطين وأحييت لعيسى الموتى فما جعلت لي قال أوليس قد أعطيتك أفضل من ذلك كله أني لا أذكر إلا ذكرت معي وجعلت صدور أمتك أناجيل يقرءون القرآن ظاهراً ولم أعطها أمة وأعطيتك كنزا من كنوز عرشي لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » وحكى البغوي عن ابن عباس ومجاهد أن المراد بذلك الأذان يعني ذكره فيه وأورد من شعر حسان بن ثابت:

أغر عليه للنبوة خاتم من الله من نور يلوح ويشهد وضم الإله اسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وقال آخرون: رفع الله ذكره في الأولين والآخرين ونوه به حين أخذ الميثاق على جميع النبيين أن يؤمنوا به وأن يأمروا أممهم بالإيمان به ثم شهر ذكره في أمته فلا يذكر الله إلا ذكر معه، وما أحسن ما قال الصرصري رحمه الله:

لا يصح الأذان في الفرض إلا باسمه العذب في الفم المرضي
وقال أيضاً: ألم تر أنا لا يصح أذاننا ولا فرضنا إن لم نكرره فيهما

وقوله تعالى (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) أخبر تعالى أن مع العسر يوجد اليسر ثم أكد هذا الخبر. قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا حميد بن حماد بن أبي خوار أبو الجهم حدثنا عائذ بن شريح قال سمعت أنس بن مالك يقول كان النبي ﷺ جالسا وحياله حجر فقال « لو جاء العسر فدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » فأنزل الله عزوجل (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) ورواه أبو بكر البزار في مسنده عن محمد بن معمر عن حميد بن حماد به ولفظه « لو جاء العسر حتى يدخل هذا الحجر لجاء اليسر حتى يخرجه » ثم قال (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) ثم قال البزار لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح ﴿قلت﴾ وقد قال فيه أبو حاتم الرازي في حديثه ضعف ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل عن عبد الله بن مسعود موقوفا وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا أبو قطن حدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال كانوا يقولون لا يغلب عسر واحد يسرين اثنين. وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الحسن قال خرج النبي ﷺ يوما مسرورا فرحا وهو يضحك وهو يقول « لن يغلب عسر يسرين، لن يغلب عسر يسرين، فان مع العسر يسراً إن مع العسر يسراً » وكذا رواه من حديث عوف الأعرابي ويونس بن عبيد عن الحسن مرسلا وقال سعيد عن قتادة ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال « لن يغلب عسر يسرين » ومعنى هذا أن العسر معرف في الحالين فهو مفرد واليسر منكر فتعدد ولهذا قال (لن يغلب عسر يسرين) يعني قوله (فان مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً) فالعسر الأول عين الثاني واليسر تعدد. وقال الحسن بن سفيان حدثنا يزيد بن صالح حدثنا خارجة عن عباد بن كثير عن أبي الزناد عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « نزل المعونة من السماء على قدر المئونة، ونزل الصبر على قدر المصيبة » ومما يروى عن الشافعي أنه قال:

صبرا جميلا ما أقرب الفرجا من راقب الله في الأمور نجا
من صدق الله لم ينله أذى ومن رجاه يكون حيث رجا

وقال ابن دريد أنشدني أبو حاتم السجستاني

إذا اشتملت على اليأس القلوب وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطأت المكاره واطمأنت وأرست في أماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ولا أغنى بحيلته الأريب
أتاك على قنوط منك غوث يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات إذا تناهت فموصول بها الفرج القريب

وقال آخر:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ذرعا وعند الله منها المخرج
كملت فلما استحكمت حلقاتها فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقوله تعالى (فإذا فرغت فانصب * وإلى ربك فارغب) أي إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب إلى العبادة وقم إليها نشيطا فارغ البال وأخلص لربك النية والرغبة ، ومن هذا القبيل قوله ﷺ في الحديث المتفق على صحته « لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الأخبثان » وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا أقيمت الصلاة وحضر العشاء فابدءوا بالعشاء » قال مجاهد في هذه الآية إذا فرغت من أمر الدنيا فقمت إلى الصلاة فانصب لربك وفي رواية عنه إذا قمت إلى الصلاة فانصب في حاجتك وعن ابن مسعود إذا فرغت من الفرائض فانصب في قيام الليل وعن ابن عباس نحوه وفي رواية عن ابن مسعود (فانصب * وإلى ربك فارغب) بعد فراغك من الصلاة وأنت جالس وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فإذا فرغت فانصب يعني في الدعاء ، وقال زيد بن أسلم والضحاك (فإذا فرغت) أي من الجهاد (فانصب) أي في العبادة (وإلى ربك فارغب) قال الثوري اجعل نيتك ورغبتك إلى الله عز وجل. آخر تفسير سورة ألم نشرح ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة والتين والزيتون وهي مكية ﴾

قال مالك وشعبة عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في احدى الركعتين بالتين والزيتون فما سمعت أحدا أحسن صوتا أو قراءة منه ، أخرجه الجماعة في كتبهم .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ * لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ * فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ * أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴾

اختلف المفسرون ههنا على أقوال كثيرة فقيل المراد بالتين مسجد دمشق وقيل هي نفسها وقيل الجبل الذي عندها وقال القرطبي هو مسجد أصحاب الكهف وروى العوفي عن ابن عباس أنه مسجد نوح الذي على الجودي ، وقال مجاهد هو تينكم هذا (والزيتون) قال كعب الأحبار وقتادة وابن زيد وغيرهم: هو مسجد بيت المقدس . وقال مجاهد وعكرمة هو هذا الزيتون الذي تعصرون (وطور سينين) قال كعب الأحبار وغير واحد هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام (وهذا البلد الأمين) يعني مكة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وإبراهيم النخعي وابن زيد وكعب الأحبار ولا خلاف في ذلك ، وقال بعض الأئمة هذه محال ثلاثة بعث الله في كل واحد منها نبيا مرسلا من أولي العزم أصحاب الشرائع الكبار ﴿ فالأول ﴾ محلة التين والزيتون وهي بيت المقدس التي بعث الله فيها عيسى بن مريم عليه السلام ﴿ والثاني ﴾ طور سينين وهو طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى بن عمران ﴿ والثالث ﴾ مكة وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنا وهو الذي أرسل فيه محمدا ﷺ قالوا وفي آخر التوراة ذكر هذه الأماكن الثلاثة : جاء الله من طور سيناء — يعني الذي كلم الله عليه موسى بن عمران — وأشرق من ساعير — يعني جبل

بيت المقدس الذى بعث الله منه عيسى — واستعلن من جبال فاران — يعنى جبال مكة التى أرسل الله منها محمدا ﷺ فذكرهم مخبرا عنهم على الترتيب الوجودى بحسب ترتيبهم فى الزمان ولهذا أقسم بالأشرف ثم الأشرف منه ثم بالأشرف منهما

وقوله تعالى (لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم) هذا هو المقسم عليه وهو أنه تعالى خلق الإنسان فى أحسن صورة وشكل منتصب القامة سوى الأعضاء حسنها (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى النار قاله مجاهد وأبو العالية والحسن وابن زيد وغيرهم ثم بعد هذا الحسن والنضارة مصيرهم إلى النار إن لم يطع الله ويتبع الرسل ولهذا قال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقال بعضهم (ثم رددناه أسفل سافلين) أى إلى أرذل العمر ، وروى هذا عن ابن عباس وعكرمة حتى قال عكرمة من جمع القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، واختار ذلك ابن جرير ولو كان هذا هو المراد لما حسن استثناء المؤمنين من ذلك لأن الهرم قد يصيب بعضهم وإنما المراد ما ذكرناه كقوله تعالى (والعصر إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقوله (فلهم أجر غير ممنون) أى غير مقطوع كما تقدم ، ثم قال (فما يكذبك) أى يا ابن آدم (بعد بالدين ؟) أى بالجزاء فى المعاد ولقد علمت البدأة وعرفت أن من قدر على البدأة فهو قادر على الرجعة بطريق الأولى فأى شىء يحملك على التكذيب بالمعاد وقد عرفت هذا ؟ . قال ابن أبى حاتم حدثنا أحمد ابن سنان حدثنا عبد الرحمن عن سفيان عن منصور قال : قلت لمجاهد (فما يكذبك بعد بالدين) عنى به النبى ﷺ قال : معاذ الله ، عنى به الإنسان وهكذا قال عكرمة وغيره . وقوله تعالى (أليس الله بأحكم الحاكمين) أى أما هو أحكم الحاكمين الذى لا يجور ولا يظلم أحدا ومن عدله أن يقيم القيامة فينتصف للمظلوم فى الدنيا ممن ظلمه . وقد قدمنا فى حديث أبى هريرة مرفوعا « فإذا قرأ أحدكم والتين والزيتون فأتى على آخرها (أليس الله بأحكم الحاكمين) فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين » آخر تفسير سورة والتين والزيتون ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة اقرأ — وهى أول شىء نزل من القرآن ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحى الرؤيا الصادقة فى النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يأتى حراء فيتحنث فيه — وهو التعبد — الليالى ذوات العدد ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى فجأه الوحى وهو فى غار حراء فجاءه الملك فيه فقال اقرأ ، قال رسول الله ﷺ « فقلت ما أنا بقارئ » — قال — فأخذنى فغطى حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ فقلت ما أنا بقارئ فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم أرسلنى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق — حتى بلغ — مالم يعلم » قال فرجع بها ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال « زملونى زملونى » فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال يا خديجة « مالى ؟ » وأخبرها الخبر وقال « قد خشيت على نفسى » فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عم خديجة أخى أبيها وكان امرأ قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العربى وكتب بالعربية من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت خديجة أى ابن عم اسمع من ابن أخيك فقال ورقة ابن أخى ما ترى ؟ فأخبره رسول الله ﷺ بما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى ليتنى فيها جذعا ليتنى أكون حيا حين يخرجك قومك ، فقال رسول الله ﷺ « أو مخرجى هم ؟ » فقال ورقة : نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا عودى وإن يدركنى يومك أنصرك نصرا

مؤزرا . ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى فترة حتى حزن رسول الله ﷺ فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كى يتردى من رءوس شواهق الجبال فكلما أوفى بذروة جبل لكى يلقى نفسه منه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقا فيسكن بذلك جأشه وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحى غدا لمثل ذلك فإذا أوفى بذروة الجبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك . وهذا الحديث مخرج فى الصحيحين من حديث الزهرى وقد تكلمنا على هذا الحديث من جهة سنده ومتنه ومعانيه فى أول شرحنا للبخارى مستقصى فمن أراده فهو هناك محرر ولله الحمد والمنة فأول شىء نزل من القرآن هذه الآيات الكريمات المباركات وهن أول رحمة رحم الله بها العباد وأول نعمة أنعم الله بها عليهم ، وفيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة وأن من كرمه تعالى أن علم الإنسان ما لم يعلم فشرفه وكرمه بالعلم وهو القدر الذى امتاز به أبو البرية آدم على الملائكة ، والعلم تارة يكون فى الأذهان . وتارة يكون فى اللسان وتارة يكون فى الكتابة بالبنان ذهنى ولفظى ورسمى . والرسمى يستلزمهما من غير عكس فلهذا قال (اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم) وفى الأثر قيدوا العلم بالكتابة ، وفيه أيضا من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم

﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ * إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ * أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ * عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ * أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ * أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ * أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ * كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ * نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ * فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ * سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴾

يخبر تعالى عن الإنسان أنه ذو فرح وأشر وبطر وطغيان إذا رأى نفسه قد استغنى وكثر ماله ثم تهدده وتوعده ووعظه فقال (إن إلى ربك الرجعى) أى إلى الله المصير والمرجع وسيحاسبك على مالك من أين جمعته وفيم صرفته . قال ابن أبى حاتم حدثنا زيد بن إسماعيل الصائغ حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو عميس عن عون قال : قال عبدالله : منهومان لا يشبعان صاحب العلم وصاحب الدنيا ولا يستويان فأما صاحب العلم فيزداد رضى الرحمن وأما صاحب الدنيا فيتمادى فى الطغيان ، قال ثم قرأ عبدالله (إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى) وقال الآخر (إنما يخشى الله من عباده العلماء) وقد روى هذا مرفوعا إلى رسول الله ﷺ « منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا » . ثم قال تعالى (أرأيت الذى ينهى عبدا إذا صلى) نزلت فى أبى جهل لعنه الله ، توعد النبى ﷺ على الصلاة عند البيت فوعظه تعالى بالتى هى أحسن أولا فقال (أرأيت إن كان على الهدى) أى فما ظنك إن كان هذا الذى تنهاه على الطريق المستقيمة فى فعله أو أمر بالتقوى بقوله وأنت تزجره وتتوعده على صلاته ولهذا قال (ألم يعلم بأن الله يرى ؟) أى أما علم هذا الناهى لهذا المهتدى أن الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله أتم الجزاء . ثم قال تعالى متوعدا ومتهددا (كلا لئن لم ينته) أى لئن لم يرجع عما هو فيه من الشقاق والعناد (لنسفعا بالناصية) أى لنسمنها سوادا يوم القيامة ثم قال (ناصية كاذبة خاطئة) يعنى ناصية أبى جهل كاذبة فى مقالها خاطئة فى أفعالها (فليدع ناديه) أى قومه وعشيرته أى ليدعهم يستنصر بهم (سندع الزبانية) وهم ملائكة العذاب حتى يعلم من يغلب أحزبنا أو حزبه ؟ قال البخارى حدثنا يحيى حدثنا عبدالرزاق عن معمر عن عبدالكريم الجزرى عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت محمدا يصلى عند الكعبة لأطأن على عنقه فبلغ النبى ﷺ فقال « لئن فعل لأخذته الملائكة » ثم قال تابعه عمرو بن خالد عن عبيد الله يعنى ابن عمرو عن عبد الكريم . وهكذا رواه الترمذى والنسائى فى تفسيرهما من طريق عبد الرزاق به وهكذا رواه ابن جرير عن أبى كريب عن زكريا بن عدى عن عبيد الله بن عمرو به ، وروى

أحمد والترمذى والنسائى وابن جرير وهذا لفظه من طريق داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال كان رسول الله ﷺ يصلى عند المقام فمر به أبو جهل بن هشام فقال يا محمد ألم أنهك عن هذا ؟ وتوعده فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره فقال يا محمد بأى شىء تهددنى ؟ أما والله إنى لأكثر هذا الوادى ناديا فأنزل الله (فليدع ناديه * سندع الزبانية) وقال ابن عباس : لو دعا ناديه لأخذته ملائكة العذاب من ساعته . وقال الترمذى حسن صحيح ، وقال الامام أحمد أيضا حدثنا إسماعيل بن يزيد أبو يزيد حدثنا فرات عن عبد الكريم عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن رأيت رسول الله يصلى عند الكعبة لآتينه حتى أطأ على عنقه قال : فقال « لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا » وقال ابن جرير أيضا حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح أخبرنا يونس بن أبى إسحاق عن الوليد بن العيزار عن ابن عباس قال : قال أبو جهل لئن عاد محمد يصلى عند المقام لأقتلنه فأنزل الله عز وجل (اقرأ باسم ربك الذى خلق) حتى بلغ هذه الآية (لنسفعا بالناصية ، ناصية كاذبة خاطئة ، فليدع ناديه ، سندع الزبانية) فجاء النبى صلى الله عليه وسلم فصلى فقيل فقيل ما يمنعك ؟ قال قد اسود ما بينى وبينه من الكتائب قال ابن عباس والله لو تحرك لأخذته الملائكة والناس ينظرون اليه . وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا المعتمر عن أبيه حدثنا نعيم بن أبى هند عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال أبو جهل هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم . قالوا: نعم ، قال : فقال واللات والعزى لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته ولأعفرن وجهه فى التراب فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى ليطأ على رقبته قال فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ويتقى بيديه قال فقيل له مالك : فقال إن بينى وبينه خندقا من نار وهولا وأجنحة قال: فقال رسول الله « لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوا عضوا » قال وأنزل الله لا أدرى فى حديث أبى هريرة أم لا (كلا إن الإنسان ليطغى) إلى آخر السورة وقد رواه أحمد بن حنبل ومسلم والنسائى وابن أبى حاتم من حديث معتمر بن سليمان به ، وقوله تعالى (كلا لا تطعه) يعنى يا محمد لا تطعه فيما ينهاك عنه من المداومة على العبادة وكثرتها وصل حيث شئت ولا تباله فان الله حافظك وناصرك وهو يعصمك من الناس (واسجد واقترب) كما ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن عمارة بن غزية عن محمد بن إبراهيم عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء » وتقدم أيضا أن رسول الله ﷺ كان يسجد فى (إذا السماء انشقت) و(اقرأ باسم ربك الذى خلق) . آخر تفسير سورة اقرأ ولله الحمد والمنة ، وبه التوفيق والعصمة

﴿ تفسير سورة القدر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾

يخبر تعالى أنه أنزل القرآن ليلة القدر وهى الليلة المباركة التى قال الله عز وجل (إنا أنزلناه فى ليلة مباركة) وهى ليلة القدر وهى من شهر رمضان كما قال تعالى (شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن) قال ابن عباس وغيره أنزل الله القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا ثم نزل مفصلا بحسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال تعالى معظما لشأن ليلة القدر التى اختصها بانزال القرآن العظيم فيها فقال (وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) . قال أبو عيسى الترمذى عند تفسير هذه الآية: حدثنا محمود ابن غيلان حدثنا أبو داود الطيالسى حدثنا القاسم بن الفضل الحدانى عن يوسف بن سعد قال : قام رجل إلى الحسن ابن على بعد ما بايع معاوية فقال : سودت وجوه المؤمنين أو يا مسود وجوه المؤمنين فقال : لا تؤنبنى رحمك الله فان النبى صلى الله عليه وسلم أرى بنى أمية على منبره فساءه ذلك فنزلت (إنا أعطيناك الكوثر) يا محمد يعنى نهرا فى الجنة ونزلت (إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) يملكها بعدك بنو أمية

يامحمد ، قال القاسم فعددنا فاذا هي ألف شهر لاتزيد يوما ولاتنقص . ثم قال الترمذي هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل ، وهو ثقه وثقة يحيي القطان وعبد الرحمن بن مهدى قال وشيخه يوسف بن سعد ويقال يوسف بن مازن رجل مجهول ولايعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه

وقد روى هذا الحديث الحاكم فى مستدركه من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن به وقول الترمذى إن يوسف هذا مجهول فيه نظر فانه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة وخالد الحذاء ويونس بن عبيد وقال فيه يحيى بن معين هو مشهور ، وفى رواية عن ابن معين قال: هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن يوسف ابن مازن كذا قال وهذا يقتضى اضطرابا فى هذا الحديث والله أعلم . ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدا قال شيخنا الإمام الحافظ الحجة أبو الحجاج المزى هو حديث منكر ﴿ قلت ﴾ وقول القاسم بن الفضل الحدانى إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لاتزيد يوما ولا تنقص ليس بصحيح فإن معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه استقل بالملك حين سلم إليه الحسن بن على الإمرة سنة أربعين واجتمت البيعة لمعاوية وسمى ذلك عام الجماعة ثم استمروا فيها متتابعين بالشام وغيرها لم تخرج عنهم إلا مدة دولة عبد الله بن الزبير فى الحرمين والأهواز وبعض البلاد قريبا من تسع سنين لكن لم تزل يدهم عن الإمرة بالكلية بل عن بعض البلاد إلى أن استلبهم بنو العباس الخلافة فى سنة اثنتين وثلاثين ومائة فيكون مجموع مدتهم اثنتين وتسعين سنة وذلك أزيد من ألف شهر فان الألف شهر عبارة عن ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر وكأن القاسم ابن الفضل أسقط من مدتهم أيام بن الزبير وعلى هذا فيقارب ماقاله الصحة فى الحساب والله أعلم ، ومما يدل على ضعف هذا الحديث أنه سيق لذم دولة بنى أمية ولو أريد ذلك لم يكن بهذا السياق فان تفضيل ليلة القدر على أيامهم لايدل على ذم أيامهم فان ليلة القدر شريفة جدا والسورة الكريمة إنما جاءت لمدح ليلة القدر فكيف تمدح بتفضيلها على أيام بنى أمية التى هى مذمومة بمقتضى هذا الحديث وهل هذا إلا كما قال القائل :

ألم تر أن السيف ينقص قدره ... إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وقال آخر : إذا أنت فضلت امرءا ذا براعة ... على ناقص كان المديح من النقص

ثم الذى يفهم من الآية أن الألف شهر المذكورة فى الآية هى أيام بنى أمية والسورة مكية فكيف يحال على ألف شهر هى دولة بنى أمية ولا يدل عليها لفظ الآية ولا معناها والمنبر إنما صنع بالمدينة بعد مدة من الهجرة فهذا كله مما يدل على ضعف الحديث ونكارته والله أعلم . وقال ابن أبى حاتم : حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا مسلم يعنى ابن خالد عن ابن أبى نجيح عن مجاهد أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى إسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر قال فعجب المسلمون من ذلك قال فأنزل الله عز وجل (إنا أنزلناه فى ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) التى لبس ذلك الرجل السلاح فى سبيل الله ألف شهر

وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا حكام بن مسلم عن المثنى بن الصباح عن مجاهد قال كان فى بنى إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسى ففعل ذلك ألف شهر فأنزل الله هذه الآية (ليلة القدر خير من ألف شهر) قيام تلك الليلة خير من عمل ذلك الرجل . وقال ابن أبى حاتم أخبرنا يونس أخبرنا ابن وهب حدثنى مسلمة بن على عن على بن عروة قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاما لم يعصوه طرفة عين فذكر أيوب وزكريا وحزقيل بن العجوز ويوشع بن نون قال فعجب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك فأتاه جبريل فقال يامحمد : عجبت أمتك من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين فقد أنزل الله خيرا من ذلك فقرأ عليه (إنا أنزلناه فى ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر) هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك قال : فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس

معه وقال سفيان الثورى: بلغنى عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر قال عملها صيامها وقيامها خير من ألف شهر رواه ابن جرير . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا ابن أبى زائدة عن ابن جريج عن مجاهد ليلة القدر خير من ألف شهر ليس فى تلك الشهور ليلة القدر وهكذا قال قتادة بن دعامة والشافعى وغير واحد وقال عمرو بن قيس الملائى عمل فيها خير من عمل ألف شهر وهذا القول بأنها أفضل من عبادة ألف شهر ليس فيها ليلة القدر هو اختيار ابن جرير وهو الصواب لاماعداه وهو كقوله ﷺ « رباط ليلة فى سبيل الله خير من ألف ليلة فيما سواه من المنازل » رواه أحمد وكما جاء فى قاصد الجمعة بهيئة حسنة ، ونية صالحة أنه يكتب له عمل سنة أجر صيامها وقيامها إلى غير ذلك من المعانى المشابهة لذلك

وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا أيوب عن أبى قلابة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ « قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين ، فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم » ورواه النسائى من حديث أيوب به ولما كانت ليلة القدر تعدل عبادتها عبادة ألف شهر ثبت فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » ، وقوله تعالى (تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر) أى يكثر تنزل الملائكة فى هذه الليلة لكثرة بركتها والملائكة ينزلون مع تنزل البركة والرحمة كما ينزلون عند تلاوة القرآن ويحيطون بحلق الذكر ويضعون أجنحتهم لطالب العلم بصدق تعظيما له ، وأما الروح فقيل المراد به ههنا جبريل عليه السلام فيكون من باب عطف الخاص على العام وقيل هم ضرب من الملائكة كما تقدم فى سورة النبأ والله أعلم ، وقوله تعالى (من كل أمر) قال مجاهد: سلام هى من كل أمر وقال سعيد بن منصور حدثنا عيسى بن يونس حدثنا الأعمش عن مجاهد فى قوله (سلام هى) قال هى سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا أو يعمل فيها أذى وقال قتادة وغيره تقضى فيها الأمور وتقدر الآجال والأرزاق كما قال تعالى (فيها يفرق كل أمر حكيم) ، وقوله تعالى (سلام هى حتى مطلع الفجر) قال سعيد بن منصور حدثنا هشام عن أبى إسحاق عن الشعبى فى قوله تعالى (من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر) قال تسليم الملائكة ليلة القدر على أهل المساجد حتى يطلع الفجر ، وروى ابن جرير عن ابن عباس أنه كان يقرأ (من كل امرئ سلام هى حتى مطلع الفجر) وروى البيهقى فى كتابه فضائل الأوقات عن على أثرا غريبا فى نزول الملائكة ومرورهم على المصلين ليلة القدر وحصول البركة للمصلين ، وروى ابن أبى حاتم عن كعب الأحبار أثرا غريبا عجيبا مطولا جدا فى تنزل الملائكة من سدرة المنتهى صحبة جبريل عليه السلام إلى الأرض ودعائهم للمؤمنين والمؤمنات ، وقال أبوداود الطيالسى حدثنا عمران يعنى القطان عن قتادة عن أبى ميمونة عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال فى ليلة القدر « إنها ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة فى الأرض أكثر من عدد الحصى » وقال الأعمش عن المنهال عن عبد الرحمن بن أبى ليلى فى قوله (من كل أمر سلام) قال لا يحدث فيها أمر . وقال قتادة وابن زيد فى قوله (سلام هى) يعنى هى خير كلها ليس فيها شر إلى مطلع الفجر ، ويؤيد هذا المعنى ما رواه الامام أحمد حدثنا حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنى بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ليلة القدر فى العشر البواقى ، من قامهن ابتغاء حسبتهن فان الله يغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهى ليلة وتر : تسع أو سبع أو خامسة أو ثالثة أو آخر ليلة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة كأن فيها قمرا ساطعا ساكنة ساجية لا برد فيها ولا حر ولا يحل لكوكب يرمى به حتى يصبح ، وان أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ » وهذا إسناد حسن وفى المتن غرابة وفى بعض ألفاظه نكارة وقال أبوداود الطيالسى حدثنا زمعة عن سلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال : فى ليلة القدر « ليلة سمحة طلقة لا حارة ولا باردة وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء » وروى ابن أبى عاصم النبيل

باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال « إنى رأيت ليلة القدر فأنسيتها وهى فى العشر الأواخر من ليالها وهى طلقة بلجة لاحارة ولا باردة كأن فيها قمرا لايخرج شيطانها حتى يضىء فجرها »

﴿ فصل ﴾ اختلف العلماء هل كانت ليلة القدر فى الأمم السالفة أوهى من خصائص هذه الأمة ؟ على قولين . قال أبومصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى حدثنا مالك أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أرى أعمار الناس قبله أوماشاءالله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لايبلغوا من العمل الذى بلغ غيرهم فى طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر . وقد أسند من وجه آخر ، وهذا الذى قاله مالك يقتضى تخصيص هذه الأمة بليلة القدر وقد نقله صاحب العدة أحد أئمة الشافعية عن جمهور العلماء فالله أعلم . وحكى الخطابى عليه الاجماع ونقله الراضى جازما به عن المذهب ، والذى دل عليه الحديث أنها كانت فى الأمم الماضين كما هى فى أمتنا

قال الامام أحمد بن حنبل حدثنا يحيى بن سعيد عن عكرمة بن عمار حدثنى أبو زميل سماك الحنفى حدثنى مالك بن مرثد ابن عبد الله حدثنى مرثد قال سألت أبا ذر قلت كيف سألت رسول الله ﷺ عن ليلة القدر ؟ قال أنا كنت أسأل الناس عنها قلت يارسول الله أخبرنى عن ليلة القدر أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال « بل هى فى رمضان » قلت تكون مع الأنبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هى إلى يوم القيامة ؟ قال « بل هى إلى يوم القيامة » قلت فى أى رمضان هى قال « التمسوها فى العشر الأول والعشر الأخر » ثم حدث رسول الله ﷺ وحدث ثم اهتبلت غفلته قلت فى أى العشرين هى ؟ قال « ابتغوها فى العشر الأواخر ، لاتسألنى عن شىء بعدها » ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يارسول الله أقسمت عليك بحق عليك لما أخبرتنى فى أى العشر هى ؟ فغضب على غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال « التمسوها فى السبع الأواخر ، لاتسألنى عن شىء بعدها » ورواه النسائى عن الفلاس عن يحيى ابن سعيد القطان به ، ففيه دلالة على ماذكرناه وفيه أنها تكون باقية إلى يوم القيامة فى كل سنة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لا كما زعمه بعض طوائف الشيعة من رفعها بالكلية على ما فهموه من الحديث الذى سنورده بعد من قوله عليه السلام « فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم » لأن المراد رفع علم وقتها عينا . وفيه دلالة على أن ليلة القدر يختص وقوعها بشهر رمضان من بين سائر الشهور لا كما روى عن ابن مسعود ومن تابعه من علماء أهل الكوفة من أنها توجد فى جميع السنة وترتجى فى جميع الشهور على السواء

وقد ترجم أبوداود فى سننه على هذا فقال ﴿ باب بيان أن ليلة القدر فى كل رمضان ﴾ حدثنا حميد بن زنجويه السامى أخبرنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير حدثنى موسى بن عقبة عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عمر قال سئل رسول الله ﷺ وأنا أسمع عن ليلة القدر فقال هى فى كل رمضان وهذا إسناد رجاله ثقات إلا أن أبا داود قال رواه شعبة وسفيان عن أبى إسحاق فأوقفاه وقد حكى عن أبى حنيفة رحمه الله رواية أنها ترتجى فى كل شهر رمضان وهو وجه حكاه الغزالى واستغربه الرافعى جدا

﴿ فصل ﴾ ثم قد قيل إنها تكون فى أول ليلة من شهر رمضان يحكى هذا عن أبى رزين وقيل إنها تقع ليلة سبع عشرة وروى فيه أبو داود حديثا مرفوعا عن ابن مسعود وروى موقوفا عليه وعلى زيد بن أرقم وعثمان بن أبى العاص وهو قول عن محمد بن إدريس الشافعى ، ويحكى عن الحسن البصرى ، ووجهوه بأنها ليلة بدر وكانت ليلة جمعة هى السابعة عشرة من شهر رمضان وفى صبيحتها كانت وقعة بدر وهو اليوم الذى قال الله تعالى فيه (يوم الفرقان) وقيل ليلة تسع عشرة يحكى عن على وابن مسعود أيضا رضى الله عنهما ، وقيل ليلة احدى وعشرين لحديث أبى سعيد الخدرى قال اعتكف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العشر الأول من رمضان واعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال: إن الذى تطلب أمامك فاعتكف العشر الأوسط فاعتكفنا معه فأتاه جبريل فقال الذى تطلب أمامك ثم قام النبى صلى الله عليه وسلم خطيبا صبيحة عشرين من رمضان فقال « من كان اعتكف معى فليرجع فانى رأيت ليلة القدر وإنى أنسيتها وإنها فى العشر الأواخر فى وتر وإنى رأيت كأنى أسجد فى طين وماء » وكان سقف

المسجد جريدا من النخل وما نرى فى السماء شيئا فجاءت قزعة فمطرنا فصلى بنا النبى صلى الله عليه وسلم حتى رأيت أثر الطين والماء على جبهة رسول الله ﷺ تصديق رؤياه وفى لفظ فى صبح إحدى وعشرين أخرجاه فى الصحيحين قال الشافعى وهذا الحديث أصح الروايات ، وقيل ليلة ثلاث وعشرين لحديث عبد الله بن أنيس فى صحيح مسلم وهو قريب السياق من رواية أبى سعيد الله فالله أعلم ، وقيل ليلة أربع وعشرين . قال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد أن رسول الله ﷺ قال « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » إسناد رجاله ثقات وقال أحمد حدثنا موسى بن داود حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن الصنابحى عن بلال قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليلة القدر ليلة أربع وعشرين » ابن لهيعة ضعيف وقد خالفه ما رواه البخارى عن أصبغ عن ابن وهب عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن أبى عبد الله الصنابحى قال أخبرنى بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أول السبع من العشر الأواخر فهذا الوقوف أصح والله أعلم . وهكذا روى عن ابن مسعود وابن عباس وجابر والحسن وقتادة وعبد الله بن وهب أنها ليلة أربع وعشرين وقد تقدم فى سورة البقرة حديث واثلة بن الأسقع مرفوعا « إن القرآن أنزل ليلة أربع وعشرين » وقيل تكون ليلة خمس وعشرين لما رواه البخارى عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ قال « التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان فى تاسعة تبقى فى سابعة تبقى فى خامسة تبقى » فسره كثيرون بليالى الأوتار وهو أظهر وأشهر ، وحمله آخرون على الأشفاع كما رواه مسلم عن أبى سعيد أنه حمله على ذلك والله أعلم ، وقيل إنها تكون ليلة سبع وعشرين لما رواه مسلم فى صحيحه عن أبى بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين . قال الإمام أحمد حدثنا سفيان سمعت عبدة وعاصما عن زر سألت أبى بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول من يقم الحول يصب ليلة القدر قال يرحمه الله لقد علم أنها فى شهر رمضان وأنها ليلة سبع وعشرين ثم حلف قلت وكيف تعلمون ذلك ؟ قال بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا بها تطلع ذلك اليوم لا شعاع لها يعنى الشمس وقد رواه مسلم من طريق سفيان بن عيينة وشعبة والأوزاعى عن عبدة عن زر عن أبى فذكره وفيه فقال : والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان يحلف ما يستثنى ووالله إنى لأعلم أى ليلة القدر هى التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هى ليلة سبع وعشرين ، وأمارتها أن تطلع الشمس فى صبيحتها بيضاء لا شعاع لها ، وفى الباب عن معاوية وابن عمر وابن عباس وغيرهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها ليلة سبع وعشرين وهو قول طائفة من السلف وهو الجادة من مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهو رواية عن أبى حنيفة أيضا وقد حكى عن بعض السلف أنه حاول استخراج كونها ليلة سبع وعشرين من القرآن من قوله (هى) لأنها الكلمة السابعة والعشرون من السورة فالله أعلم وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا إسحق بن إبراهيم الدبرى أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول : قال ابن عباس دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد ﷺ فسألهم عن ليلة القدر فأجمعوا أنها فى العشر الأواخر قال ابن عباس فقلت لعمر إنى لأعلم — أو إنى لأظن — أى ليلة القدر هى فقال عمر : وأى ليلة هى ؟ فقلت سابعة تمضى — أو سابعة تبقى — من العشر الأواخر فقال عمر من أين علمت ذلك قال ابن عباس فقلت خلق الله سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وإن الشهر يدور على سبع وخلق الإنسان من سبع ويأكل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لأشياء ذكرها فقال عمر لقد فطنت لأمر ما فطنا له ، وكان قتادة يزيد عن ابن عباس فى قوله ويأكل من سبع قال هو قول الله تعالى (فأنبتنا فيها حبا وعنبا) الآية وهذا إسناد جيد قوى ومتن غريب جدا فالله أعلم وقيل إنها تكون فى ليلة تسع وعشرين . وقال الإمام أحمد بن حنبل حدثنا أبو سعيد مولى بنى هاشم حدثنا سعيد بن سلمة حدثنا عبد الله بن محمد بن عقيل عن عمر بن عبد الرحمن عن عبادة بن الصامت أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فى رمضان فالتمسوها فى العشر الأواخر فانها فى وتر احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو فى آخر ليلة » وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود وهو أبو داود الطيالسى حدثنا عمران القطان عن قتادة عن أبى ميمونة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر «إنها في ليلة سابعة أو تاسعة وعشرين وإن الملائكة تلك الليلة في الأرض أكثر من عدد الحصى» تفرد به أحمد وإسناده لا بأس به، وقيل إنها تكون في آخر ليلة لما تقدم من هذا الحديث آنفا ولما رواه الترمذي والنسائي من حديث عيينة بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال «في تسع يبقين أو سبع يبقين أو خمس يبقين أو ثلاث أو آخر ليلة يعني التمسوا ليلة القدر» وقال الترمذي حسن صحيح وفي المسند من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في ليلة القدر «إنها آخر ليلة» ﴿فصل﴾ قال الشافعي في هذه الروايات: صدرت من النبي ﷺ جوابا للسائل إذا قيل له أنلتمس ليلة القدر في الليلة الفلانية؟ يقول «نعم» وإنما ليلة القدر ليلة معينة لا تنتقل. نقله الترمذي عنه بمعناه وروى عن أبي قلابة أنه قال: ليلة القدر تنتقل في العشر الأواخر وهذا الذي حكاه عن أبي قلابة نص عليه مالك والثوري وأحمد بن حنبل وإسحق بن راهويه وأبو ثور والمزني وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم وهو محكي عن الشافعي نقله القاضي عنه وهو الأشبه والله أعلم. وقد يستأنس لهذا القول بما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر من رمضان، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر» وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «تحروا ليلة القدر في الوتر من العشر الأواخر من رمضان» ولفظه للبخاري ويحتج للشافعي أنها لا تنتقل وأنها معينة من الشهر بما رواه البخاري في صحيحه عن عبادة بن الصامت قال: خرج رسول الله ﷺ ليخبرنا بليلة القدر فتلاحى رجلان من المسلمين فقال «خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن أن يكون خيرا لكم فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» وجه الدلالة منه أنها لو لم تكن معينة مستمرة التعيين لما حصل لهم العلم بعينها في كل سنة إذ لو كانت تنتقل لما علموا تعيينها إلا ذلك العام فقط اللهم إلا أن يقال إنه إنما خرج ليعلمهم بها تلك السنة فقط وقوله «فتلاحى فلان وفلان فرفعت» فيه استئناس لما يقال إن المماراة تقطع الفائدة والعلم النافع كما جاء في الحديث «إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه» وقوله «فرفعت» أي رفع علم تعيينها لكم لا أنها رفعت بالكلية من الوجود كما يقوله جهلة الشيعة لأنه قد قال بعد هذا «فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة» وقوله «وعسى أن يكون خيراً لكم» يعني عدم تعيينها لكم فإنها إذا كانت مبهمة اجتهد طلابها في ابتغائها في جميع محال رجائها فكان أكثر للعبادة بخلاف ما إذا علموا عينها فإنها كانت الهمم تتقاصر على قيامها فقط وإنما اقتضت الحكمة إبهامها لتعم العبادة جميع الشهر في ابتغائها ويكون الاجتهاد في العشر الأخير أكثر، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ثم اعتكف أزواجه من بعده، أخرجاه من حديث عائشة. ولهما عن ابن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف العشر الأواخر من رمضان، وقالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر أخرجاه، ولمسلم عنها كان رسول الله ﷺ يجتهد في العشر مالا يجتهد في غيره، وهذا معنى قولها وشد المئزر، وقيل المراد بذلك اعتزال النساء ويحتمل أن يكون كناية عن الأمرين لما رواه الإمام أحمد حدثنا شريح حدثنا أبو معشر عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا بقي عشر من رمضان شد مئزره واعتزل نساءه انفرد به أحمد. وقد حكي عن مالك رحمه الله أن جميع ليالي العشر في تطلب ليلة القدر على السواء لا يترجح منها ليلة على أخرى رأيته في شرح الرافعي رحمه الله والمستحب الاكثار من الدعاء في جميع الأوقات وفي شهر رمضان أكثر وفي العشر الأخير منه ثم في أوتاره أكثر والمستحب أن يكثر من هذا الدعاء: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني لما رواه الإمام أحمد حدثنا يزيد هو ابن هارون حدثنا الجويري وهو سعيد بن إياس عن عبد الله بن بريدة أن عائشة قالت يا رسول الله: إن وافقت ليلة القدر فما أدعو؟ قال «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وقد رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طريق كهمس بن الحسن عن عبد الله بن بريده عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر

ما أقول فيها ؟ قال « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » وهذا لفظ الترمذى ثم قال هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الحاكم فى مستدركه وقال هذا صحيح على شرط الشيخين ورواه النسائى أيضا من طريق سفيان الثورى عن علقمة ابن مرثد عن سليمان بن بريدة عن عائشة قالت: قلت يا رسول الله أرأيت إن وافقت ليلة القدر ماأقول فيها؟ قال « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » ﴿ ذكر أثر غريب ونبأ عجيب يتعلق بليلة القدر ﴾ رواه الإمام أبو محمد بن أبى حاتم عند تفسير هذه السورة الكريمة فقال حدثنا أبى حدثنا عبدالله بن أبى زياد القطوانى حدثنا سيار بن حاتم حدثنا موسى ابن سعيد يعنى الراسبى عن هلال بن أبى جبلة عن أبى عبد السلام عن أبيه عن كعب أنه قال : إن سدرة المنتهى على حد السماء السابعة مما يلى الجنة فهى على حد هواء الدنيا وهواء الآخرة علوها فى الجنة وعروقها وأغصانها من تحت الكرسى فيها ملائكة لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل يعبدون الله عز وجل على أغصانها فى كل موضع شعرة منها ملك ومقام جبريل عليه السلام فى وسطها فينادى الله جبريل أن ينزل فى كل ليلة القدر مع الملائكة الذين يسكنون سدرة المنتهى وليس فيهم ملك إلا قد أعطى الرأفة والرحمة للمؤمنين فينزلون على جبريل فى ليلة القدر حين تغرب الشمس فلا تبقى بقعة فى ليلة القدر إلا وعليها ملك إما ساجد وإما قائم يدعو للمؤمنين والمؤمنات إلا أن تكون كنيسة أو بيعة أو بيت نار أو وثن أو بعض أماكنكم التى تطرحون فيها الخبث أو بيت فيه سكران أو بيت فيه مسكر أو بيت فيه وثن منصوب أو بيت فيه جرس معلق أو مبولة أو مكان فيه كساحة البيت فلا يزالون ليلتهم تلك يدعون للمؤمنين والمؤمنات وجبريل لا يدع أحدا من المؤمنين إلا صافحه وعلامة ذلك من اقشعر جلده ورق قلبه ودمعت عيناه فان ذلك من مصافحة جبريل

وذكر كعب أن من قال فى ليلة القدر : لا إله إلا الله ثلاث مرات غفر الله له بواحدة ونجاه من النار بواحدة وأدخله الجنة بواحدة فقلنا لكعب الأحبار يا أبا إسحاق صادقا فقال كعب الأحبار وهل يقول لا إله إلا الله فى ليلة القدر إلا كل صادق والذى نفسى بيده إن ليلة القدر لتثقل على الكافر والمنافق حتى كأنها على ظهره جبل فلا تزال الملائكة هكذا حتى يطلع الفجر فأول من يصعد جبريل حتى يكون فى وجه الأفق الأعلى من الشمس فيبسط جناحيه وله جناحان أخضران لا ينشرهما إلا فى تلك الساعة فتصير الشمس لاشعاع لها ثم يدعو ملكا ملكا فيصعد فيجتمع نور الملائكة ونور جناحى جبريل فلا تزال الشمس يومها ذلك متحيرة فيقيم جبريل ومن معه بين الأرض وبين السماء الدنيا يومهم ذلك فى دعاء ورحمة واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ولمن صام رمضان إيمانا واحتسابا ودعا لمن حدث نفسه إن عاش إلى قابل صام رمضان لله فإذا أمسوا دخلوا إلى السماء الدنيا فيجلسون حلقا حلقا فتجتمع إليهم ملائكة سماء الدنيا فيسألونهم عن رجل رجل وعن امرأة امرأة فيحدثونهم حتى يقولوا ما فعل فلان وكيف وجدتموه العام ؟ فيقولون وجدنا فلانا عام أول فى هذه الليلة متعبدا وجدناه العام مبتدعا ووجدنا فلانا مبتدعا ووجدناه العام عابدا قال فيكفون عن الاستغفار لذلك ويقبلون على الاستغفار لهذا ويقولون وجدنا فلانا وفلانا يذكران الله ووجدنا فلانا راكعا وفلانا ساجدا ووجدناه تاليا لكتاب الله قال فهم كذلك يومهم وليلتهم حتى يصعدون إلى السماء الثانية ففى كل سماء يوم وليلة حتى ينتهوا مكانهم من سدرة المنتهى فتقول لهم سدرة المنتهى ياسكانى حدثونى عن الناس وسموهم لى فان لى عليكم حقا وإنى أحب من أحب الله فذكر كعب الأحبار أنهم يعدون لها ويحكون لها الرجل والمرأة بأسمائهم وأسماء آبائهم ثم تقبل الجنة على السدرة فتقول أخبرينى بما أخبرك سكانك من الملائكة فتخبرها قال فتقول الجنة رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة اللهم عجلهم إلى فيبلغ جبريل مكانه قبلهم فيلهمه الله فيقول وجدت فلانا ساجدا فاغفر له فيغفر له فيسمع جبريل جميع حملة العرش فيقولون رحمة الله على فلان ورحمة الله على فلانة ومغفرته لفلان، ويقول يارب وجدت عبدك فلانا الذى وجدته عام أول على السنة والعبادة ووجدته العام قد أحدث حدثا وتولى عما أمر به فيقول الله: يا جبريل إن تاب فأعتبنى قبل أن يموت بثلاث ساعات غفرت له. فيقول جبريل لك الحمد إلهى أنت أرحم من جميع خلقك وأنت أرحم بعبادك من عبادك بأنفسهم ، قال فيرتج العرش وما حوله والحجب والسموات ومن فيهن تقول الحمد لله الرحيم . قال وذكر كعب أنه من صام رمضان وهو يحدث نفسه إذا أفطر رمضان أن لا يعصى الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب آخر تفسير سورة ليلة القدر ، ولله الحمد والمنة.

﴿ تفسير سورة لم يكن وهى مدنية ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد هو ابن سلمة أخبرنا على هو ابن زيد عن عمار بن أبى عمار قال سمعت أبا حبة البدرى وهو مالك بن عمرو بن ثابت الأنصارى قال لما نزلت (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) إلى آخرها قال جبريل : يا رسول الله إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا . فقال النبي ﷺ لأبى « إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة » قال أبى وقد ذكرت ثم يا رسول الله؟ قال « نعم » قال فبكى أبى ﴿ حديث آخر ﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بن كعب « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) » قال وسماني لك ؟ قال « نعم » فبكى ورواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى من حديث شعبة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا مؤمل حدثنا سفيان حدثنا أسلم المنقرى عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبى بن كعب قال : قال لى رسول الله ﷺ « إنى أمرت أن أقرأ عليك سورة كذا وكذا » قلت يا رسول الله وقد ذكرت هناك ؟ قال « نعم » فقلت له يا أبا المنذر ففرحت بذلك . قال وما يمنعنى والله يقول (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) قال مؤمل قلت لسفيان القراءة فى الحديث؟ قال نعم. تفرد به من هذا الوجه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا : حدثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبى بن كعب قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن - قال فقرأ - (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب) - قال فقرأ فيها - ولو أن ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا ، ولو سأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره » ورواه الترمذى من حديث أبى داود الطيالسى عن شعبة به وقال حسن صحيح ﴿ طريق أخرى ﴾ قال الحافظ أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن خليد الحلبي حدثنا محمد بن عيسى الطباع حدثنا معاذ بن محمد بن معاذ بن أبى بن كعب عن أبيه عن جده عن أبى بن كعب قال : قال رسول الله ﷺ « يا أبا المنذر إنى أمرت أن أعرض عليك القرآن » قال بالله آمنت وعلى يدك أسلمت ومنك تعلمت ، قال فرد النبي ﷺ القول ، قال : فقال يارسول الله وذكرت هناك ؟ قال : « نعم باسمك ونسبك فى الملأ الأعلى » قال فاقرأ إذا يارسول الله ، هذا غريب من هذا الوجه ، والثابت ما تقدم وإنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتا له وزيادة لإيمانه فانه كما رواه أحمد والنسائى من طريق أنس عنه ، ورواه أحمد وأبو داود من حديث سليمان بن صرد عنه ، ورواه أحمد عن عفان عن حماد عن حميد عن أنس عن عبادة بن الصامت عنه ، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث إسماعيل بن أبى خالد عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عنه - كان قد أنكر على إنسان وهو عبدالله بن مسعود قراءة شىء من القرآن على خلاف ما أقرأه رسول الله ﷺ فرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاستقرأهما وقال لكل منهما « أصبت » قال أبى فأخذنى من الشك ولا إذ كنت فى الجاهلية فضرب رسول الله ﷺ فى صدره قال أبى ففضت عرقا وكأنما أنظر إلى الله فرقا وأخبره رسول الله ﷺ أن جبريل أتاه فقال : إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على حرف فقلت أسأل الله معافاته ومغفرته فقال على حرفين فلم يزل حتى قال إن الله يأمرك أن تقرىء أمتك القرآن على سبعة أحرف كما قدمنا ذكر هذا الحديث بطرقه ولفظه فى أول التفسير فلما نزلت هذه السورة وفيها (رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة) قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءة إبلاغ وتثبيت وإنذار لا قراءة تعلم واستذكار والله أعلم وهذا كما أن عمر بن الخطاب لما سأل رسول الله ﷺ يو الحديبية عن تلك الأسئلة وكان فيما قال أو لم تكن تخبرنا أنا سنأتى البيت ونطوف به ، قال

« بلى أفأخبرتك أنك تأتيه عامك هذا» قال: لا قال «فانك آتيه ومطوف به » فلما رجعوا من الحديبية وأنزل الله على النبي ﷺ سورة الفتح دعا عمر بن الخطاب فقرأها عليه وفيها قوله (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين) الآية كما تقدم

وروى الحافظ أبو نعيم فى كتابه أسماء الصحابة من طريق محمد بن إسماعيل الجعفرى المدنى حدثنا عبد الله بن سلمة ابن أسلم عن ابن شهاب عن إسماعيل بن أبى حكيم المزنى حدثنى فضيل سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله ليسمع قراءة لم يكن الذين كفروا فيقول أبشر عبدى فوعزتى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى » حديث غريب جدا . وقد رواه الحافظ أبو موسى المدينى وابن الأثير من طريق الزهرى عن إسماعيل بن أبى كثير عن مطر المزنى - أو المدنى - عن النبي ﷺ « إن الله يسمع قراءة لم يكن الذين كفروا ويقول أبشر عبدى فوعزتى لأنساك على حال من أحوال الدنيا والآخرة ولأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى »

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ * وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ * وَمَآ أُمِرُوٓا إِلَّا لِيَعْبُدُوا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

أما أهل الكتاب فهم اليهود والنصارى والمشركون عبدة الأوثان والنيران من العرب ومن العجم ، وقال مجاهد لم يكونوا (منفكين) يعنى منتهين حتى يتبين لهم الحق وهكذا قال قتادة (حتى تأتيهم البينة) أى هذا القرآن ولهذا قال تعالى (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة) . ثم فسر البينة بقوله (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يعنى محمدا ﷺ وما يتلوه من القرآن العظيم الذى هو مكتتب فى الملأ الأعلى فى صحف مطهرة كقوله (فى صحف مكرمة * مرفوعة مطهرة * بأيدى سفرة * كرام بررة) ، وقوله تعالى (فيها كتب قيمة) قال ابن جرير أى فى الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ليس فيها خطأ لأنها من عند الله عز وجل قال قتادة (رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة) يذكر القرآن بأحسن الذكر ، ويثنى عليه بأحسن الثناء وقال ابن زيد (فيها كتب قيمة) مستقيمة معتدلة ، وقوله تعالى (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة) كقوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعنى بذلك أهل الكتب المنزلة على الأمم قبلنا بعد ما أقام الله عليهم الحجج والبينات تفرقوا واختلفوا فى الذى أراده الله من كتبهم واختلفوا اختلافا كثيرا كما جاء فى الحديث المروى من طرق « إن اليهود اختلفوا على احدى وسبعين فرقة وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة» قالوا : من هم يارسول الله ؟ قال « ما أنا عليه وأصحابى »

وقوله تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) كقوله (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) ولهذا قال (حنفاء) أى متحنفين من الشرك إلى التوحيد كقوله (ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقد تقدم تقرير الحنيف فى سورة الأنعام بما أغنى عن إعادته ههنا (ويقيموا الصلاة) وهى أشرف عبادات البدن (ويؤتوا الزكاة) وهى الاحسان إلى الفقراء والمحاويج (وذلك دين القيمة) أى الملة القائمة العادلة أو الأمة المستقيمة المعتدلة ، وقد استدل كثير من الأئمة كالزهرى والشافعى بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة فى الإيمان ولهذا قال (وما أمروا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾

يخبر تعالى عن مآل الفجار من كفرة أهل الكتاب والمشركين المخالفين لكتب الله المنزلة وأنبياء الله المرسلة أنهم يوم القيامة فى نار جهنم خالدين فيها أى ماكثين لا يحولون عنها ولا يزولون (أولئك هم شر البرية)أى شر الخليقة التى برأها الله وذرأها . ثم أخبر تعالى عن حال الأبرار الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بأبدانهم بأنهم خير البرية وقد استدل بهذه الآية أبو هريرة وطائفة من العلماء على تفضيل المؤمنين من البرية على الملائكة لقوله (أولئك هم خير البرية) ثم قال تعالى (جزاؤهم عند ربهم)أى يوم القيامة (جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا)أى بلا انفصال ولا انقضاء ولا فراغ (رضى الله عنهم ورضوا عنه) ومقام رضاه عنهم أعلى مما أوتوه من النعيم المقيم (ورضوا عنه) فيما منحهم من الفضل العميم . وقوله تعالى (ذلك لمن خشى ربه)أى هذا الجزاء حاصل لمن خشى الله واتقاه حق تقواه وعبده كأنه يراه وعلم أنه إن لم يره فانه يراه . وقال الإمام أحمد حدثنا إسحق بن عيسى حدثنا أبو معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا بلى يا رسول قال « رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بخير البرية؟) قالوا بلى يا رسول الله قال « رجل فى ثلة من غنمه يقيم الصلاة ويؤتى الزكاة ألا أخبركم بشر البرية ؟ » قالوا بلى قال « الذى يسأل بالله ولا يعطى به » . آخر تفسير سورة لم يكن، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة إذا زلزلت ، وهى مكية ﴾

قال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم العجلى حدثنا ثابت قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد حدثنا عياش بن عباس عن عيسى بن هلال الصدفى عن عبد الله بن عمرو قال :أتى رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئنى يا رسول الله قال له « اقرأ ثلاثا من ذوات الراء » فقال له الرجل كبر سنى واشتد قلبى وغلظ لسانى ، قال « فاقرأ من ذوات حم » فقال مثل مقالته الأولى ، فقال «اقرأ ثلاثا من المسبحات » فقال مثل مقالته ، فقال الرجل ولكن أقرئنى يارسول الله سورة جامعة فأقرأه (إذا زلزلت الأرض زلزالها) حتى إذا فرغ منها قال الرجل والذى بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل ـ ثم قال ـ على به ـ فجاءه فقال له ـ أمرت بيوم الأضحى جعله الله عيدا لهذه الأمة » فقال له الرجل أرأيت إن لم أجد إلا منيحة أنثى فأضحى بها ؟ قال« لا ولكنك تأخذ من شعرك وتقلم أظفارك وتقص شاربك وتحلق عانتك فذاك تمام أضحيتك عند الله عز وجل » وأخرجه أبو داود والنسائى من حديث أبى عبد الرحمن المقرى به . وقال الترمذى حدثنا محمد بن موسى الجوينى البصرى حدثنا الحسن بن مسلم بن صالح العجلى حدثنا ثابت البنانى عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ إذا زلزلت عدلت له بنصف القرآن » ثم قال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسن بن مسلم ، وقد رواه البزار عن محمد ابن موسى الجوينى عن الحسن بن مسلم عن ثابت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن » هذا لفظه . وقال الترمذى أيضا :حدثنا على بن حجر حدثنا يزيد ابن هارون حدثنا يمان بن المغيرة العنزى حدثنا عطاء عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا

زلزلت تعدل نصف القرآن ، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن ، وقل يا أيها الكافرون تعدل ربع القرآن ، ثم قال غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة . وقال أيضا حدثنا عقبة بن مكرم العمى البصرى حدثنى ابن أبى فديك أخبرنى سلمة بن وردان عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل من أصحابه « هل تزوجت يا فلان » قال لا والله يا رسول الله ولا عندى ما أتزوج ؟ قال « أليس معك قل هو الله أحد — قال بلى قال — ثلث القرآن — قال أليس معك إذا جاء نصر الله والفتح ؟ — قال بلى ، قال ربع القرآن — قال — أليس معك قل يا أيها الكافرون ؟ — قال بلى قال — ربع القرآن — قال — أليس معك إذا زلزلت الأرض — قال بلى ، قال — ربع القرآن ، تزوج » ثم قال هذا حديث حسن ، تفرد بهن ثلاثتهن الترمذى لم يروهن غيره من أصحاب الكتب

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا * يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال ابن عباس (إذا زلزلت الأرض زلزالها) أى تحركت من أسفلها (وأخرجت الأرض أثقالها) يعنى ألقت ما فيها من الموتى قاله غير واحد من السلف وهذه كقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم) وكقوله (وإذا الأرض مدت وألقت ما فيها وتخلت) وقال مسلم فى صحيحه حدثنا واصل بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن فضيل عن أبيه عن أبى حازم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة فيجىء القاتل فيقول فى هذا قتلت ويجىء القاطع فيقول فى هذا قطعت رحمى ويجىء السارق فيقول فى هذا قطعت يدى ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا » وقوله عزوجل (وقال الإنسان مالها) أى استنكر أمرها بعدما كانت قارة ساكنة ثابتة وهو مستقر على ظهرها أى تقلبت الحال فصارت متحركة مضطربة قد جاءها من أمر الله تعالى ما قد أعده لها من الزلزال الذى لا محيد لها عنه ثم ألقت ما فى بطنها من الأموات من الأولين والآخرين وحينئذ استنكر الناس أمرها وتبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار ، وقوله تعالى (يومئذ تحدث أخبارها) أى تحدث بما عمل العاملون على ظهرها . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم حدثنا ابن المبارك وقال الترمذى وأبو عبد الرحمن النسائى واللفظ له حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبد الله هو ابن المبارك عن سعيد بن أبى أيوب عن يحيى بن أبى سليمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (يومئذ تحدث أخبارها) قال « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « فان أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا فهذه أخبارها » ثم قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح غريب وفى معجم الطبرانى من حديث ابن لهيعة حدثنى الحارث بن يزيد معم ربيعة الحدسى أن رسول الله ﷺ قال « تحفظوا من الأرض فانها أمكم وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرا أو شرا إلا وهى مخبرة » . وقوله تعالى (بأن ربك أوحى لها) قال البخارى أوحى لها وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد وكذا قال ابن عباس أوحى لها أى أوحى إليها ، والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أذن لها . وقال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (يومئذ تحدث أخبارها) قال : قال لها ربها قولى فقالت ؛ وقال مجاهد أوحى لها أى أمرها وقال القرظى أمرها أن تنشق عنهم . وقوله تعالى (يومئذ يصدر الناس أشتانا) أى يرجعون عن موقف الحساب أشتانا أى أنواعا وأصنافا ما بين شقى وسعيد مأمور به إلى الجنة ومأمور به إلى النار ، قال ابن جريج يتصدعون أشتانا فلا يجتمعون آخر ما عليهم وقال السدى أشتانا فرقا . وقوله تعالى (ليروا أعمالهم) أى ليعملوا ويجازوا بما عملوه فى الدنيا من خير وشر ولهذا قال (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) . قال البخارى حدثنا إسماعيل بن عبد الله حدثنى مالك عن

زيد بن أسلم عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «الخيل لثلاثة: لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر . فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال طيلها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك فى المرج والروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تسقى به كان ذلك حسنات له ، وهى لذلك الرجل أجر. ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى له ستر ، ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء فهى على ذلك وزر» فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال « ما أنزل الله فيها شيئا إلا هذه الآية الفاذة الجامعة (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) ورواه مسلم من حديث زيد بن أسلم به

وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا جرير بن حازم حدثنا الحسن عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قال: حسبى لا أبالى أن لا أسمع غيرها . وهكذا رواه النسائى فى التفسير عن إبراهيم بن محمد بن يونس المؤدب عن أبيه عن جرير بن حازم عن الحسن البصرى قال حدثنا صعصعة عم الفرزدق فذكره . وفى صحيح البخارى عن عدى مرفوعا « اتقوا النار ولو بشق تمرة ولو بكلمة طيبة » وله أيضا فى الصحيح « لا تحقرن من المعروف شيئا ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستسقى ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط » وفى الصحيح أيضا «يا معشر نساء المؤمنات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة » يعنى ظلفها وفى الحديث الآخر « ردوا السائل ولو بظلف محرق » وقال الإمام أحمد : حدثنا محمد ابن عبد الله الأنصارى حدثنا كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله عن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « ياعائشة استتري من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان » تفرد به أحمد . وروى عن عائشة أنها تصدقت بعنبة وقالت كم فيها من مثقال ذرة . وقال الإمام أحمد : حدثنا أبو عامر حدثنا سعيد بن مسلم سمعت عامر ابن عبد الله بن الزبير حدثنى عوف بن الحارث بن الطفيل أن عائشة أخبرته أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول «ياعائشة إياك ومحقرات الذنوب فان لها من الله طالبا » ورواه النسائى وابن ماجه من حديث سعيد بن مسلم بن بانك به وقال ابن جرير حدثنى أبو الخطاب الحسانى حدثنا الهيثم بن الربيع حدثنا سماك بن عطية عن أيوب عن أبى قلابة عن أنس قال كان أبو بكر يأكل مع النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) فرفع أبو بكر يده وقال يا رسول الله إنى أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر فقال « يا أبا بكر ما رأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة» ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه أبى الخطاب به ثم قال ابن جرير حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الوهاب حدثنا أيوب قال فى كتاب أبى قلابة عن أبى إدريس أن أبا بكر كان يأكل مع النبى ﷺ فذكره ورواه أيضا عن يعقوب عن ابن علية عن أيوب عن أبى قلابة أن أبا بكر وذكره ﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير : حدثنى يونس بن عبد الأعلى أخبرنا ابن وهب أخبرنى حيى بن عبد الله عن أبى عبد الرحمن الحبلى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال لما نزلت (إذا زلزلت الأرض زلزالها) وأبو بكر الصديق رضى الله عنه قاعد فبكى حين أنزلت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما يبكيك يا أبا بكر» قال يبكينى هذه السورة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم « لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر الله لكم لخلق الله أمة يخطئون ويذنبون فيغفر لهم » . ﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة وعلى بن عبد الرحمن بن المغيرة المعروف بعلان المصرى قالا حدثنا عمرو بن خالد الحرانى حدثنا ابن لهيعة أخبرنى هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى قال لما أنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) قلت يارسول الله إنى لراء عملى ؟ قال « نعم » قلت تلك الكبار الكبار قال « نعم » قلت الصغار الصغار قال « نعم » قلت واثكل أمى قال « أبشر يا أبا سعيد فان الحسنة بعشر أمثالها — يعنى إلى سبعمائة ضعف — ويضاعف الله لمن يشاء والسيئة بمثلها أو يعفو الله ولن ينجو أحد منكم بعمله » قلت ولا أنت يارسول الله ؟ قال « ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله منه

برحمة » قال أبو زرعة لم يرو هذا غير ابن لهيعة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا يحيى بن عبد الله بن بكير حدثنى ابن لهيعة حدثنى عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير فى قول الله تعالى (فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) وذلك لما نزلت هذه الآية (ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) كان المسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه فيجيء المسكين إلى أبوابهم فيستقلون أن يعطوه التمرة والكسرة والجوزة ونحو ذلك فيردونه ويقولون ما هذا بشيء إنما نؤجر على ما نعطى ونحن نحبه ، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكذبة والنظرة والغيبة وأشباه ذلك يقولون إنما وعد الله النار على الكبائر فرغبهم فى القليل من الخير أن يعملوه فإنه يوشك أن يكثر وحذرهم اليسير من الشر فانه يوشك أن يكثر فنزلت (فمن يعمل مثقال ذرة) يعنى وزن أصغر النمل (خيرا يره) يعنى فى كتابه ويسره ذلك قال يكتب لكل بر وفاجر بكل سيئة سيئة واحدة وبكل حسنة عشر حسنات فإذا كان يوم القيامة ضاعف الله حسنات المؤمنين أيضا بكل واحدة عشرا ويمحو عنه بكل حسنة عشر سيئات فمن زادت حسناته على سيئاته مثقال ذرة دخل الجنة

وقال الإمام أحمد حدثنا سليمان بن داود حدثنا عمران عن قتادة عن عبد ربه عن أبي عياض عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « إياكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه » وإن رسول الله ﷺ ضرب لهن مثلا كمثل قوم نزلوا أرض فلاة فحضر صنيع القوم فجعل الرجل ينطلق فيجيء بالعود والرجل يجيء بالعود حتى جمعوا سوادا وأججوا نارا وأنضجوا ما قذفوا فيها . آخر تفسير سورة إذا زلزلت، ولله الحمد والمنة

(تفسير سورة العاديات وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا * إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ * أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ)

يقسم تعالى بالخيل إذا أجريت فى سبيله فعدت وضبحت وهو الصوت الذى يسمع من الفرس حين تعدو (فالموريات قدحا) يعنى اصطكاك نعالها للصخر فتقدح منه النار (فالمغيرات صبحا) يعنى الاغارة وقت الصباح كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغير صباحا ويستمع الأذان فان سمع أذانا وإلا أغار . وقوله تعالى (فأثرن به نقعا) يعنى غبارا فى مكان معترك الخيول (فوسطن به جمعا) أى توسطن ذلك المكان كلهن جمع . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا عبدة عن الأعمش عن إبراهيم عن عبد الله (والعاديات ضبحا) قال :الإبل وقال على هى الإبل وقال ابن عباس هى الخيل فبلغ عليا قول ابن عباس فقال ما كانت لنا خيل يوم بدر قال ابن عباس : إنما كان ذلك فى سرية بعثت . قال ابن أبي حاتم وابن جرير وحدثنا يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنى أبو صخر عن أبي معاوية البجلى عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس حدثه قال بينا أنا فى الحجر جالسا جاءنى رجل فسألنى عن (العاديات صبحا) فقلت له الخيل حين تغير فى سبيل الله ثم تأوى إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم فانفتل عنى فذهب إلى على رضى الله عنه وهو عند سقاية زمزم فسأله عن العاديات ضبحا فقال سألت عنها أحدا قبلى ؟ قال نعم سألت ابن عباس فقال الخيل حين تغير فى سبيل الله قال اذهب فادعه لى فلما وقف على رأسه قال أتفتى الناس بما لا علم لك ، والله لئن كان أول غزوة فى الإسلام بدر وما كان معنا إلا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد فكيف تكون العاديات ضبحا . إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة ومن المزدلفة إلى منى ، قال ابن عباس فنزعت عن قولى ورجعت إلى الذى قال على رضى الله عنه ، وبهذا الإسناد عن ابن عباس قال : قال على إنما العاديات ضبحا من عرفة إلى المزدلفة فإذا أووا إلى المزدلفة

أوروا النيران ، وقال العوفى وغيره عن ابن عباس: هى الخيل . وقد قال بقول على إنها الإبل جماعة منهم إبراهيم وعبيد ابن عمير وقال بقول ابن عباس آخرون منهم مجاهد وعكرمة وعطاء وقتاده والضحاك واختاره ابن جرير وقال ابن عباس وعطاء ما ضبحت دابة قط إلا فرس أو كلب وقال ابن جريج عن عطاء سمعت ابن عباس يصف الضبح أح أح ، وقال أكثر هؤلاء فى قوله (فالموريات قدحا) يعنى بحوافرها وقيل أسعرت الحرب بين ركبانهن قاله قتادة وعن ابن عباس ومجاهد (فالموريات قدحا) يعنى مكر الرجال وقيل هو إيقاد النار إذا رجعو إلى منازلهم من الليل وقيل المراد بذلك نيران القبائل وقال من فسرها بالخيل هو إيقاد النار بالمزدلفة . قال ابن جرير والصواب الأول :أنها الخيل حين تقدح بحوافرها

وقوله تعالى (فالمغيرات) صبحا قال ابن عباس ومجاهد وقتادة يعنى إغارة الخيل صبحا فى سبيل الله ،وقال من فسرها بالإبل هو الدفع صبحا من المزدلفة إلى منى وقالوا كلهم فى قوله (فأثرن به نقعا) هو المكان الذى حلت فيه أثارت به الغبار إما فى حج أو غزو . وقوله تعالى(فوسطن به جمعا)قال العوفى عن ابن عباس وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك يعنى جمع الكفار من العدو ويحتمل أن يكون فوسطن بذلك المكان جميعن ويكون جمعا منصوبا على الحال المؤكدة ،وقد روى أبو بكر البزار ههنا حديثا غريبا جدا فقال حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حفص بن جميع حدثنا سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلا فأشهرت شهرا لا يأتيه منها خبر فنزلت (والعاديات ضبحا) ضبحت بأرجلها (فالموريات قدحا) قدحت بحوافرها الحجارة فأورت نارا (فالمغيرات صبحا) صبحت القوم بغارة (فأثرن به نقعا) أثارت بحوافرها التراب (فوسطن به جمعا) قال صبحت القوم جميعا . وقوله تعالى (إن الإنسان لربه لكنود) هذا هو المقسم عليه بمعنى أنه لنعم ربه لكفور جحود. قال ابن عباس ومجاهد وإبراهيم النخعى وأبو الجوزاء وأبو العالية وأبو الضحى وسعيد بن جبير ومحمد بن قيس والضحاك والحسن وقتادة والربيع بن أنس وابن زيد: الكنود الكفور قال الحسن : الكنود هو الذى يعد المصائب وينسى نعم الله عليه

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو كريب حدثنا عبيد الله عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبى أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «(إن الإنسان لربه لكنود)- قال- الكنود الذى يأكل وحده ويضرب عبده ويمنع رفده» ورواه ابن أبى حاتم من طريق جعفر بن الزبير وهو متروك فهذا إسناد ضعيف،وقد رواه ابن جرير أيضا من حديث حريز بن عثمان عن حمزة بن هانىء عن أبى أمامة موقوفا وقوله تعالى (وإنه على ذلك لشهيد) قال قتادة وسفيان الثورى: وإن الله على ذلك لشهيد ويحتمل أن يعود الضمير على الإنسان قاله محمد بن كعب القرظى فيكون تقديره وإن الإنسان على كونه كنودا لشهيد أى بلسان حاله أى ظاهر ذلك عليه فى أقواله وأفعاله كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر) . وقوله تعالى (وإنه لحب الخير لشديد) أى وإنه لحب الخير وهو المال لشديد ، وفيه مذهبان ﴿ أحدهما ﴾ أن المعنى وإنه لشديد المحبة للمال ﴿ والثانى ﴾ وإنه لحريص بخيل من محبة المال وكلاهما صحيح . ثم قال تبارك وتعالى مزهدا فى الدنيا ومرغبا فى الآخرة ومنبها على ما هو كائن بعد هذه الحال وما يستقبله الإنسان من الأهوال (أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ؟) أى أخرج ما فيها من الأموات (وحصل ما فى الصدور) قال ابن عباس وغيره يعنى أبرز وأظهر ما كانوا يسرون فى نفوسهم (إن ربهم بهم يومئذ لخبير) أى لعالم بجميع ما كانوا يصنعون ويعملون ومجازيهم عليه أوفر الجزاء ولا يظلم مثقال ذرة . آخر تفسير سورة العاديات ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة القارعة وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ * فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ *

﴿ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾

القارعة من أسماء يوم القيامة كالحاقة والطامة والصاخة والغاشية وغير ذلك . ثم قال تعالى معظما أمرها ومهولا لشأنها (وما أدراك ما القارعة) ثم فسر ذلك بقوله (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) أى فى انتشارهم وتفرقهم وذهابهم ومجيئهم من حيرتهم مما هم فيه كأنهم فراش مبثوث كما قال تعالى فى الآية الأخرى (كأنهم جراد منتشر) وقوله تعالى (وتكون الجبال كالعهن المنفوش) يعنى قد صارت كأنها الصوف المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق . قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدى (العهن) الصوف ثم أخبر تعالى عما يؤول اليه عمل العاملين وما يصيرون اليه من الكرامة والاهانة بحسب أعمالهم فقال (فأما من ثقلت موازينه) أى رجحت حسناته على سيئاته (فهو فى عيشة راضية) يعنى فى الجنة (وأما من خفت موازينه) أى رجحت سيئاته على حسناته ، وقوله تعالى (فأمه هاوية) قيل معناه فهو ساقط هاو بأم رأسه فى نار جهنم وعبر عنه بأمه يعنى دماغه روى نحو هذا عن ابن عباس وعكرمة وأبى صالح وقتادة ، قال : قتادة يهوى فى النار على رأسه وكذا قال أبو صالح يهوون فى النار على رءوسهم ، وقيل معناه فأمه التى يرجع اليها ويصير فى المعاد اليها هاوية وهى اسم من أسماء النار قال ابن جرير وإنما قيل للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها ، و قال ابن زيد : الهاوية النار هى أمه ومأواه التى يرجع اليها ويأوى اليها وقرأ (ومأواهم النار) قال ابن أبى حاتم وروى عن قتادة أنه قال هى النار وهى مأواهم ولهذا قال تعالى مفسراً للهاوية (وما أدراك ماهيه * نار حامية)

قال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن الأشعث بن عبد الله الأعمى قال : إذا مات المؤمن ذهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيقولون روحوا أخاكم فانه كان فى غم الدنيا قال ويسألونه مافعل فلان ؟ فيقول : مات أوما جاءكم فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية ، وقد رواه ابن مردويه من طريق أنس بن مالك مرفوعا بأبسط من هذا وقد أوردناه فى كتاب صفة النار ـ أجارنا الله تعالى منها بمنه وكرمه ـ وقوله تعالى (نار حامية) أى حارة شديدة الحر قوية اللهب والسعير . قال أبو مصعب عن مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » قالوا يارسول الله إن كانت لكافية ؟ فقال « إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا » ورواه البخارى عن إسماعيل بن أبى أويس عن مالك ورواه مسلم عن قتيبة عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبى الزناد به ، وفى بعض ألفاظه « انها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن حدثنا حماد وهو ابن سلمة عن محمد بن أبى زياد سمعت أبا هريرة يقول سمعت أبا القاسم ﷺ يقول « نار بنى آدم التى توقدون جزء من سبعين جزءا من نار جهنم » فقال رجل إن كانت لكافية ؟ فقال « لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا حرا فحرا » تفرد به أحمد من هذا الوجه وهو على شرط مسلم وروى الإمام أحمد أيضا حدثنا سفيان عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وعمرو عن يحيى بن جعدة « إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ماجعل الله فيها منفعة لأحد » وهذا على شرط الصحيحين ولم يخرجوه من هذا الوجه وقد رواه مسلم فى صحيحه من طريق[1] ورواه البزار من حديث عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى « ناركم هذه جزء من سبعين جزءا »

وقد قال الامام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا عبد العزيز هو ابن محمد الدراوردى عن سهل عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « هذه النار جزء من مائة جزء من جهنم » تفرد به أيضا من هذا الوجه وهو على شرط مسلم أيضا وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمرو الخلال حدثنا إبراهيم بن المنذر الحزامى حدثنا معن ابن عيسى القزاز عن مالك عن عمه أبى سهيل عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أتدرون

(١) هنا بياض بالأصل .

ما مثل ناركم هذه من نار جهنم لهى أشد سوادا من دخان ناركم هذه بسبعين ضعفا » وقد رواه أبو مصعب عن مالك ولم يرفعه . وروى الترمذى وابن ماجه عن عباس الدورى عن يحيى بن بكير حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « أوقد على النار ألف سنة حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسودت فهى سوداء مظلمة » وقد روى هذا من حديث أنس وعمر بن الخطاب وجاء فى الحديث عند الإمام أحمد من طريق أبى عثمان النهدى عن أنس وأبى نضرة المعبدى عن أبى سعيد وعجلان مولى المشعل عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إن أهون أهل النار عذابا من له نعلان يغلى منهما دماغه » وثبت فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضى بعضا فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف فأشد ما تجدون فى الشتاء من بردها وأشد ما تجدون فى الصيف من حرها » وفى الصحيحين « إذا اشتد الحر فأبردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم » . آخر تفسير سورة القارعة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة التكاثر وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر * كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون * كلا لو تعلمون علم اليقين * لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين * ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾

يقول تعالى أشغلكم حب الدنيا ونعيمها وزهرتها عن طلب الآخرة وابتغائها وتمادى بكم ذلك حتى جاءكم الموت وزرتم المقابر وصرتم من أهلها

قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا زكريا بن يحيى الوقاد المصرى حدثنى خالد بن عبد الدائم عن ابن زيد بن أسلم عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « ألهاكم التكاثر — عن الطاعة — حتى زرتم المقابر — حتى يأتيكم الموت » وقال الحسن البصرى (ألهاكم التكاثر) فى الأموال والأولاد ، وفى صحيح البخارى فى الرقاق منه وقال أخبرنا أبو الوليد حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك عن أبى بن كعب قال كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر) يعنى « لو كان لابن آدم واد من ذهب » . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت قتادة يحدث عن مطرف يعنى ابن عبد الله بن الشخير عن أبيه قال انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول « (ألهاكم التكاثر) يقول ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما كلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ؟ » ورواه مسلم والترمذى والنسائى من طريق شعبة به ، وقال مسلم فى صحيحه حدثنا سويد بن سعيد حدثنا حفص بن ميسرة عن العلاء عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « يقول العبد مالى مالى ، وإنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأمضى ، وما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس » تفرد به مسلم

وقال البخارى حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم سمع أنس بن مالك يقول : قال رسول الله ﷺ « يتبع الميت ثلاثة فيرجع اثنان ويبقى معه واحد : يتبعه أهله وماله وعمله فيرجع أهله وماله ويبقى عمله » وكذا رواه مسلم والترمذى والنسائى من حديث سفيان بن عيينة به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يحيى عن شعبة حدثنا قتادة عن أنس أن النبى ﷺ قال « يهرم ابن آدم ويبقى معه اثنتان : الحرص والأمل » أخرجاه فى الصحيحين وذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة الأحنف بن قيس واسمه الضحاك أنه رأى فى يد رجل درهما فقال : لمن هذا الدرهم ؟ فقال الرجل لى فقال إنما هو لك إذا أنفقته فى أجر أو ابتغاء شكر ثم أنشد الأحنف متمثلا قول الشاعر :

أنت للمال إذا أمسكته * فإذا أنفقته فالمال لك

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا أبو أسامة قال صالح بن حبان حدثنى عن ابن بريدة فى قوله (ألهاكم التكاثر) قال نزلت فى قبيلتين من قبائل الأنصار فى بنى حارثة وبنى الحارث تفاخروا وتكاثروا فقالت احداهما

فيكم مثل فلان بن فلان وفلان وقال الآخرون مثل ذلك تفاخروا بالأحياء ثم قالوا انطلقوا بنا إلى القبور فجلعت احدى الطائفتين تقول فيكم مثل فلان يشيرون إلى القبور ومثل فلان وفعل الآخرون مثل ذلك فأنزل الله (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) لقدكان لكم فيمارأيتم عبرة وشغل وقال قتادة (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) كانوا يقولون نحن أكثر من بني فلان ونحن أعد من بني فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم والصحيح أن المراد بقوله : زرتم المقابر أى صرتم إليها ودفنتم فيها كما جاء فى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على رجل من الأعراب يعوده فقال « لابأس طهور إن شاء الله » فقال : قلت طهور بل هى حمى تفور ، على شيخ كبير ،تزيره القبور ، قال « فنعم إذن » . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا محمد ابن سعيد الأصبهانى أخبرنا حكام بن سالم الرازى عن عمرو بن أبى قيس عن الحجاج عن النهال عن زر بن حبيش عن على قال ما زلنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) ورواه الترمذى عن أبى كريب عن حكام ابن سالم به وقال غريب ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا سلمة بن داود العرضى حدثنا أبو المليح الرقى عن ميمون بن مهران قال كنت جالسا عند عمر بن عبد العزيز فقرأ (ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر) فلبث هنيهة ثم قال ياميمون ما أرى المقابر إلازيارة وما للزائر بد من أن يرجع إلى منزله . قال أبو محمد يعنى أن يرجع إلى منزله أى إلى جنة أو إلى نار وهكذا ذكر أن بعض الأعراب سمع رجلا يتلو هذه الآية حتى زرتم المقابر فقال بعث اليوم ورب الكعبة أى إن الزائر سيرحل من مقامه ذلك إلى غيره ، وقوله تعالى (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) قال الحسن البصرى هذا وعيد بعد وعيد وقال الضحاك (كلا سوف تعلمون) يعنى أيها الكفار (ثم كلا سوف تعلمون) يعنى أيها المؤمنون ، وقوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين) أى لو علمتم حق العلم لما ألهاكم التكاثر عن طلب الدار الآخرة حتى صرتم إلى المقابر ثم قال (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) هذا تفسير الوعيد المتقدم وهو قوله (كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون) توعدهم بهذا الحال وهو رؤية أهل النار التى إذا زفرت زفرة واحدة خر كل ملك مقرب ونبى مرسل على ركبتيه من المهابة والعظمة ومعاينة الأهوال على ماجاء به الأثر المروى فى ذلك ، وقوله تعالى (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) أى ثم لتسئلن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبوزرعة حدثنا زكريا بن يحيى الجزار المقرى حدثنا عبد الله بن عيسى أبو خالد الجزار حدثنا يونس بن عبيد عن عكرمة عن ابن عباس أنه سمع عمر بن الخطاب يقول : خرج رسول الله ﷺ عند الظهيرة فوجد أبا بكر فى المسجد فقال « ما أخرجك هذه الساعة ؟ » فقال أخرجنى الذى أخرجك يارسول الله قال وجاء عمر بن الخطاب فقال « ما أخرجك يا ابن الخطاب ؟ » قال أخرجنى الذى أخرجكما قال فقعد عمر وأقبل رسول الله ﷺ يحدثهما ثم قال « هل بكما من قوة تنطلقان إلى هذا النخل فتصيبان طعاما وشرابا وظلا ؟ » قلنا نعم قال « مروا بنا إلى منزل ابن التيهان أبى الهيثم الأنصارى » قال فتقدم رسول الله ﷺ بين أيدينا فسلم واستأذن ثلاث مرات وأم الهيثم من وراء الباب تسمع الكلام تريد أن يزيدها رسول الله صلى الله عليه وسلم من السلام فلما أراد أن ينصرف خرجت أم الهيثم تسعى خلفهم فقالت يارسول الله قد والله سمعت تسليمك ولكن أردت أن تزيدنى من سلامك فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم « خيرا » ثم قال « أين أبو الهيثم لاأراه » قالت يارسول الله هو قريب ذهب يستعذب الماء ادخلوا فانه يأتى الساعة إن شاء الله فبسطت بساطا تحت شجرة فجاء أبوالهيثم ففرح بهم وقرت عيناه بهم فصعد على نخلة فصرم لهم أعذاقا فقال له رسول الله ﷺ « حسبك يا أبا الهيثم » فقال يا رسول الله تأكلون من بسره ومن رطبه ومن تذنوبه ثم أتاهم بماء فشربوا عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذى تسألون عنه » هذا غريب من هذا الوجه وقال ابن جرير حدثنى الحسين بن على الصدائى حدثنا الوليد بن القاسم عن يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال بينا أبوبكر وعمر جالسان إذ جاءهما النبى صلى الله عليه وسلم فقال « ماأجلسكما ههنا ؟ » قالا: والذى

بعثك بالحق ما أخرجنا من بيوتنا إلا الجوع قال « والذى بعثنى بالحق ما أخرجنى غيره » فانطلقوا حتى أتوا بيت رجل من الأنصار فاستقبلتهم المرأة فقال لها النبى ﷺ « أين فلان ؟ » فقالت ذهب يستعذب لنا ماء فجاء صاحبهم يحمل قربته فقال مرحبا ما زار العباد شيء أفضل من نبى زارنى اليوم فعلق قربته بكرب نخلة وانطلق فجاءهم بعذق فقال النبى صلى الله عليه وسلم « ألا كنت اجتنيت » فقال أحببت أن تكونوا الذين تختارون على أعينكم ثم أخذ الشفرة فقال له النبى ﷺ « إياك والحلوب » فذبح لهم يومئذ فأكلوا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم « لتسئلن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا فهذا من النعيم » ورواه مسلم من حديث يزيد بن كيسان به ورواه أبو يعلى وابن ماجه من حديث المكارى عن يحيى بن عبيدالله عن أبيه عن أبى هريرة عن أبى بكر الصديق به ، وقد رواه أهل السنن الأربعة من حديث عبد الملك بن عمير عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه بنحو من هذا السياق وهذه القصة ، وقال الامام أحمد حدثنا شريح حدثنا حشرج عن أبى نضرة عن أبى عسيب يعنى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بى فدعانى فخرجت اليه ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج اليه ثم مر بعمر فدعاه فخرج اليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط « أطعمنا » فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال « لتسئلن عن هذا يوم القيامة » قال: فأخذ عمر العذق فضرب به الأرض حتى تناثر البسر قبل رسول الله ﷺ ثم قال يارسول الله إنا لمسئولون عن هذا يوم القيامة ؟ قال « نعم إلا من ثلاثة : خرقة لف بها الرجل عورته ، أو كسرة سد بها جوعته ، أو حجر يدخل فيه من الحر والقر » تفرد به أحمد ، وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الصمد حدثنا حماد حدثنا عمار سمعت جابر بن عبد الله يقول أكل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رطبا وشربوا ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هذا من النعيم الذى تسئلون عنه » ورواه النسائى من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن جابر به ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد حدثنا محمد بن عمرو عن صفوان بن سليم عن محمود بن الربيع قال لما نزلت (ألهاكم التكاثر) فقرأ حتى بلغ (لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله عن أى نعيم نسئل؟ وإنما هما الأسودان الماء والتمر وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر فعن أى نعيم نسئل ؟ قال « أما إن ذلك سيكون » وقال أحمد حدثنا أبو عامر عبد الملك بن عمرو حدثنا عبد الله بن سليمان حدثنا معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه عن عمه قال كنا فى مجلس فطلع علينا النبى صلى الله عليه وسلم وعلى رأسه أثر ماء فقلنا يارسول الله نراك طيب النفس قال « أجل » قال ثم خاض الناس فى ذكر الغنى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا بأس بالغنى لمن اتقى الله والصحة لمن اتقى الله خير من الغنى وطيب النفس من النعيم » ورواه ابن ماجه عن أبى بكر بن أبى شيبة عن خالد بن مخلد عن عبدالله بن سليمان به وقال الترمذى حدثنا عبد بن حميد حدثنا شبابة عن عبدالله بن العلاء عن الضحاك بن عبد الرحمن ابن عرزب الأشعرى قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول : قال النبى ﷺ « إن أول ما يسئل عنه — يعنى يوم القيامة — العبد من النعيم أن يقال له ألم نصح لك بدنك ونروك من الماء البارد » تفرد به الترمذى ورواه ابن حبان فى صحيحه من طريق الوليد بن مسلم عن عبد الله بن العلاء بن زبير به . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا مسدد حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو عن يحيى بن حاطب عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لما نزلت (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالوا يارسول الله لأى نعيم نسئل عنه وإنما هما الأسودان التمر والماء قال « إن ذلك سيكون » وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفيان هو ابن عيينة به ورواه أحمد عنه وقال الترمذى حسن وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبد الله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى عن الحكم بن أبان عن عكرمة قال لما أنزلت هذه الآية (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قالت الصحابة يارسول الله: وأى نعيم نحن فيه وإنما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير ؟ فأوحى الله إلى نبيه ﷺ : قل لهم أليس تحتذون النعال وتشربون الماء البارد ؟ فهذا من النعيم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا محمد بن سليمان بن الأصبهانى عن ابن أبى ليلة

أظنه عن عامر عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال « الأمن والصحة » وقال زيد بن أسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) يعني شبع البطون وبارد الشراب وظلال المساكن واعتدال الخلق ولذة النوم ، رواه ابن أبي حاتم بإسناده المتقدم عنه في أول السورة . وقال سعيد ابن جبير حتى عن شربة عسل . وقال مجاهد : عن كل لذة من لذات الدنيا ، وقال الحسن البصري من النعيم الغداء والعشاء وقال أبو قلابة : من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي وقول مجاهد أشمل هذه الأقوال . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم) قال النعيم صحة الأبدان والأسماع والأبصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو أعلم بذلك منهم وهو قوله تعالى (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) وثبت في صحيح البخاري وسنن الترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » ومعنى هذا أنهم مقصرون في شكر هاتين النعمتين لا يقومون بواجبهما ومن لا يقوم بحق ما وجب عليه فهو مغبون . وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا القاسم بن محمد بن يحيى المروزي حدثنا علي بن الحسين بن شقيق حدثنا أبو حمزة عن ليث عن أبي فزارة عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « ما فوق الإزار وظل الحائط وجر ، يحاسب به العبد يوم القيامة أو يسئل عنه » ثم قال لا نعرفه إلا بهذا الإسناد . وقال الإمام أحمد حدثنا بهز وعفان قالا حدثنا حماد قال عفان في حديثه قال إسحق ابن عبد الله عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « يقول الله عز وجل — قال عفان يوم القيامة — : يا ابن آدم حملتك على الخيل والإبل وزوجتك النساء وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك ؟ » تفرد به من هذا الوجه . آخر تفسير سورة التكاثر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة العصر وهي مكية ﴾

ذكروا أن عمرو بن العاص وفد على مسيلمة الكذاب وذلك بعد ما بعث رسول الله ﷺ وقبل أن يسلم عمرو فقال له مسيلمة ماذا أنزل على صاحبكم في هذه المدة ؟ فقال لقد أنزل عليه سورة وجيزة بليغة فقال : وما هي ؟ فقال (والعصر إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) ففكر مسيلمة هنيهة ثم قال وقد أنزل على مثلها ، فقال له عمرو وما هو ؟ فقال : يا وبر يا وبر وإنما أنت أذنان وصدر وسائرك حفر نقر ، ثم قال كيف ترى يا عمرو فقال له عمرو ، والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب . وقد رأيت أبا بكر الخرائطي أسند في كتابه المعروف ﴿ بمساوى الأخلاق ﴾ في الجزء الثاني منه شيئا من هذا أو قريبا منه . والوبر دويبة تشبه الهر أعظم شيء فيه أذناه وصدره وباقيه دميم فأراد مسيلمة أن يركب من هذا الهذيان ما يعارض به القرآن . فلم يرج ذلك على عابد الأوثان في ذلك الزمان . وذكر الطبراني من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبيد الله بن حفص قال كان الرجلان من أصحاب رسول الله إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر إلى آخرها ثم يسلم أحدهما على الآخر ، وقال الشافعي رحمه الله : لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾

العصر : الزمان الذي يقع فيه حركات بني آدم من خير وشر ، وقال مالك عن زيد بن أسلم : هو العصر ، والمشهور الأول فأقسم تعالى بذلك على أن الإنسان لفي خسر أي في خسارة وهلاك (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) فاستثنى من جنس الإنسان عن الخسران الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا الصالحات بجوارحهم (وتواصوا بالحق) وهو أداء

الطاعات ، وترك المحرمات (وتواصوا بالصبر) أى على المصائب والأقدار وأذى من يؤذى ممن يأمرونه بالمعروف وينهونه عن المنكر . آخر تفسير سورة العصر ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ، وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ * نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ * إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ * فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾

الهماز بالقول واللماز بالفعل يعنى يزدرى الناس وينتقص بهم ، وقد تقدم بيان ذلك فى قوله تعالى (هماز مشاء بنميم) قال ابن عباس: همزة لمزة ، طعان معياب . وقال الربيع بن أنس الهمزة يهمزه فى وجهه واللمزة من خلفه . وقال قتادة الهمزة واللمزة لسانه وعينه ويأكل لحوم الناس ويطعن عليهم . وقال مجاهد الهمزة باليد والعين واللمزة باللسان وهكذا قال ابن زيد . وقال مالك عن زيد بن أسلم همزة لحوم الناس ، ثم قال بعضهم المراد بذلك الأخنس بن شريق وقيل غيره وقال مجاهد هى عامة . وقوله تعالى (الذى جمع مالا وعدده) أى جمعه بعضه على بعض وأحصى عدده كقوله تعالى (وجمع فأوعى) قاله السدى وابن جرير وقال محمد بن كعب فى قوله (جمع مالا وعدده) ألهاه ماله بالنهار هذا إلى هذا فإذا كان الليل نام كأنه جيفة منتنة . وقوله تعالى (يحسب أن ماله أخلده) أى يظن أن جمعه المال يخلده فى هذه الدار (كلا) أى ليس الأمر كما زعم ولا كما حسب . ثم قال تعالى (لينبذن فى الحطمة) أى ليلقين هذا الذى جمع مالا فعدده فى الحطمة وهى اسم صفة من أسماء النار لأنها تحطم من فيها ولهذا قال (وما أدراك ما الحطمة ؟ نار الله الموقدة * التى تطلع على الأفئدة) قال ثابت البنانى : تحرقهم إلى الأفئدة وهم أحياء ثم يقول لقد بلغ منهم العذاب ثم يبكى وقال محمد بن كعب: تأكل كل شىء من جسده حتى إذا بلغت فؤاده حذو حلقه ترجع على جسده ، وقوله تعالى (إنها عليهم مؤصدة) أى مطبقة كما تقدم تفسيره فى سورة البلد . وقال ابن مردويه حدثنا عبدالله بن محمد حدثنا على ابن سراج حدثنا حماد بن حرزاد حدثنا شجاع بن أشرس حدثنا شريك عن عاصم عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ (إنها عليهم مؤصدة) قال: مطبقة . وقد رواه أبو بكر بن أبى شيبة عن عبد الله بن أسد عن إسماعيل ابن خالد عن أبى صالح قوله ولم يرفعه . وقوله تعالى (فى عمد ممددة) قال عطية العوفى عمد من حديد ، وقال السدى من نار ، قال شبيب بن بشر عن عكرمة عن ابن عباس (فى عمد ممددة) يعنى الأبواب هى الممددة ، وقال قتادة فى قراءة عبد الله بن مسعود إنها عليهم مؤصدة بعمد ممددة ، وقال العوفى عن ابن عباس أدخلهم فى عمد ممددة عليهم بعماد فى أعناقهم السلاسل فسدت بها الأبواب ، وقال قتادة كنا نحدث أنهم يعذبون بعمد فى النار واختاره ابن جرير وقال أبو صالح (فى عمد ممددة) يعنى القيود الثقال . آخر تفسير سورة ويل لكل همزة لمزة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الفيل وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾

هذه من النعم التى امتن الله بها على قريش فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود فأبادهم الله وأرغم آنافهم وخيب سعيهم وأضل عملهم وردهم بشر خيبة وكانوا قوما نصارى .

وكان دينهم إذا ذاك أقرب حالا مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان ولكن كان هذا من باب الارهاص والتوطئة لمبعث رسول الله ﷺ فانه فى ذلك العام ولد على أشهر الأقوال ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم ولكن صيانه للبيت العتيق الذى سنشرفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمى محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء . وهذه قصة أصحاب الفيل على وجه الايجاز والاختصار والتقريب ، قد تقدم فى قصة أصحاب الأخدود أن ذا نواس وكان آخر ملوك حمير وكان مشركا وهو الذى قتل أصحاب الأخدود وكانوا نصارى وكانوا قريبا من عشرين ألفا فلم يفلت منهم إلا دوس ذو ثعلبان فذهب فاستغاث بقيصر ملك الشام وكان نصرانيا فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة لكونه أقرب إليهم فبعث معه أميرين أرياط وأبرهة بن الصباح أبا يكسوم فى جيش كثيف فدخلوا اليمن فجاسوا خلال الديار واستلبوا الملك من حمير وهلك ذو نواس غريقا فى البحر واستقل الحبشة بملك اليمن وعليهم هذان الأميران أرياط وأبرهة فاختلفا فى أمرهما وتصاولا وتقاتلا وتصافا فقال أحدهما للآخر إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيشين بيننا ولكن ابرز إلى وأبرز إليك فأينا قتل الآخر استقل بعده بالملك فأجابه إلى ذلك فتبارزا وخلف كل واحد منهما قناة فحمل أرياط على أبرهة فضربه بالسيف فشرم أنفه وفمه وشق وجهه وحمل عتودة مولى أبرهة على أرياط فقتله ورجع أبرهة جريحا فداوى جرحه فبرأ واستقل بتدبير جيش الحبشة باليمن فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده ويحلف ليطأن بلاده ويجزن ناصيته فأرسل إليه أبرهة يترفق له ويصانعه وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه من تراب اليمن وجز ناصيته فأرسلها معه ويقول فى كتابه ليطأ الملك على هذا الجراب فيبر قسمه وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك فلما وصل ذلك إليه أعجبه منه ورضى عنه وأقره على عمله وأرسل أبرهة يقول للنجاشى إنى سأبنى لك كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها فشرع فى بناء كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء عالية الفناء مزخرفة الأرجاء سماها العرب القليس لارتفاعها لأن الناظر إليها تكاد تسقط قلنسوته عن رأسه من ارتفاع بنائها ، وعزم ابرهة لأشرم على أن يصرف حج العرب إليها كما يحج إلى الكعبة بمكة ونادى بذلك فى مملكته فكرهت العرب العدنانية والقحطانية ذلك وغضبت قريش لذلك غضبا شديدا حتى قصدها بعضهم وتوصل إلى أن دخلها ليلا فأحدث فيها وكر راجعا فلما رأى السدنة ذلك الحدث رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة وقالوا له إنما صنع هذا بعض قريش غضبا لبيتهم الذى ضاهيت هذا به فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرا حجرا . وذكر مقاتل بن سليمان أن فتية من قريش دخلوها فأججوا فيها نارا وكان يوما فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت إلى الأرض فتأهب أبرهة لذلك وصار فى جيش كثيف عرمرم لئلا يصده أحد عنه واستصحب معه فيلا عظيما كبير الجثة لم ير مثله يقال له محمود وكان قد بعثه إليه النجاشى ملك الحبشة لذلك ويقال كان معه أيضا ثمانية أفيال وقيل اثنا عشر فيلا غيره فالله أعلم ، يعنى ليهدم به الكعبة بأن يجعل السلاسل فى الأركان وتوضع فى عنق الفيل ثم يزجر ليلقى الحائط جملة واحدة ، فلما سمعت العرب بمسيره أعظموا ذلك جدا ورأوا أن حقا عليهم المحاجبه دون البيت ورد من أراده بكيد فخرج إليه رجل من أشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن أجابه من سائر العرب إلى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله وما يريده من هدمه وخرابه فأجابوه وقاتلوا أبرهة فهزمهم لما يريده الله عزوجل من كرامة البيت وتعظيمه وأسر ذو نفر فاستصحبه معه ثم مضى لوجهه حتى إذا كان بأرض خثعم اعترض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فقاتلوه فهزمهم أبرهة وأسر نفيل ابن حبيب فأراد قتله ثم عفا عنه واستصحبه معه ليدله فى بلاد الحجاز فلما اقترب من أرض الطائف خرج إليه أهلها ثقيف وصانعوه خيفة على بيتهم الذى عندهم الذى يسمونه اللات فأكرمهم وبعثوا معه أبا رغال دليلا فلما انتهى أبرهة إلى المغمس وهو قريب من مكة نزل به وأغار جيشه على سرح أهل مكة من الإبل وغيرها فأخذوه وكان فى السرح مائتا بعير لعبد المطلب ، وكان الذى أغار على السرح بأمر أبرهة أمير المقدمة وكان يقال له الأسود ابن مقصود فهجاه بعض العرب فيما ذكره ابن إسحاق وبعث أبرهة حناطة الحميرى إلى مكة وأمره أن يأتيه بأشرف

قريش وأن يخبره أن الملك لم يجىء لقتالكم إلا أن تصدوه عن البيت فجاء حناطة فدل على عبد المطلب بن هاشم وبلغه عن أبرهة ما قال : فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه وما لنا بذلك من طاقة ، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم فان يمنعه منه فهو بيته وحرمه ، وإن يخلى بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال له حناطة فاذهب معى إليه فذهب معه فلما رآه أبرهة أجله ، وكان عبد المطلب رجلا جسيما حسن المنظر ، ونزل أبرهة عن سريره وجلس معه على البساط ؟ وقال لترجمانه قل له ما حاجتك ؟ فقال الترجمان : إن حاجتى أن يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه، فقال له عبد المطلب :إنى أنا رب الإبل وإن للبيت ربا سيمنعه . قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك ، ويقال إنه ذهب مع عبد المطلب جماعة من أشراف العرب فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على أن يرجع عن البيت فأبى عليهم ورد أبرهة على عبد المطلب إبله ورجع عبد المطلب إلى قريش فأمرهم بالخروج من مكة والتحصن فى رءوس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرون على أبرهة وجنده، فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لا هم إن المرء يمـ * ـنع رحله فامنع رحالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

قال ابن إسحاق ثم أرسل عبد المطلب حلقة الباب ثم خرجوا إلى رءوس الجبال ، وذكر مقاتل بن سليمان أنهم تركوا عند البيت مائة بدنة مقلدة لعل بعض الجيش ينال منها شيئا بغير حق فينتقم الله منهم فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وكان اسمه محمودا وعبأ جيشه فلما وجهوا الفيل نحو مكة أقبل نفيل بن حبيب حتى قام إلى جنبه ثم أخذ بأذنه وقال ابرك محمود وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام ثم أرسل أذنه فبرك الفيل وخرج نفيل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فأبى فضربوا فى رأسه بالطبرزين وأدخلوا محاجن لهم فى مراقه فنزعوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا إلى اليمن فقام يهرول ووجهوه إلى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه إلى مكة فبرك . وأرسل الله عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها : حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا يصيب منهم أحدا إلا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق ويسألون عن نفيل ليدلهم على الطريق، هذا ونفيل على رأس الجبل مع قريش وعرب الحجاز ينظرون ماذا أنزل الله بأصحاب الفيل من النقمة ، وجعل نفيل يقول :

أين المفر والإله الطالب * والأشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن إسحاق وقال نفيل فى ذلك أيضا :

ألا حييت عنا يا ودينا * نعمنا كم منع الاصباح عينا
ودينة لو رأيت ولا ترينه * لدى جنب المحصب ما رأينا
إذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله إذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
فكل القوم تسأل عن نفيل * كأن على الحبشان دينا

وذكر الواقدى باسناده أنهم لما تعبئوا لدخول الحرم وهيئوا الفيل جعلوا لا يصرفونه إلى جهة من سائر الجهات إلا ذهب فيها فإذا وجهوه إلى الحرم ربض وصاح ، وجعل أبرهة يحمل على سائس الفيل وينهره ويضربه ليقهر الفيل على دخول الحرم وطال الفصل فى ذلك ، هذا وعبد المطلب وجماعة من أشراف مكة فيهم المطعم بن عدى وعمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم ومسعود بن عمرو الثقفى على حراء ينظرون ما الحبشة يصنعون وماذا يلقون من أمر الفيل

وهو العجب العجاب ، فبينما هم كذلك إذ بعث الله عليهم طيرا أبابيل أى قطعا قطعا صفرا دون الحمام وأرجلها حمر ومع كل طائر ثلاثة أحجار وجاءت فحلقت عليهم وأرسلت تلك الأحجار عليهم فهلكوا . وقال محمد بن إسحاق جاءوا بفيلين فأما محمود فربض وأما الآخر فشجع فحصب . وقال وهب بن منبه كان معهم فيلة فأما محمود وهو فيل الملك فربض ليقتدى به بقية الفيلة وكان فيها فيل تشجع فحصب فهربت بقية الفيلة وقال عطاء بن يسار وغيره ليس كلهم أصابه العذاب فى الساعة الراهنة بل منهم من هلك سريعا ومنهم من جعل يتساقط عضوا عضوا وهم هاربون وكان أبرهة ممن تساقط عضوا عضوا حتى مات ببلاد خثعم . وقال ابن إسحاق فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وأصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون . وذكر مقاتل بن سليمان أن قريشا أصابوا مالا جزيلا من أسلابهم وما كان معهم وأن عبد المطلب أصاب يومئذ من الذهب ماملأ حفرة قال ابن إسحاق وحدثنى يعقوب بن عتبة أنه حدث أن أول مارؤيت الحصبة والجدرى بأرض العرب ذلك العام وأنه أول مارؤى به مراثر الشجر الحرمل والحنظل والعسر ذلك العام وهكذا روى عن عكرمة من طريق جيد . قال ابن إسحاق فلما بعث الله محمدا ﷺ كان فيما يعد به على قريش من نعمته عليهم وفضله مارد عنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال (ألم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل* ألم يجعل كيدهم فى تضليل * وأرسل عليهم طيرا أبابيل * ترميهم بحجارة من سجيل * فجعلهم كعصف مأكول) (لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه قال ابن هشام الأبابيل الجماعات ولم تتكلم العرب بواحدة قال وأما السجيل فأخبرنى يونس النحوى وأبو عبيدة أنه عند العرب الشديد الصلب . قال وذكر بعض المفسرين أنهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وإنما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين قال والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب واحدته عصفة انتهى ماذكره ، وقد قال حماد بن سلمة عن عامر عن زر عن عبد الله وأبو سلمة بن عبد الرحمن (طيرا أبابيل) قال الفرق وقال ابن عباس والضحاك أبابيل يتبع بعضها بعضا وقال الحسن البصرى وقتادة الأبابيل الكثيرة وقال مجاهد أبابيل شتى متتابعة مجتمعة وقال ابن زيد الأبابيل المختلفة تأتى من ههنا ومن ههنا أتتهم من كل مكان وقال الكسائى سمعت بعض النحويين يقول: واحد الأبابيل إبيل

وقال ابن جرير حدثنى عبد الأعلى حدثنى داود عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث بن نوفل أنه قال فى قوله تعالى (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) هى الأقاطيع كالإبل المؤبلة وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن ابن عون عن ابن سيرين عن ابن عباس (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) قال لها خراطيم كخراطيم الطير وأكف كأكف الكلاب وحدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا حصين عن عكرمة فى قوله تعالى (طيرا أبابيل) قال كانت طيرا خضرا خرجت من البحر لها رءوس كرءوس السباع ، وحدثنا ابن بشار حدثنا ابن مهدى عن سفيان عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير (طيرا أبابيل) قال هى طيور سود بحرية فى مناقيرها وأظافيرها الحجارة وهذه أسانيد صحيحة وقال سعيد بن جبير كانت طيرا خضرا لها مناقير صفر تختلف عليهم وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء كانت الطير الأبابيل مثل التى يقال لها عنقاء مغرب ورواه عنهم ابن أبى حاتم . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو زرعة حدثنا عبيد الله بن محمد ابن أبى شيبة حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبى سفيان عن عبيد بن عمير قال لما أراد الله أن يهلك أصحاب الفيل بعث عليهم طيرا أنشئت من البحر أمثال الخطاطيف كل طير منها يحمل ثلاثة أحجار مجزعة حجرين فى رجليه وحجرا فى منقاره قال فجاءت حتى صفت على رءوسهم ثم صاحت وألقت ماقى أرجلها ومناقيرها فما يقع حجر على رأس رجل إلا خرج من دبره ولايقع على شىء من جسده إلا خرج من الجانب الآخر وبعث الله ريحا شديدة فضربت الحجارة فزادتها شدة فأهلكوا جميعا ، وقال السدى عن عكرمة عن ابن عباس: حجارة من سجيل، قال طين فى حجارة

سنك وكل وقد قدمنا بيان ذلك بما أغنى عن إعادته ههنا ، وقوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول) قال سعيد بن جبير يعنى التبن الذى تسميه العامة هبور وفى رواية عن سعيد ورق الحنطة ، وعنه أيضا العصف التبن والمأكول القصيل يجز للدواب وكذلك قال الحسن البصرى ، وعن ابن عباس العصف القشرة التى على الحبة كالغلاف على الحنطة

وقال ابن زيد العصف ورق الزرع وورق البقل إذا أكلته البهائم فراثته فصار دريا ، والمعنى أن الله سبحانه وتعالى أهلكهم ودمرهم وردهم بكيدهم وغيظهم لم ينالوا خيرا وأهلك عامتهم ولم يرجع منهم مخبر إلا وهو جريح كما جرى للملكهم أبرهة فانه انصدع صدره عن قلبه حين وصل إلى بلده صنعاء وأخبرهم بها جرى لهم ثم مات فملك بعده ابنه يكسوم ثم من بعده أخوه مسروق بن أبرهة . ثم خرج سيف بن ذى يزن الحميرى إلى كسرى فاستعانه على الحبشة فأنفذ معه من جيوشه فقاتلوا معه فرد الله اليهم ملكهم وما كان فى آبائهم من الملك وجاءته وفود العرب بالتهنئة . وقد قال محمد بن إسحاق : حدثنا عبد الله بن أبى بكير عن عمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة عن عائشة قالت: لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . ورواه الواقدى عن عائشة مثله ، ورواه عن أسماء بنت أبى بكر أنها قالت كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة حيث يذبح المشركون ذبائحهم ﴿ قلت ﴾ كان اسم قائد الفيل أنيسا . وقد ذكر الحافظ أبو نعيم فى كتاب دلائل النبوة من طريق ابن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن عثمان بن المغيرة قصة أصحاب الفيل ولم يذكر أن أبرهة قدم من اليمن وانما بعث على الجيش رجلا يقال له شمر بن مقصود وكان الجيش عشرين ألفا وذكر أن الطير طرقتهم ليلا فأصبحوا صرعى وهذا السياق غريب جدا وإن كان أبو نعيم قد قواه ورجحه على غيره والصحيح أن أبرهة الأشرم الحبشى قدم مكة كما دل على ذلك السياقات والأشعار . وهكذا روى عن ابن لهيعة عن الأسود عن عروة أن أبرهة بعث الأسود بن مقصود على كتيبة معهم الفيل ولم يذكر قدوم أبرهة نفسه ، والصحيح قدومه ولعل ابن مقصود كان على مقدمة الجيش والله أعلم . ثم ذكر ابن إسحاق شيئا من أشعار العرب فيما كان من قصة أصحاب الفيل فمن ذلك شعر عبدالله بن الزبعرى :

تنكلوا عن بطن مكة إنها ... كانت قديما لا يرام حريمها
لم تخلق الشعرى ليالى حرمت ... إذ لا عزيز من الأنام يرومها
سائل أمير الجيش عنها ما رأى ... فلسوف ينبى الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤوبوا أرضهم ... بل لم يعش بعد الإياب سقيمها
كانت بها عاد وجرهم قبلهم ... والله من فوق العباد يقيمها

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصارى المدنى :

ومن صنعه يوم فيل الحبو ... ش إذ كل ما بعثوه رزم ... محاجنهم تحت أقرابه
وقد شرموا أنفه فانخرم ... وقد جعلوا سوطه مغولا ... إذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه ... وقد باء بالظلم من كان ثم ... فأرسل من فوقهم حاصبا
يلفهم مثل لف القزم ... يحض على الصبر أحبارهم ... وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

وقال أبو الصلت بن ربيعة الثقفى ويروى لأمية بن أبى الصلت بن ربيعة :

إن آيات ربنا باقيات ... ما يمارى فيهن إلا الكفور ... خلق الليل والنهار فكل
مستبين حسابه مقدور ... ثم يجلو النهار رب رحيم ... بمهاة شعاعها منشور
حبس الفيل بالمغمس حتى ... صار يحبو كأنه معقور ... لازما حلقه الجران كما قطر
من ظهر كبكب محذور ... حوله من ملوك كندة أبطال ... ملاويث فى الحروب صقور
خلفوه ثم ابذعروا جميعا ... كلهم عظم ساقه مكسور
كل دين يوم القيامة عند ا ... له إلا دين الحنيفة بور

وقدقدمنا فى تفسير سورة الفتح أن رسول الله ﷺ لما أطل يوم الحديبية على الثنية التى تهبط به على قريش بركت ناقته فزجروها فألحت فقالوا خلأت القصواء أى حرنت فقال رسول الله ﷺ « ماخلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل — ثم قال — والذى نفسى بيده لا يسألونى اليوم خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أجبتهم إليها » ثم زجرها فقامت . والحديث من أفراد البخارى ، وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة « إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين وإنه قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس ألا فيبلغ الشاهد الغائب » . آخر تفسير سورة الفيل ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة لايلاف قريش وهى مكية ﴾

﴿ ذكر حديث غريب فى فضلها ﴾ قال البيهقى فى كتاب الخلافيات حدثنا أبو عبد الله الحافظ حدثنا بكر بن محمد ابن حمدان الصيرفى بمرو حدثنا أحمد بن عبد الله الزينبى حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثنا إبراهيم بن محمد بن ثابت ابن شرحبيل حدثنى عثمان بن عبد الله بن أبى عتيق عن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه عن جدته أم هانئ بنت أبى طالب أن رسول الله ﷺ قال « فضل الله قريشا بسبع خلال : إنى منهم وإن النبوة فيهم والحجابة والسقاية فيهم ، وإن الله نصرهم على الفيل وإنهم عبدوا الله عزوجل عشر سنين لايعبده غيرهم وإن الله أنزل فيهم سورة من القرآن — ثم تلا رسول الله ﷺ — (بسم الله الرحمن الرحيم * لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) »

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ * إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَآءِ وَالصَّيْفِ * فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ الَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴾

هذه السورة مفصولة عن التى قبلها فى المصحف الامام كتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وإن كانت متعلقة بما قبلها كما صرح بذلك محمد بن إسحاق وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم لأن المعنى عندهما حبسنا عن مكة الفيل وأهلكنا أهله لإيلاف قريش أى لائتلافهم واجتماعهم فى بلدهم آمنين وقيل المراد بذلك ما كانوا يألفونه من الرحلة فى الشتاء إلى اليمن وفى الصيف إلى الشام فى المتاجر وغير ذلك ثم يرجعون إلى بلدهم آمنين فى أسفارهم لعظمتهم عند الناس لكونهم سكان حرم الله فمن عرفهم احترمهم بل من صوفى اليهم وسار معهم أمن بهم وهذا حالهم فى أسفارهم ورحلتهم فى شتائهم وصيفهم وأما فى حال إقامتهم فى البلد فكما قال الله تعالى (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) ولهذا قال تعالى (لإيلاف قريش إيلافهم) بدل من الأول ومفسر له ولهذا قال تعالى (إيلافهم رحلة الشتاء والصيف) ، وقال ابن جرير : الصواب أن اللام لام التعجب كأنه يقول اعجبوا لإيلاف قريش ونعمتى عليهم فى ذلك ، قال وذلك لإجماع المسلمين على أنهما سورتان منفصلتان مستقلتان . ثم أرشدهم إلى شكر هذه النعمة العظيمة فقال (فليعبدوا رب هذا البيت) أى فليوحدوه بالعبادة كما جعل لهم حرما آمنا وبيتا محرما كما قال تعالى (قل إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شىء وأمرت أن أكون من المسلمين) وقوله تعالى (الذى أطعمهم من جوع) أى هو رب البيت وهو الذى أطعمهم من جوع (وآمنهم من خوف) أى تفضل عليهم بالأمن والرخص فليفردوه بالعبادة وحده لا شريك له ولا يعبدوا من دونه صنما ولا ندا ولا وثنا ولهذا من استجاب لهذا الأمر جمع الله له بين أمن الدنيا وأمن الآخرة ومن عصاه سلبهما منه كما قال تعالى (ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون * ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون) ، وقد قال ابن أبى حاتم حدثنا عبد الله ابن عمرو الغزى حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن ليث عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله

ﷺ يقول « ويل لكم قريش لئلاف قريش ثم قال حدثنا أبى حدثنا المؤمل بن الفضل الحرانى حدثنا عيسى يعنى ابن يونس عن عبد الله بن أبى زياد عن شهر بن حوشب عن أسامة بن زيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ويحكم يا معشر قريش اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف » هكذا رأيته عن أسامة بن زيد وصوابه عن أسماء بنت يزيد بن السكن أم سلمة الأنصارية رضى الله عنها فلعله وقع غلط فى النسخة أو فى أصل الرواية والله أعلم . آخر تفسير سورة لإيلاف قريش ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير السورة التى يذكر فيها الماعون وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ * وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾

يقول تعالى أرأيت يا محمد الذى يكذب بالدين وهو المعاد والجزاء والثواب (فذلك الذى يدع اليتيم) أى هو الذى يقهر اليتيم ويظلمه حقه ولا يطعمه ولا يحسن إليه (ولا يحض على طعام المسكين) كما قال تعالى (كلا بل لا تكرمون اليتيم * ولا تحاضون على طعام المسكين) يعنى الفقير الذى لا شىء له يقوم بأوده وكفايته ، ثم قال تعالى (فويل للمصلين * الذين هم عن صلاتهم ساهون) قال ابن عباس وغيره يعنى المنافقين الذين يصلون فى العلانية ولا يصلون فى السر ولهذا قال (للمصلين) الذين هم من أهل الصلاة وقد التزموا بها ثم هم عنها ساهون ، إما عن فعلها بالكلية كما قاله ابن عباس وإما عن فعلها فى الوقت المقدر لها شرعا فيخرجها عن وقتها بالكلية كما قاله مسروق وأبو الضحى وقال عطاء بن دينار : الحمد لله الذى قال (عن صلاتهم ساهون) ولم يقل فى صلاتهم ساهون ، وإما عن وقتها الأول فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا ، وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به ، وإما عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها ، فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشىء من ذلك قسط من هذه الآية ، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملى كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، تلك صلاة المنافق ، يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرنى الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا » فهذا آخر صلاة العصر التى هى الوسطى كما ثبت به النص إلى آخر وقتها وهو وقت كراهة ثم قام إليها فنقرها نقر الغراب لم يطمئن ولا خشع فيها أيضا ولهذا قال لا يذكر الله فيها إلا قليلا ولعله إنما حمله على القيام إليها مرآة الناس لا ابتغاء وجه الله فهو كما إذا لم يصل بالكلية . قال الله تعالى (إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا) وقال تعالى ههنا (الذين هم يراءون) . وقال الطبرانى حدثنا يحيى بن عبد الله بن عبدربه البغدادى حدثنى أبى حدثنا عبد الوهاب بن عطاء عن يونس عن الحسن عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « إن فى جهنم لواديا تستعيذ جهنم من ذلك الوادى فى كل يوم أربعمائة مرة أعد ذلك الوادى للمرائين من أمة محمد لحامل كتاب الله وللمتصدق فى غير ذات الله وللحاج إلى بيت الله وللخارج فى سبيل الله » وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة قال كنا جلوسا عند أبى عبيدة فذكروا الرياء فقال رجل يكنى بأبى يزيد سمعت عبد الله بن عمرو يقول : قال رسول الله ﷺ « من سمع الناس بعمله سمع الله به سامع خلقه وحقره وصغره » ورواه أيضا عن غندر ويحيى القطان عن شعبة عن عمرو بن مرة عن رجل عن عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ فذكره ، ومما يتعلق بقوله تعالى (الذين هم يراءون) أن من عمل عملا لله فاطلع عليه الناس فأعجبه ذلك ان هذا لا يعد رياء ، والدليل على ذلك ما رواه الحافظ أبو يعلى الموصلى فى مسنده حدثنا هارون بن معروف حدثنا مخلد بن يزيد حدثنا سعيد بن بشير حدثنا الأعمش

عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كنت أصلي فدخل علي رجل فأعجبني ذلك فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « كتب لك أجران: أجر السر وأجر العلانية » قال أبو علي هارون بن معروف بلغني أن ابن المبارك قال نعم الحديث للرائين وهذا حديث غريب من هذا الوجه وسعيد بن بشير متوسط وروايته عن الأعمش عزيزة وقد رواه غيره عنه ، قال أبو يعلى أيضا حدثنا محمد بن المثنى بن موسى حدثنا أبو داود حدثنا أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رجل يارسول الله الرجل يعمل العمل يسره فإذا اطلع عليه أعجبه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « له أجران أجر السر وأجر العلانية » وقد رواه الترمذي عن محمد بن المثنى وابن ماجه عن بندار كلاهما عن أبي داود الطيالسي عن أبي سنان الشيباني واسمه ضرار بن مرة ثم قال الترمذي غريب وقد رواه الأعمش وغيره عن حبيب عن أبي صالح مرسلا . وقد قال أبو جعفر بن جرير حدثني أبو كريب حدثنا معاوية ابن هشام عن شيبان النحوي عن جابر الجعفي حدثني رجل عن أبي برزة الأسلمي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت هذه الآية (الذين هم عن صلاتهم ساهون) :« الله أكبر هذا خير لكم من أن لو أعطى كل رجل منكم مثل جميع الدنيا هو الذي إن صلى لم يرج خير صلاته وإن تركها لم يخف ربه » فيه جابر الجعفي وهو ضعيف وشيخه مبهم لم يسم والله أعلم . وقال ابن جرير أيضا حدثني زكريا بن أبان المصري حدثنا عمرو بن طارق حدثنا عكرمة بن إبراهيم حدثني عبد الملك بن عمير عن مصعب بن سعد عن سعد بن أبي وقاص قال سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال « هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » قلت وتأخير الصلاة عن وقتها يحتمل تركها بالكلية ويحتمل صلاتها بعد وقتها شرعا أو تأخيرها عن أول الوقت وكذا رواه الحافظ أبو يعلى عن شيبان بن فروخ عن عكرمة بن إبراهيم به ثم رواه عن أبي الربيع عن جابر عن عاصم عن مصعب عن أبيه موقوفا: سهوا عنها حتى ضاع الوقت وهذا أصح إسنادا وقد ضعف البيهقي رفعه وصحح وقفه وكذلك الحاكم

وقوله تعالى (ويمنعون الماعون) أي لا أحسنوا عبادة ربهم ولا أحسنوا إلى خلقه حتى ولا باعارة ما ينتفع به ويستعان به مع بقاء عينه ورجوعه إليهم ، فهؤلاء لمنع الزكاة وأنواع القربات أولى وأولى ، وقد قال ابن أبي نجيح عن مجاهد قال على الماعون الزكاة وكذا رواه السدي عن أبي صالح عن علي وكذا روى من غير وجه عن ابن عمر وبه يقول محمد بن الحنفية وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وعطاء وعطية العوفي والزهري والحسن وقتادة والضحاك وابن زيد قال الحسن البصري إن صلى راءى وإن فاتته لم يأس عليها ويمنع زكاة ماله وفي لفظ صدقة ماله وقال زيد بن أسلم هم المنافقون ظهرت الصلاة فصلوها ، وخفيت الزكاة فمنعوها . وقال الأعمش وشعبة عن الحكم عن يحيى بن الخراز أن أبا العبيدين سأل عبد الله بن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاوره الناس بينهم من الفأس والقدر وقال السعودي عن سلمة بن كهيل عن أبي العبيدين أنه سئل ابن مسعود عن الماعون فقال هو ما يتعاطاه الناس بينهم من الفأس والقدر والدلو وأشباه ذلك . وقال ابن جرير حدثني محمد بن عبيد المحاربي حدثنا أبو الأحوص عن أبي إسحق عن أبي العبيدين وسعد بن عياض عن عبد الله قال كنا أصحاب محمد ﷺ نتحدث أن الماعون الدلو والفأس والقدر لا يستغنى عنهن وحدثنا خلاد بن أسلم أخبرنا النضر بن شميل أخبرنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت سعد بن عياض يحدث عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثله . وقال الأعمش عن إبراهيم عن الحارث بن سويد عن عبد الله أنه سئل عن الماعون فقال ما يتعاوره الناس بينهم الفأس والدلو وشبهه . وقال ابن جرير حدثنا عمرو بن علي الفلاس حدثنا أبو داود الطيالسي حدثنا أبو عوانة عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله قال كنا مع نبينا ﷺ ونحن نقول الماعون منع الدلو وأشباه ذلك . وقد رواه أبو داود والنسائي عن قتيبة عن أبي عوانة بإسناده نحوه ولفظ النسائي عن عبد الله قال: كل معروف صدقة ، وكنا نعد الماعون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم عارية الدلو والقدر . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله قال: الماعون العواري القدر والميزان والدلو وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس (ويمنعون الماعون) يعني متاع البيت وكذا قال مجاهد

وإبراهيم النخعى وسعيد بن جبير وأبو مالك وغير واحد انها العارية للأمتعة وقال ليث بن أبى سليم عن مجاهد عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال لم يجىء أهلها بعد وقال العوفى عن ابن عباس ويمنعون الماعون قال اختلف الناس فى ذلك فمنهم من قال يمنعون الزكاة ومنهم من قال يمنعون الطاعة ومنهم من قال يمنعون العارية رواه ابن جرير ثم روى عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية عن ليث بن أبى سليم عن أبى إسحق عن الحارث عن على : الماعون منع الناس الفأس والقدر والدلو ، وقال عكرمة رأس الماعون زكاة المال وأدناه المنخل والدلو والابرة رواه ابن أبى حاتم وهذا الذى قاله عكرمة حسن فانه يشمل الأقوال كلها وترجع كلها إلى شىء واحد وهو ترك المعاونة بمال أو منفعة ولهذا قال محمد ابن كعب ويمنعون الماعون قال المعروف . ولهذا جاء فى الحديث « كل معروف صدقة » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد الأشج حدثنا وكيع عن ابن أبى ذئب عن الزهرى (ويمنون الماعون) قال بلسان قريش المال . وروى ههنا حديثا غريبا عجيبا فى إسناده ومتنه فقال حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا قيس بن حفص الدارمى حدثنا دلهم بن دهيم العجلى حدثنا عائذ بن ربيعة النميرى حدثنى قرة بن دعموص النميرى أنهم وفدوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله ما تعهد إلينا ؟ قال « لا تمنعوا الماعون » قالوا يا رسول الله وما الماعون ؟ قال « فى الحجر وفى الحديدة وفى الماء » قالوا فأى الحديدة ؟ قال « قدوركم النحاس وحديد الفأس الذى تمتهنون به » قالوا ما الحجر ؟ قال « قدوركم الحجارة » غريب جدا ورفعه منكر وفى إسناده من لا يعرف والله أعلم . وقد ذكر ابن الأثير فى الصحابة ترجمة على النميرى فقال روى ابن مانع بسنده إلى عامر بن ربيعة بن قيس النميرى عن على بن فلان النميرى سمعت رسول الله ﷺ يقول « المسلم أخو المسلم إذا لقيه جاء بالسلام ويرد عليه ما هو خير منه لا يمنع الماعون » قلت يا رسول الله ما الماعون . قال « الحجر والحديد وأشباه ذلك » والله أعلم . آخر تفسير السورة ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الكوثر وهى مدنية وقيل مكية ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ * فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ * إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه متبسما إما قال لهم وإما قالوا له : لم ضحكت فقال رسول الله ﷺ « إنه أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا أعطيناك الكوثر) حتى ختمها فقال « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم قال « هو نهر أعطانيه ربى عز وجل فى الجنة عليه خير كثير ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد الكواكب يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتى ، فيقال إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك » هكذا رواه الإمام أحمد بهذا الإسناد الثلاثى وهذا السياق عن محمد بن فضيل عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك

وقد ورد فى صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء من نهر الكوثر وأن آنيته عدد نجوم السماء وقد روى هذا الحديث مسلم وأبو داود والنسائى من طريق على بن مسهر ومحمد بن فضيل كلاهما عن المختار بن فلفل عن أنس ، ولفظ مسلم قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا فى المسجد إذا أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسما قلنا ما أضحكك يا رسول الله . قال « لقد أنزلت على آنفا سورة » فقرأ (بسم الله الرحمن الرحيم * إنا اعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر * إن شانئك هو الأبتر) ثم قال « أتدررن ما الكوثر . — قلنا الله ورسوله أعلم قال — فانه نهر وعدنيه ربى عزوجل عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامة آنيته عدد النجوم فى السماء فيختلج العبد منهم فأقول رب إنه من أمتى ، فيقول إنك لا تدرى ما أحدث بعدك »

وقد استدل به كثير من القراء على أن هذه السورة مدنية وكثير من الفقهاء على أن البسملة من السورة وأنها منزلة معها . فأما قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) فقد تقدم فى هذا الحديث أنه نهر فى الجنة وقد رواه الإمام أحمد من طريق أخرى عن أنس فقال حدثنا عفان حدثنا حماد أخبرنا ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية (إنا أعطيناك الكوثر)

قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت الكوثر فاذا هو نهر يجرى ولم يشق شقا وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدى فى تربته فاذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ » . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن أبى عدى عن حميد عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دخلت الجنة فاذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ فضربت بيدى إلى مايجرى فيه الماء فاذا مسك أذفر قلت ماهذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر الذى أعطاكه الله عز وجل » ورواه البخارى فى صحيحه ومسلم من حديث شيبان بن عبد الرحمن عن قتادة عن أنس بن مالك قال لما عرج بالنبى صلى الله عليه وسلم إلى السماء قال « أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا ياجبريل ؟ قال هذا الكوثر » وهو لفظ البخارى رحمه الله . وقال ابن جرير حدثنا الربيع أخبرنا ابن وهب عن سليمان بن بلال عن شريك بن أبى نمر ، قال : سمعت أنس بن مالك يحدثنا قال لما أسرى برسول الله ﷺ مضى به جبريل فى السماء الدنيا فاذا هو بنهر عليه قصر من اللؤلؤ وزبرجد فذهب يشم ترابه فاذا هو مسك قال « ياجبريل ما هذا النهر ؟ قال هو الكوثر الذى خبأ لك ربك » وقد تقدم حديث الاسراء فى سورة سبحان من طريق شريك عن أنس عن النبى ﷺ وهو مخرج فى الصحيحين . وقال سعيد عن قتادة عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بينا أنا أسير فى الجنة إذ عرض لى نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف ، فقال الملك ـ الذى معه ـ أتدرى ماهذا ؟ هذا الكوثر الذى أعطاك الله ، وضرب بيده إلى أرضه فأخرج من طينه المسك » وكذا رواه سليمان بن طرخان ومعمر وهمام وغيرهم عن قتادة به . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن أبى شريح حدثنا أبو أيوب العباس حدثنا إبراهيم بن سعد حدثنى محمد بن عبد الوهاب ابن أخى ابن شهاب عن أبيه عن أنس قال سئل رسول الله ﷺ عن الكوثر فقال « هو نهر أعطانيه الله تعالى فى الجنة ترابه مسك أبيض من اللبن وأحلى من العسل ترده طير أعناقها مثل أعناق الجزر » قال أبو بكر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها »

وقال أحمد حدثنا أبو سلمة الخزاعى حدثنا الليث عن يزيد بن الهاد عن عبد الوهاب عن عبد الله بن مسلم بن شهاب عن أنس أن رجلا قال يارسول الله ما الكوثر ؟ قال « هو نهر فى الجنة أعطانيه ربى لهو أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر » قال عمر يارسول الله إنها لناعمة قال « آكلها أنعم منها ياعمر » رواه ابن جرير من حديث الزهرى عن أخيه عبد الله عن أنس أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكوثر فذكر مثله سواء . وقال البخارى حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها قال سألتها عن قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر) قالت نهر أعطيه نبيكم صلى الله عليه وسلم شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم ، ثم قال البخارى رواه زكريا وأبو الأحوص ومطرف عن أبى إسحاق ورواه أحمد والنسائى من طريق مطرف به

وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سفيان وإسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة قالت الكوثر نهر فى الجنة شاطئاه در مجوف ، وقال إسرائيل : نهر فى الجنة عليه من الآنية عدد نجوم السماء . وحدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب القمى عن حفص بن حميد عن شمر بن عطية عن شقيق أو مسروق قال : قلت لعائشة يا أم المؤمنين حدثينى عن الكوثر قالت : نهر فى بطنان الجنة ، قلت وما بطنان الجنة ؟ قالت وسطها حافتاه قصور اللؤلؤ والياقوت ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ والياقوت ، وحدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن أبى جعفر الرازى عن ابن أبى نجيح عن عائشة رضى الله عنها قالت : من أحب أن يسمع خرير الكوثر فليجعل اصبعيه فى أذنيه ، وهذا منقطع بين ابن أبى نجيح وعائشة وفى بعض الروايات عن رجل عنها ، ومعنى هذا أنه يسمع نظير ذلك لا أنه يسمعه نفسه والله أعلم . قال السهيلى ورواه الدارقطنى مرفوعا من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة عن النبى ﷺ . ثم قال البخارى حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال فى الكوثر هو الخير الذى أعطاه الله إياه ، قال أبو بشر قلت لسعيد بن جبير : فان ناسا يزعمون أنه نهر فى الجنة

فقال سعيد : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه ، ورواه أيضا من حديث هشيم عن أبى بشر وعطاء ابن السائب عن سعيد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال الكوثر الخير الكثير ، وقال الثورى عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال الكوثر الخير الكثير وهذا التفسير يعم النهر وغيره لان الكوثر من الكثرة وهو الخير الكثير ومن ذلك النهر كما قال ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير ومجاهد ومحارب بن دثار والحسن بن أبى الحسن البصرى حتى قال مجاهد هو الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ، وقال عكرمة هو النبوة والقرآن وثواب الآخرة وقد صح عن ابن عباس أنه فسره بالنهر أيضا فقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا عمر بن عبيد عن عطاء عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل ، وروى العوفى عن ابن عباس نحو ذلك ، وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا هشيم أخبرنا عطاء ابن السائب عن محارب بن دثار عن ابن عمر أنه قال الكوثر نهر فى الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الدر والياقوت ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل ، وكذا رواه الترمذى عن ابن حميد عن جرير عن عطاء ابن السائب به مثله موقوفا ، وقد روى مرفوعا فقال الإمام أحمد حدثنا على بن حفص حدثنا ورقاء قال : وقال عطاء عن محارب بن دثار عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب والماء يجرى على اللؤلؤ وماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل » وهكذا رواه الترمذى وابن ماجه وابن أبى حاتم وابن جرير من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به مرفوعا . وقال الترمذى حسن صحيح

وقال ابن جرير حدثنى يعقوب حدثنا ابن علية أخبرنا عطاء بن السائب قال : قال لى محارب بن دثار ماقال سعيد ابن جبير فى الكوثر ؟ قلت حدثنا عن ابن عباس أنه قال هو الخير الكثير فقال صدق والله إنه للخير الكثير ولكن حدثنا ابن عمر قال لما نزلت (إنا أعطيناك الكوثر) قال رسول الله ﷺ « الكوثر نهر فى الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت » . وقال ابن جرير حدثنى ابن البرقى حدثنا ابن مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى حمزة بن عبد المطلب يوما فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بنى النجار فقالت خرج يابنى الله آنفا عامداً نحوك فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار ، أولا تدخل يا رسول الله ؟ فدخل فقدمت اليه حيسا فأكل منه فقالت يارسول الله هنيئا لك ومريئا لقد جئت وأنا أريد أن آتيك فأهنيك وأمريك أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر فقال « أجل وعرضه ـ يعنى أرضه ـ ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » حرام بن عثمان ضعيف ولكن هذا سياق حسن وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث وكذلك أحاديث الحوض ، وهكذا روى عن أنس وأبى العالية ومجاهد وغير واحد من السلف أن الكوثر نهر فى الجنة ، وقال عطاء هو حوض فى الجنة ، وقوله تعالى (فصل لربك وانحر) أى كما أعطيناك الخير الكثير فى الدنيا والآخرة ومن ذلك النهر الذى تقدم صفته فأخلص لربك صلاتك المكتوبة والنافلة وتحرك فاعبده وحده لاشريك له وانحر على اسمه وحده لاشريك له كما قال تعالى (قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لاشريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) قال ابن عباس وعطاء ومجاهد وعكرمة والحسن يعنى بذلك نحر البدن ونحوها ، وكذا قال قتادة ومحمد بن كعب القرظى والضحاك والربيع وعطاء الخراسانى والحكم وسعيد بن أبى خالد وغير واحد من السلف وهذا بخلاف ما كان عليه المشركون من السجود لغير الله والذبح على غير اسمه كما قال تعالى (ولاتأكلوا مما لم يذكر اسم عليه وإنه لفسق) الآية ، وقيل المراد بقوله (وانحر) وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى تحت النحر يروى هذا عن على ولا يصح ، وعن الشعبى مثله وعن أبى جعفر الباقر (وانحر) يعنى رفع اليدين عند افتتاح الصلاة وقيل (وانحر) أى استقبل بنحرك القبلة ، ذكر هذه الأقوال الثلاثة ابن جرير . وقد روى ابن أبى حاتم ههنا حديثا منكرا جدا فقال حدثنا وهب بن إبراهيم القاضى سنة خمس وخمسين ومائتين حدثنا إسرائيل بن حاتم المروزى حدثنا

مقاتل بن حيان عن الأصبغ بن نباتة عن على بن أبى طالب قال لما نزلت هذه السورة على النبى صلى الله عليه وسلم (إنا أعطيناك الكوثر * فصل لربك وانحر) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يا جبريل ما هذه النحيرة التى أمرنى بها ربى ؟ » فقال : ليست بنحيرة ولكنه يأمرك إذا تحرمت للصلاة ارفع يديك إذا كبرت وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع وإذا سجدت فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين فى السموات السبع وإن لكل شىء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . وهكذا رواه الحاكم فى المستدرك من حديث إسرائيل بن حاتم به ، وعن عطاء الخراسانى (وانحر) أى ارفع صلبك بعد الركوع واعتدل وأبرز نحرك يعنى به الإعتدال رواه ابن أبى حاتم وكل هذه الأقوال غريبة جداً ، والصحيح القول الأول أن المراد بالنحر ذبح المناسك ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى العيد ثم ينحر نسكه ويقول « من صلى صلاتنا ونسك نسكنا فقد أصاب النسك ، ومن نسك قبل الصلاة فلا نسك له » فقام أبو بردة بن نيار فقال يارسول الله إنى نسكت شاتى قبل الصلاة وعرفت أن اليوم يوم يشتهى فيه اللحم قال « شاتك شاة لحم » قال فان عندى عناقا هى أحب إلى من شاتين أفتجزىء عنى ؟ قال « تجزئك ولا تجزىء أحداً بعدك » قال أبو جعفر بن جرير والصواب قول من قال إن معنى ذلك فاجعل صلاتك كلها لربك خالصا دون ماسواه من الأنداد والآلهة وكذلك نحرك اجعله له دون الأوثان شكراً له على ما أعطاك من الكرامة والخير الذى لا كفاء له وخصك به ، وهذا الذى قاله فى غاية الحسن ، وقد سبقه إلى هذا المعنى محمد بن كعب القرظى وعطاء . وقوله تعالى (إن شانئك هو الأبتر) أى إن مبغضك يا محمد ومبغض ما جئت به من الهدى والحق والبرهان الساطع والنور المبين هو الأبتر الأقل الأذل المنقطع ذكره قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة نزلت فى العاص بن وائل وقال محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان : قال كان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دعوه فانه رجل أبتر لا عقب له فإذا هلك انقطع ذكره فأنزل الله هذه السورة ، وقال شمر بن عطية نزلت فى عقبة بن أبى معيط ، وقال ابن عباس أيضا وعكرمة نزلت فى كعب بن الأشرف وجماعة من كفار قريش ، وقال البزار حدثنا زياد بن يحيى الحسانى حدثنا ابن أبى عدى عن داود عن عكرمة عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش أنت سيدهم ألا ترى إلى هذا الصنبر المنبتر من قومه ؟ يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال أنتم خير منه قال فنزلت (إن شانئك هو الأبتر) هكذا رواه البزار وهو إسناد صحيح ، وعن عطاء نزلت فى أبى لهب وذلك حين مات ابن لرسول الله ﷺ فذهب أبو لهب إلى المشركين فقال بتر محمد الليلة فأنزل الله فى ذلك (إن شانئك هو الأبتر)

وعن ابن عباس نزلت فى أبى جهل وعنه إن شانئك يعنى عدوك وهذا يعم جميع من اتصف بذلك ممن ذكر وغيرهم وقال عكرمة : الأبتر الفرد ، وقال السدى كانوا إذا مات ذكور الرجل قالوا بتر فلما مات أبناء رسول الله ﷺ قالوا بتر محمد فأنزل الله (إن شانئك هو الأبتر) وهذا يرجع إلى ما قلناه من أن الأبتر الذى إذا مات انقطع ذكره فتوهموا لجهلهم أنه إذا مات بنوه انقطع ذكره وحاشا وكلا بل قد أبقى الله ذكره على رءوس الأشهاد ، وأوجب شرعه على رقاب العباد ، مستمرا على دوام الآباد ، إلى يوم المحشر والمعاد ، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم التناد . آخر تفسير سورة الكوثر ، ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة قل يا أيها الكافرون وهى مكية ﴾

ثبت فى صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهذه السورة وبقل هو الله أحد فى ركعتى الطواف وفى صحيح مسلم من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بهما فى ركعتى الفجر . وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بضعا وعشرين مرة أو بضع عشرة مرة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وقال أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله بن الزبير حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال: رمقت

النبي صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين أوخمسا وعشرين مرة يقرأ فى الركعتين قبل الفجر والركعتين بعد المغرب بقل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد . وقال أحمد حدثنا أبو أحمد هو محمد بن عبدالله بن الزبير الزبيرى حدثنا سفيان هو الثورى عن أبى إسحاق عن مجاهد عن ابن عمر قال :رمقت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا وكان يقرأ فى الركعتين قبل الفجر بقل يا أيها الكافرين وقل هو الله أحد وكذا رواه الترمذى وابن ماجه من حديث أبى أحمد الزبيرى وأخرجه النسائى من وجه آخر عن أبى إسحاق به وقال الترمذى هذا حديث حسن ،وقد تقدم فى الحديث أنها تعدل ربع القرآن وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن . وقال الإمام أحمد حدثناهاشم بن القاسم حدثنا زهير حدثنا أبو إسحاق عن فروة بن نوفل هو ابن معاوية عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له « هل لك فى ربيبة لنا تكفلها ؟» قال أراها زينب قال ثم جاء فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عنها قال « ما فعلت الجارية ؟ »قال تركتها عند أمها قال « فمجىء ما جاء بك »قال جئت لتعلمنى شيئا أقوله عند منامى قال « اقرأ قل يا أيها الكافرين ثم نم على خاتمتها فانها براءة من الشرك » تفرد به أحمد . وقال أبو القاسم الطبرانى حدثنا أحمد بن عمر القطرانى حدثنا محمد بن الطفيل حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن جبلة بن حارثة وهو أخو زيد بن حارثة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا أويت إلى فراشك فاقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تمر بآخرها فانها براءة من الشرك » . وروى الطبرانى من طريق شريك عن جابر عن معقل الزبيدى عن عبد الرحمن بن[1] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه قرأ (قل يا أيها الكافرون) حتى يختمها . وقال الإمام أحمد حدثنا حجاج حدثنا شريك عن أبى إسحاق عن فروة بن نوفل عن الحارث بن جبلة قال قلت يا رسول الله علمنى شيئا أقوله عند منامى قال « إذا أخذت مضجعك من الليل فاقرأ قل يا أيها الكافرون فانها براءة من الشرك » والله أعلم

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾

هذه السورة سورة البراءة من العمل الذى يعمله المشركون وهى آمرة بالاخلاص فيه فقوله تعالى (قل يا أيها الكافرون) يشمل كل كافر على وجه الأرض ولكن المواجهون بهذا الخطاب هم كفار قريش وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبادة أو ثانهم سنة ويعبدون معبوده سنة فأنزل الله هذه السورة وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم فيها أن يتبرأ من دينهم بالكلية فقال (لا أعبد ما تعبدون) يعنى من الأصنام والأنداد (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وهو الله وحده لا شريك له ، فما ههنا بمعنى من ،ثم قال(ولا أنا عابد ما عبدتم *ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى ولا أعبد عبادتكم أى لا أسلكها ولا أقتدى بها وإنما أعبد الله على الوجه الذى يحبه ويرضاه ولهذا قال (ولا أنتم عابدون ما أعبد)أى لا تقتدون بأوامر الله وشرعه فى عبادته بل قد اخترعتم شيئا من تلقاء أنفسكم كما قال(إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى) فتبرأ منهم فى جميع ماهم فيه فان العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه فالرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه يعبدون الله بما شرعه ولهذا كان كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله أى لا معبود إلا الله ولا طريق إليه إلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم (لكم دينكم ولى دين) كما قال تعالى(وإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) وقال لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) . وقال البخارى يقال (لكم دينكم) الكفر (ولى دين) الإسلام ولم يقل دينى لأن الآيات بالنون فحذف الياء كما قال(فهو يهدين) (ويشفين) وقال غيره: لا أعبد ما تعبدون الآن ولا أجيبكم فيما بقى من عمرى ولا انتم عابدون ما أعبدو هم الذين قال(و ليزيدن

(١) كذا بالأصل .

كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا) انتهى ما ذكره ونقل ابن جرير عن بعض أهل العربية أن ذلك من باب التأكيد كقوله (فإن مع العسر يسرا * إن مع العسر يسرا) وكقوله (لترون الجحيم * ثم لترونها عين اليقين) وحكاه بعضهم كابن الجوزى وغيره عن ابن قتيبة فالله أعلم . فهذه ثلاثة أقوال ﴿ أولها ﴾ ما ذكرناه أولا ﴿ الثانى ﴾ ما حكاه البخارى وغيره من المفسرين أن المراد (لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى الماضى (ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد) فى المستقبل ﴿ الثالث ﴾ أن ذلك تأكيد محض ﴿ وثم قول رابع ﴾ نصره أبو العباس بن تيمية فى بعض كتبه وهو أن المراد بقوله (لا أعبد ما تعبدون) نفى الفعل لأنها جملة فعلية (ولا أنا عابد ما عبدتم) نفى قبوله لذلك بالكلية لأن النفى بالجملة الاسمية آكد فكأنه نفى الفعل وكونه قابلا لذلك ومعناه نفى الوقوع ونفى الامكان الشرعى أيضا وهو قول حسن أيضا والله أعلم . وقد استدل الإمام أبو عبد الله الشافعى وغيره بهذه الآية الكريمة (لكم دينكم ولى دين) على أن الكفر كله ملة واحدة فورث اليهود من النصارى وبالعكس إذا كان بينهما نسب أو سبب يتوارث به لأن الأديان ما عدا الإسلام كلها كالشىء الواحد فى البطلان . وذهب أحمد بن حنبل ومن وافقه إلى عدم توريث النصارى من اليهود وبالعكس لحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « لا يتوارث أهل ملتين شتى » . آخر تفسير سورة قل يا أيها الكافرون

﴿ تفسير سورة إذا جاء نصر الله والفتح وهى مدنية ﴾

قد تقدم أنها تعدل ربع القرآن ، وإذا زلزلت تعدل ربع القرآن. وقال النسائى أخبرنا محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أخبرنا جعفر عن أبى العميس ح وأخبرنا أحمد بن سليمان حدثنا جعفر بن عون حدثنا أبو العميس عن عبد المجيد بن سهيل عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : قال لى ابن عباس يا ابن عتبة أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت ؟ قلت نعم : (إذا جاء نصر الله والفتح) قال صدقت . وروى الحافظان أبو بكر البزار والبيهقى من حديث موسى بن عبيدة البريدى عن صدقة بن يسار عن ابن عمر قال أنزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط أيام التشريق فعرف أنه الوداع فأمر براحلته القصواء فرحلت ثم قام فخطب الناس فذكر خطبته المشهورة . وقال الحافظ البيهقى أخبرنا على بن أحمد بن عبدان أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار حدثنا الاسقاطى حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا عباد بن العوام عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال « إنه قد نعيت إلى نفسى » فبكت ثم ضحكت وقالت أخبرنى أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ثم قال « اصبرى فانك أول أهلى لحاقا بى » فضحكت وقد رواه النسائى كما سيأتى بدون ذكر فاطمة

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر إنه ممن قد علمتم فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل (إذا جاء نصر الله والفتح) ؟ فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت لا ، فقال ما تقول ؟ فقلت هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال (إذا جاء نصر الله والفتح) فذلك علامة أجلك (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا) فقال عمر بن الخطاب لا أعلم منها إلا ما تقول . تفرد به البخارى . وروى ابن جرير عن محمد بن حميد عن مهران عن الثورى عن عاصم

عن أبي رزين عن ابن عباس فذكر مثل هذه القصة أو نحوها . وقال الامام أحمد حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعيت إلى نفسي » فانه مقبوض في تلك السنة تفرد به أحمد . وروى العوفي عن ابن عباس مثله وهكذا قال مجاهد وأبو العالية والضحاك وغير واحد إنها أجل رسول الله ﷺ نعي اليه . وقال ابن جرير حدثني إسماعيل بن موسى حدثنا الحسن بن عيسى الحنفي عن معمر عن الزهري عن أبي حازم عن ابن عباس قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة إذ قال « الله أكبر الله أكبر جاء نصر الله والفتح جاء أهل اليمن ـ قيل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال ـ قوم رقيقة قلوبهم لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » ثم رواه ابن عبد الأعلى عن ابن ثور عن معمر عن عكرمة مرسلا . وقال الطبراني حدثنا زكريا بن يحيى حدثنا أبو كامل الجحدري حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمه عن ابن عباس قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) حتى ختم السورة قال نعيت لرسول الله ﷺ نفسه حين نزلت قال فأخذ بأشد ما كان قط اجتهادا في أمر الآخرة ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح ونصر الله ، وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال « قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طباعهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان » وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين عن ابن عباس قال : لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) علم النبي صلى الله عليه وسلم أن قد نعيت اليه نفسه فقيل إذا جاء نصر الله والفتح السورة كلها ، حدثنا وكيع عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين أن عمر سأل ابن عباس عن هذه الآية (إذا جاء نصر الله والفتح) قال لما نزلت نعيت إلى رسول الله ﷺ نفسه

وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا أبي حدثنا جعفر بن عون عن أبي العميس عن أبي بكر ابن أبي الجهم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس قال آخر سورة نزلت من القرآن جميعا (إذا جاء نصر الله والفتح) وقال الامام أحمد أيضا حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي البختري الطائي عن أبي سعيد الخدري أنه قال لما نزلت هذه السورة (إذا جاء نصر الله والفتح) قرأها رسول الله ﷺ حتى ختمها فقال « الناس خير وأنا وأصحابي خير ـ وقال ـ لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » فقال له مروان كذبت وعنده رافع بن خديج وزيد بن ثابت قاعدان معه على السرير فقال أبو سعيد لو شاء هذان لحدثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصدقة فرفع مروان عليه الدرة ليضربه فلما رأيا ذلك قالا: صدق . تفرد به أحمد وهذا الذي أنكره مروان على أبي سعيد ليس بمنكر فقد ثبت من رواية ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم الفتح « لاهجرة ولكن جهاد ونية ، ولكن إذا استنفرتم فانفروا » أخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما فالذي فسر به بعض الصحابة من جلساء عمر رضي الله عنهم أجمعين من أنه قد أمرنا إذا فتح الله علينا المدائن والحصون أن نحمد الله ونشكره ونسبحه يعني نصلي له ونستغفره . معنى مليح صحيح وقد ثبت له شاهد من صلاة النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وقت الضحى ثماني ركعات فقال قائلون هي صلاة الضحى وأجيبوا بأنه لم يكن يواظب عليها فكيف صلاها ذلك اليوم وقد كان مسافرا لم ينو الإقامة بمكة ؟ ولهذا أقام فيها إلى آخر شهر رمضان قريبا من تسعة عشرة يوما يقصر الصلاة ويفطر هو وجميع الجيش وكانوا نحوا من عشرة آلاف قال هؤلاء وإنما كانت صلاة الفتح قالوا فيستحب لأمير الجيش إذا فتح بلدا أن يصلي فيه أول مايدخله ثماني ركعات وهكذا فعل سعد بن أبي وقاص يوم فتح المدائن ثم قال بعضهم يصليها كلها بتسليمة واحدة ، والصحيح أنه يسلم من كل ركعتين كما ورد في سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسلم يوم الفتح من كل ركعتين وأما مافسر به ابن عباس وعمر رضي الله تعالى عنهما من أن هذه السورة نعى فيها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم روحه الكريمة وأعلم أنك إذا فتحت مكة وهي قريتك التي أخرجتك ودخل الناس في دين الله أفواجا فقد فرغ شغلنا بك في الدنيا فتهيأ للقدوم علينا والوفود إلينا فالآخرة خير لك من الدنيا ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ولهذا قال (فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان

توابا) قال النسائى أخبرنا عمرو بن منصور حدثنا محمد بن محبوب حدثنا أبو عوانة عن هلال بن خباب عن عكرمة عن ابن عباس : قال لما نزلت (إذا جاء نصر الله والفتح) إلى آخر السورة قال نعيت لرسول صلى الله عليه وسلم نفسه حين أنزلت فأخذ فى أشد ما كان اجتهادا فى أمر الآخرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك « جاء الفتح وجاء نصر الله وجاء أهل اليمن » فقال رجل يارسول الله وما أهل اليمن ؟ قال «قوم رقيقة قلوبهم لينة قلوبهم، الإيمان يمان والحكمة يمانية والفقه يمان » وقال البخارى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا جرير عن منصور عن أبى الضحى عن مسروق عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى » يتأول القرآن وأخرجه بقية الجماعة إلا الترمذى من حديث منصور به . وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبى عدى عن داود عن الشعبى عن مسروق قال: قالت عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر فى آخر أمره من قول « سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه » وقال : «إن ربى كان أخبرنى أنى سأرى علامة فى أمتى وأمرنى إذا رأيتها أن أسبح بحمده واستغفره إنه كان توابا فقد رأيتها (إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك وأستغفره إنه كان توابا) » ورواه مسلم من طريق داود بن أبى هند به .وقال ابن جرير حدثنا أبو السائب حدثنا حفص حدثنا عاصم عن الشعبى عن أم سلمة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آخر أمره لا يقوم ولا يقعد ولا يذهب ولا يجىء إلا قال « سبحان الله وبحمده » فقلت يا رسول الله رأيتك تكثر من سبحان الله وبحمده لا تذهب ولا تجىء ولا تقوم ولا تقعد إلا قلت : سبحان الله وبحمده قال « إنى أمرت بها فقال (إذا جاء نصر الله والفتح) » إلى آخر السورة ، غريب ، وقد كتبنا حديث كفارة المجلس من جميع طرقه وألفاظه فى جزء مفرد فيكتب ههنا

وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عبد الله قال لما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم (إذا جاء نصر الله والفتح) كان يكثر إذا قرأها وركع أن يقول « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم » ثلاثا تفرد به أحمد . ورواه ابن أبى حاتم عن أبيه عن عمرو بن مرة عن شعبة عن أبى إسحاق به والمراد بالفتح ههنا فتح مكة قولا واحداً فان أحياء العرب كانت تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون إن ظهر على قومه فهو نبى فلما فتح الله عليه مكة دخلوا فى دين الله أفواجا فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانا ولم يبق فى سائر قبائل العرب إلا مظهر للاسلام ولله الحمد والمنة ، وقد روى البخارى فى صحيحه عن عمرو بن سلمة قال لما كان الفتح بادر كل قوم باسلامهم إلى رسول الله ﷺ وكانت الأحياء تتلوم باسلامها فتح مكة يقولون دعوه وقومه فان ظهر عليهم فهو نبى الحديث وقد حررنا غزوة الفتح فى كتابنا ﴿ السيرة ﴾ فمن أراده فليراجعه هناك ولله الحمد والمنة . وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا أبو إسحاق عن الأوزاعى حدثنى أبو عمار حدثنى جار لجابر بن عبد الله قال قدمت من سفر فجاءنى جابر بن عبدالله فسلم على فجعلت أحدثه عن افتراق الناس وما أحدثوا فجعل جابر يبكى ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا » . آخر تفسير سورة النصر ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة تبت وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ * سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ * وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ * فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴾

قال البخارى حدثنا محمد سلام حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد الجبل فنادى « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقال « أرأيتم إن

حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقونى ؟ — قالوا نعم ، قال — فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب ألهذا جمعتنا ، تبالك فأنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب) إلى آخرها . وفى رواية فقام ينفض يديه وهو يقول تبالك سائر اليوم ألهذا جمعتنا ؟ فأنزل الله (تبت يدا أبى لهب وتب) الأول دعاء عليه والثانى خبر عنه فأبو لهب هذا هو أحد أعمام رسول الله صلى الله عليه وسلم واسمه عبد العزى بن عبد المطلب وكنيته أبو عتيبة وإنما سمى أبا لهب لاشراق وجهه وكان كثير الاذية لرسول الله صلى الله عليه وسلم والبغضة له والا زدراء به والتنقص له ولدينه . قال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم بن أبى العباس حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال أخبرنى رجل يقال له ربيعة بن عباد من بنى الديل وكان جاهليا فأسلم قال : رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى الجاهلية فى سوق ذى المجاز وهو يقول « يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا » والناس مجتمعون عليه ووراءه رجل وضىء الوجه أحول ذو غديرتين يقول إنه صابىء كاذب ، يتبعه حيث ذهب فسألت عنه فقالوا هذا عمه أبو لهب ثم رواه عن شريح عن ابن أبى الزناد عن أبيه فذكره قال أبو الزناد قلت لربيعة كنت يومئذ صغيرا ؟ قال لا والله إنى يومئذ لأعقل أنى أزفر القربة تفرد به أحد . وقال محمد بن إسحاق حدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد الديلى يقول إنى لمع أبى رجل شاب أنظر إلى رسول الله ﷺ يتبع القبائل ووراءه رجل أحول وضىء الوجه ذو جمة يقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على القبيلة فيقول « يا بنى فلان إنى رسول الله إليكم آمركم أن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا وأن تصدقونى وتمنعونى حتى أنفذ عن الله ما بعثنى به » وإذا فرغ من مقالته قال الآخر من خلفه يا بنى فلان هذا يريد منكم أن تسلخوا اللات والعزى وحلفاءكم من الجن من بنى مالك بن أقيش إلى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تسمعوا له ولا تتبعوه فقلت لأبى من هذا ؟ قال عمه أبو لهب رواه أحمد أيضا والطبرانى بهذا اللفظ ، فقوله تعالى (تبت يدا أبى لهب) أى خسرت وخابت وضل عمله وسعيه (وتب) أى وقد تب تحقق خسارته وهلاكه . وقوله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) قال ابن عباس وغيره (وما كسب) يعنى ولده ، وروى عن عائشة ومجاهد وعطاء والحسن وابن سيرين مثله ، وذكر عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا قومه إلى الإيمان قال أبو لهب إن كان ما يقول ابن أخى حقا فانى أفتدى نفسى يوم القيامة من العذاب بمالى وولدى فأنزل الله تعالى (ما أغنى عنه ماله وما كسب) . وقوله تعالى (سيصلى ناراً ذات لهب) أى ذات شرر ولهب وإحراق شديد (وامرأته حمالة الحطب) وكانت زوجته من سادات نساء قريش وهى أم جميل واسمها أروى بنت حرب بن أمية وهى أخت أبى سفيان وكانت عونا لزوجها على كفره وجحوده وعناده فلهذا تكون يوم القيامة عونا عليه فى عذابه فى نار جهنم ، ولهذا قال تعالى (حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) يعنى تحمل الحطب فتلقى على زوجها ليزداد على ما هو فيه وهى مهيأة لذلك مستعدة له (فى جيدها حبل من مسد) قال مجاهد وعروة : من مسد النار ، وعن مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والثورى والسدى (حمالة الحطب) كانت تمشى بالنميمة واختاره ابن جرير . وقال العوفى عن ابن عباس وعطية الجدلى والضحاك وابن زيد كانت تضع الشوك فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن جرير وقيل كانت تعير النبى صلى الله عليه وسلم بالفقر وكانت تحتطب فعيرت بذلك كذا حكاه ولم يعزه إلى أحد والصحيح الأول والله أعلم قال سعيد بن المسيب كانت لها قلادة فاخرة فقالت لأنفقنها فى عداوة محمد يعنى فأعقبها الله منها حبلا فى جيدها من مسد النار . وقال ابن جرير : حدثنا أبو كريب حدثنا وكيع عن سليم مولى الشعبى عن الشعبى قال المسد الليف وقال عروة بن الزبير المسد : سلسلة ذرعها سبعون ذراعا ، وعن الثورى هو قلادة من نار طولها سبعون ذراعا ، وقال الجوهرى : المسد ، الليف ، والمسد أيضا حبل من ليف أو خوص وقد يكون من جلود الإبل أو أوبارها ومسدت الحبل أمسده مسداً إذا أجدت فتله

وقال مجاهد (فى جيدها حبل من مسد) أى طوق من حديد ألا ترى أن العرب يسمون البكرة مسدا ؟ وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى وأبو زرعة قالا حدثنا عبد الله بن الزبير الحميدى حدثنا سفيان حدثنا الوليد بن كثير عن أبى بدرس عن أسماء بنت أبى بكر قالت لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفى يدها فهر

وهى تقول : مذمما أبينا ودينه قلينا * وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد ومعه أبو بكر فلما رآها أبو بكر قال يا رسول الله قد أقبلت وأنا أخاف عليك أن تراك فقال رسول الله ﷺ « إنها لن ترانى » وقرأ قرآنا اعتصم به كما قال تعالى (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجا مستورا) فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ولم تر رسول الله ﷺ فقالت يا أبا بكر إنى أخبرت أن صاحبك هجانى قال لا ورب هذا البيت ما هجاك قولت وهى تقول قد علمت قريش أنى ابنة سيدها. قال: وقال الوليد فى حديثه أو غيره فعثرت أم جميل فى مرطها وهى تطوف بالبيت فقالت تعس مذمم فقالت أم حكيم بنت عبد المطلب إنى لحصان فما أكلم ، وثقاف فما أعلم ، وكلتانا من بنى العم ، وقريش بعد أعلم ، وقال الحافظ أبو بكر البزار حدثنا إبراهيم بن سعيد وأحمد بن إسحق قالا حدثنا أبو أحمد حدثنا عبد السلام بن حرب عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت (تبت يدا أبى لهب) جاءت امرأة أبى لهب ورسول الله ﷺ جالس ومعه أبو بكر فقال له أبو بكر لو تنحيت لا تؤذيك بشىء فقال رسول الله ﷺ « إنه سيحال بينى وبينها » فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك فقال أبو بكر لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به فقالت إنك لمصدق فلما ولت قال أبو بكر ما رأتك ؟ قال « لا ، ما زال ملك يسترنى حتى ولت » ثم قال البزار لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد عن أبى بكر رضى الله عنه . وقد قال بعض أهل العلم فى قوله تعالى (فى جيدها حبل من مسد) أى فى عنقها حبل من نار جهنم ترفع به إلى شفيرها ثم ترمى إلى أسفلها ثم كذلك دائما ، قال أبو الخطاب بن دحية فى كتابه التنوير وقد روى ذلك وعبر بالمسد عن حبل الدلو كما قال أبو حنيفة الدينورى فى كتاب النبات كل مسد رشاء وأنشد فى ذلك :

وبكرة وعورا صرارا * ومسدا من أبق مغارا

قال والأبق القنب . وقال آخر : يا مسد الخوص تعوذ منى * إن تك لدنا لينا فانى * ما شئت من أشمط مقسئن قال العلماء وفى هذه السورة معجزة ظاهرة ودليل واضح على النبوة فانه منذ نزل قوله تعالى (سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب * فى جيدها حبل من مسد) فأخبر عنهما بالشقاء وعدم الإيمان لم يقيض لهما أن يؤمنا ولا واحد منهما لا باطنا ولا ظاهرا ، لا مسرا ولا معلنا فكان هذا من أقوى الأدلة الباهرة الباطنة على النبوة الظاهرة. آخر تفسير السورة ، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورة الاخلاص وهى مكية ﴾

﴿ ذكر سبب نزولها وفضلها ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا أبو سعيد محمد بن ميسر الصاغانى حدثنا أبو جعفر الرازى حدثنا الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى بن كعب أن المشركين قالوا للنبى ﷺ يا محمد : انسب لنا ربك فأنزل الله تعالى (قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد) وكذا رواه الترمذى وابن جرير عن أحمد بن منيع زاد ابن جرير ومحمود بن خداش عن أبى سعيد محمد بن ميسر به زاد ابن جرير والترمذى قال (الصمد) الذى لم يلد ولم يولد لأنه ليس شىء يولد إلا سيموت وليس شىء يموت إلا سيورث وإن الله عز وجل لا يموت ولا يورث (ولم يكن له كفوا أحد) ولم يكن له شبيه ولا عدل وليس كمثله شىء . ورواه ابن أبى حاتم من حديث أبى سعيد محمد بن ميسر به ، ثم رواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبيد الله بن موسى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فذكره مرسلا ولم يذكر حدثنا ثم قال الترمذى وهذا أصح من حديث أبى سعيد

﴿ حديث آخر فى معناه ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا سريج بن يونس حدثنا إسماعيل بن مجالد عن مجالد عن الشعبى عن جابر رضى الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبى ﷺ فقال انسب لنا ربك فأنزل الله عز وجل (قل هو الله أحد) إلى آخرها إسناد متقارب ، وقد رواه ابن جرير عن محمد بن عوف عن سريج فذكره وقد أرسله غير

واحد من السلف وروى عبيد بن إسحق العطار عن قيس بن الربيع عن أبي عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : قالت قريش لرسول الله ﷺ انسب لنا ربك فنزلت هذه السورة (قل هو الله أحد) قال الطبراني ورواه الفريابي وغيره عن قيس عن أبي عاصم عن أبي وائل مرسلا ثم روى الطبراني من حديث عبد الرحمن بن عثمان الطرائفي عن الوازع بن نافع عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء نسبة ونسبة الله قل هو الله أحد. الله الصمد ، والصمد ليس بأجوف

(حديث آخر في فضلها) قال البخاري حدثنا محمد هو الذهلي حدثنا أحمد بن صالح حدثنا ابن وهب أخبرنا عمرو عن ابن أبي هلال أن أبا الرجال محمد بن عبد الرحمن حدثه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن وكانت في حجر عائشة زوج النبي ﷺ عن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ بعث رجلا على سرية وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بقل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال « سلوه لأي شيء يصنع ذلك » فسألوه فقال لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال النبي ﷺ « أخبروه أن الله تعالى يحبه » هكذا رواه في كتاب التوحيد ومنهم من يسقط ذكر محمد الذهلي ويجعله من روايته عن أحمد بن صالح، وقد رواه مسلم والنسائي أيضا من حديث عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال به

﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري في كتاب الصلاة وقال عبيد الله عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال كان رجل من الأنصار يؤمهم في مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة يقرأ بها لهم في الصلاة مما يقرأ به افتتح بقل هو الله أحد حتى يفرغ منها ثم كان يقرأ سورة أخرى معها وكان يصنع ذلك في كل ركعة فكلمه أصحابه فقالوا إنك تفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى فإما أن تقرأ بها وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، فقال ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وإن كرهتم تركتكم وكانوا يرون أنه من أفضلهم وكرهوا أن يؤمهم غيره فلما أتاهم النبي ﷺ أخبروه الخبر فقال يا فلان « ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك وما حملك على لزوم هذه السورة في كل ركعة » قال إني أحبها ، قال « حبك إياها أدخلك الجنة » هكذا رواه البخاري تعليقا مجزوما به . وقد رواه أبو عيسى الترمذي في جامعه عن البخاري عن إسماعيل بن أبي أويس عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن عبيد الله بن عمر فذكر بإسناده مثله سواء ثم قال الترمذي غريب من حديث عبيد الله عن ثابت . قال وروى مبارك بن فضالة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال يا رسول الله إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) قال « إن حبك إياها أدخلك الجنة » وهذا الذي علقه الترمذي قد رواه الإمام أحمد في مسنده متصلا فقال حدثنا أبو النضر حدثنا مبارك ابن فضالة عن ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني أحب هذه السورة (قل هو الله أحد) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « حبك إياها أدخلك الجنة » . ﴿ حديث في كونها تعدل ثلث القرآن ﴾ قال البخاري حدثنا إسماعيل حدثني مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أبيه عن أبي سعيد أن رجلا سمع رجلا يقرأ (قل هو الله أحد) يرددها فلما أصبح جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له وكأن الرجل يتقالها فقال النبي صلى الله عليه وسلم « والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » زاد إسماعيل بن جعفر عن مالك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه عن أبي سعيد قال أخبرني أخي قتادة بن النعمان عن النبي ﷺ وقد رواه البخاري أيضا عن عبد الله بن يوسف والقعنبي ، ورواه أبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة كلهم عن مالك به وحديث قتادة بن النعمان أسنده النسائي من طريقين عن إسماعيل بن جعفر عن مالك به . ﴿ حديث آخر ﴾ قال البخاري حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا إبراهيم والضحاك المشرقي عن أبي سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة » فشق ذلك عليهم وقالوا أينا يطيق ذلك يا رسول الله . فقال « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » تفرد بإخراجه البخاري من حديث إبراهيم بن يزيد النخعي والضحاك بن شرحبيل الهمداني المشرقي كلاهما عن أبي سعيد ، قال الفربري: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي حاتم وراق

أبي عبدالله قال : قال أبو عبدالله البخاري عن إبراهيم مرسل وعن الضحاك مسند .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا يحيى بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : بات قتادة بن النعمان يقرأ الليل كله بقل هو الله أحد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال « والذي نفسي بيده إنها لتعدل نصف القرآن ـ أو ثلثه ـ » ﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة حدثنا حيي بن عبد الله عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو أن أبا أيوب الأنصاري كان في مجلس وهو يقول : ألا يستطيع أحدكم أن يقوم بثلث القرآن كل ليلة ؟ فقالوا وهل يستطيع ذلك أحد ؟ قال فان (قل هو الله أحد) ثلث القرآن قال فجاء النبي ﷺ وهو يسمع أبا أيوب فقال « صدق أبو أيوب »

﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو عيسى الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد حدثنا يزيد بن كيسان أخبرني أبو حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « احشدوا فاني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » فحشد من حشد ثم خرج نبي الله ﷺ فقرأ (قل هو الله أحد) ثم دخل فقال بعضنا لبعض قال رسول الله ﷺ « فإني سأقرأ عليكم ثلث القرآن » إني لأرى هذا خبرا جاء من السماء ، ثم خرج نبي الله ﷺ فقال « إني قلت سأقرأ عليكم ثلث القرآن ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه مسلم في صحيحه عن محمد بن بشار به . وقال الترمذي حسن صحيح غريب واسم أبي حازم سلمان

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن زائدة بن قدامة عن منصور عن هلال بن يساف عن الربيع بن خيثم عن عمرو بن ميمون عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن امرأة من الأنصار عن أبي أيوب عن النبي ﷺ قال « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن في ليلة ؟ فانه من قرأ (قل هو الله أحد * الله الصمد) في ليلة فقد قرأ ليلتئذ ثلث القرآن » هذا حديث تساعي الاسناد للامام أحمد ورواه الترمذي والنسائي كلاهما عن محمد بن بشار بندار زاد الترمذي وقتيبة كلاهما عن عبد الرحمن بن مهدي به فصارلهما عشاريا ، وفي رواية الترمذي عن امرأة أبي أيوب عن أبي أيوب به وحسنه ثم قال وفي الباب عن أبي الدرداء وأبي سعيد وقتادة بن النعمان وأبي هريرة وأنس وابن عمر وأبي مسعود ، وهذا حديث حسن ولا نعلم أحدا روى هذا الحديث أحسن من رواية زائدة وتابعه على روايته إسرائيل والفضيل بن عياض . وقد روى شعبة وغير واحد من الثقات هذا الحديث عن منصور واضطربوا فيه .

﴿ حديث آخر ﴾ قال أحمد حدثنا هشيم عن حصين عن هلال بن يساف عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي بن كعب أو رجل من الأنصار قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ بقل هو الله أحد فكأنما قرأ بثلث القرآن » ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث هشيم عن حصين عن ابن أبي ليلى به . ولم يقع في روايته هلال بن يساف

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي قيس عن عمرو بن ميمون عن أبي مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن » وهكذا رواه ابن ماجة عن علي بن محمد الطنافسي عن وكيع به . ورواه النسائي في اليوم والليلة من طرق أخر عن عمرو بن ميمون مرفوعا وموقوفا .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا بهز حدثنا بكير بن أبي السميط حدثنا قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان ابن أبي طلحة عن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال ، « أيعجز أحدكم أن يقرأ كل يوم ثلث القرآن ؟ » قالوا نعم يا رسول الله نحن أضعف من ذلك وأعجز ، قال « فإن الله جزء القرآن ثلاثة أجزاء فقل هو الله أحد ثلث القرآن » ورواه مسلم والنسائي من حديث قتادة به

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد حدثنا أمية بن خالد حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم بن أخي ابن شهاب عن عمه الزهري عن حميد بن عبد الرحمن هو ابن عوف عن أمه وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط قالت : قال رسول الله ﷺ « قل هو الله أحد ، تعدل ثلث القرآن » وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة عن عمرو بن علي عن أمية بن خالد به ثم رواه من طريق مالك عن الزهري عن حميد بن عبد الرحمن قوله . ورواه النسائي أيضا في اليوم والليلة من

حديث محمد بن إسحاق عن الحارث بن الفضيل الأنصارى عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن أن نفرا من أصحاب محمد ﷺ حدثوه عن النبى ﷺ أنه قال « قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن لمن صلى بها » .

﴿ حديث آخر فى كون قراءتها توجب الجنة ﴾ قال الامام مالك بن أنس عن عبيد الله بن عبد الرحمن عن عبيد بن حنين قال سمعت أبا هريرة يقول : أقبلت مع النبى ﷺ فسمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال رسول الله ﷺ « وجبت - قلت وما وجبت قال - الجنة » ورواه الترمذى والنسائى من حديث مالك وقال الترمذى حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث مالك وتقدم حديث « حبك إياها أدخلك الجنة » ﴿ حديث فى تكرار قراءتها ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا قطر بن بشير حدثنا عيسى بن ميمون القرشى حدثنا يزيد الرقاشى عن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ قل هو الله أحد، ثلاث مرات فى ليلة فإنها تعدل ثلث القرآن » هذا إسناد ضعيف وأجود منه

﴿ حديث آخر ﴾ قال عبد الله بن الامام أحمد حدثنا محمد بن أبى بكر المقدمى حدثنا الضحاك بن مخلد حدثنا ابن أبى ذئب عن أسيد بن أبى أسيد عن معاذ بن عبد الله بن حبيب عن أبيه قال أصابنا عطش وظلمة فانتظرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى بنا فخرج فأخذ بيدى فقال « قل » فسكت قال « قل » قلت ما أقول ؟ قال « قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاثا ، تكفيك كل يوم مرتين » ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من حديث ابن أبى ذئب به . وقال الترمذى حسن صحيح غريب من هذا الوجه . وقد رواه النسائى من طريق أخرى عن معاذ بن عبد الله ابن حبيب عن أبيه عن عقبة بن عامر فذكره ولفظه « تكفك كل شىء » ﴿ حديث آخر فى ذلك ﴾ قال الامام أحمد حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنى ليث بن سعد حدثنى الخليل بن مرة عن الأزهر بن عبد الله عن تميم الدارى رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قال لا إله إلا الله واحدا أحدا صمدا لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولم يكن له كفوا أحد عشر مرات كتب الله له أربعين ألف ألف حسنة » تفرد به أحمد والخليل بن مرة ضعفه البخارى وغيره بمرة

﴿ حديث آخر ﴾ قال الامام أحمد أيضا حدثنا حسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان بن فائد عن سهل ابن معاذ بن أنس الجهنى عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد حتى يختمها عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة » فقال عمر إذا نستكثر يا رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ « الله أكثر وأطيب » تفرد به أحمد ورواه أبو محمد الدارمى فى مسنده فقال حدثنا عبد الله بن يزيد حدثنا حيوة حدثنا أبو عقيل وهو ابن معبد قال الدارمى وكان من الأبدال أنه سمع سعيد بن المسيب يقول إن نبى الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات بنى الله له قصرا فى الجنة ومن قرأها عشرين مرة بنى الله له قصرين فى الجنة ومن قرأها ثلاثين مرة بنى الله له ثلاثة قصور فى الجنة » فقال عمر بن الخطاب إذا نكثر قصورنا ، فقال رسول الله ﷺ « الله أوسع من ذلك » وهذا مرسل جيد ﴿ حديث آخر ﴾ قال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا نصر بن على حدثنى نوح بن قيس أخبرنى محمد العطار أخبرتنى أم كثير الأنصارية عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال « من قرأ قل هو الله أحد خمسين مرة غفر الله له ذنوب خمسين سنة » إسناده ضعيف ﴿ حديث آخر ﴾ قال أبو يعلى حدثنا أبو الربيع حدثنا حاتم بن ميمون حدثنا ثابت عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من قرأ قل هو الله أحد فى يوم مائتى مرة كتب الله له ألفا وخمسمائة حسنة إلا أن يكون عليه دين » إسناد ضعيف، حاتم بن ميمون ضعفه البخارى وغيره ورواه الترمذى عن محمد بن مرزوق البصرى عن حاتم بن ميمون به ولفظه « من قرأ كل يوم مائتى مرة قل هو الله أحد محى عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين »

قال الترمذى وبهذا الاسناد عن النبى ﷺ قال « من أراد أن ينام على فراشه فنام على يمينه ثم قرأ قل هو الله أحد مائة مرة فاذا كان يوم القيامة يقول له الرب عز وجل : ياعبدى ادخل على يمينك الجنة » ثم قال غريب من حديث ثابت ، وقد روى من غير هذا الوجه عنه، وقال أبو بكر البزار حدثنا سهل بن بحر حدثنا حبان بن أغلب حدثنا

أبي حدثنا ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد مائتي مرة حط الله عنه ذنوب مائتي سنة » ثم قال لانعلم رواه عن ثابت إلا الحسن بن أبي جعفر والأغلب بن تميم وهما متقاربان في سوء الحفظ ﴿ حديث آخر ﴾ في الدعاء بما تضمنته من الأسماء قال النسائي عند تفسيرها حدثنا عبد الرحمن بن خالد حدثنا زيد بن الحباب حدثني مالك بن مغول حدثنا عبدالله بن بريدة عن أبيه أنه دخل مع رسول الله ﷺ المسجد فإذا رجل يصلي يدعو يقول اللهم إني أسألك بأني أشهد أن لاإله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد قال « والذي نفسي بيده لقد سأله باسمه الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب » وقد أخرجه بقية أصحاب السنن من طرق عن مالك بن مغول عن عبد الله بن بريدة عن أبيه به ، وقال الترمذي حسن غريب ﴿ حديث آخر ﴾ في قراءتها عشر مرات بعد المكتوبة قال الحافظ أبو يعلى الموصلي حدثنا عبد الأعلى حدثنا بشر بن منصور عن عمر بن شيبان عن أبي شداد عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « ثلاث من جاء بهن مع الإيمان دخل من أي أبواب الجنة شاء وزوج من الحور العين حيث شاء من عفا عن قاتله وأدى دينا خفيا وقرأ في دبر كل صلاة مكتوبة عشر مرات قل هو الله أحد » قال : فقال أبو بكر أو إحداهن يارسول الله قال « أو إحداهن » ﴿ حديث ﴾ في قراءتها عند دخول المنزل قال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله بن بكر السراج العسكري حدثنا محمد بن الفرج حدثنا محمد بن الزبرقان عن مروان بن سالم عن أبي زرعة عن عمرو ابن جرير عن جرير بن عبدالله قال : قال رسول الله ﷺ « من قرأ قل هو الله أحد حين يدخل منزله نفت الفقر عن أهل ذلك المنزل والجيران » إسناده ضعيف ﴿ حديث ﴾ في الاكثار من قراءتها في سائر الأحوال قال الحافظ أبو يعلى حدثنا محمد بن إسحاق المسيبي حدثنا يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد الثقفي قال سمعت أنس بن مالك يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك فطلعت الشمس بضياء وشعاع ونور لم نرها طلعت فيما مضى بمثله فأتى جبريل إلى النبي ﷺ فقال « ياجبريل مالي أرى الشمس طلعت اليوم بضياء وشعاع ونور لم أرها طلعت بمثله فيما مضى ؟ » قال إن ذلك معاوية بن معاوية الليثي مات بالمدينة اليوم فبعث الله اليه سبعين ألف ملك يصلون عليه قال : « وفيم ذلك ؟ » قال كان يكثر قراءة قل هو الله أحد في الليل وفي النهار وفي ممشاه وقيامه وقعوده فهل لك يارسول الله أن أقبض الأرض فتصلي عليه : قال « نعم » فصلى عليه ، وكذا رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتاب دلائل النبوة من طريق يزيد بن هارون عن العلاء بن محمد وهو متهم بالوضع والله أعلم . ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو يعلى حدثنا محمد بن إبراهيم الشامي أبو عبدالله حدثنا عثمان بن الهيثم مؤذن مسجد الجامع بالبصرة عندي عن محمود أبي عبدالله عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس قال : نزل جبريل على النبي ﷺ فقال مات معاوية بن معاوية الليثي فتحب أن تصلي عليه ؟ قال « نعم » فضرب بجناحه الأرض فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت فرفع سريره فنظر اليه فكبر عليه وخلفه صفان من الملائكة في كل صف سبعون ألف ملك فقال النبي ﷺ « ياجبريل بم نال هذه المنزلة من الله تعالى » قال بحبه قل هو الله أحد وقراءته إياها ذاهبا وجائيا قائما وقاعدا وعلى كل حال . ورواه البيهقي من رواية عثمان بن الهيثم المؤذن عن محبوب بن هلال عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس فذكره وهذا هو الصواب ومحبوب بن هلال قال أبو حاتم الرازي ليس بالمشهور ، وقد روى هذا من طرق أخر تركناها اختصارا وكلها ضعيفة ﴿ حديث آخر ﴾ في فضلها مع المعوذتين قال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة حدثنا معاذ بن رفاعة حدثني علي بن يزيد عن القاسم عن أبي أمامة عن عقبة بن عامر قال لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله بم نجاة المؤمن ؟ قال : « ياعقبة أخرس لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك » قال ثم لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأني فأخذ بيدي فقال « ياعقبة بن عامر ألا أعلمك خير ثلاث سور أنزلت في التوراة والإنجيل والزبور والقرآن العظيم » قال : قلت بلى جعلني الله فداك قال : فأقرأني (قل هو الله أحد ـ ـ وقل أعوذ برب الفلق ـ ـ وقل أعوذ برب الناس) ثم قال « ياعقبة لاتنسهن ولاتبت ليلة حتى تقرأهن » قال فما نسيتهن منذ قال لاتنسهن وما بت ليلة قط حتى أقرأهن قال عقبة ثم لقيت رسول الله ﷺ فابتدأته فأخذت بيده فقلت يارسول الله أخبرني بفواضل الأعمال فقال : « ياعقبة صل من قطعك وأعط من حرمك وأعرض عمن ظلمك » روى الترمذي بعضه في الزهد من حديث عبدالله بن زحر عن علي بن يزيد فقال هذا حديث حسن وقد رواه أحمد من طريق

آخر حدثنا حسين بن محمد حدثنا ابن عباس عن أسيد بن عبد الرحمن الخثعمي عن فروة بن مجاهد اللخمي عن عقبة بن عامر عن النبي ﷺ فذكر مثله سواء تفرد به أحمد ﴿حديث آخر﴾ في الاستشفاء بهن قال البخاري حدثنا قتيبة حدثنا المفضل عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن النبي ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ فيهما قل هو الله أحد، وقل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يفعل ذلك ثلاث مرات » وهكذا رواه أهل السنن من حديث عقيل به

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾

قد تقدم ذكر سبب نزولها وقال عكرمة لما قالت اليهود نحن نعبد عزير بن الله، وقالت النصارى نحن نعبد المسيح ابن الله، وقالت المجوس نحن نعبد الشمس والقمر، وقالت المشركون نحن نعبد الأوثان أنزل الله على رسوله ﷺ (قل هو الله أحد) يعني هو الواحد الأحد الذي لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الاثبات إلا على الله عز وجل لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله. وقوله تعالى (الله الصمد) قال عكرمة عن ابن عباس يعني الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته. وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار، وقال الأعمش عن شقيق عن أبي وائل (الصمد) السيد الذي قد انتهى سؤدده ورواه عاصم عن أبي وائل عن ابن مسعود مثله

وقال مالك عن زيد بن أسلم (الصمد) السيد، وقال الحسن وقتادة هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن أيضا (الصمد) الحي القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة (الصمد) الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم، وقال الربيع بن أنس هو الذي لم يلد ولم يولد كأنه جعل ما بعده تفسيرا له وهو قوله (لم يلد ولم يولد) وهو تفسير جيد وقد تقدم الحديث من رواية ابن جرير عن أبي بن كعب في ذلك وهو صريح فيه، وقال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعكرمة أيضا وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وعطية العوفي والضحاك والسدي (الصمد) الذي لا جوف له. قال سفيان عن منصور عن مجاهد (الصمد) المصمت الذي لا جوف له، وقال الشعبي هو الذي لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب. وقال عبد الله بن بريدة أيضا (الصمد) نور يتلألأ، روى ذلك كله وحكاه ابن أبي حاتم والبيهقي والطبراني وكذا أبو جعفر بن جرير ساق أكثر ذلك بأسانيده، وقال حدثني العباس بن أبي طالب حدثنا محمد بن عمرو بن رومي عن عبيد الله بن سعيد قائد الأعمش حدثنا صالح بن حيان عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال لا أعلم إلا قد رفعه قال «الصمد الذي لا جوف له» وهذا غريب جدا والصحيح أنه موقوف على عبد الله بن بريدة

وقد قال الحافظ أبو القاسم الطبراني في كتاب السنة له بعد إيراده كثيرا من هذه الأقوال في تفسير الصمد وكل هذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل هو الذي يصمد إليه في الحوائج وهو الذي قد انتهى سؤدده، وهو الصمد الذي لا جوف له ولا يأكل ولا يشرب، وهو الباقي بعد خلقه. وقال البيهقي نحو ذلك. وقوله تعالى (لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أي ليس له ولد ولا والد ولا صاحبة. قال مجاهد (ولم يكن له كفوا أحد) يعني لا صاحبة له وهذا كما قال تعالى (بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء) أي هو مالك كل شيء وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه قال الله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيئا إدا * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا * أن دعوا للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا * إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا * لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون * لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) وقال تعالى (وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا، ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون سبحان الله عما يصفون) وفي الصحيح صحيح البخاري «لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله إنهم يجعلون له ولدا وهو يرزقهم ويعافيهم» وقال البخاري حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل

كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد» ورواه أيضا من حديث عبد الرزاق عن معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة مرفوعا بمثله تفرد بهما من هذين الوجهين . آخر تفسير سورة الاخلاص، ولله الحمد والمنة

﴿ تفسير سورتي المعوذتين وهما مدنيتان ﴾

قال الامام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش قال : قلت لأبي بن كعب إن ابن مسعود لا يكتب المعوذتين في مصحفه فقال : أشهد أن رسول الله ﷺ أخبرني أن جبريل عليه السلام قال له قل أعوذ برب الفلق فقلتها ، قال قل أعوذ برب الناس فقلتها فنحن نقول ما قال النبي ﷺ . ورواه أبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان ابن عيينة حدثنا عبدة بن أبي لبابة وعاصم بن بهدلة أنهما سمعا زر بن حبيش قال سألت أبي بن كعب عن المعوذتين فقلت يا أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يحك المعوذتين من المصحف فقال إني سألت رسول الله ﷺ فقال « قيل لي قل فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ . وقال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن عاصم عن زر قال سألت ابن مسعود عن المعوذتين فقال سألت النبي ﷺ عنهما فقال « قيل لي فقلت لكم فقولوا » قال أبي فقال لنا النبي ﷺ فنحن نقول ، وقال البخاري حدثنا علي بن عبد الله حدثنا سفيان حدثنا عبدة بن أبي لبابة عن زر بن حبيش ، وحدثنا عاصم عن زر قال سألت أبي بن كعب فقلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إني سألت النبي ﷺ فقال « قيل لي فقلت » فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ ورواه البخاري أيضا والنسائي عن قتيبة عن سفيان بن عيينة عن عبدة وعاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب به. وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا الأزرق بن علي حدثنا حسان بن إبراهيم حدثنا الصلت بن بهرام عن إبراهيم عن علقمة قال كان عبد الله يحك المعوذتين من المصحف ويقول إنما أمر رسول الله ﷺ أن يتعوذ بهما ولم يكن عبد الله يقرأ بهما ، ورواه عبد الله بن أحمد من حديث الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد قال كان عبد الله يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول إنهما ليستا من كتاب الله قال الأعمش وحدثنا عاصم عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال سألنا عنهما رسول الله ﷺ قال « قيل لي فقلت » وهذا مشهور عند كثير من القراء والفقهاء أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه فلعله لم يسمعهما من النبي ﷺ ولم يتواتر عنده ثم لعله قد رجع عن قوله ذلك إلى قول الجماعة فان الصحابة رضي الله عنهم أثبتوهما في المصاحف الأئمة ونفذوها إلى سائر الآفاق كذلك ولله الحمد والمنة . وقد روى مسلم في صحيحه حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن بيان عن قيس بن أبي حازم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس)» ورواه أحمد ومسلم أيضا والترمذي والنسائي من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن عقبة به وقال الترمذي حسن صحيح .

﴿ طريق أخرى ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا ابن جابر عن القاسم أبي عبد الرحمن عن عقبة بن عامر قال بينا أنا أقود برسول الله ﷺ في نقب من تلك النقاب إذ قال لي « يا عقبة ألا تركب » قال فأشفقت أن تكون معصية قال فنزل رسول الله ﷺ وركبت هنية ثم ركب ثم قال « يا عقب ألا أعلمك سورتين من خير سورتين قرأ بهما الناس » قلت بلى يا رسول الله فأقرأني (قل أعوذ برب الفلق) و (قل أعوذ برب الناس) ثم أقيمت الصلاة فتقدم رسول الله ﷺ فقرأ بهما ثم مر بي فقال « كيف رأيت يا عقب اقرأ بهما كلما نمت وكلما قمت» ورواه النسائي من حديث الوليد بن مسلم وعبد الله بن المبارك كلاهما عن ابن جابر به ورواه أبو داود والنسائي أيضا من حديث ابن وهب عن ميمون بن صالح عن العلاء بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن عقبة به ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا سعيد بن أبي أيوب حدثني يزيد بن عبد العزيز الرعيني وأبو مرحوم عن يزيد بن محمد القرشي عن علي بن رباح عن عقبة بن عامر قال : أمرني رسول الله ﷺ أن اقرأ بالمعوذات في دبر كل صلاة ورواه أبو داود والترمذي والنسائي من طرق عن علي بن أبي رباح وقال الترمذي غريب ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا محمد بن إسحاق حدثنا ابن لهيعة عن مشرح بن هاعان عن عقبة بن عامر قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم « اقرأ بالمعوذتين فانك لن تقرأ بمثلهما » تفرد به أحمد ﴿طريق أخرى﴾ قال أحمد حدثنا

حيوة بن شريح حدثنا بقية حدثنا بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن عقبة بن عامر أنه قال: إن رسول الله ﷺ أهديت له بغلة شهباء فركبها فأخذ عقبة يقود به فقال رسول الله ﷺ « اقرأ قل أعوذ برب الفلق » فأعادها له حتى قرأها فعرف أني لم أفرح بها جدا فقال « لعلك تهاونت بها ؟ فما قمت تصلي بشيء مثلها » . ورواه النسائي عن عمرو بن عثمان عن بقية به ، ورواه النسائي أيضا من حديث الثوري عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن نفير عن أبيه عن عقبة بن عامر أنه سأل رسول الله ﷺ عن المعوذتين فذكر نحوه ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا المعتمر سمعت النعمان عن زياد بن الأسد عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قال « إن الناس لم يتعوذوا بمثل هذين (قل أعوذ برب الفلق) و(قل أعوذ برب الناس) » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن أبي عجلان عن سعيد المقبري عن عقبة بن عامر قال كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « ياعقبة قل » قلت ماذا أقول ؟ فسكت عني ثم قال « قل » قلت ماذا أقول يارسول الله ؟ قال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأتها حتى أتيت على آخرها ، ثم قال « قل » فقلت ما ذا أقول يارسول الله ، قال « قل أعوذ برب الناس » فقرأتها ثم أتيت على آخرها ثم قال رسول الله ﷺ عند ذلك « ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعيذ بمثلها » ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن يسار حدثنا عبد الرحمن حدثنا معاوية عن العلاء بن الحارث عن مكحول عن عقبة بن عامر أن رسول الله ﷺ قرأ بهما في صلاة الصبح ﴿ طريق أخرى ﴾ قال النسائي أخبرنا قتيبة حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي عمران أسلم عن عقبة بن عامر قال : اتبعت رسول الله ﷺ وهو راكب فوضعت يدي على قدميه فقلت: أقرئني سورة هود أو سورة يوسف فقال « لن تقرأ شيئا أنفع عبد الله من قل أعوذ برب الفلق » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمود بن خالد حدثنا الوليد حدثنا أبو عمرو الأوزاعي عن يحيى بن عن أبي كثير عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي عبد الله بن عابس الجهني ان النبي ﷺ قال له « يا ابن عابس ألا أدلك — أو ألا أخبرك — بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون » قال بلى يارسول الله قال « قل أعوذ برب الفلق — وقل أعوذ برب الناس هاتان السورتان » فهذه طرق عن عقبة كالمتواترة عنه تفيد القطع عند كثير من المحققين في الحديث

وقد تقدم في رواية صدى بن عجلان وفروة بن مجاهد عنه « ألا أعلمك ثلاث سور لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلهن (قل هو الله أحد — و — قل أعوذ برب الفلق — و — قل أعوذ برب الناس) » .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل حدثنا الجريري عن أبي العلاء قال : قال رجل كنا مع رسول الله ﷺ في سفر والناس يعتقبون وفي الظهر قلة فحانت نزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلتي فلحقني فضرب منكبي فقال « قل أعوذ برب الفلق » فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأتها معه ثم قال (قل أعوذ برب الناس) فقرأها رسول الله ﷺ فقرأتها معه فقال « إذا صليت فاقرأ بهما » الظاهر أن هذا الرجل هو عقبة بن عامر والله أعلم . ورواه النسائي عن يعقوب بن إبراهيم عن ابن علية به ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أخبرنا محمد بن المثنى حدثنا محمد بن جعفر عن عبد الله بن سعيد حدثني يزيد بن رومان عن عقبة بن عامر عن عبد الله الأسلمي هو ابن أنيس أن رسول الله ﷺ وضع يده على صدره ثم قال « قل » فلم أدر ما أقول ثم قال لي « قل » قلت (هو الله أحد) ثم قال لي قل قلت (أعوذ برب الفلق من شر ما خلق) حتى فرغت منها ثم قال لي « قل » قلت (أعوذ برب الناس) حتى فرغت منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هكذا فتعوذ وما تعوذ المتعوذون بمثلهن قط » ﴿ حديث آخر ﴾ قال النسائي أنا عمرو بن علي أبو حفص حدثنا بدل حدثنا شداد بن سعيد أبو طلحة عن سعيد الجريري حدثنا أبو نضرة عن جابر بن عبد الله قال : قال لي رسول الله ﷺ « اقرأ يا جابر » قلت وما أقرأ بأبي أنت وأمي ؟ قال « اقرأ قل أعوذ برب الفلق — و — قل أعوذ برب الناس» فقرأتهما فقال «اقرأ بهما ولن تقرأ بمثلهما» وتقدم حديث عائشة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ بهن وينفث في كفيه ويمسح بهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، وقال الامام مالك عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث فلما اشتد وجعه كنت أقرأ عليه بالمعوذات وأمسح بيده عليه رجاء بركتها ورواه البخاري عن عبد الله بن يوسف ومسلم عن يحيى بن يحيى وأبو داود عن القعنبي والنسائي عن قتيبة ، ومن حديث ابن القاسم وعيسى بن يونس وابن ماجه من حديث معن وبشر بن عمر ثمانيتهم عن مالك به . وتقدم في آخر

سورة (ن) من حديث أبي نضرة عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ كان يتعوذ من أعين الجان وأعين الإنسان فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما وترك ما سواهما : رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وقال الترمذي حديث حسن صحيح

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾

قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عصام حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا حسن بن صالح عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر قال: الفلق الصبح وقال العوفي عن ابن عباس (الفلق) الصبح ، وروى عن مجاهد وسعيد بن جبير وعبد الله بن محمد بن عقيل والحسن وقتادة ومحمد بن كعب القرظي وابن زيد ومالك عن زيد بن أسلم مثل هذا قال القرظي وابن زيد وابن جرير وهي كقوله تعالى (فالق الاصباح) وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (الفلق) الخلق ، وكذا قال الضحاك أمر الله نبيه أن يتعوذ من الخلق كله، وقال كعب الأحبار (الفلق) بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره ورواه ابن أبي حاتم ثم قال حدثنا أبي حدثنا سهيل بن عثمان عن رجل سماه عن السدي عن زيد بن علي عن آبائه أنهم قالوا (الفلق) جب في قعر جهنم عليه غطاء فإذا كشف عنه خرجت منه نار تضج منه جهنم من شدة حر ما يخرج منه . وكذا روى عن عمرو بن عنبسة والسدي وغيرهم. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع منكر فقال ابن جرير حدثني إسحاق بن وهب الواسطي حدثنا مسعود بن موسى بن مشكان الواسطي حدثنا نصر بن خزيمة الخراساني عن شعيب بن صفوان عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال «الفلق جب في جهنم مغطى» إسناده غريب ولا يصح رفعه. وقال أبو عبد الرحمن الحبلي (الفلق) من أسماء جهنم قال ابن جرير والصواب القول الأول إنه فلق الصبح وهذا هو الصحيح وهو اختيار البخاري في صحيحه رحمه الله تعالى وقوله تعالى (من شر ما خلق) أي من شر جميع المخلوقات ، وقال ثابت البناني والحسن البصري جهنم وإبليس وذريته مما خلق (ومن شر غاسق إذا وقب) قال مجاهد غاسق الليل إذا وقب غروب الشمس حكاه البخاري عنه وكذا رواه ابن أبي نجيح عنه وكذا قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي والضحاك وخصيف والحسن وقتادة إنه الليل إذا أقبل بظلامه وقال الزهري (ومن شر غاسق إذا وقب) الشمس إذا غربت ، وعن عطية وقتادة إذا وقب الليل ذهب وقال أبو المهزم عن أبي هريرة (ومن شر غاسق إذا وقب) الكوكب وقال ابن زيد : كانت العرب تقول الغاسق سقوط الثريا وكانت الأسقام والطواعين تكثر عند وقوعها وترتفع عند طلوعها قال ابن جرير ولهؤلاء من الآثار ما حدثني نصر بن علي حدثني بكار عن عبد الله ابن أخي همام حدثنا محمد بن عبد العزيز بن عمر عن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «ومن شر غاسق إذا وقب ـ النجم الغاسق» ﴿قلت﴾ وهذا الحديث لا يصح رفعه إلى النبي ﷺ قال ابن جرير وقال آخرون هو القمر ﴿قلت﴾ وعمدة أصحاب هذا القول ما رواه الإمام أحمد حدثنا أبو داود الحفري عن ابن أبي ذئب عن الحارث بن أبي سلمة قال قالت عائشة رضي الله عنها أخذ رسول الله ﷺ بيدي فأراني القمر حين طلع وقال «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» ورواه الترمذي والنسائي في كتابي التفسير من سننهما من حديث محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ذئب عن خاله الحارث بن عبد الرحمن به وقال الترمذي حديث حسن صحيح ولفظه «تعوذي بالله من شر هذا ، فان هذا الغاسق إذا وقب » ولفظ النسائي «تعوذي بالله من شر هذا ، هذا الغاسق إذا وقب» قال أصحاب القول الأول وهو آية الليل إذا وجد لأن القمر آية الليل ولا يوجد له سلطان الا فيه وكذلك النجوم لا تضيء إلا بالليل فهو يرجع إلى ما قلناه والله أعلم . وقوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) قال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك. يعني السواحر قال مجاهد إذا رقين ونفثن في العقد وقال ابن جرير حدثنا ابن عبد الأعلى حدثنا ابن ثور عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال ما من شيء أقرب من الشرك من رقية الحية والمجانين وفي الحديث الآخر أن جبريل جاء إلى النبي ﷺ فقال اشتكيت يا محمد ؟ فقال «نعم» فقال باسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك ، ومن شر كل حاسد وعين ، الله يشفيك ولعل هذا كان من شكواه ﷺ حين سحر ثم عافاه الله تعالى وشفاه ورد كيد السحرة الحساد من اليهود في رؤوسهم وجعل تدميرهم في تدبيرهم وفضحهم ولكن مع هذا لم يعاتبه رسول الله ﷺ يوما من الدهر بل كفى الله وشفى وعافى. وقال الإمام أحمد حدثنا أمو معاوية حدثنا الأعمش عن يزيد بن

حبان عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فجاءه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لك عقدا في بئر كذا وكذا فأرسل إليها من يجيء بها فبعث رسول الله ﷺ فاستخرجها فجاء بها فحلها قال فقام رسول الله ﷺ كأنما نشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه حتى مات، ورواه النسائي عن هناد عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير

وقال البخاري في كتاب الطب من صحيحه حدثنا عبد الله بن محمد قال سمعت سفيان بن عيينة يقول أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد ما يكون من السحر إذا كان كذا فقال «يا عائشة أعلمت أن الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه؟ أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر ما بال الرجل؟ قال مطبوب، قال ومن طبه، قال لبيد بن أعصم رجل من بني زريق حليف اليهود كان منافقا، قال وفيم؟ قال في مشط ومشاطة، قال وأين؟ قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان» قالت فأتى البئر حتى استخرجه فقال «هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكان نخلها رءوس الشياطين» قال فاستخرج فقلت أفلا تنشرت؟ فقال «أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا» وأسنده من حديث عيسى بن يونس وأبي ضمرة أنس بن عياض وأبي أسامة ويحيى القطان وفيه قالت حتى كان يخيل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، وعنده فأمر بالبئر فدفنت وذكر أنه رواه عن هشام أيضا ابن أبي الزناد والليث بن سعد، وقد رواه مسلم من حديث أبي أسامة حماد بن أسامة وعبد الله بن نمير ورواه أحمد عن عفان عن وهب عن هشام به ورواه الإمام أحمد أيضا عن إبراهيم بن خالد عن معمر عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: لبث النبي ﷺ ستة أشهر يرى أنه يأتي ولا يأتي فأتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر ما باله؟ قال مطبوب، قال ومن طبه؟ قال لبيد بن الأعصم وذكر تمام الحديث وقال الأستاذ المفسر الثعلبي في تفسيره قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما كان غلام من اليهود يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدبت إليه اليهود فلم يزالوا به حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة من أسنان مشطه فأعطاها اليهود فسحروه فيها وكان الذي تولى ذلك رجل منهم يقال له ابن أعصم ثم دسها في بئر لبني زريق يقال له ذروان فمرض رسول الله ﷺ وانتثر شعر رأسه ولبث ستة أشهر يرى أنه يأتي النساء ولا يأتيهن وجعل يذوب ولا يدري ما عراه فبينما هو نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه ما بال الرجل؟ قال طب، قال وما طب قال سحر قال ومن سحره؟ قال لبيد بن الأعصم اليهودي قال وبم طبه قال بمشط ومشاطة قال واين هو قال في جف طلعة ذكر تحت راعوفة في بئر ذروان والجف قشر الطلع والراعوفة حجر في أسفل البئر ناتيء يقوم عليه الماتح، فانتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم مذعورا وقال «يا عائشة أما شعرت أن الله أخبرني بدائي» ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وعمار بن ياسر فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا الصخرة وأخرجوا الجف فإذا فيه مشاطة رأسه وأسنان من مشطه وإذا فيه وتر معقود فيه اثنا عشر عقدة مغروزة بالإبر، فأنزل الله تعالى السورتين فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد رسول الله صلى الله عليه وسلم خفة حين انحلت العقدة الأخيرة فقام كأنما نشط من عقال وجعل جبريل عليه السلام يقول باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من حاسد وعين، الله يشفيك. فقالوا يا رسول الله أفلا نأخذ الخبيث نقتله فقال رسول الله ﷺ «أما أنا فقد شفاني الله وأكره أن يثير على الناس شرا» هكذا أورده بلا إسناد وفيه غرابة وفي بعضه نكارة شديدة ولبعضه شواهد مما تقدم والله أعلم

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ * مَلِكِ ٱلنَّاسِ * إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ * مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ * ٱلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ ٱلنَّاسِ * مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴾

هذه ثلاث صفة من صفات الرب عز وجل الربوبية والملك والإلهية فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه فجميع الأشياء مخلوقة له مملوكة عبيد له فأمر المستعيذ أن يتعوذ بالمتصف بهذه الصفات من شر الوسواس الخناس وهو الشيطان الموكل بالإنسان فإنه ما من أحد من بني آدم إلا وله قرين يزين له الفواحش ولا يألوه جهدا في الخبال، والمعصوم من عصمه الله

وقد ثبت فى الصحيح أنه « مامنكم من أحد إلا قد وكل به قرينه » قالوا وأنت يارسول الله قال « نعم إلا أن الله أعانى عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير » ،وثبت فى الصحيحين عن أنس فى قصه زيارة صفية للنبى ﷺ وهو معتكف وخروجه معها ليلا ليردها إلى منزلها فلقيه رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال رسول الله « على رسلكما إنها صفية بنت حيي » فقالا سبحان الله يا رسول الله فقال « إن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما شيئا ـ أو قال شرا ـ » . وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا محمد بن بحر حدثنا عدى بن أبى عمارة حدثنا زياد النميرى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم فان ذكر الله خنس وإن نسى التقم قلبه فذلك الوسواس الخناس » غريب وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن عاصم سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف رسول الله ﷺ قال عثر بالنبى ﷺ حماره فقلت تعس الشيطان فقال النبى ﷺ « لا تقل تعس الشيطان فانك إذ قلت تعس الشيطان تعاظم وقال بقوتى صرعته وإذا قلت باسم الله تصاغر حتى يصير مثل الذباب » تفرد به أحمد إسناده جيد قوى وفيه دلالة على أن القلب متى ذكر الله تصاغر الشيطان وغلب وإن لم يذكر الله تعاظم وغلب. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو بكر الحنفى حدثنا الضحاك بن عثمان عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن أحدكم إذا كان فى المسجد جاء الشيطان فأبس به كما يبس الرجل بدابته فإذا سكن له زنقه أو ألجمه » قال أبو هريرة رضى الله عنه وأنتم ترون ذلك أما المزنوق فتراه مائلا كذا لا يذكر الله ،وأما الملجم ففاتح فاه لا يذكر الله عز وجل تفرد به أحمد وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس فى قوله (الواسواس الخناس) قال الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله خنس، وكذا قال مجاهد وقتادة وقال المعتمر بن سليمان عن أبيه ذكر لى ان الشيطان الوسواس ينفث فى قلب ابن آدم عند الحزن وعند الفرح فإذا ذكر الله خنس وقال العوفى عن ابن عباس فى قوله (الوسواس) قال هو الشيطان يأمر فإذا أطيع خنس

وقوله تعالى (الذى يوسوس فى صدور الناس) هل يختص هذا ببنى آدم كما هو الظاهر أو يعم بنى آدم والجن ؟ فيه قولان ويكونون قد دخلوا فى لفظ الناس تغليبا وقال ابن جرير وقد استعمل فيهم رجال من الجن فلا بدع فى إطلاق الناس عليهم وقوله تعالى (من الجنة والناس) هل هو تفصيل لقوله (الذى يوسوس فى صدور الناس) ثم بينهم فقال (من الجنة والناس)وهذا يقوى القول الثانى وقيل قوله (من الجنة والناس) تفسير للذى يوسوس فى صدور الناس من شياطين الإنس والجن كما قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا) وكما قال الإمام أحمد حدثنا وكيع حدثنا المسعودى حدثنا أبو عمرو الدمشقى حدثنا عبيد بن الخشخاش عن أبى ذر قال أتيت رسول الله ﷺ وهو فى المسجد فجلست فقال « يا أبا ذر هل صليت؟ » قلت لا قال « قم فصل » قال فقمت فصليت ثم جلست فقال « يا أبا ذر تعوذ بالله من شر شياطين الإنس والجن » قال :فقلت يارسول الله وللانس شياطين ؟ قال « نعم» قال : فقلت يارسول الله الصلاة؟ قال « خير موضوع من شاء أقل ومن شاء أكثر » قلت يارسول الله فالصوم؟ قال « فرض مجزىء وعند الله مزيد » قلت يارسول الله فالصدقة، قال « أضعاف مضاعفة » قلت يا رسول الله أيها أفضل ، قال « جهد من مقل أو سر إلى فقير » قلت يا رسول الله أى الأنبياء كان أول ، قال «آدم» قلت يا رسول الله ونبيا كان قال « نعم نبى مكلم » قلت يا رسول الله كم المرسلون ؟ قال « ثلثمائة وبضعة عشر جما غفيرا » وقال مرة «خمسة عشر» قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك عليك أعظم ، قال « آية الكرسى (الله لا إله إلا هو الحى القيوم)» ورواه النسائى من حديث أبى عمر الدمشقى به وقد أخرج هذا الحديث مطولا جدا أبو حاتم بن حبان فى صحيحه بطريق آخر ولفظ آخر مطول جدا فالله أعلم وقال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن سفيان عن منصور عن ذر بن عبد الله الهمدانى عن عبد الله بن شداد عن ابن عباس قال :جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إنى لأحدث نفسى بالشىء لأن أخر من السماء أحب إلى من أن أتكلم به قال :فقال النبى ﷺ « الله أكبر الله أكبر الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » ورواه أبو داود والنسائى من حديث منصور زاد النسائى والأعمش كلاهما عن ذر به .

﴿ آخر التفسير ، ولله الحمد والمنة والحمد لله رب العالمين ﴾

(ويتلوه فضائل القرآن للمؤلف أيضا وبه يتم الكتاب إن شاء الله ولله الحمد والمنة على التمام ، إنه ولى الانعام)

﴿ فهرس الجزء الرابع من تفسير ابن كثير ﴾

صفحة	
٢	تفسير سورة الصافات
١٣	تحطيم الأصنام
١٤	الذبيح إسماعيل عليه السلام
٢٦	تفسير سورة ص
٢٩	تسبيح الجبال والطير مع سيدنا داود
٤٤	تفسير سورة الزمر
٥١	ضرب الأمثال فى القرآن
٥٧	الحث على التوبة
٦٢	تفسير قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره
٦٣	النفخ فى الصور
٦٤	دخول الأشقياء النار
٦٥	دخول المتقين الجنة
٦٧	ذكر سعة أبواب الجنة
٦٩	تفسير سورة المؤمن
٧١	استجابة الدعاء للمؤمنين السابقين
٧٢	الأمر بإخلاص الدعاء لله وحده
٧٨	إرسال سيدنا يوسف إلى أهل مصر
٨٠	نصيحة مؤمن آل فرعون
٩٠	تفسير سورة فصلت
٩٥	شهادة الجوارح على الإنسان
١٠٠	فضل الداعى إلى الله
١٠٥	تفسير سورة الشورى
١٢٢	تفسير سورة الزخرف
١٣٧	تفسير سورة الدخان
١٤٧	تفسير سورة الجاثية
١٥٣	تفسير سورة الأحقاف
١٦٢	وفد الجن الذين استمعوا القرآن
١٧٢	تفسير سورة محمد ﷺ
١٨٢	تفسير سورة الفتح
١٨٦	ذكر سبب البيعة
١٩٣	فضل أصحاب رسول الله ﷺ
١٩٤	قصة صلح الحديبية

صفحة	
٢٠٥	تفسير سورة الحجرات
٢٢٠	تفسير سورة ق
٢٣١	تفسير سورة الذاريات
٢٣٨	تفسير سورة الطور
٢٤٦	تفسير سورة النجم
٢٦٠	تفسير سورة اقتربت الساعة
٢٦٩	تفسير سورة الرحمن
٢٨١	تفسير سورة الواقعة
٣٠٢	تفسير سورة الحديد
٣١٨	تفسير سورة المجادلة
٣٣٠	تفسير سورة الحشر
٣٤٢	أسماء الله الحسنى
٣٤٤	تفسير سورة الممتحنة
٣٥٢	مبايعة النساء
٣٥٦	تفسير سورة الصف
٣٦٢	تفسير سورة الجمعة
٣٦٨	تفسير سورة المنافقين
٣٧٣	تفسير سورة التغابن
٣٧٧	تفسير سورة الطلاق
٣٨٥	تفسير سورة التحريم
٣٩٤	تفسير سورة الملك
٤٠٠	تفسير سورة ن
٤١٢	تفسير سورة الحاقة
٤١٨	تفسير سورة المعارج
٤٢٤	تفسير سورة نوح
٤٢٨	تفسير سورة الجن
٤٣٤	تفسير سورة المزمل
٤٤٠	تفسير سورة المدثر
٤٤٧	تفسير سورة القيامة
٤٥٢	تفسير سورة الإنسان
٤٥٨	تفسير سورة المرسلات
٤٦١	تفسير سورة النبأ
٤٦٦	تفسير سورة النازعات
٤٧٠	تفسير سورة عبس

صفحة	
٤٧٤	تفسير سورة التكوير
٤٨٠	تفسير سورة الانفطار
٤٨٣	تفسير سورة المطففين
٤٨٧	تفسير سورة الانشقاق
٤٩١	تفسير سورة البروج
٤٩٧	تفسير سورة الطارق
٤٩٨	تفسير سورة الأعلى
٥٠١	تفسير سورة الغاشية
٥٠٥	تفسير سورة الفجر
٥١١	تفسير سورة البلد
٥١٥	تفسير سورة الشمس
٥١٧	تفسير سورة الليل
٥٢١	تفسير سورة الضحى
٥٢٤	تفسير سورة ألم نشرح
٥٢٦	تفسير سورة التين
٥٢٧	تفسير سورة العلق
٥٢٩	تفسير سورة القدر
٥٣٦	تفسير سورة البينة
٥٣٨	تفسير سورة الزلزلة
٥٤١	تفسير سورة العاديات
٥٤٢	تفسير سورة القارعة
٥٤٤	تفسير سورة التكاثر
٥٤٧	تفسير سورة العصر
٥٤٨	تفسير سورة الهمزة
٥٥٣	تفسير سورة الفيل
٥٥٣	تفسير سورة قريش
٥٥٤	تفسير سورة الماعون
٥٥٦	تفسير سورة الكوثر
٥٥٩	تفسير سورة الكافرون
٥٦١	تفسير سورة النصر
٥٦٣	تفسير سورة المسد
٥٦٥	تفسير سورة الإخلاص
٥٧٣	تفسير سورة الفلق
٥٧٤	تفسير سورة الناس

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فضـــائل القرآن

وهو ذيل

تفسير الحافظ بن كثير

وضعه فى آخر التفسير وجعله متمماً له

وجدناه فى آخر النسخة المكية الوحيدة المقابلة على نسخة المؤلف
ولكنه غير موجود فى النسخة المطبوعة بمطبعة بولاق

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كتاب فضائل القرآن ﴾

قال البخارى رحمه الله[1] (كيف ينزل الوحى ؟ وأول مانزل) قال ابن عباس : المهيمن الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب قبله . حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أبى سلمة ، قال أخبرتنى عائشة ، وابن عباس ، قالا : لبث النبى ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن ، وبالمدينة عشراً . اهـ

ذكر البخارى رحمه الله كتاب فضائل القرآن بعد كتاب التفسير لأن التفسير أهم فلهذا بدأ به ، فجرينا على منواله وسنته مقتدين به . وقول ابن عباس فى تفسير المهيمن إنما يريد به البخارى قوله تعالى فى المائدة بعد ذكر التوراة والإنجيل (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه) قال الإمام أبو جعفر بن جرير رحمه الله : ثنا المثنى ثنا عبدالله بن صالح حدثنى معاوية عن على - يعنى ابن أبى طلحة - عن ابن عباس قوله (ومهيمناً عليه) قال المهيمن الأمين قال القرآن أمين على كل كتاب قبله ، وفى رواية شهيداً عليه . وقال سفيان الثورى وغير واحد من الأئمة عن أبى إسحاق السبيعى عن التميمى عن ابن عباس (مهيمناً عليه) قال مؤتمنا ، وبنحو ذلك قال مجاهد والسدى وقتادة وابن جريج والحسن البصرى وغير واحد من أئمة السلف . وأصل الهيمنة الحفظ والارتقاب، يقال إذا رقب الرجل الشىء وحفظه وشهده قد هيمن فلان عليه فهو مهيمن هيمنة وهو عليه مهيمن . وفى أسماء الله تعالى (المهيمن) وهو الشهيد على كل شىء الرقيب الحفيظ بكل شىء[2] .

وأما الحديث الذى أسنده البخارى أنه عليه السلام أقام بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشراً فهو مما انفرد به البخارى دون مسلم وإنما رواه النسائى من حديث شيبان وهو ابن عبد الرحمن عن يحيى وهو ابن كثير عن أبى سلمة عنهما . وقال أبو عبيد القاسم بن سلام ثنا يزيد عن داود بن أبى هند عن عكرمة عن ابن عباس قال أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا فى ليلة القدر ثم نزل بعد ذلك فى عشرين سنة ثم قرأ (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) هذا إسناد صحيح .

أما إقامته بالمدينة عشراً فهذا مما لاخلاف فيه . وأما إقامته بمكة بعد النبوة فالمشهور ثلاث عشرة سنة لأنه عليه السلام أوحى إليه وهو ابن أربعين سنة وتوفى وهو ابن ثلاث وستين سنة على الصحيح . ويحتمل أنه حذف مازاد على العشر اختصاراً فى الكلام لأن العرب كثيراً مايحذفون الكسور فى كلامهم أو أنهما انما اعتبرا قرن جبريل عليه السلام ، فإنه قد روى الإمام أحمد أنه قرن به عليه السلام ميكائيل فى ابتداء الأمر يلقى إليه الكلمة والشىء ثم قرن

---

(١) أى فى كتاب فضائل القرآن فى أول باب منه ولم يذكر المؤلف لفظ باب .

(٢) هذا تفسير اللفظ ، والمعنى أن شهادة القرآن لكتب الأنبياء أو عليها هى الحق ومن شهادته أن أهل الكتاب حرفوا ونسوا حظاً مما ذكروا به وأنهم أوتوا نصيباً منه ، وجملة ذلك أنهم لم يحفظوا جميع كتبهم وأنهم حرفوا بعض ماحفظوه وكل هذا حق تؤيده الشواهد منها .

به جبريل . ووجه مناسبة هذا الحديث بفضائل القرآن أنه ابتدىء بنزوله فى مكان شريف وهو البلد الحرام ، كما أنه فى زمن شريف ، وهو شهر رمضان ، فاجتمع له شرف الزمان والمكان .

ولهذا يستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، لأنه ابتدىء بنزوله. ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله فى كل سنة فى شهر رمضان فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتاً . وأيضاً ففى الحديث بيان أنه (١) من القرآن مكى ، ومنه مدنى . فالمكى مانزل قبل الهجرة ، والمدنى مانزل بعد الهجرة سواء كان بالمدينة أو بغيرها من أى البلاد كان حتى ولو كان بمكة أو عرفة

وقد أجمعوا على سور أنها من المكى ، وأخر أنها من المدنى ، واختلفوا فى أخر . وأراد بعضهم ضبط ذلك بضوابط فى تقييدها عسر ونظر . ولكن قال بعضهم كل سورة فى أولها شىء من الحروف المقطعة فهى مكية ، إلا البقرة وآل عمران كما أن كل سورة فيها (ياأيها الذين آمنوا) فهى مدنية ، وما فيه (ياأيها الناس) فيحتمل أن يكون من هذا ومن هذا ، والغالب أنه مكى . وقد يكون مدنياً كما فى البقرة (ياأيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ـ ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيباً ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) .

قال أبو عبيد ثنا أبو معاوية ثنا من سمع الأعمش يحدث عن إبراهيم عن علقمة : كل شىء فى القرآن (ياأيها الذين آمنوا) فإنه أنزل بالمدينة ، وما كان منها (ياأيها الناس) فإنه أنزل بمكة . ثم قال ثنا على بن معبد عن أبى المليح عن ميمون بن مهران ، قال ما كان فى القرآن (ياأيها الناس ـ و ـ يابنى آدم) فإنه مكى ، وما كان (ياأيها الذين آمنوا) فإنه مدنى .

ومنهم من يقول : إن بعض السور نزل مرتين مرة بالمدينة ومرة بمكة والله أعلم . ومنهم من يستثنى من المكى آيات ، يدعى أنها من المدنى ، كما فى سورة الحج وغيرها .

والحق فى ذلك مادل عليه الدليل الصحيح فالله أعلم .

وقال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة قال : نزلت بالمدينة سورة البقرة، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنفال ، والتوبة ، والحج ، والنور ، والأحزاب ، والذين كفروا ، والفتح ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر ، والممتحنة ، والحواريون ، والتغابن ، و (ياأيها النبى إذا طلقتم النساء) ، و (ياأيها النبى لم تحرم) ، والفجر ، (والليل إذا يغشى) ، و (إنا أنزلناه فى ليلة القدر) ولم يكن و (إذا زلزلت) و (إذا جاء نصر الله) . وسائر ذلك بمكة هذا إسناد صحيح عن ابن أبى طلحة مشهور ، وهو أحد أصحاب ابن عباس الذين رووا عنه التفسير .

وقد ذكر فى المدنى سوراً فى كونها مدنية نظر . وما به الحجرات والمعوذات .

(الحديث الثانى (٢))

وقال البخارى ثنا موسى بن اسماعيل ، ثنا معتمر ، قال سمعت أبى ، عن أبى عثمان ، قال أنبئت أن جبريل عليه السلام أتى النبى ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث ، فقال النبى ﷺ « من هذا ؟ » (٣) أو كما قال ، قالت هذا

(١) كذا فى الأصل والمراد أن الشأن وإلا لقال : أن من القرآن مكياً الخ أو : أن القرآن منه مكى الخ .

(٢) الحديث الأول هو الذى بدأ به الكتاب ولم يضع له عنوانا (٣) عبارة البخارى : فقال لأم سلمة الخ ولم يذكر القائل ﷺ والمراد أنه ﷺ سألها ليعلم هل لكونه جبريل أو لكونه ملكا تمثل بصورة دحية بن خليفة الكلبى رضى الله عنه

دحية ، فلما قام قالت (١) والله ماحسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ بخبر جبريل ـ أو كما قال ـ قال أبي(٢) فقلت لأبي عثمان : ممن سمعت هذا ؟ قال من أسامة بن زيد رضى الله عنه .

وهكذا رواه أيضاً فى علامات النبوة عن عباس بن الوليد النرسى ، ومسلم فى فضائل أم سلمة عن عبد الأعلى بن حماد ومحمد بن عبد الأعلى كلهم عن معتمر بن سليمان به .

والغرض من إيراده هذا الحديث ههنا أن السفير بين الله وبين محمد ﷺ جبريل عليه السلام ، وهو ملك كريم ، ذو وجاهة وجلالة ومكانة ، كما قال تعالى (نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين) وقال تعالى (إنه لقول رسول كريم * ذى قوة عند ذى العرش مكين * مطاع ثم أمين * وما صاحبكم بمجنون) الآيات .

فمدح الرب تبارك وتعالى عبديه ورسوليه جبريل ومحمداً صلى الله وسلم عليهما ، وسنستقصى الكلام على تفسير هذا المكان فى موضعه إذا وصلنا إليه إن شاء الله تعالى وبه الثقة .

وفى الحديث فضيلة عظيمة لأم سلمة رضى الله عنها كما بينه مسلم رحمه الله لرؤيتها هذا الملك العظيم وفضيلة أيضاً لدحية بن خليفة الكلبي ، وذلك أن جبريل عليه السلام كان كثيراً مايأتى إلى رسول الله ﷺ على صورة دحية ، وكان جميل الصورة رضى الله عنه وكان من قبيلة أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي كلهم ينسبون إلى كلب بن وبرة ، وهم قبيلة من قضاعة وقضاعة قيل إنهم من عدنان وقيل من قحطان وقيل بطن مستقل بنفسه والله أعلم .

﴿ الحديث الثالث ﴾

حدثنا عبد الله بن يوسف ، ثنا الليث ، ثنا سعيد المقبرى عن أبيه ، عن أبى هريرة ، قال قال : النبي ﷺ « مامن الأنبياء نبي إلا أعطى مامثله آمن عليه البشر ، وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلىّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » .

ورواه أيضاً فى الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله ، ومسلم والنسائى عن قتيبة جميعاً عن الليث بن سعد عن سعيد بن أبى سعيد عن أبيه واسمه كيسان المقبرى به .

وفى هذا الحديث فضيلة عظيمة للقرآن المجيد على كل معجزة أعطيها نبي من الأنبياء وعلى كل كتاب أنزله ، وذلك أن معنى الحديث : مامن نبي إلا أعطى ـ أى من المعجزات ـ ما آمن عليه البشر ، أى ما كان دليلا على تصديقه فيما جاءهم به واتبعه من اتبعه من البشر ، ثم لما مات الأنبياء لم تبق لهم معجزة بعدهم إلا مايحكيه أتباعهم عما شاهدوه فى زمانه

وأما الرسول الخاتم للرسالة محمد ﷺ فإنما كان معظم ما آتاه الله وحياً منه إليه منقولا إلى الناس بالتواتر ، ففى كل حين هو كما أنزل . فلهذا قال « فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا » وكذلك وقع . فإن أتباعه أكثر من أتباع الأنبياء لعموم رسالته ، ودوامها إلى قيام الساعة واستمرار معجزته . ولهذا قال الله تعالى (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) وقال تعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)

ثم تقاصر معهم إلى عشر سور منه فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين) ثم تحداهم إلى أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا فقال (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة من مثله وادعوا من استطعتم من دول الله إن كنتم صادقين) وقصر التحدى على هذا المقام فى السور

---

(١) أى فلما قام النبي ﷺ من عندها أى وذهب إلى المسجد كما قالوا (٢) القائل هو معتمر

المكية . كما ذكرنا فى المدنية أيضا كما فى سورة البقرة حيث يقول تعالى (وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين) وأخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لايفعلون ذلك فى المستقبل أيضا

هذا وهم أفصح الخلق وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام وضروبه لكن جاءهم من الله مالا قبل لأحد من البشر به من الكلام الفصيح البليغ الوجيز المحتوى على العلوم الكثيرة الصحيحة النافعة ، والأخبار الصادقة ، عن الغيوب الماضية والآتية ، والأحكام العادلة المحكمة ، كما قال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا)

وقال الإمام أحمد بن حنبل : ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى ثنا محمد بن إسحاق قال ذكر محمد بن كعب القرظى عن الحارث بن عبد الله الأعور قال قلت : لآتين أمير المؤمنين فلأسألنه عما سمعت العشية ، قال فجئته بعد العشاء فدخلت عليه فذكر الحديث . قال ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « أتانى جبريل فقال يامحمد أمتك مختلفة بعدك ـ قال ـ فقلت له فأين المخرج ياجبريل ؟ ـ قال ـ فقال فى كتاب الله ، به يقصم الله كل جبار ، من اعتصم به نجا ومن تركه هلك — مرتين — قول فصل ، وليس بالهزل ، لاتخلقه الألسن ، ولا تفنى عجائبه ، فيه نبأ ما كان قبلكم ، وفصل مابينكم ، وخبر ماهو كائن بعدكم » هكذا رواه الإمام أحمد

وقد قال أبو عيسى الترمذى : ثنا عبد بن حميد ، ثنا حسين بن على الجعفى ، ثنا حمزة الزيات عن أبى المختار الطائى عن ابن أخى الحارث الأعور عن الحارث الأعور قال مررت فى المسجد فإذا الناس يخوضون فى أحاديث فدخلت على علىّ فقلت ياأمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا فى الأحاديث ؟ قال أوقد فعلوها ؟ قلت نعم ، قال أما إنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنها ستكون فتنة » فقلت فما المخرج منها يارسول الله ؟ قال « كتاب الله فيه نبأ ماقبلكم ، وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، هو الفصل ، ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين . وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط المستقيم . هو الذى لاتزيغ به الأهواء . ولا تلتبس به الألسنة . ولا يشبع منه العلماء . ولايخلق عن كثرة الرد . ولاتنقضى عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : (إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به) من قال به صدق . ومن عمل به أجر . ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » خذها إليك ياأعور . ثم قال هذا حديث غريب لانعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول ، وفى حديث الحارث مقال ﴿ قلت ﴾ لم ينفرد بروايته حمزة بن حبيب الزيات بل قد رواه محمد بن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى عن الحارث الأعور فبرئ حمزة من عهدته . على انه وإن كان ضعيف الحديث فإنه إمام فى القراءة . والحديث مشهور من رواية الحارث الأعور وقد تكلموا فيه بل قد كذبه بعضهم من جهة رأيه واعتقاده أما انه تعمد الكذب فى الحديث فلا ، والله أعلم .

وقصارى هذا الحديث أن يكون من كلام أمير المؤمنين على رضى الله عنه وقد وهم بعضهم فى رفعه وهو كلام حسن صحيح على أنه قد روى له شاهد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ

قال الإمام العلم أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله فى كتابه فضائل القرآن ثنا أبو اليقظان ثنا عمار بن محمد الثورى أو غيره عن إسحاق الهجرى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال « إن هذا القرآن مأدبة الله فتعلموا من مأدبته مااستطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، وهو النور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لايعوج فيقوّم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولاتنقضى عجائبه ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، فاتلوه فإن الله يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات ، أما انى لاأقول: الم، حرف ، ولكن ألف عشر ولام عشر وميم عشر »

وهذا غريب من هذا الوجه ورواه محمد بن فضيل عن أبى اسحاق الهجرى ، واسمه ابراهيم بن مسلم وهو أحد

التابعين ولكن تكلموا فيه كثيرا ، وقال أبو حاتم الرازى : لين ليس بالقوى وقال أبو الفتح الأزدى : رفاع كثير الوهم . ﴿ قلت ﴾ فيحتمل والله أعلم أن يكون وهم فى رفع هذا الحديث وإنما هو من كلام ابن مسعود ولكن له شاهد من وجه آخر والله أعلم

وقال أبو عبيد أيضاً ثنا حجاج عن اسرائيل عن أبى اسحاق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مسعود قال : لايسأل عبد عن نفسه إلا القرآن فإن كان يحب القرآن فإنه يحب الله ورسوله

﴿ الحديث الرابع ﴾

قال البخارى : ثنا عمرو بن محمد ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا أبى عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب قال أخبرنى أنس بن مالك أن الله تابع الوحى على رسوله ﷺ قبل وفاته حتى توفاه أكثرما كان الوحى ثم توفى رسول الله ﷺ بعد

وهكذا رواه مسلم عن عمرو بن محمد هذا - وهو الناقد - وحسن الحلوانى وعبد بن حميد والنسائى عن اسحاق ابن منصور الكوسج أربعتهم عن يعقوب بن ابراهيم بن سعد الزهرى به

ومعناه أن الله تعالى تابع نزول الوحى على رسوله ﷺ شيئا بعد شىء كل وقت بما يحتاج إليه ولم تقع فترة بعد الفترة الأولى التى كانت بعد نزول الملك أول مرة بقوله تعالى (اقرأ باسم ربك) فإنه استلبث الوحى بعدها حينا يقال قريبا من سنتين أو أكثر ثم حمى الوحى وتتابع وكان أول شىء نزل بعد تلك الفترة (يا أيها المدثر * قم فأنذر)

﴿ الحديث الخامس ﴾

حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن الأسود بن قيس قال سمعت جندبا يقول : اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أوليلتين فأتته امرأة فقالت يامحمد ما أرى شيطانك إلا تركك ، فأنزل الله تعالى (والضحى * والليل إذا سجى * ما ودعك ربك وماقلى)

وقد رواه البخارى فى غير موضع أيضا ومسلم والترمذى والنسائى من طرق أخر عن سفيان وهو الثورى وشعبة بن الحجاج كلاهما عن الأسود بن قيس العبدى عن جندب بن عبد الله البجلى به . وقد تقدم الكلام على هذا الحديث فى تفسير سورة الضحى

والمناسبة فى ذكر هذا الحديث والذى قبله فى فضائل القرآن أن الله تعالى له برسوله عناية عظيمة ومحبة شديدة حيث جعل الوحى متتابعا عليه ولم يقطعه عنه ولهذا إنما أنزل عليه القرآن مفرقا ليكون ذلك أبلغ فى العناية والاكرام

قال البخارى رحمه الله [1] : نزل القرآن بلسان قريش والعرب ، قرآنا عربيا بلسان عربى مبين ، حدثنا أبو اليمان ثنا شعيب عن الزهرى أخبرنى أنس بن مالك قال : فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن الحارث بن هشام أن ينسخوها فى المصاحف وقال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد فى عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فان القرآن نزل بلسانهم ، ففعلوا

هذا الحديث قطعة من حديث سيأتى قريبا الكلام عليه ، ومقصود البخارى منه ظاهر وهو أن القرآن نزل بلغة قريش وقريش خلاصة العرب ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ثنا يزيد بن شيبان ابن عبد الملك بن عمير عن جابر بن سمرة قال سمعت عمر بن الخطاب يقول : لا يملين فى مصاحفنا هذه إلا غلمان قريش أو غلمان ثقيف . وهذا إسناد صحيح .

---

(١) فى البخارى هنا كلمة ﴿ باب ﴾ والمؤلف لا يذكر الأبواب فيما ينقله هنا عن البخارى كما تقدم مثله .

وقال أيضا حدثنا إسماعيل بن أسد ثنا هوذة ثنا عوف عن عبد الله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الإمام أقعد له نفراً من أصحابه وقال إذا اختلفتم في اللغة فاكتبوها بلغة مضر فان القرآن نزل بلغة رجل من مضر ﷺ وقد قال الله تعالى (قرآناً عربياً غير ذى عوج لعلهم يتقون) وقال تعالى (وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربى مبين) وقال تعالى (وهذا لسان عربى مبين) وقال تعالى (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمى وعربى) الآية إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك

ثم ذكر البخارى رحمه الله حديث يعلى بن أمية أنه كان يقول : ليتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحى فذكر الحديث فى الذى سأل عمن أحرم بعمرة وهو متضمخ بطيب وعليه جبة قال فنظر رسول الله ساعة ثم فجأه الوحى فأشار عمر إلى يعلى أى تعال فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرّى عنه فقال « أين الذى سألنى عن العمرة آنفا ؟ » فذكر أمره بنزع الجبة وغسل الطيب

وهذا الحديث رواه جماعة من طرق عديدة والكلام عليه فى كتاب الحج ولا تظهر مناسبة ما بينه وبين هذه الترجمة ولا يكاد ولو ذكر فى الترجمة التى قبلها لكان أظهر وأبين والله أعلم .

﴿ جمع القرآن ﴾

قال البخارى حدثنا موسى بن إسماعيل ثنا إبراهيم بن سعد ثنا ابن شهاب عن عبيد بن السباق أن زيد بن ثابت قال أرسل إلىّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر إن عمر بن الخطاب أتانى فقال: إن القتل قد استحرّ (١) بقراء القرآن ، وإنى أخشى أن يستحر القتل بالقراء فى المواطن فيذهب كثير من القرآن ، وإنى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، فقلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال عمر : هذا والله خير . فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت فى ذلك الذى رأى عمر، قال زيد : قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك وقد كنت تكتب الوحى لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، والله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان على أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن ، قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ ؟ قال هو والله خير . فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح له صدر أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف (٢) وصدور الرجال ، ووجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى لم أجدها مع غيره (٣) (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) حتى خاتمة براءة .

فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضى الله عنهم .

وقد روى البخارى هذا فى غير موضع من كتابه . ورواه الإمام أحمد والترمذى والنسائى من طرق عن الزهرى به وهذا من أحسن وأجل وأعظم ما فعله الصديق رضى الله عنه فإنه أقامه الله تعالى بعد النبى ﷺ مقاما لا ينبغى لأحد من بعده : قاتل الاعداء من مانعى الزكاة والمرتدين والفرس والروم ، ونفذ الجيوش ، وبعث البعوث والسرايا، ورد الأمر إلى نصابه ، بعد الخوف من تفرقه وذهابه ، وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القارئ من حفظه كله. وكان هذا من سر قوله تعالى (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

فجمع الصديق الخير وكف الشرور ، رضى الله عنه وأرضاه ، ولهذا روى عن غير واحد من الأئمة منهم وكيع وابن زيد وقبيصة عن سفيان الثورى عن إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير عن عبد خير عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجرا فى المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين . هذا إسناد صحيح .

وقال أبو بكر بن أبى داود فى كتاب المصاحف : حدثنا هارون بن إسحاق ثنا عبدة عن هشام عن أبيه أن أبا بكر رضى الله عنه هو الذى جمع القرآن بعد النبى ﷺ يقول : ختمه صحيح أيضا وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه هو الذى تنبه لذلك لما استحر القتل بالقراء ، أى اشتد القتل وكثر فى قراء القرآن يوم اليمامة . يعنى يوم قتال مسيلمة الكذاب وأصحابه بنى حنيفة ، بأرض اليمامة فى حديقة الموت

وذلك أن مسيلمة التف معه من المرتدين قريب من مائة ألف . فجهز الصديق لقتاله خالد بن الوليد فى قريب من ثلاثة عشر ألفا ، فالتقوا معهم ، فانكشف الجيش الإسلامى لكثرة من فيه من الأعراب . فنادى القراء من كبار الصحابة يا خالد خلصنا . يقولون ميزنا من هؤلاء الأعراب . فتميزوا منهم وانفردوا فكانوا قريبا من ثلاثة آلاف . ثم صدقوا الحملة وقاتلوا قتالا شديداً ، وجعلوا يتنادون : يا أصحاب سورة البقرة ، فلم يزل ذلك دأبهم ، حتى فتح الله عليهم وولى جيش الكفر فاراً ، وأتبعتهم السيوف المسلمة فى أقفيتهم قتلا وأسراً ؛ وقتل الله مسيلمة وفرق شمل أصحابه ثم رجعوا إلى الإسلام .

---

(١) استحر اشتد (٢) اللخاف بكسر اللام جمع لخفة وهى صفائح الحجارة الرقاق ، وتجمع على لخف بضمتين كما فى رواية أخرى (٣) يعنى أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره ممن كانوا يكتبون الوحى لا أنه لم يكن يحفظها غيره بل كان يحفظها الكثيرون ويتلونها فى الصلاة وغيرها.

ولكن قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمائة رضى الله عنهم . فلهذا أشار عمر على الصديق ، بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك فى مواطن القتال - فإذا كتب وحفظ صار ذلك محفوظا ، فلا فرق بين حياة من بلغه أو موته . فراجعه الصديق قليلا ليستثبت الأمر ، ثم وافقه ، وكذلك راجعهما زيد بن ثابت فى ذلك . ثم صار إلى ما رأياه رضى الله عنهم أجمعين . وهذا المقام من أعظم فضائل زيد بن ثابت الأنصارى . ولهذا قال أبو بكر بن أبى داود : ثنا عبد الله بن محمد بن خلاد ، ثنا يزيد بن مبارك ، عن فضالة عن الحسن ، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله ، فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال إنا لله ، ثم أمر بالقرآن فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف . وهذا منقطع فان الحسن لم يدرك عمر . ومعناه أنه أشار بجمعه فجمع ، ولهذا كان مهيمنا على حفظه وجمعه ، كما رواه ابن أبى داود حيث قال : ثنا أبو الطاهر ، ثنا ابن وهب ، ثنا عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو ، عن علقمة ، عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، أن عمر لما جمع القرآن ، كان لا يقبل من أحد شيئا ، حتى يشهد شاهدان ، وذلك عن أمر الصديق له فى ذلك كما قال أبو بكر بن أبى داود . ثنا أبو الطاهر . أنا ابن وهب أخبرنى ابن أبى الزناد ، عن هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما استحر القتل بالقراء يومئذ فرق(١) أبو بكر رضى الله عنه أن يضيع فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت : فمن جاءكما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه(٢) منقطع حسن

ولهذا قال زيد بن ثابت ووجدت آخر سورة التوبة - يعنى قوله تعالى (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) إلى آخر الآيتين - مع أبى خزيمة الأنصارى . وفى رواية مع خزيمة بن ثابت الذى جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين لم أجدها مع غيره(٣) فكتبوها عنه لأنه جعل رسول الله ﷺ شهادته بشهادتين فى قصة الفرس الذى ابتاعها رسول الله ﷺ من الأعرابى فأنكر الأعرابى البيع ، فشهد خزيمة هذا بتصديق رسول الله ﷺ فأمضى شهادته وقبض الفرس من الأعرابى . والحديث رواه أهل السنن وهو مشهور .

وروى أبو جعفر الرازى عن الربيع . عن أبى العالية أن أبى بن كعب أملاها عليهم مع خزيمة بن ثابت . وقد روى ابن وهب عن عمرو بن طلحة الليثى ، عن محمد بن عمرو بن علقمة عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب . أن عثمان شهد بذلك أيضا

وأما قول زيد بن ثابت : فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال . وفى رواية من العسب والرقاع والاضلاع . وفى رواية من الاكتاف والاقتاب وصدور الرجال . أما العسب فجمع عسيب ، قال أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى : وهو من السعف فويق الكرب ، لم ينبت عليه الخوص ، وما نبت عليه الخوص فهو السعف . واللخاف جمع لخفة وهى القطعه من الحجارة مستدقة ، كانوا يكتبون عليها وعلى العسب وغير وذلك مما يمكنهم الكتابة عليه بما يناسب ما يسمونه من القرآن من رسول الله ﷺ

ومنهم من لم يكن يحسن الكتابة أو يثق بحفظه فكان يحفظه ، فتلقاه زيد ، هذا من عسبه ، وهذا من لخافه ، ومن صدر هذا ، أى من حفظه وكانوا أحرص شىء على أداء الأمانات . وهذا من أعظم الأمانة ، لأن الرسول ﷺ أودعهم ذلك ليبلغوه إلى من بعده ، كما قال الله تعالى (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) ففعل صلوات الله وسلامه عليه

---

(١) فرق كتعب خاف أى خاف أن يضيع منه شىء - كما فى الروايات الأخرى - إذا مات جميع حفاظه قبل أن يكتب (٢) لعل المراد الشهادة على المكتوب وقد كان زيد ممن حفظ القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ وكذلك عمر كان يحفظه (٣) أى لم يجدها مكتوبة مع غيره على ما كان من بحث زيد عمن كتبها وتقدم فى حاشية قبل هذه أنها كانت محفوظة وأن زيداً كان يسأل عن شىء يحفظه ويعرفه .